

الوقت زمن القويان 4



THE WITCHER

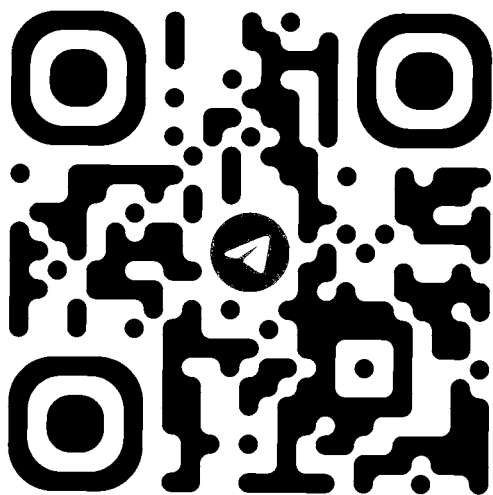
TIME OF CONTEMPT

أنديجي سابكوفسكي

ترجمة: د. يوسف شادة



مكتبة



سجل في مكتبة

اضغط! الصفحة

SCAN QR

4

الوَيْلَشَّر
أَمِّنَ الْهَوَانِ



للنشر والتوزيع

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email: P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

● تأليف: أندجي سابكوفسكي

● ترجمة: د. يوسف شحادة

● تحرير: مصطفى رزق

● تدقيق لغوي: كارم أحمد

● تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

● رقم الإيداع: 2024/32641 م

● الترقيم الدولي: 8-490-992-977-978

● العنوان الأصلي:

The Witcher: Time of Contempt

● العنوان العربي: الويتشر، زمن الهوان

● حقوق النشر:

© by Andrzej Sapkowski, 1995

Published by arrangement with

Patricia Pasqualini Literary Agency.

● الطبعة الأولى: يناير / 2025 م

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

مكتبة

t.me/soramnqraa

الوقت زمن الكائن



THE WITCHER

TIME OF CONTEMPT

أندي سايكوفسكي

ترجمة: د. يوسف شادة



الدم على يديك، يا فالكا،

الدم على ثوبك

احترقي، احترقي، يا فالكا، بسبب جرائمك

احترقي وموتي في العذاب!

أغنية أطفال تغنى في أثناء حرق دمية فالكا

في عشية ساوفين⁽¹⁾

(1) ساوفين (Saovine) أو الموت: عيد في تقويم الإلفيين، وهو وفق حسابات البشر، يقع في نهاية شهر أكتوبر، قبل اكتمال القمر في شهر نوفمبر.

فيديميني أ. الويتشيرون بين النوردلينجيين (حاليًا) طائفة إثنية سرية ونخبوية من الكهنة المحاربين، وعلى الأرجح أنهم فرع من كهنة الدرويد (حاليًا). مسلحين بالمخيلة الشعبية وبالقوة السحرية والقدرات الخارقة، كان يفترض أن **ف.** سيقاتلون ضد الأرواح الشريرة والوحوش وجميع قوى الظلام. واقعياً، ولكونهم سادة التعامل مع السلاح، فقد استخدم **ف.** حكام الشمال في الحروب القبلية التي دارت بينهم. أخذت الغشية **ف.** في المعركة، التي سببها ما يسمى بالتنويم الإيحائي الذاتي، أو المُخدّرات؛ قاتلوا بطاقة عمياء، دون أن يحسوا بالألم بتاتاً، أو حتى بالأذى الخطر، وهذا ما عزز الخرافات عن قوتهم الخارقة للطبيعة. إن النظرية القائلة بأن **ف.** يفترض أن يكونوا منتوجات للطفرات أو للهندسة الوراثية، لم تؤكّد. إن **ف.** أبطال لعدد من قصص النوردلينجيين (راجع **ف.** ديلانوي، «أساطير وخرافات شعوب الشمال»).

إيفنبرج وتالبوت،

موسوعة ماكسيما موندي، المجلد الخامس عشر

الفصل الأول

ليستطيع المرء كسب لقمة العيش كمراسل خيال، اعتاد أبلجات أن يقول للفتيان الذين ينضمون إلى الخدمة، إنهم يحتاجون إلى شيئين: رأس ذهبي ومؤخرة حديدية.

علم أبلجات المراسلين الشباب أن الرأس الذهبي لا غنى عنه، فالمراسل لا يحمل تحت ملابسه، في محفظة جلدية مسطحة مثبتة بحزام على صدره العاري، سوى الأخبار الأقل أهمية، التي يمكن أن تُرسل بالورق الغادر أو الرقّ دون خوف. أما الأخبار الحقيقية المهمة والسرية، تلك التي تعتمد عليها أمور كثيرة، فيجب أن يتذكرها المراسل ويكررها على سماع من تلزمه. كلمة، كلمة، وأحياناً تكون هذه الكلمات معقدة. صعب نطقها، فما بالك بتذكرها. ولتذكرها وتكرارها دون خطأ، يجب أن يكون لدى المرء رأس ذهبي حقاً.

أما ماذا تعطي المؤخرة الحديدية، ها ها، فسيعلم ذلك كل مراسل بنفسه بسرعة. عندما يتعين عليه قضاء ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ على سرج دابته، يجول قاطعاً مئة ميل أو مائتين في الطرق، وأحياناً، عند الضرورة، في الدروب الوعرة. أها، طبعاً لا يجلس على السرج طوال الوقت، في بعض الأحيان ينزل ليستريح. والإنسان يتحمل كثيراً، لكن الحصان أقل تحملاً. بيد أنه بعد الاستراحة، عند وجوب عودته إلى رُحل دابته، يشعر كأن مؤخرته تصرخ: «النجدة، إنهم يجرمون بي!».

ومن الآن يحتاج إلى المراسلين الخيالة، يا سيد أبلجات -هكذا كان الشبان يستغربون أحياناً- فمن فينجربيرج إلى فيزيما، على سبيل المثال، لا يمكن

لأحد أن يصل في أقل من أربعة أيام أو خمسة، حتى لو امتطى صهوة أسرع جواد. لكن كم من الوقت يحتاج الساحر من فينجر بيرج لإيصال رسالة سحرية إلى ساحر في فيزيما؟ نصف ساعة، أو حتى أقل من ذلك. قد يُصاب حصان المراسل بالعرج. قد يقتله قطاع الطرق أو السناجيب، أو يمكن أن تمزقه الذئاب أو الفتخاء. كان المراسل، ولم يعد. أما الرسالة السحرية فستصل دائماً، لن تضلّ طريقها، ولن تتأخر أو تضيع. فما الحاجة إلى المراسلين، إذا كان السحرة في كل بلاط ملكي؟ لم تعد حاجة إلى المراسلين، يا سيد أبلجات. لوقتٍ طويل، ظنَّ أبلجات أيضاً أن لم يعد أحد يحتاج إليه. كان له من العمر ستة وثلاثون عاماً، قصير القامة ولكنه قوي مفتول العضلات، لا يخشى العمل، ورأسه، طبعاً، ذهبي. كان يمكنه العثور على وظيفة أخرى ليعول نفسه وزوجته، وليوفر بعض المال لمهر ابنتيه غير المتزوجتين، وليتمكن من الاستمرار في مساعدة ابنته المتزوجة، التي كان زوجها المُخفق على نحو ميؤوس منه يخفق دائماً في أشغاله. لكن أبلجات لم يرغب ولم يتخيل نفسه في وظيفة أخرى. كان مراسلاً خيئلاً ملكياً.

فجأة، وبعد فترة طويلة من النسيان والبطالة المهيئة، أصبح أبلجات مطلوباً من جديد. عادت الطرق ودروب الغابات لترنَّ بقرعة الحوافر. بدأ المراسلون، كما في الأيام الخوالي، يجوبون البلاد من جديد، حاملين الرسائل من حصن إلى حصن.

أبلجات كان يعرف هذا؛ رأى الكثير، وسمع أكثر. كان متوقفاً منه أن يمحو من ذاكرته على الفور محتوى الرسالة التي ينقلها، وينساها، حتى لا يستطيع تذكرها حتى تحت التعذيب. لكنَّ أبلجات كان يتذكر. وكان يعرف لماذا توقف الملوك فجأة عن التواصل من خلال السحر والسحرة. كان من المفترض أن تظل الرسائل التي ينقلها المراسلون سرّاً لا يعلمه السحرة. توقف الملوك فجأة عن الوثوق بالسحرة، وكفّوا عن ائتمانهم على أسرارهم.

أما السبب المفاجئ لبرودة الصداقة بين الملوك والسحرة، فلم يعلمه أبلجات، ولم يهمه كثيراً. وحسب رأيه، كان الملوك والسحرة، على حد سواء، كائنات غير مفهومة، لا يمكن التكهّن بأفعالهم، وخصوصاً عندما تحل الأوقات العصيبة. ولما كانت الأوقات العصيبة قد جاءت، كان من المستحيل

ألا يلاحظها وهو يجوب البلاد من حصن إلى حصن، ومن قلعة إلى قلعة، ومن مملكة إلى مملكة.

كانت الطرق مليئةً بالجنود. في كل خطوة، يمكن أن يلقي السائر أرتالاً من المشاة أو الركبان، وكان كل قائد منهم مضطرباً ومشغولاً وفضاً ومهماً كأن مصير العالم بأسره معتمد عليه. كذلك، غُصَّتِ الحصون والقلع بالمسلحين، وتواصل فيها الركض المحموم ليلَ نهار. كان المسؤولون الذين لا يُرَوْنَ عادة، كرؤساء الحصون وأمراء القلاع، يجرون من سور إلى سور ومن ساحة إلى ساحة، هائجين كالزنابير قبل العاصفة، يزعقون، ويشتمون، ويصدرون الأوامر، ويوزعون ركلاتهم. كانت أرتال من العربات المحملة تتحرك متثاقلة نحو الحصون والحاميات نهاراً وليلاً، مقابلة الأرتال العائدة، التي كانت تسير مسرعة وخفيفة وفارغة. غَبِرَتِ الطرقُ الخيولُ السهبية ذات الأعوام الثلاثة، المندفعة من إصطبلاتها وهي تنطُّ وتقفز. استغلتِ الخيول الصغيرة، التي لم تعتدِ الشكائم والخيالة المسلحين، أيامها الأخيرة من الحرية بمرح، وبهذا أثقلت سائسيها بالكثير من العمل الإضافي، وبالكثير من المتاعب لسائر مستخدمي الطرق.

باختصار، كانت الحرب على الأبواب كالهواء الساكن اللاهب.

رفع أبلجات نفسه على الرُكَّابين، وأجال النظر. في الأسفل، عند سفح التل، التمتع النهر متعرجاً بحدة بين المروج وأجمات الأشجار. امتدت الغابات خلف النهر، في الجنوب. حثَّ المراسل حصانه ليسرع. لقد دهمه الوقت.



كان في الطريق منذ يومين. وصل إليه الأمر الملكي والبريد في هاجي، حيث كان يستريح بعد عودته من تريتوجور. غادر القلعة ليلاً، يعدو بحصانه على الطريق المحاذية لضفة بونتار اليسرى، تجاوز حدود تيميريا قبل الفجر، والآن، عند ظهيرة اليوم التالي، صار على ضفة نهر إيسمين. لو كان الملك فولتيس في فيزيميا، لتمكن أبلجات من تبليغه الرسالة في تلك الليلة ذاتها. ويا للأسف، لم يكن الملك في العاصمة، بل في جنوب البلاد، في ماريبور التي تبعد ما يقارب مائتي ميل عن فيزيميا. كان أبلجات يعلم ذلك، لذا ترك في

نواحي الجسر الأبيض الطريق المؤدية إلى الغرب، وسار راكبًا خلال الغابات تجاه إيلاندر. وقد خاطر قليلًا. فلا يزال السناجيب يتربصون في الغابات، والويل لمن يقع في أيديهم أو يجد نفسه تحت سهامهم. لكن المراسل الملكي عليه أن يخاطر. هذه هي وظيفته.

عبر النهر بيسر؛ لم تمطر منذ شهر حَـزِيران، وانخفض منسوب المياه في إيسمينا كثيرًا. مضى متتبعًا طرف الغابة حتى وصل إلى الطريق التي تمتد من فيزيميا إلى الجنوب الشرقي، تجاه مسابك الأقزام وورشاتهم للحدادة وأحيائهم في كتلة ماهاكام الجبلية. سارت العربات بمسلكها وثيدة، وكثيرًا ما تجاوزها خيالة الاستطلاع. تنفس أبلجات الصُعداء؛ فحيثما يكون الناس، ينعدم وجود السكويائنتيل. تواصلت الحملة ضد الإلفيين المتحاربين مع البشر في تيميريا منذ عام، وانقسمت وحدات السناجيب المضطهدة في الغابات إلى مجموعات صغرى، وابتعدت هذه المجموعات الصغرى عن الطرق المزدحمة، ولم تنصب عليها الكمائن.

قبل المساء، صار على الحدود الغربية لإمارة إيلاندر، عند مفترق الطرق في نواحي قرية زافادا، ومن هناك أصبحت طريقه إلى ماريبور مباشرةً وأمنةً، مُمهّدةً ومزدحمةً بطول اثنين وأربعين ميلًا. وعند المفرق كانت حانة. قرر أن يمنح الحصان ونفسه قسطًا من الراحة. كان يعلم أنه إذا انطلق بُكرة، حتى دون إرهاق دابته تمامًا، فقبل غروب الشمس سيرى الرايات ذات اللونين الفضي والأسود على الأسطح الحمر لأبراج قلعة ماريبور.

أزال السرج عن الفرس واعتنى بها بنفسه، أمرًا الغلام بالابتعاد. كان مراسلًا ملكيًا، والمراسل الملكي لا يسمح لأحد بلمس حصانه. تناول وجبة كبيرة من البيض المقلي مع النقانق وربع رغيف خبز من الشيلم، وشرب صحفةً من الجعة. أنصت لشائعات متنوعة. كانت الحانة مقصدًا مؤقتًا لمسافرين من جميع أنحاء العالم.

علم أبلجات أن حوادث وقعت من جديد في دُول أنجرا، واشتبكت من جديد وَحْدَةُ الفرسان الليريين على الحدود مع قوى الاستطلاع النيلفجاردية، ومن جديد وبصوت عالٍ، اتهمت ملكة ليريا، ميفي، نيلفجارد بالاستفزاز، وناشدت الملك ديمافيند من أيدرن لمساعدتها. في تريتوجور، نفذت عملية إعدام علنية

لبارون ريدانيا الذي تعامل مع المبعوثين السريين لقيصر نيلفجارد إمهير. وفي كايدين ارتكبت مجموعاتُ مغاوير السكويائتيل، المتجمعةُ في وَحْدَةٍ كبيرة، مجزرةً بحصن ليدا. ردًا على هذه المذبحة، نفَّذَ أهلُ أرد كارايغ مجزرةً قتلوا فيها ما يقرب من أربعمئة من اللابشريين المقيمين في العاصمة.

روى التجار القادمون من الجنوب أن الحزن والحداد يسودان في تيميريا بين المهاجرين السينتريين، المجتمعين تحت رايات المارشال فيسيجر. فقد تأكد الخبر الأليم عن موت الأميرة سيريلي، آخر ما تبقى من دم الملكة كالانثي، التي تسمى بلبوة سينترا.

وقد رُوِيَتْ شائعات أكثر فظاعة منذرة بشؤمٍ أشد. ومن ذلك أنه في عدة قرى في نواحي ألدرسبيرج، فجأة بدأت ضروع البقرات المحلوقة تدر دمًا، وشوهدت عند الفجر، وسط الضباب، عذراء الوباء، بشيرة الهلاك الرهيب. في بروجي، وعلى مقربة من نواحي غابة بروكلون، مملكة حوريات الغاب المحرمة، ظهر أشباح الصيد البري⁽¹⁾ وموكب أطياف يعدو بخيوله في السماوات، والمعروف على نحو شائع أن الصيد البري دائمًا ما ينذر باقتراب الحرب. ومن رأس البحري لبريميرفورد، شوهدت سفينة شبح، وعلى متنها وحش على هيئة فارس أسود يرتدي خوذة مزينة بجناحي طائر جارح...

لم يطلِ استماع المراسل أكثر، كان متعبًا جدًا. ذهب إلى حجرة المبيت المشتركة، وارتقى على مرتبة حقيرة ونام كجذع شجرة مقطوع.

استيقظ أول الفجر. عندما خرج إلى الفناء، استغرب قليلًا؛ فلم يكن أول من يتهيا للرحيل، وهذا شيء نادر الحدوث. وقف بجانب البئر حصانٌ فحل أسود مُسَرَّج، بالقرب منه امرأة في زي رجل، غسلت يديها عند حوض الماء. استدارت المرأة، عندما سمعت خطوات أبلجات، ولمَّت بكفيها المبتلتين شعرها الأسود الغزير، وقذفته إلى الخلف. انحنى المراسل للمرأة، فأومأت برأسها قليلًا.

(1) الصيد البري: من الأساطير الشعبية في بعض مناطق أوروبا، وهي مجموعة طيفية وهمية من الصيادين يمتطون الأحصنة ويستخدمون كلاب الصيد في مطاردة أهدافهم عبر السماء أو على الأرض، ويمكن أن يكون الصيادون موتى أو من الجن، أو أن يكونوا أرواحًا ضائعة، أو شخصيات تاريخية أو أسطورية.

عند دخوله إلى الإصطبل كاد يصطدم بطائر مبكر ثانٍ، هو فتاة شابة تعتمر قبعة مخملية، وتقود فرساً برشاً إلى الفناء. حَكَّت الفتاة وجهها وتثاءبت، متكئة على جنب دابتها.

تمتعت وهي تمر بالمراسل: «أوه. سأغفو على الفرس... سأغفو بالتأكيد... أوالاوالا...».

قال أبلجات بأدب، صاحباً السرج عن العارضة: «سينعشك البرد عندما تجعلين الحِجْرَ تخبُّ. رافقتكِ السلامة، يا آنسة».

استدارت الفتاة ونظرت إليه، كأنها لم تلاحظه إلا الآن فقط. كانت عيناها كبيرتين وخضراوين كزمردتين. ألقى أبلجات الحِلس على ظهر الحصان. كرر: «تمنيتُ أن ترافقكِ السلامة».

عادةً، لم يكنُ منفتحاً ولا محدثاً طليقاً، لكنه الآن شعر بأنه يحتاج إلى الحديث مع شخص آخر، حتى لو كان ذلك الشخص بنتاً صغيرة عادية ونعسى. ربما كانت الأيام الطويلة من الوحدة على الطريق سببَ هذا الشعور، أو ربما لأن هذه الصغيرة تشبه ابنته الوسطى قليلاً.

أضاف: «لتحفظكم الآلهة من حادث مفاجئ أو من مغامرة مشؤومة. أنتما وحدكما فقط، وفضلاً عن ذلك أنتما امرأتان... والأوقات الآن سيئة. في كل مكان يتربص الخطر بالناس على الطرق...».

وسَّعت الفتاة عينيها الخضراوين. أحسَّ المراسل ببرودة في ظهره، وانتابته قشعريرة نافذة.

نطقتِ البنت فجأة بصوت غريب ومتغير: «الخطر... الخطر صامت. لن تسمعه حينما ينقض طائراً بأرياشه الرمادية. رأيتُ حلماً. رمل... الرمل كان ساخناً من الشمس...».

جمد أبلجات والسرج مستند إلى بطنه: «ماذا؟ ماذا تقولين، يا آنسة؟ أي رمل؟».

ارتجفت الفتاة بقوة، مسحت وجهها. هزت الفرس البرشاء رأسها. نادت امرأة ذات شعر أسود من الفناء بحدة، وهي تعدل حزام السرج والخُرَج على جوادها الفحل الأسود: «سيرى! أسرعى!».

تثاءبت الفتاة، ونظرت إلى أبلجات، ورمشت بعينيها عدة مرات، محدثةً انطباعًا بأنها مستغربة من وجوده في الإصطبل. صمت المراسل.
كررت المرأة: «سيري. هل نعستِ هناك؟».

- أنا قادمة، يا سيدة ينيفر!

بعد أن أسرج حصانه وأخرجه إلى الفناء، لم يبقَ من المرأة والفتاة أثر. صاح ديك صياحًا مديدًا، فيه بحةٌ، وعلا نباح كلب، وسمع صوت وقواق بين الأشجار. وثب المراسل على السرج. فجأة تذكر عيني الفتاة الناعسة الخضراوين، وكلماتها الغريبة. الخطر الصامت؟ الأرياش الرمادية؟ الرمل الساخن؟ فكَّر: ربما كانت بنتًا ناقصة العقل. يوجد الآن الكثير من أمثال هؤلاء الفتيات المخبولات، اللواتي ألحق بهنَّ الأذى في أيام الحرب صعاليك الجيش أو آخرون من قطاع الطرق... أجل، إنها مخبولة، دون شك. أو لعلها فقط كانت نعسى، انتزعت نفسها من النوم، ولم تستيقظ تمامًا. عجبًا، أي هراء يتفوه به الناس أحيانًا، وهم لا يزالون يتأرجحون بين النوم واليقظة ساعة الفجر...

انتابته القُشْعُريرة من جديد، وظهر ألم بين كتفيه. فرك ظهره بقبضته. حالما وصل إلى مسلك ماريبور، نكز الحصان بكعبه على موضع لين، وانطلق عدوًا. لقد دهمه الوقت.



لم يرتح المراسل طويلاً في ماريبور، فلم يمرَّ اليوم حتى صفَّرت الريح في أذنيه مجدداً. سار الجواد الجديد، وهو الفحل الرمادي من إصطبلات ماريبور، بشدة، ماداً عنقه ومحرّكاً ذيله. تمايلت أشجار الصفصاف على جانبي الطريق. كانت حقيبة البريد الدبلوماسي تضغط على صدر أبلجات، وقد ألمه ردفاه.

صرخ الحوذي خلفه، وهو يشد أربطة العربة، التي فزعت من الجواد الرمادي المسرع خبيلاً: «تفًا، ليتك تكسر عنقك، أيها المندفع المجنون! أترون، كيف يعدو، كأن الموت يقضم عقبيه! فلتسرّع، فلتسرّع، أيها المتهور، ففي كل الأحوال لن تهرب من شبح الموت!».

مسح أبلجات عينه، التي دمعت من زخم السرعة.

البارحة، سلّم الملك فولتيسست الرسائل، ثم تلا رسالة الملك ديمافيند السرية.

- من ديمافيند إلى فولتيسست. كل شيء جاهز في دول أنجرا. المتنكرون ينتظرون الأمر. الموعد المتوقع: الليلة الثانية من تموز بعد محاق القمر. يجب أن تنزل القواربُ على الضفة الأخرى بعد ذلك بيومين.

حلّقت أسراب الغربان فوق الطريق، ناعقة نعيقًا صاخبًا. طارت نحو الشرق، تجاه ماهاكام ودول أنجرا، صوب فينجربيرج. كان المراسل، وهو راكب يقود حصانه، يكرر في ذاكرته كلمات الرسالة السرية التي بواسطته أرسلها ملك تيميريا إلى ملك أيديرن.

من فولتيسست إلى ديمافيند. أولًا: لنوقف العملية. لقد دعا المتذاكون إلى اجتماع، وسيلتقون ويتشاورون في جزيرة ثانيد. قد يغير هذا الاجتماع الكثير. ثانيًا: يمكن الكفُّ عن البحث عن الشبلة. تأكد الأمر. الشبلة ماتت.

نكز أبلجات جواده الرمادي بكعبه. لقد دهمه الوقت.



كانت الطريق الضيقة وسط الغابة مسدودة بالعربات. خَفَّف أبلجات السرعة واقترب بهدوء يخبُّ على جواده حتى آخر عربة في رتل المَرَكبات الطويل. أدرك على الفور أنه لن يستطيع اختراق الزحام. الرجوع أمر مستحيل، وسيكون خسارة كبيرة للوقت. ولم يكن التوغل في الديسة الموحلة بهدف الالتفاف على الزحام، مشجعًا له كثيرًا، خصوصًا أن الغروب قد حل.

سأل سائقي العربة الأخيرة من الرتل، وهما رجلان مُسنان، بدا أحدهما نائمًا والآخر ميتًا: «ماذا حدث هنا؟ هجوم؟ السناجيب؟ تحدثوا! أنا في عجلة من أمري...».

قبل أن يتمكن أحد المسنين من الرد، سُمِعَت صرخات وسط الغابة آتية من مقدمة الرتل التي لم تكن ظاهرة للعيان. وثب السائقون بسرعة إلى العربات، وساطوا الخيولَ والثيرانَ، تصحبهم في ذلك الشتائم البديعة. تحرك الرتل من مكانه وثيّدًا. صحا المسن الغافي، حرّك لحيته، سأسأ بالبغال وضربها

على مؤخرتها بالأزمة. أما المسن، الذي بدا غير حي، فقد انتعش وأزاح قبعته القشية عن عينيه ونظر إلى أبلجات.

قال: «انظروا إليه. هو في عجلة من أمره. ها، يا بني، لقد ابتسم لك الحظ. وصلت في الوقت المناسب».

حرّك المسن الآخر لحيته وحث البغال لتسرع: «نعم. في الوقت المناسب. لو أنك مررت هنا ظهرًا، لوقفت معنا وانتظرت ليصبح المرور ممكناً. كلنا مستعجلون، لكن كان علينا الانتظار. فكيف كنت ستغادر والطريق مغلقة؟».

- كانت الطريق مغلقة؟ ما هذا الأمر المبتدع؟

- ظهر هنا وحش أكل للبشر معدوم الرحمة، يا بني. هاجم فارسًا كان يسير على الطريق ومعه خادمه. ويقال إن الوحش قطع رأس الفارس وخودته، وأخرج أحشاء حصانه. تمكن الخادم من الهرب، وحكى أن ما حدث هو الرعب ذاته، وأن الطريق احمرت من الدماء...

سأل أبلجات، وهو يوقف جواده ليستطيع مواصلة الحديث مع سائقي العربة الوثيدة: «ماذا كان هذا الوحش؟ تنينًا؟».

قال المسن الآخر: «لا، ليس تنينًا. يقولون إنه ماندراجورا، أو ما يشبه ذلك. تحدث الخادم بأنه وحش طائر، ضخم على نحو مخيف. وكذلك شرس! ظننا أنه سيأكل الفارس ويطير بعيدًا، لكن هيهات! فقد جثم ابن العاهرة على الطريق، يهسهس وأنيابه تلمع... وهكذا سدّ الطريق مثل سداة قنينة، لأن كل من اقترب راكبًا وأبصر الوحش، ترك العربة وولى دبره. لذا تراكمت العربات على طول نصف ميل، وكما ترى يا بني، فالديسة والمستنقعات تحيط بنا من الجهات كلها، ولا يمكن الالتفاف ولا الرجوع. لذا وقفنا...».

احتدّ المراسل: «كل هؤلاء الرجال! ووقفوا كالحمقى! كان عليكم أخذ الفؤوس والرماح وطردهم الوحش من الطريق أو قتله».

قال الحوذي المسن، وهو يحثُّ البغال على الإسراع لأن الرتل بدأ يتحرك على نحو أسرع: «نعم، حاول بضعة منهم. ثلاثة من الأقزام من حرس التجار، ومعهم أربعة جنود جدد، ذهبوا إلى قلعة كاريراس، إلى الجيش. أصاب الوحش الأقزام إصابات بالغة، أما الجنود الجدد...».

أكمل المسن الآخر، ثم بصق بعيدًا وبكثافة، وقد أصاب على اليقين الحيز الفارغ بين مؤخرتي بغلين من البغال: «فقد غادروا على جناح السرعة. غادروا، حالما أبصروا ماندراجورا. واحد منهم، كما قيل، تبرز في سرواله. ها، انظر، انظر، يا بني، ذاك هو! هناك!».

توتر أبلجات قليلًا: «ماذا تقولون أنتم، تريدون مني أن أشاهد من تبرز على نفسه؟ لست مهتمًا...».

- ليس ذاك! بل الوحش! الوحش المقتول! الجنود يضغونه على المَرْكبة! هل ترون؟

وقف أبلجات على الرُّكابين. رغم الظلام الدامس والفضوليين المتجمعين، لمح الجسد الضخم قشِّي اللون الذي كان الجنود يرفعونه. استرخى على الأرض بفتور جناحًا الوحش الشبيهان بجناحي خفاش وذيله الشبيه بذيل عقرب. رفع العساكر الجثة أعلى وألقوا بها على العربة، وهم يصرخون جماعيًا. سهلت الخيول المربوطة بالعربة، التي أفلقتها على ما يبدو نتانة الدم والجيفة، وجذبت قضيب جر العربة.

صرخ قائد الجنود العشرة على المسنَّين: «لا تقفا! واصلا السير! لا تسدَّا الطريق!».

حث الجد البغال، فقفزت العربة على أخاديد الدرب. نكز أبلجات حصانه بكعبه، وصار على سويتهما.

- على ما يبدو، فإن الجنود قتلوا الوحش؟

نفى المسن: «طبعًا لا. منذ أن جاء الجنود، وهم يصرخون على الناس ويوبخونهم ملء أفواههم. ويأمرون أحدهم مرة كي يتوقف ومرة أخرى كي يتحرك، يفعل هذا، ويفعل ذاك. لم يسارعوا لملاقاة الوحش. أرسلوا في طلب الويتشر».

- الويتشر؟

أكد المسن الآخر: «نعم، هذا ما كان. تذكر أحدهم أنه رأى ويتشرًا في القرية، فأرسلوا في طلبه. ثم وصل ومرَّ بجوارنا. شعره أبيض، وجهه دمim، وسيف صارم على ظهره. لم تمر ساعة حتى صاح أحدهم من المقدمة أننا

سنتمكن من السير بعد قليل، لأنّ الويتشر أهلك الوحش. فتحركنا أخيرًا، لحظتها، ظهرت أنت يا بُنيّ».

قال أبلجات وهو شارد الذهن: «ها. سنوات كثيرة عدّة وأنا أجوب الدروب، ولم ألتق ويتشريًا واحدًا بعد. هل رأى أحد منكم كيف تعامل مع هذا الوحش؟». صاح فتى أشعث الشعر وكان يخبُّ من الجانب الآخر للعربة، راكبًا فرسًا برشاء هزيلة وضئيلة الجسم وغير مسرّجة، يقودها مستعينًا بالرسن: «أنا رأيت! رأيت كل شيء! لأنني كنت مع الجنود، في المقدمة تمامًا».

قال الحوزي الهرم: «انظروا إليه، هذا العجي. لا يزال الحليب يقطر تحت أنفه، ويتذاكى. هل تريد أن تُضرب بالسوط؟».

تدخل أبلجات: «دعكم منه يا أبانا. ما دام سيفترق عنا، هناك في كاريراس سأذهب، لكنني أود قبل ذلك أن أعرف ما كان من أمر هذا الويتشر. تحدث، أيها الصغير».

بدأ الفتى يتحدث بسرعة وهو يسير بطيئًا على حصانه بجانب العربة: «كان الأمر هكذا. جاء ذاك الويتشر إلى أمر الجيش. قال إن اسمه جيرانت. فردّ عليه الأمر أن الاسم كيفما كان لا يهم، والأفضل أن يشرع في العمل. وأشار إلى حيث يجثم الوحش. اقترب الويتشر ونظر قليلًا. كان الوحش على بعد يقرب الميلين، أو حتى أكثر من ذلك، لكنه اكتفى بالنظر من بعيد وقال على الفور إن هذا الوحش هو مانتيكورا كبيرة على نحو استثنائي، وإنه سيقتلها إذا دفعوا له مائتي «كورونة».

غصّ العجوز الثاني: «مائتي كورونة؟ هل جُنّ كليًا؟».

- هذا ما قاله الأمر، لكن بكلمات أكثر بذاءة بعض الشيء. فردّ الويتشر بأن هذا هو الثمن وأن الأمر عنده سيّان، فليبقّ الوحش جائمًا على الطريق ولو حتى إلى أن تقوم الساعة. وكان رد الأمر أنه لن يدفع هذا القدر الكبير من المال، ويفضل الانتظار حتى يطير الوحش بعيدًا من تلقاء نفسه. لكنّ الويتشر علّق على ذلك بأن الوحش لن يطير لأنه جائع وهائج. وإن طار، فسيعود بسرعة لأن هذه هي منطقته... طققة... صيده... منطقته...

استشاط الحوزي المسن غضبًا، محاولًا دون جدوى أن يتمخّط بمساعدة أصابعه التي كان في الوقت ذاته يمسك بها اللجام: «وأنت، أيها العجي، لا تهذر! قل ما حدث فقط!».

- إنني أقول! هكذا تكلم الويتشر: لن يطير الوحش بعيدًا، بل سيأكل الفارس الميت طوال الليل، ببطء، لأن الفارس متدرّع ومن الصعب إخراجه من درعه. في هذه الأثناء جاء التجار وبدأوا مساومة الويتشر، وأنهم سيجمعون في كل الأحوال مئة كورونة، ويعطونه إياها. لكنّ الويتشر علق على ذلك بأن الوحش يسمى مانتيكورا، وهو خطر جدًّا، لذا يمكنهم أن يدسّوا تلك المئة كورونة في مؤخراتهم، إنه لن يغامر برأسه. احتاج الأمر وقال بأن هذا هو قدرُ الويتشريين والكلاب أن يخطروا برقابهم، وأن الويتشر طبعًا مخصص لهذا الأمر، كما المؤخرة مخصصة للتبرز تحديدًا. وكما يبدو خشي التجار أن يغضب الويتشر كذلك ويغادر، فوافقوا على مئة وخمسين كورونة. واستلّ الويتشر سيفه وسار على الطريق إلى المكان الذي لزمه الوحش. ورسم الأمر خلفه علامة لاتقاء الشر، ثم بصق على الأرض وقال إنه لا يعلم لماذا تحمل الأرض مثل هؤلاء المتحولين الجهنميين. وعلق على ذلك واحد من التاجر بأن الجيش، بدلًا من مطاردة الإلفيين في الغابات، كان يجب أن يطرد المخلوقات المخيفة من الطرق، حتى تنتفي الحاجة إلى الويتشريين، وأن...

قاطعه المسن: «لا تتفوه بالتُرّهات، احكِ ما رأيتَ فقط».

تباهى الفتى: «إنني حرسْتُ دابة الويتشر، الفرس الكستنائية ذات الغرة البيضاء».

- وما لي والفرس؟ هل رأيتَ كيف قتل الويتشر الوحش؟

تلعثم الفتى: «لا... ما رأيت... لقد دفعوني إلى الخلف. كان الجميع يصرخون بصوت عالٍ، والخيول فرغت، لذا...».

هتف الرجل الهرم باحتقار: «لقد قلتُ إنه لم يرَ حتى البراز، هذا العجي». زعق الفتى: «لكنني رأيتُ الويتشر عندما عاد! وبدا الأمر، الذي كان يقظًا لكل شيء، شاحب الوجه تمامًا، وقال للجنود بصوت خافت إن هذا ليس سوى

الألعاب سحر أو حيل إلفية، لأن الإنسان العادي لا يمكنه أن يتعامل بالسيف بهذه السرعة... أما الويتشر فأخذ المال من التجار، ركب فرسه وذهب.

تمتم أبلجات: «هممم... في أي اتجاه ذهب؟ هل سلك الطريق نحو كاريراس؟ إذا كان الأمر كذلك، فربما ألحق به، حتى ألقى نظرة عليه لا أكثر...».

قال الفتى: «لا. من المفترق انطلق نحو دوريان. كان في عجلة من أمره».



نادرًا ما كان الويتشر يحلم، وحتى تلك الأحلام النادرة لم يتذكرها بعد أن يستيقظ قط. حتى عندما كانت كوابيس؛ وهي في الغالب كوابيس.

هذه المرة أيضًا كان الحلم كابوسًا، ولكنَّ الويتشر تذكر، هذه المرة، جزءًا منه على الأقل. بزغت فجأة صورة واضحة ونقية من دُومة متشابكة لشخصيات غامضة ولكنها مقلقة، ومشاهد عجيبة ولكنها تنذر بالشر، وكلمات وأصوات غير مفهومة ولكنها تثير الخوف. سيرى، كانت مختلفة عن تلك التي تذكرها من كاير مورهين. شعرها الرمادي الزاهي، المتطاير في أثناء عدو فرسها، كان أطول تمامًا كما بدا عندما التقاها أول مرة في بروكلون. حين مرت من جانبه، أراد أن يصرخ، لكنه لم يصدر صوتًا. أراد أن يركض خلفها، لكنه شعر كأنه قد غاص حتى نصف فخذه في القطران البارد. أما سيرى فبدت أنها لا تراه، استمرت في الجري، في الليل، بين أشجار جار الماء والصفصاف الملتوية التي تلوح بفروعها كأنها حية. وأما هو فرأى أن ثمة من يطاردها. وأن حصانًا أسود يخبُّ مقتفياً أثرها، وعلى ظهره خيال يرتدي درعًا سوداء وخوذة مزينة بجناحي طائر مفترس.

لم يستطع التحرك، لم يستطع الصراخ. لم يكن في وسعه سوى أن يشاهد الفارس المجنح يلحق بسيرى، ثم يمسكها من شعرها ويسحبها من السرج ويواصل خببه، جازًا إياها خلفه. لم يكن في وسعه سوى أن يشاهد وجه سيرى يزرق من الألم، وصراخها الصامت ينطلق من شفثتها. أمر نفسه -وكان غير قادر على تحمل الكابوس-: استيقظ!، استيقظ! استيقظ على الفور!

استيقظ.

استلقى ساكنًا برهةً، يستذكر الحلم. ثم نهض. أخرج محفظته من تحت الوسادة، وعدَّ بسرعة نقود الكورونة من فئة العشرات. مئة وخمسون لقاء وحش مانتيكورا الذي قضى عليه البارحة. خمسون لقاء وحش الضباب الذي قتله بناءً على طلب عمدة قرية قرب كاريراس. وخمسون لقاء المستذئب الذي سلمه المستوطنون من بردورف له.

خمسون لقاء المستذئب مبلغ كثير، لأن المهمة كانت سهلة. المستذئب لم يدافع عن نفسه. كان محبوسًا في كهف لا مخرج منه، فجثا وانتظر ضربة السيف. أسفَ الويتشر على حاله.

لكنه كان في حاجة إلى المال.

لم تمض ساعة، حتى كان يجول في شوارع مدينة دوريان، باحثًا عن الزقاق واللافتة المألوفين.



كُتِبَ على اللافتة: «كودرينغر وفين، استشارات وخدمات قانونية». بيد أن جيرالت كان يعلم جيدًا أن ما يفعله كودرينغر وفين عادةً لا يتفق هو والقانون إلا قليلًا جدًّا، وكان لدى الشريكين أسباب كثيرة لتجنب أي احتكاك بالقانون وممثليه على حد سواء. ثم إنه كان يشك بشدة في أن أيًا من الزُبن الذين يظهرون في المكتب يعرف ما تعني كلمة «استشارة».

لم يكن مدخل في الطابق السفلي، بل بوابة فقط مغلقة بإحكام، من المرجح أنها مجمع العربات أو الإصطبل. للوصول إلى باب الدخول، كان يجب التوجه إلى الجزء الخلفي من المنزل، وولوج فناء موحل مليء بالبط والدجاج، ومن هناك ينبغي صعود السلم، ومن ثم عبور رواق ضيق وممر معتم. وعندئذ فقط يمكن الوقوف أمام باب متين ملبَّس بالمعدن، مصنوع من الماهون، ومزوَّد بدقاقة نحاسية كبيرة على هيئة رأس أسد.

طرق جيرالت الباب، ثم تراجع إلى الخلف بسرعة. كان يعلم أن الآلية المثبتة في الباب قد تطلق مسامير حديدية بطول عشرين بوصة من الثقوب المخفية بين التصفیحات المعدنية. نظريًا، لا تنطلق المسامير إلا عندما يحاول أحد الأشخاص التلاعب بالقفل، أو عندما يضغط كودرينغر أو فين

لسحب المغلاق. لكنَّ جيرالت وصل إلى قناعة بعد خبرة طويلة أن الآليات الموثوقة لا وجود لها، وأن أي آلية يمكنها أن تعمل أحيانًا حتى عندما لا ينبغي لها أن تعمل. والعكس صحيح.

على الأرجح أن في الباب جهازًا لتحديد هُويَّة الضيف، ومن المحتمل أن يكون سحريًا. لا أحد من الداخل، بعد الدق على الباب، يسأل أو يطلب الإفصاح عن سبب القدوم. فُتِح الباب وكان كودرينغر يقف خلفه. دائمًا ما كان يظهر كودرينغر، أما فين فلا يظهر أبدًا.

قال كودرينغر: «أهلاً، جيرالت. ادخل. ما من ضرورة لتبسط نفسك أمام إطار الباب، فقد فككتُ آلية الحماية، بعد أن تعطل شيء فيها قبل بضعة أيام. وكان أن انطلقتُ دون سابق إنذار وثقبتُ بائعًا متجولًا. ادخل، لا تتردد. هل تقصدني في شيء؟».

دخل الويتشر إلى ممر واسع ومظلم، عادة ما تنبعث منه رائحة قطط خفيفة: «لا. لا أقصدك أنت. بل أقصد فين».

قهقه كودرينغر بصوت عالٍ، مؤكدًا شكوك الويتشر في أن فين شخصية خيالية مئة في المئة، تستخدم لتضليل مديري النواحي ومأموري القضاء ومحصلي الضرائب وغيرهم من الأشخاص الذين يكرههم كودرينغر.

دخلا إلى المكتب الذي كان الضوء فيه أكثر سطوعًا، لأنه غرفة علوية، فيها نوافذ محمية جيدًا بقضبان متشابكة تطل على الشمس معظم النهار. جلس جيرالت على كرسي مخصص للزُّبن. قبلته تبوأ كودرينغر مقعدًا مبطنًا، خلف مكتب من خشب البلوط، وهو رجل كان يطلب أن يُلقَّب بـ«محامٍ»، ولا شيء يمكن أن يكون مستحيلًا بالنسبة إليه. إذا اشتكى أحدٌ صعبًا أو مشكلاتٍ أو متاعبَ ذهب إلى كودرينغر. وحينئذٍ يتلقى ذلك الشخص بسرعة أدلةً على عدم أمانة شريكه في الشغل وعلى احتياله. ويحصل على قرض مصرفي دون ضمانات وكفالات. وكشخص وحيد في قائمة الدائنين كان ينتزع مستحقاته من الشركة التي تعلن إفلاسها. كان يحصل على ميراث، حتى لو توَّعد العم الغني بأنه لن يكتب له نُحاسية واحدة من المال. وكان يفوز في قضية الميراث لأن الأقارب الأكثر إصرارًا يتراجعون فجأة عن مطالبهم. كان ابنه يخرج من السجن بعد تبرئته من التهم بناءً على أدلة دامغة أو يطلق سراحه

لعدم وجود مثل هذه الأدلة، لأن الأدلة إن وُجدت، اختفت على نحو غامض، وكان الشهود يتسابقون لسحب شهاداتهم السابقة. وذاك الذي يلاحق ابنته، طامعًا بالمهر الذي سيمنحه إياها والداها، حوّل اهتمامه فجأة نحو فتاة أخرى. عاشق زوجته أو مغوي ابنته أصيب في حادث مؤسف، كُسِرَتْ من جرّائه ثلاثة أطراف من جسده كسرًا مرگبًا، واحد منها على الأقل طرف علوي. وكان العدو الحاقد، أو أي شخص آخر غير مريح جدًّا، يتوقف عن إلحاق الأذى، وعادة ما يختفي دون حس أو أثر. أجل، إذا تكالبت المشكلات على أحد الأشخاص، سار إلى دوريان، جاريًا بسرعة إلى شركة «كودرينغر وفين»، ودقّ الباب الماهوني. وظهر «المحامي» كودرينغر واقفًا خلف الباب، وهو ليس بطويل القامة، نحيف، أشهب الشعر، ذو بَشْرَة مصفرة كرجل نادرًا ما يقضي وقتًا في الهواء الطلق. كان كودرينغر يقود الزُّبُن إلى المكتب، يجلس في مقعده ويضع على ركبتيه قطعًا كبيرًا أبيض اللون وأسوده ويُمسّده. كان كلاهما -كودرينغر والهر- ينظران إلى الزبون نظرة قلقلة من أعين صفراء مخضرة.

نظر كودرينغر والقط إلى الويتشر نظرات صفراء مخضرة: «تلقيتُ رسالتك. زارني ياسكير أيضًا. مرّ خلال دوريان قبل بضعة أسابيع. حدثني قليلًا عن همومك. لكنه تكلم كلامًا قليلًا جدًّا. أقل من اللازم».

- حقًا؟ إنك تفاجئني. ستكون هذه أول حالة تمر عليّ، لم يقلّ فيها ياسكير أكثر من اللازم.

لم يبتسم كودرينغر: «ياسكير قال القليل، لأنه كان يعلم القليل. وقال أقل مما كان يعلم، لأنك ببساطة منعتَه من التحدث في بعض الأمور. من أين لديك انعدام الثقة هذا؟ وهو تجاه زميل المهنة؟».

استاء جيرالت قليلًا. كان كودرينغر سيتظاهر أنه لم يلاحظ ذلك، لكنه لم يستطع، لأن القط لاحظَه. فتح عينيه على وسعيهما، كشّر عن أنيابه البيض وهسهس بصوت يكاد لا يسمع.

قال المحامي، مهدئًا الحيوان بتمسيده: «لا تستفزّ قطي. هل هزّك أنني أسميتك زميلًا؟ إنها الحقيقة. أنا أيضًا ويتشر. أنا أيضًا أخلص الناس من الوحوش ومن المشكلات الرهيبة. وأنا أيضًا أفعل ذلك مقابل المال».

تمتم جيرالت، وكان لا يزال تحت نظرات القط غير الودية: «توجد فروق». وافق كودرينغر: «توجد. أنت ویتشر قديم الطراز، وأنا ویتشر عصري أوأكب الزمن. لهذا السبب ستصبح عاطلاً من العمل قريباً، بينما أنا سأزدهر. عما قريب لن تجد وحوشً استريجا والويفيرن والإندرياجا والمستذئبين. لكنّ أبناء العاهرات سيبقون دائماً».

- إنك، يا كودرينغر، تحديداً وكثيراً ما تخلّص أبناء العاهرات من متاعبهم. ليس في وسع الفقراء، الذين يعانون المشكلات، تحمل تكاليف خِدْمَاتك.
- وليس في وسع الفقراء تحمل تكاليف خِدْمَاتك أيضاً. الفقراء لا يستطيعون تحمل تكاليف أي شيء، ولهذا هم فقراء.
- هذا منطقي على نحو منقطع النظير. وابتكاريّ لدرجة أنه يحبس الأنفاس من شدة الانبهار.
- الحقيقة أنه كذلك لدرجة أنه يحبس الأنفاس. والحقيقة تحديداً هي أن العهر يُعدُّ أساس مهنتينا وعمادها. مع أن مجالك أصبح من مخلفات الماضي على وجه التقريب، فيما مجالي واقعي ويزداد قوة.
- حسناً، حسناً. لندخل في صلب الموضوع.

قال كودرينغر، وهو يمسّد القط الذي تمدد وبد يخرخر بصوت عالٍ، غارزا مخالبه في ركبته: «هذا أنسب وقت. ولنسوّ هذه الأمور وَفَقَ ترتيب أهميتها. الأمر الأول: أجزأتعابي، يا زميلي الويتشر، مئتان وخمسون كورونة نوفجرادية. هل في حوزتك هذا المبلغ؟ أم إنك تُصنّف نفسك ضمن الفقراء الذين يعانون المشكلات؟».

- دعنا نقتنع أولاً أكنت تستحق هذا المبلغ.
- قال المحامي ببرود: «فليكن الاقتناع مقتصرًا عليك شخصياً وحصرًا، وأسرع كثيرًا. وعندما تقتنع، ضع المال على المنضدة. عندئذٍ ننتقل إلى الأمور الأخرى الأقل أهمية».

فكّ جيرالت الكيس من حزامه وألقاه على المكتب مصحوبًا برنين. قفز القطُّ قفزة طويلة مبالغتة من على ركبتي كودرينغر وتوارى. وضع المحامي الصُرة في الدرج دون التحقق من محتواها.

قال بتأنيب غير متكلف: «لقد أفزعتَ قطي».

- عذرًا. اعتقدتُ أن رنين النقود هو آخر شيء قد يُفزع قطعك. قل، ماذا استعلمتَ.

بدأ كودرينغر الكلام: «رينس هذا الذي يهملك كثيرًا، شخصية غامضة. تيسر لي تحديد أمر واحد فقط، أنه درس عامين في مدرسة السحرة في بان أرد. وطُردَ من هناك بعد أن قُبِضَ عليه في أثناء سرقات صغيرة. أمام المدرسة، كان مجنّدون من استخبارات كايدفين، كما هي الحال دائمًا، ينتظرون. وافق رينس على الالتحاق بهم. لم أفلح في تحديد ما كان يفعل من أجل استخبارات كايدفين. لكنَّ المطرودين من مدرسة السحرة عادةً ما كانوا يتدربون ليصبحوا قتلة. هل يناسبك هذا؟».

- على أكمل وجه. استمر في الكلام.

- المعلومة التالية من سينترا. كان السيد رينس مسجونًا هناك. في عهد الملكة كالانثي.

- لماذا سُجنَ؟

- بسبب الديون، فتخيّل ذلك. لم يمكث طويلاً لأن أحد الأشخاص افتداه، وسدّد ديونه مع ما عليها من فوائد. عُقِدَتِ الصفقة بوساطة أحد المصارف، بشرط عدم الكشف عن هويّة المحسن. حاولتُ تتبع مصدر المال، لكنني استسلمتُ بعد أربعة مصارف متتالية. ذاك الذي افتدى رينس كان محترقًا، وحريصًا جدًّا على إخفاء هويّته.

صمت كودرينغر، وسعل بمشقة، واضعًا منديله على فمه.

تابع بعد لحظة، ماسحًا شفّتيه وناظرًا إلى المنديل: «وفجأة، بعد نهاية الحرب مباشرة، ظهر رينس في سودن، وفي أنجرين وفي بروجي. لقد تغير لدرجة لا تسمح بمعرفته، على الأقل من حيث السلوك وكمية النقود التي كانت في حوزته وبذرها. وبخصوص الاسم، فإن ابن العاهرة الوقح هذا لم يكلف نفسه عناء تغيير اسمه: ظل يستخدم اسم رينس. وباسم رينس بدأ يبحث بحثًا مكثفًا عن شخص محدد، أو بالأحرى شخص. زار كهنة الدرويد في دائرة أنجرين، الذين كانوا يرفعون أيتام الحرب. عُثِرَ على جثة أحد كهنة

الدرويد في وقت لاحق في غابة قريبة، مشوهة وعليها آثار تعذيب. ثم ظهر رينس في ما وراء النهر...

قاطع جيرالت: «أعلم. أعلم ما فعله بالأسرة القروية من ما وراء النهر. مقابل مائتين وخمسين كورونة توقعْتُ المزيد. حتى الآن، الشيء الجديد كان فقط المعلومات التي تخصُّ مدرسة السحرة واستخبارات كايدين. البقية أعرفها. أعلم أن رينس قاتلٌ لا يرحم. أعلم أنه وغد متغطرس لا يكلف نفسه عناء استخدام حتى الأسماء المزيفة. أعلم أنه يعمل بأمر شخص ما. من هو يا كودرينغر؟».

- يعمل بأمر أحد السحرة. هو الساحر الذي افتداه من السجن حينئذ. أنت نفسك أعلمتني ذلك، وأكد ياسكير لي ذلك، أن رينس يستخدم السحر. السحر الحقيقي، لا الحيل التي يمكن لطالب مطرود من الأكاديمية أن يعرفها. لذا ثمة من يدعمه، يُزوّده بالتمائم، ومن المحتمل أنه يدرّبه سرّاً. بعض السحرة الذين يزاولون عملهم رسمياً لديهم مثل هؤلاء التلاميذ والتابعين السريين، الجاهزين لتولي أمر القضايا غير القانونية أو القذرة. يعرف هذا الشيء في رطانة السحرة بالعمل من خلال المقود.

- كان رينس سيستخدم السحر التمويهى بالعمل من خلال مقود السحرة، لكنه لا يغير اسمه ولا مظهره. لم يتخلص حتى من تغيير لون جلده بعد أن أحرقته ينيفر.

سعل كودرينغر ومسح شفّتيه بالمنديل: «هذا يؤكد تماماً أنه يعمل من خلال المقود. لأن التمويه السحري ليس تمويهاً حقيقياً، ولا يستخدمه سوى الهواة. لو كان رينس يختبئ تحت ستار سحري أو قناع وهمي، لكان من شأن ذلك أن يثير جميع الإنذارات السحرية، ومثل هذه الإنذارات في الوقت الراهن موجودة عملياً عند كل بوابة من بوابات القلاع. والسحرة يستشعرون الأقنعة الوهمية دون أخطاء. إن رينس حتى لو وُجِدَ وسط أكبر تجمع بشري، ووسط أضخم حشد من الناس، كان سيلفت انتباه كل ساحر، كأنّ اللهب ينبعث من أذنيه، ومن مؤخرته تنطلق دوائر الدخان. أكرر: رينس يعمل بناءً على توجيهات أحد السحرة، ويعمل بطريقة لا تلفت انتباه السحرة الآخرين».

- بعضهم يراه جاسوسًا لنيلفجارد.
- أعلم ذلك. هذا ما يعتقد، على سبيل المثال ديكسترا، رئيس استخبارات ريدانيا. من النادر أن يخطئ ديكسترا، لذا يمكن الافتراض أنه محق هذه المرة أيضًا. لكنَّ أحد الأمرين لا ينفي الآخر. قد يكون تابعُ الساحر في آن واحد جاسوسًا لنيلفجارد.
- وهذا سيعني أن أحد السحرة الذي يزاول عمله رسميًا يتجسس لحساب نيلفجارد بوساطة تابع سري.
- سعل كودرينغر ونظر إلى المنديل بانتباه: «هراء! هل كان الساحر يتجسس لحساب نيلفجارد؟ ما الأسباب؟ من أجل المال؟ هذا مضحك. طمعًا في سلطة عظيمة تحت حكم القيصر المنتصر إمهير؟ وهذا أكثر إضحًا. ليس سرًّا أن إمهير فار إمريس يُبقي السحرة الخاضعين له مدةً قصيرة. يُعامل السحرة في نيلفجارد أيضًا وظيفيًا، فلنقل، كسيّاس خيل. وسلطتهم ليست أكثر من سلطة السيّاس. هل سيقدر أي من سحرتنا المدللين أن يقاتل من أجل نصر القيصر ليصبح سائسًا تحت إمرته؟ فيليبيا إلهارت، التي تملّي على فيزيمير الريداني البيانات والمراسيم الملكية؟ سابرينا جليفيسيج، التي تقاطع خطابات هينسلت من كايدين بخطط المنضدة بقبضتها كي يغلق الملك فمه ويستمع؟ فيلجفورتز من روجيفين، الذي ردّ منذ وقت غير بعيد على ديمافيند من أيديرن بأنه لا وقت لديه حاليًا من أجله؟».
- باختصار، يا كودرينغر. ما وضع رينس إذن؟
- ببساطة، الاستخبارات النيلفجاردية تحاول الوصول إلى الساحر من خلال استقطاب تابعه للتعاون. مما أعلم، رينس لن يستصغر ذهبيات الفلورين النيلفجاردية وسيخون معلمه دون تردد.
- الآن أنت من يتحدث بالهراء. حتى سحرتنا المدللين سيدركون من فورهم أمر الخيانة، وسيُعلق رينس المفضوح سره على حبل المشنقة. هذا إن كان محظوظًا.
- أنت طفل، يا جيرالت. الجواسيس الذين يُفتَضَح أمرهم لا يُشنقون، بل يُستغلُّون. يُحشَّون بالمعلومات المضللة، يُحاولون تحويلهم إلى عملاء مزدوجين...

- لا تضجرِ الطفل، يا كودرينغر. لا تهمني كواليس عمل الاستخبارات ولا السياسة. رينس يقتفي أثري، أريد أن أعرف لماذا وبأمر من. وكما يبدو فإن الأمر صادر من ساحر. فمن يكون هذا الساحر؟

- لا أعلم بعد. لكنني سوف أعلم الأمر عما قريب.

قال الويتشر ممتعضاً: «عما قريب. سيكون بالنسبة إليّ متأخراً جداً».

قال كودرينغر بجدية: «لا أستبعد ذلك بتاتاً. لقد وقعت في مأزق فظيع، يا جيرالت. جيد أنك لجأت إليّ، فأنا أجد إخراج الناس من المأزق. ومن حيث المبدأ، قد أخرجتك فعلاً».

- حقاً؟

وضع المحامي المنديل على فمه وسعل: «حقاً. لأنك ترى يا زميلي، ما عدا الساحر، وربما نيلفجارد، طرف ثالث أيضاً في اللعبة. زارني، تصوّر، عملاء الاستخبارات السرية التابعة للملك فولتيسست. وقعوا في مشكلة. أمرهم الملك بالبحث عن أميرة مفقودة. وعندما تبين لهم أن الأمر ليس بهذه السهولة، قرروا التعاون مع مختص في القضايا الصعبة. وعندما عرضوا المشكلة، لمّحوا للمختص بأن أحد الويتشرين قد يعلم الكثير عن الأميرة المفقودة. بل حتى يمكن أن قد يعرف أين هي».

- وماذا فعل ذاك المختص؟

- في البداية أبدى دهشته. ما أدهشه بالتحديد أن الويتشر المذكور لم يُرَجَّ به في الزنزانة، كي يُستعلم منه هناك بالوسائل التقليدية كل ما يعلم، بل حتى الكثير مما لا يعلم، لأنه سيخترعه لإرضاء المحققين. أجاب العملاء بأن رئيسهم منعهم من ذلك. وأوضحوا أن الويتشرين لديهم جهاز عصبي حسّاس لدرجة أنهم يموتون فوراً تحت التعذيب لأن عروق أدمغتهم تنفجر، كما عبّر العملاء عن ذلك بطريقة مجازية. ولذلك طُلب منهم تعقب الويتشر، لكن هذه المهمة أيضاً ثبت عدم سهولتها. أشاد المختص بتعقل العملاء، وطلب منهم العودة إليه بعد أسبوعين.

- وهل عادوا؟

- طبعًا. وعندئذٍ قدّم المختص، الذي كان قد عدّك زبونًا له، أدلة قاطعة للعملاء على أن الويتشر جيرالت لم يكن، وليس له، ولا يمكن أن تكون له أي علاقة بالأميرة التي يُبحث عنها. فقد وجد المختص شهود عيان على وفاة الأميرة سيريلا، حفيدة الملكة كالانثي، ابنة الأميرة بافيتا. سيريلا تُوفيت منذ ثلاث سنوات في مخيم للاجئين في أنجرين. بالطاعون. الطفلة عانت بشدة قبل وفاتها. لن تصدق، لكنّ العملاء التيميريين اغرورقت أعينهم بالدموع وهم يستمعون لسرد شهود العيان.

- وأنا أيضًا عيناى تدمعان. العملاء التيميريون، كما أتوقع، لم يتمكنوا أو لم يرغبوا في أن يعرضوا عليك أكثر من مئتين وخمسين كورونة؟
- سخريتك تجرح قلبي، أيها الويتشر. لقد أخرجتك من المأزق، وبدلاً من أن تشكرني، تجرح قلبي.

- أشكركَ وأعتذر منك. لماذا أمر الملك فولتيسست العملاء بالبحث عن سيرى، يا كودرينغر؟ بماذا أمروا أن يفعلوا عندما يجدونها؟

- يا لك من معدوم الحدس. أمروا بقتلها، طبعًا. لقد رأوا فيها أنها تدعي الحق في عرش سينترا، وتوجد خطط أخرى معدة لهذا العرش.

- هذا كلام غير متماسك، يا كودرينغر. عرش سينترا احترق مع القصر الملكي والمدينة والبلد بأسره. الآن نيلفجار্দ تحكم هناك. فولتيسست يعرف ذلك جيدًا، والملوك الآخرون أيضًا. كيف يمكن لسيرى أن تطالب بالعرش الذي لم يعد موجودًا؟

وقف كودرينغر: «تعال. سنحاول معًا العثور على إجابة عن هذا السؤال. ولمناسبة ذلك سأعطيك دليلَ الثقة... ما الذي يثير انتباهك في هذه اللوحة، هل يمكنني أن أعلم منك ذلك؟».

قال جيرالت، ناظرًا إلى الرسمة المطوّقة بإطار مذهب والمعلّقة على الجدار مقابل مكتب المحامي: «إنها مثقوبة كأنّ نقّار الخشب نقرها في عدة مواسم. وأنها تُصوّر معنوّها فريدًا من نوعه».

تجهّم كودرينغر قليلاً: «هذا والدي الراحل. معنوّه فريد من نوعه. علّقْتُ هذه اللوحة هنا لأراه دائماً أمام عينيّ. بصفتها تحذيرًا. تعال، يا ويتشر».

خرجاً إلى الردهة. القط الذي كان يرقد في منتصف السجادة ويلحس بشغف يده الخلفية الممدودة بزاوية غريبة، انسلَّ هارباً على الفور إلى ظلمة الممر عند رؤيته الويتشر.

- لماذا لا تحبك القطط، يا جيرالت؟ هل هذا له علاقة بـ...

قاطعه: «نعم. له علاقة».

انزاح اللوح الخشبي الماهوني دون صوت، كاشفاً عن ممر سري. تقدم كودرينغر أولاً. أغلق خلفهم اللوح المتحرك سحرياً دون شك، لكنه لم يغرقهم في الظلام. انبعث من عمق الممر السري ضوء.

كانت الحجرة الكائنة في نهاية الممر باردة وجافة، وتصاعدت في الهواء رائحة ثقيلة وخانقة من الغبار والشموع.

- ستتعرف إلى شريكي، يا جيرالت.

ابتسم الويتشر: «فين؟ غير ممكن.

- ممكن. اعترف، كنت تشك في وجود فين؟

- طبعاً لا.

انبعث صرير من بين الخزائن والأرفف المليئة بالكتب، التي تصل إلى السقف المنخفض، وبعد لحظة انطلقت من هناك مركبة غريبة الشكل. كانت كرسيًا عاليًا مزودًا بعجلات. جلس على الكرسي قزم ذو رأس ضخم موضوع -من دون عنق- على كتفين ضيقتين غير متناسبتين. لم يكن للقزم ساقان.

قال كودرينغر: «تعارفوا: يعقوب فين، عالم في القانون، شريكي وزميل في العمل لا يُقدَّر بثمن. وهذا ضيفنا وزبوننا...».

أكمل المُقعد بابتسامة: «الويتشر جيرالت من ريفيا. خمنتُ ذلك دون عناء كبير. أعمل على هذه القضية منذ عدة أشهر. اتبعوني لو سمحتم، أيها السادة».

سارا خلف الكرسي المنبعث منه صرير في متاهة بين الرفوف التي انثنت تحت وطأة المجلدات التي لن تخجل منها مكتبة جامعة في أوكسينفورت.

قدّر جيرالت أن هذه المحامل⁽¹⁾ لا بُدَّ أنها جُمِعَتْ خلال أجيال عدّة من آل كودرينغر وآل فين. كان فرحًا بدليل الثقة الذي أُبْدِيَ له، ومسرورًا بأنه تمكن أخيرًا من لقاء فين. لكنه لم يشكّ في أن هذه الشخصية، مع أنها واقعية تمامًا، كانت أسطورية أيضًا جزئيًا. كان فين الأسطوري، وهو بالتأكيد الأنا الأخرى لكودرينغر، يُرى كثيرًا في الميدان، فيما العالم المُقَعَد على كرسيه لم يغادر المبنى قط، على الأرجح.

كان وسط الغرفة مضاءً جيدًا على نحو خاص، وفيه مكتب منخفض يمكن الوصول إليه من الكرسي ذي العجلات، وقد تكومت عليه الكتب، ولفائف الرِّقّاق، والرقوق، والأوراق، وعبوات الحبر والمداد، وحزم الريش، وألف أداة ملغزة. ليست كلها ملغزة. عرف جيرالت منها قوالب لتزوير الأختام ومِحْكُ ماسي لإزالة الكتابات من الوثائق الرسمية. وُضِعَتْ في وسط سطح المكتب قوس إفرنجية صغيرة لرمي البندق المتكرر، وبجوارها برزت من تحت نسيج مخملي عدسات مُكَبَّرَة ضخمة، مشغولة من بلور الجبال المصقول. مثل هذه العدسات نادرة الوجود وتكلف ثروة طائلة.

- هل وجدت شيئًا جديدًا، يا فين؟

ابتسم المُقَعَد ابتسامة لطيفة وجذابة جدًّا: «ليس كثيرًا. قلّصتُ قائمة الموكّلين المحتملين لرينس إلى ثمانية وعشرين ساحرًا...».

قاطعه كودرينغر بسرعة: «دعنا من هذا الأمر الآن. ما يهمنا الآن شيء آخر. اشرح لجيرالت الأسباب التي تجعل الأميرة المفقودة من سينترا موضوع بحثٍ واسعٍ بالنسبة إلى عملاء الممالك الأربع».

قال فين، كما لو كان متفاجئًا بضرورة شرح مثل هذه الأمور الواضحة: «في عروق الفتاة تجري دماء الملكة كالانثي. هي آخر من تبقى من السلالة الملكية. لسينترا أهمية استراتيجية وسياسية عظيمة. البنت المفقودة المطالبة بالتاج، التي لا تزال خارج نطاق التأثيرات، غير مريحة ويمكنها أن تمثل خطرًا إذا وقعت تحت تأثيرات غير سليمة. على سبيل المثال، تأثيرات نيلفجارد».

(1) المحامل: الكتب المطبوعة في المراحل الأولى لفن الطباعة في أوروبا قبل 1500م.

قال جيرالت: «على ما أذكر، فإن القانون في سينترا يستبعد النساء من وراثة العرش».

أكد فين وابتسم من جديد: «هذا صحيح. لكن المرأة يمكنها دائماً أن تصبح زوجة وأماً لوأرث ذكر. علمت وكالات الاستخبارات في الممالك الأربع عن عمليات البحث المحموم عن الأميرة، التي بدأها رينس، واقتنعوا بأن هذا هو المقصود بالتحديد. لذا قرروا عدم تمكين الأميرة من أن تصبح زوجة وأماً. بطريقة بسيطة لكن فعّالة».

قال كودرينغر بسرعة، مراقباً التغييرات التي أحدثتها كلمات القزم المبتسم على وجه جيرالت: «لكن الأميرة قد ماتت. علم العملاء بذلك وتوقفوا عن البحث».

قال الويتشر بصعوبة كبيرة محتفظاً بهدوئه ونبرته الباردة: «توقفوا في الوقت الراهن؛ للزيف طبيعة أنه ينكشف؛ إضافة إلى ذلك، فإن العملاء الملكيين ليسوا سوى طرف من أطراف عديدين يشتركون، أنتم أنفسكم قلتم إن العملاء تتبعوا أثر سيرى لإحباط خطط المتتبعين الآخرين. هؤلاء الآخرون قد يكونون أقل عرضة للتضليل. لقد استأجرتكم لإيجاد طريقة لضمان سلامة الطفلة. فماذا تقترحون؟».

ألقي فين نظرة إلى شريكه، لكنه لم يجد على وجهه أمراً بالصمت: «لدينا خطة معينة. نريد نشر فكرة خفية، لكن على نطاق واسع، أن الأميرة سيرى ليست وحدها من لا حقوق لها في عرش سينترا، بل كذلك ذريتها من الذكور المحتملين».

أوضح كودرينغر، وهو يغالب نوبة سعال تالية: «لا ترث ذرية الإناث في سينترا. وحده السيف من يرث».

أكد العالم القانوني: «هو كذلك تماماً. جيرالت نفسه قال ذلك قبل قليل. إنه قانون مُوغل في القدم، حتى تلك الشيطانة كالانثي لم تستطع إبطاله، رغم محاولاتها».

صرّح كودرينغر بقناعة، ماسحاً شفثيه بالمنديل: «حاولت إلغاء هذا القانون بمكيدة، مكيدة غير قانونية. اشرح ذلك، يا فين».

- كانت كالانثي الابنة الوحيدة للملك داجوراد والملكة أداليا. بعد وفاة والديها، وقفت في وجه النخبة الأرستقراطية التي كانت لا ترى فيها سوى زوجة للملك الجديد. أرادت أن تحكم حكمًا فرديًا، ومن أجل المظهر والحفاظ على السلالة وافقت على مؤسسة الأمير الزوج، لا أكثر، الأمير الذي يجلس بجانبها، ولكن أهميته لا تتعدى أهمية دمية من قش. بيد أن الأسر القديمة عارضت ذلك. كان أمام كالانثي خيار الحرب الأهلية، أو التخلي عن العرش لسلالة أخرى، أو الزواج بزوجنر، أمير إبينج. فاختارت الحل الثالث. وحكمت البلاد إلى جانب روجنر، طبعًا لم تسمح بأن تُروّض أو تُدفع إلى مجمع النسوان. كانت لبؤة من سينترا. لكن روجنر كان يحكم، ومع ذلك لم يلقّبه أحد بالأسد.

أضاف كودرينغر: «أما كالانثي فحاولت بشدة أن تحمل وتنجب ولدا. لكن ذلك لم يتمخض عن شيء. أنجبت ابنتها بافيتا، ثم أجهضت مرتين، واتضح أنها لن يكون لها أطفال آخرون. جميع الخطط باءت بالإخفاق. هذا قدر النسوان. الطموحات العظيمة يحبطها الرحم الخرب». تجهم جيرالت.

- أنت مبتذل ابتذالًا مثيرًا للاشمئزاز، يا كودرينغر.

- أعلم. الحقيقة كانت مبتذلة أيضًا. لأن روجنر بدأ ينظر حوله بحثًا عن أميرة شابة ذات وركين عريضتين، من الأفضل أن تكون من سلالة مؤكدة الخصوبة حتى جدة الجدة الأولى. وبدأت الأرض تهتز تحت قدمي كالانثي. كل وجبة، وكل كأس نبيذ يمكن أن تتضمن الموت، وكل عملية صيد يمكن أن تنتهي بحادث مؤسف. أشياء كثيرة تدل على أن لبؤة سينترا أخذت زمام المبادرة في ذلك الوقت. مات روجنر. استفحل الجدري وقتنت في البلاد، ولم يدهش موت الملك أحدًا.

قال الويتشر غير مبالٍ ظاهريًا: «بدأت أفهم إلى ماذا ستستند الأخبار التي تنوون نشرها بسرية لكن على نحو واسع. ستصبح سيرى حفيدة امرأة سامة وقاتلة لزوجها؟».

- جيرالت، لا تستبق الحقائق. واصل الكلام، يا فين.

ابتسم القزم: «كالانثي أنقذت حياتها، لكنَّ التاج كان يبتعد عنها أكثر. بعد وفاة روجنر، وصلتِ اللبوة إلى السلطة المطلقة، لكنَّ النخبة الأرستقراطية عارضت بصلابة انتهاك القوانين والتقاليد مجددًا. كان من المفروض أن يعتلي عرش سينترا ملك، لا ملكة. وعرضت القضية بوضوح: حالما تبدأ بافيتا الصغيرة تظهر كامرأة، ولو قليلًا، يجب تزويجها الشخص الذي سيصبح الملك الجديد. الزواج الثاني للملكة العقيمة لم يكن مطروحًا. أدركت لبوة سينترا أنها لا يمكن أن تأمل إلا في دور الملكة الأم، لا أكثر. وما يزيد الأمر سوءًا، أن زوج بافيتا قد يصبح شخصًا يمكن أن يقصي حماته من الحكم كليًا».

حذر كودرينغر: «سأكون مبتدئًا من جديد. أخرت كالانثي تزويج بافيتا. دمرت أول مشروع زواج عندما كانت الفتاة في العاشرة من عمرها، وثاني مشروع عندما كانت في الثالثة عشرة. اكتشفت النخبة الأرستقراطية خططها وطالبت بأن يكون عيد ميلاد بافيتا الخامس عشر آخر عيد ميلاد لها كعذراء. اضطررت كالانثي إلى الموافقة. لكن قبل ذلك حققت ما كانت تأمله. ظلت بافيتا عذراء مدة طويلة جدًا. حتى ضاق بها الأمر إلى درجة أنها استسلمت لأول عابر سبيل صادفته، وكان مسحورًا على هيئة وحش. جرت ضمن ذلك بعض الوقائع الخارقة، بعض التنبؤات، والأسرار، والوعود... وقوانين المفاجأة؟ ليس كذلك، يا جيرالت؟ لعلك تذكر ما حدث بعد ذلك. استدعت كالانثي الويتشر إلى سينترا، أما الويتشر فقد أثار الاضطراب. ودون أن يعلم أنه كان موجَّهًا، أزال اللعنة عن القنفذ الوحشي، ما مكَّنه من الزواج ببافيتا. وبذلك سهَّل الويتشر لكالانثي الاحتفاظ بالعرش. كانت علاقة بافيتا مع الوحش، الذي فكَّ عنه السحر، صدمةً كبيرة لعلية القوم، لدرجة أنهم وافقوا على زواج اللبوة المفاجئ بإيست تويرسيتش. لكن بدا لهم أن اليارل من جزر اسكيليج أفضل من الوحش القنفذ. وبهذه الطريقة، استمرت كالانثي في حكم البلاد. كان إيست، مثل جميع سكان الجزر، يكنُّ الاحترام بأعظم صوره لللبوة سينترا حتى إنه لم يعارضها في أي شيء، وأما السلطة الملكية فقد ملَّها ببساطة. فسَلَّمها الحكم كاملاً. وكالانثي التي كانت تشبع نفسها بالأدوية والإكسير، كانت تجرر زوجها إلى الفراش ليلاً ونهارًا. أرادت أن تحكم حتى آخر يوم

من حياتها. وإذا كان ذلك كملكة أمّ، فلتكن أمًّا لابنها. بيد أن الطموحات، كما قلتُ، كبيرة، لكن...».

- قد قلتَ ذلك. فلا تكرر.

- لكنّ الأميرة بافيتا، زوجة القنفذ العجيب، ارتدتْ ثوبًا واسعًا على نحو مريب في أثناء حفل زفافها. غيّرت كالانثي خططها مستسلمة. فكرتْ: إذا لم يكن ابنها، فليكن ابن بافيتا. لكنّ بافيتا ولدتْ ابنة. لعنة أم ماذا؟ بيد أن الأميرة يمكنها أن تنجب أكثر. هذا يعني، كان يمكنها ذلك. فقد وقع حادث غامض. ماتت هي وذاك العجيب في كارثة بحرية لم تُبين ملابساتها.

- ألسَتْ تلمّح أكثر من اللازم، يا كودرينغر؟

- أحاول فقط أن أوضح الوضع، لا أكثر. بعد موت بافيتا، انهارتْ كالانثي، لكنّ انهيارها لم يطلّ كثيرًا. وكانت حفيدتها أملها الأخير. ابنة بافيتا، سيريلا. سيرى، الشيطانة الصغيرة المجنونة التي تجري في القصر الملكي. كانت قرة العين لبعض مَنْ رآها، وخصوصًا لكبار السن، لأنها تذكرهم بكالانثي وهي طفلة. وكانت للآخرين... متحولةً، ابنة القنفذ الوحشي التي، إضافة إلى ذلك، ادعى أحد الويتشريين أن له حقًا فيها. والآن نصل إلى جوهر القضية: إن مدلة كالانثي، التي كانت تُعدُّ على نحو بيّن لتكون وارثة العرش، والتي عُوملت كما لو كانت تجسدًا ثانيًا لكالانثي، شبلّة من دم اللبوة، رأى فيها بعض الأشخاص، ومنذ ذلك الحين، أنها مستثناة من حقوق اعتلاء للعرش. ولدتْ سيريلا ولادةً خاطئةً، فقد اقترفتْ أمها، بافيتا، زواجًا غير متكافئ. إذ خلطتْ الدم الملكيّ بدم أدنى منه شأنًا، دم متشرد مجهول الأصل.

- ماكر أنت، يا كودرينغر. لكنّ الأمر ليس كذلك. والد سيرى لم يكن أدنى شأنًا. كان أميرًا.

- ماذا تقول أنت؟ لم أكن أعلم ذلك. من أي مملكة هو؟

- من إحدى ممالك الجنوب... من مايخت... نعم، من مايخت بالضبط.

تمتم كودرينغر: «هذا مثير. منذ زمن طويل ومايخت تُخْم من تخوم نيلفجارد. إنها تدخل ضمن مقاطعة ميتينا».

تدخلُ فين: «لكنها مملكة. يحكمها ملك».

قاطعه كودرينغر: «يحكمها إمهير فار إمريس. أي شخص يجلس على العرش هناك، يجلس بفضل إمهير وقراره. وما دمنا وصلنا إلى هذه النقطة، فتحقق من الشخص الذي نصبه إمهير ملكًا هناك. فأنا لا أتذكر».

دفع المُقعد عجلات كرسيه، الذي راح يصرُّ متجهًا نحو الرفوف، تناول من الرف لفافة أوراقٍ سميكة وبدأ في تفحصها، راميًا ما تفحصه على الأرض: «ها أنا أبحث. هممم... وجدتها. مملكة مايخت. شعارها سمكات فضية وتيجان بالتناوب في حقل أزرق وأحمر اللون، مقسّم إلى أربعة أجزاء...».

- ابصق على شعارات النبالة، يا فين. الملك، من هو الملك هناك؟

- هويتي، الملقَّب بالعدل. اختير من خلال الانتخابات...

خَمَّن كودرينغر ببرود: «...بوساطة إمهير من نيلفجارد».

- ...قبل تسع سنوات.

حسب المحامي بسرعة: «ليس هو. هذا لا يهمننا. من كان قبله؟».

- لحظة. وجدته. أكرسبارك. لقد مات...

- مات جرّاء التهاب رئوي حاد، مطعونًا بخنجر قاتل مأجور من سفّاحي

إمهير أو ذاك العدل. (من جديد، أظهر كودرينغر براعته في التخمين)

جيرالت، هل يخيل إليك أنك تعرف المذكور أعلاه، أكرسبارك؟ أيمنه

أن يكون والد ذاك القنفذ؟

أكد الويتشر بعد لحظة من التفكير: «نعم. أكرسبارك. أتذكر، دوني كان

يُسَمِّي والده بهذا الاسم».

- دوني؟

- هذا كان اسمه. كان أميرًا، ابنًا لأكرسبارك هذا...

قاطعهم فين، مُحدِّقًا إلى اللفائف: «لا. هنا الجميع مذكورون. الأبناء الشرعيون: أورم، جورم، تورم، هورم، جونزاليس. البنات الشرعيات: أليا، فاليا، نينا، باولينا، مالفينا، أرجنتينا...».

أعلن كودرينغر بجدية: «أُسحب الافتراءات التي رُميَ بها نيلفجارد والعاذل هوئيت. أكرسبارك هذا لم يُقتل. فهو ظلٌّ على نحو اعتيادي ينكح حتى مات. لأنه بالتأكيد كان لديه أبناء حرام، أليس كذلك يا فين؟».

- نعم. كثيرون. لكنني لا أرى أيًّا منهم هنا باسم دوني.

- ولم أتوقع منك أن ترى. جيرالت، قنفذك لم يكن وليَّ عهد بتاتًا. حتى لو كان هذا العاهر، أكرسبارك، قد أنجبه حقًا بطريقة غير شرعية في مكان ما، فإن ما يبعده عن حقوق هذا اللقب، ما عدا نيلفجارد، طابور طويل لعين من الأورميين والجورميين والآخرين من آل جونزاليس الشرعيين، مع ذريتهم الكبيرة على ما يرجح. من الناحية الرسمية، بافيتا اقترفت زواجًا غير متكافئ.

- وسيري، ابنة الزواج غير المتكافئ، ليس لها حقوق في العرش؟
- أحسنتَ.

اقترب فين من المكتب يصحبه صرير من تحريكه لعجلات الكرسي:
قال، رافعًا رأسه الكبير: «هذه حجة. حجة فقط. لا تنسَ يا جيرالت، نحن لا نحارب من أجل التاج للأميرة سيريلا، ولا من أجل حرمانها منه. يجب أن يُستنتج من الشائعة المنتشرة أنه لا يمكن استخدام الفتاة للوصول إلى سينترا. وأنه إذا حاول أحد فعل ذلك، سيكون من السهل الطعن في محاولته وتفنيدها. ولن تعود الفتاة رمزًا في اللعبة السياسية، وستصبح بيدقًا قليل الأهمية، وعندئذ...».

أكمل كودرينغر دون مبالاة: «سيسمحون لها بأن تعيش».

سأل جيرالت: «من الناحية الرسمية، ما مدى قوة حجتكم هذه؟».

نظر فين إلى كودرينغر، ثم إلى الويتشر.

أقرَّ: «ليست قوية جدًا. سيرى لا تزال تمثل دم كالانثي، وإن كان مخفَّفًا بعض الشيء. في الظروف الطبيعية ربما كانت ستُقصى عن العرش، لكنَّ الظروف ليست طبيعية. إن لدم اللبوة أهميةً سياسية...».

فرك جيرالت جبهته: «الدم... ماذا تعني طفلة الدم الأقدم، يا كودرينغر؟».

- لا أفهم. هل استخدم أحد هذا الاسم عند الحديث عن سيرىلا؟

- نعم.

- من؟

- ليس مهمًّا من يكون. ماذا يعني؟

قال فجأةً فين، وقد ابتعد عن المكتب: *Luned aep Hen Ichaer* وهذا حرفيًّا، لا يعني طفلة، بل ابنة الدم الأقدم. هممم... الدم الأقدم... لقد اطلعتُ على هذا المصطلح من قبل. لا أتذكر بالضبط... أعتقد أنه يتعلق ببعض النبوءات الإلفية. في بعض النسخ من نص نبوءة إتلينا، تلك الأقدم منها، ثمة إشارات، كما يُخيَّل إليّ، إلى دم الإلفيين الأقدم أي *Aen Hen Ichaer*. لكنَّ ليس في حوزتنا هنا النص الكامل لهذه النبوءة. يجب التوجه إلى الإلفيين...». قاطعه كودرينغر ببرود: «دعنا من هذا. لا تطرُح كثيرًا من القضايا مرة واحدة، يا فين، لا تمسك العديد من طيور العقق من ذيولها، لا تأخذ بالكثير من النبوءات والأسرار. نشكرك حاليًّا. إلى اللقاء، عملاً مثمرًا. جيرالت، تفضل. لنعد إلى غرفة المكتب».

استيقن الويتشر حالما عادا وجلسا في الكرسيين، المحامي خلف المكتب، وهو قبالة: «قليل جدًا، أليس كذلك؟ أجز الأتعاب منخفض، صحيح؟».

رفع كودرينغر من على سطح المكتب أداة معدنية على شكل نجمة، وأدارها بين أصابعه عدة مرات.

- قليل جدًا، يا جيرالت. التنقيب في النبوءات الإلفية، بالنسبة إليّ، عبء شيطاني ومضیعة للوقت والموارد. من الضرورة بمكان البحث للوصول إلى الإلفيين، فلا أحد غيرهم قادر على فهم كتاباتهم. الكتب المخطوطة الإلفية تشكل في معظم الحالات شيئًا من قبيل الرمزية المبهمة، الأشعار المتوجِّة، بل والمشفرات أحيانًا. اللغة الأقدم دائمًا ما تكون

ذات معنيين على الأقل، والمكتوبة منها قد تحمل عشرة معانٍ. لم يكن الإلفيون يميلون قطُّ إلى مساعدة كل من أراد فك رموز نبوءاتهم. وفي هذه الأيام، عندما تستمر الحرب الدموية مع السناجيب في الغابات، وعندما تقع المذابح، يكون الاقتراب منهم خطرًا. خطرًا مضاعفًا. قد يرى الإلفيون فيك مريضًا، والبشر قد يتهمونك بالخيانة...

- كم، يا كودرينغر؟

صمت المحامي لحظة، وهو يلهو دون انقطاع بالنجمة المعدنية.

قال أخيرًا: «عشرة في المئة».

- عشرة في المئة ممَّ؟

- لا تسخر مني، يا ويتشر. بدأت الأمور تصير جديةً، وتصبح أقل وضوحًا،

فما المقصود هنا، وعندما لا نعرف ما المقصود، فالأمر بالتأكيد يتعلق

بالمال. لذا أفضل النسبة المئوية على المكافأة العادية. ستعطيني

عشرة في المئة مما ستحصل عليه، بعد خُصم المبلغ الذي دُفع سلفًا.

هل نكتب العقد؟

- لا. لا أريد أن أعرضك للخسارة. عشرة في المئة من الصفر تساوي

صفرًا، يا كودرينغر. زميلي العزيز، أنا لن أحصل على شيء من هذا.

- أكرر، لا تسخر مني. لا أصدق أنك لا تعمل من أجل الربح. لا أصدق أن

وراء هذا لا يكمن...

- لا يهمني ما الذي تصدقه. لن يكون أي عقد. ولا أي نسب مئوية. حدّد

أجر أتعابك لقاء المعلومات التي جمعتها.

سئل كودرينغر: «أي شخص آخر غيرك، كنت سأطرده من الباب، وأنا

على يقين أنه يحاول خداعي. لكنّ النزاهة النبيلة والسادجة، أيها الويتشر

الخارج عن العصر، تناسبك تناسبًا عجيبًا غريبًا. هذا يتماشى مع أسلوبك، إنه

رائع ومتقادم على نحو مبالغ فيه... أن تُقتل مجانًا...».

- دعنا لا نضيع الوقت. كم، يا كودرينغر؟

- أكثر مرتين. المجموع خمسمئة.

هز جيرالت رأسه: «أشعر بالأسف، لكنني لستُ قادرًا على تحمل هذا المبلغ. على الأقل ليس في الوقت الحالي».

قال المحامي ببطء، ولا يزال يلهو بالنجمة: «أجدد العرض الذي قدمته لك في وقت ما، في بداية معرفتنا. اقبلِ العمل معي، وستكون قادرًا على تحمل التكاليف. لقاء المعلومات والرفاهيات الأخرى».

- لا، يا كودرينغر.

- لماذا؟

- لن تفهم.

- إنك هذه المرة لا تؤذي قلبي، بل اعتزازي المهني. لأنني أمتدح نفسي معتقدًا أنني من حيث المبدأ أفهم كل شيء. إن النذالة أساس مهنتينا، لكنك لا تزال تفضل القديم على الحديث.

ابتسم الويتشر.

- أحسنت.

من جديد، انتابت كودرينغر نوبة سعال، مسح شفثيه، نظر إلى المنديل، ثم رفع عينيه الخضراوين المصفرتين.

- هل بصصتَ في قائمة السحرة والساحرات، التي كانت على المكتب؟ في سجلّ المشغلين المحتملين لرينس؟

- بصصتُ.

- لن أعطيك هذه القائمة حتى أتحقق منها جيدًا. لا تعتمد في تفكيرك على ما لمحته فيها. أخبرني ياسكير أن فيليبيا إيلهارت تعرف على الأرجح من يقف وراء رينس، لكنها بخلتُ عليك بهذه المعرفة. فيليبيا لن تحمي أي تافه. لذا فإن من يقف خلف هذا الوغد شخصية مهمة.

صمت الويتشر.

- احترس، يا جيرالت. أنت في خطر جدي. شخص ما يلعب معك لعبة. شخص ما يتنبأ بحركاتك بطريقة دقيقة، بل ويوجهها. لا تدع الغرور والتكبر يأخذانك. الشخص الذي يعابثك ليس استريجا وليس مستذئبًا. إنه ليس من الإخوة ميشليت. وليس حتى رينس. طفلة الدم الأقدم،

اللعة. كأنَّ عرش سينترا، والسحرة، والملوك، ونيلفجارد، أضف إليهم الإلفيين، لم يكونوا كافيين. أوقف هذه اللعبة يا ويتشر، انسحب منها. أفسد الخطط بفعل ما لا يتوقعه أحد. اقطع علاقتك المجنونة هذه، ولا تسمحُ أن تقترن صورتك بسيريل. اتركها لينيفر، وعُد إلى كاير مورهيـن ولا تغادرها. اختبئ في الجبال، وسأفتش في المخطوطات الإلفية، بهدوء، دون عجلة، وبدقة. وحالما أحصل على معلومات عن طفلة الدم الأقدم، وعندما أعرف اسم الساحر المتورط في هذا الأمر، ستكون قد جمعتَ المال فنجري التبادل.

- لا أستطيع الانتظار. الفتاة في خطر.

- هذا صحيح. لكنني أعلم أنهم يرونك عقبة في الطريق إليها. عقبة يجب إزالتها دون رحمة. ووفق ذلك فإنك أنت في خطر. سيُسْخَلون بالفتاة بعد أن ينهوا أمرك.

- أو عندما أوقف اللعبة، وأختفي وأختبئ في كاير مورهيـن. لقد دفعتُ لك الكثير، كودرينغر، لكي تسدي إليَّ مثل هذه النصائح.

أدار المحامي النجمة الفولاذية في أصابعه.

قال، كاتمًا سعاله: «منذ مدة كنت أعمل بنشاط مقابل المبلغ الذي دفعته لي اليوم، يا ويتشر. النصيحة التي أسديتها إليك عمل مدروس جيدًا. اختبئ في كاير مورهيـن، واختف. عندئذٍ، إن الذين يبحثون عن سيريل، سيجدونها». ضيق جيرالت عينيه وابتسم. لم يشحب وجه كودرينغر.

تابع، محتملاً النظرة والابتسامة: «أعلم ما أقول. مطارـدو سيري التي تخصك، سيجدونها وسيفعلون بها ما يشاءون. وإلى هذا الوقت، ستكونان هي وأنت في أمان».

- وضَّح من فضلك. بسرعة قدر الإمكان.

- وجدتُ إحدى الفتيات. نبيلة من سينترا، يتيمة حرب. جاءت من معسكرات اللاجئين، وهي حاليًا تقيس بذراعها النسيج وتقصه، بعدما أخذها خياط من بروجي. لا تتميز إلا بشيء واحد. إنها تشبه إلى حد

كبير صورة من لوحة مصغرة تُظهر شبله سينترا... هل تريد رؤية صورتها؟

- لا، يا كودرينغر. لا أريد. ولا أوافق على مثل هذا الحل.

أغلق المحامي جفنيه قليلاً: «جيرالت، ما الذي يُوجِّهك؟ إذا كنت تريد إنقاذ سيري هذه التي تخصك... فيبدو لي أنك لا تستطيع الآن تحمل كلفة رفاهية الهوان. لا، أخطأت التعبير. لا يمكنك تحمل كلفة رفاهية الهوان بالهوان. زمن الهوان يقترب، يا زميلي الويتشر، زمن الهوان الكبير، غير المحدود. يجب أن تتكيف. ما أقترحه عليك بديل بسيط. شخص ما سيموت لكي يستطيع شخص آخر أن يعيش. شخص تحبه سينجو. ستموت فتاة أخرى لا تعرفها، لم ترها قط...».

قاطعه الويتشر: «ويمكنني أن أزديها؟ هل عليّ مقابل ما أحب أن أدفع هواني لنفسي؟ لا، يا كودرينغر. دع تلك الطفلة وشأنها، دعها تواصل قياس النسج بذراعها. أتلّف صورتها. احرقها. وأعطني شيئاً آخر مقابل المئتين وخمسين كورونة، التي كسبتها بشق الأنفس، والتي وضعتها أنت في الدُرَج. أعطني معلومة. ينifer وسيري غادرتا إيلاندر. أنا على يقين أنك تعلم ذلك. أنا على يقين أنك تعلم إلى أين تتوجهان. أنا على يقين أنك تعلم أكان أحد يتبعهما».

نقر كودرينغر بأصابعه المنضدة، وسعل.

قال: «الذئب الغافل عن التحذيرات يريد مواصلة الصيد. لا يرى أنهم يسعون لاصطياده، وأنه يستلقي مباشرة بين الفخاخ التي نصبها الصياد الحقيقي».

- لا تكن مبتذلاً. كن دقيقاً.

- حسناً، لما كنتَ ترغب في ذلك. ليس من الصعب التخمين أن ينifer تسير إلى جارستانج، في جزيرة ثانيد، لحضور اجتماع السحرة الذي سيعقد في بداية تموز. إنها تراوغ بمكر ولا تستخدم السحر، لذا من الصعب تتبعها. قبل أسبوع كانت لا تزال في إيلاندر، وقد حسبت أنها في غضون ثلاثة أيام أو أربعة، ستصل إلى مدينة جورس فيلين، ومنها إلى ثانيد خطوة واحدة. في طريقها إلى جورس فيلين، يجب أن تمر

بدسكرة أنخور. إذا انطلقت على الفور، ستكون لديك فرصة لاعتراض أولئك الذين يتبعونها. فإنهم يتبعونها.

ابتسم جيرالت ابتسامة قبيحة: «أمل ألا يكونوا عملاء ملكيين؟».

قال المحامي، ناظرًا إلى النجمة المعدنية التي كان يلهو بها: «كلا. ليسوا عملاء. وليس أيضًا رينس، الذي هو أذكى منك، لأنه بعد العراك مع الميشليتين اختبأ في جحر ولم يبرحه. ثلاثة من القتلة المأجورين يتبعون ينيفر».

- أفترض أنك تعرفهم؟

- أعرف الجميع. ولهذا سأقترح عليك شيئًا: دعهم وشأنهم. لا تذهب إلى أنخور. وسأستخدم علاقاتي ومعارفي. سأحاول شراء القتلة وقلب العقد. بعبارة أخرى، سأؤلبهم على رينس. إذا نجحت...

توقف فجأة، ولوح بيده بقوة. انطلقت النجمة الفولاذية في الهواء وضربت صورة كودرينغر الأكبر، مباشرة على جبهته، ثاقبة النسيج ومنغرس في الحائط حتى إلى منتصفها أو نحو ذلك.

ابتسم المحامي ابتسامة عريضة: «رمية جيدة، أليس كذلك؟ هذا الشيء يسمى أوريون. اختراع من ما وراء البحار. أتدرب منذ شهر، أصيب الهدف دون خطأ. قد نحتاج إليه. إن هذه النجمة الصغيرة لا تخيب وتقتل على مسافة ثلاثين قدمًا، ويمكن إخفاؤها داخل القفاز أو تحت شريط القبعة. منذ عام، أصبحت الأوريونات من تجهيزات الأجهزة الخاصة النيلفجاردية. ها، ها، إذا كان رينس يتجسس لمصلحة نيلفجارد، فسيكون الأمر مسليًا عندما يجدونه وقد ثَقَبَ الأوريون صدغه... ما رأيك؟».

- لا شيء. هذا شأنك. المئتان وخمسون كورونة موجودة في دُرجك.

أومأ كودرينغر برأسه: «طبعًا. سأخذ كلماتك على أنها إذن لي في إطلاق يديّ بحرية. لنصمت لحظة، يا جيرالت. لنكرم موت السيد رينس الوشيك بدقيقة صمت. لماذا تعبس، بحق الشيطان؟ ألا تحترم هيبة الموت؟».

- أحترمها جدًا، لدرجة أنني لا أستطيع الاستماع بهدوء إلى البلهاء الذين يسخرون منها. هل فكرت يومًا في موتك، يا كودرينغر؟

سعل المحامي بمشقة، وأطال النظر إلى المنديل الذي يغطي فمه. ثم رفع عينيه.

قال بصوت خافت: «نعم. فكرتُ. فكرتُ كثيرًا. لكن لا شأن لك بأفكاري، أيها الويتشر».

- هل ستسير إلى أنخور؟

- سأسير.

- رالف بلوندن، الملقب بالأستاذ. هايمو كانتور. ياكسا القصير. هل تعني لك هذه الأسماء شيئًا؟

- لا.

- جميعهم بارعون في استخدام السيف. وهم أبرع من الميشليتيين. لذلك أقترح سلاحًا أكثر ضمانًا وبعيد المدى. على سبيل المثال، تلك النجمات النيلفجاردية. إن أردتَ، بعثك بضع قطع منها. لدي الكثير.

- لن أشتريها. إنها غير عملية. تصدر ضجيجًا في أثناء طيرانها.

- الصفير يؤثر نفسيًا، يمكن أن يشل الضحية جراء الخوف.

- ممكن. لكنه قد يحذر أيضًا. أنا سأتمكن من تفادي الضربة.

- نعم سيمكنك ذلك، إذا رأيت من أين سيرمونها عليك. أدري أنك قادر على تجنب سهم أو نصل سهم... لكنك من الخلف...

- من الخلف أيضًا.

- هذا هراء.

قال جيرالت ببرود: «لنتراهن. سأدير وجهي إلى صورة والدك المعتوه، وأنت ارميني بهذا الأوريون. إن أصبتني، فزت. وإن لم تصبني، خسرت. إذا خسرت، فسوف تفك رموز المخطوطات الإلفية. وستحصل على معلومات عن طفلة الدم الأقدم. على نحو عاجل. وبالقرض».

- وإن فزت؟

- ستحصل على المعلومات أيضًا وتتيحها لينيفر. ستدفع لك. لن تكون متضررًا.

فتح كودرينغر الدُرج وأخرج نجيمة أوريون أخرى.
صرح، ولم يسأل: «تعوّل على أنني لن أقبل الرهان».
ابتسم الويتشر: «لا. أنا على يقين من أنك ستقبله».
- أنت مغامر. هل نسيتَ؟ إنني دون ضمير.

- لم أنسَ. لقد حان زمن الهوان، وأنت تتقدم مُواكبًا روح العصر. لكنني تأثرتُ بالاتهامات التي وصمتني بالسذاجة المتقادمة، وهذه المرة سأخاطر غير فاقد الأمل بالربح. وبعد؟ هل الرهان قائم؟
أمسك كودرينغر النجمة الفولاذية من أحد أطرافها ونهض: «قائم. الفضول دائماً ما يتفوق على التعقل عندي، فضلاً عن الرحمة غير المسوّغة. استدر».
استدار الويتشر. نظر إلى الوجه المثقوب بكثافة في الصورة، وإلى النجمة المغروسة فيها. ثم أغمض عينيه.
انطلقت النجمة مصدرة صفيراً وارتطمت بالحائط على بعد أربع بوصات من إطار اللوحة.

صرخ كودرينغر: «تبا! لم تهتزّ ولو قليلاً، يا بن العاهرة!».
استدار جيرالت وابتسم، ابتسامة في غاية القبح.
- لماذا كان عليّ أن أتحرك؟ سمعتُ أنك ترمي بطريقة لا تصيب.



كان النُزل خاليًا. في الزاوية، جلستُ على الأريكة امرأة شابة، ذات عينيّن تحفّ بهما هالات سود. كانت تدير ظهرها باستحياء وهي تُرضع طفلها. رجل عريض المنكبين، لعله زوجها، أخذته غفوة بجانبها، مستندًا بظهره إلى الحائط. وجلس شخص آخر في الظل، خلف الموقد، لم يره أبلجات بوضوح في ظلمة الحجرة.

رفع مالك النزل رأسه، فرأى أبلجات، لاحظ ملابسه وقطعة معدنية على صدره تحمل شعار أيديرن، وتجهم على الفور. اعتاد أبلجات مثل هذا الاستقبال. كان مراسلاً ملكيًا، وله الحق المطلق في أن يُزوّد بوسائل النقل.

كانت المراسيم الملكية واضحة، فالمراسل يحق له في كل مدينة، وفي كل قرية، وفي كل نزل، وفي كل دار ذات فناء مُسيّج، أن يطلب فرسًا نشطًا، ووَيْل لمن يرفض. طبعًا، كان المراسل يترك دابته، ويأخذ دابة جديدة مقابل إيصال. يمكن للمالك التوجه إلى مدير المِنْطَقَة والحصول على تعويض. لكنّ هذا الأمر كان فيه وجهات نظر مختلفة. لذلك كان الناس دائماً ينظرون إلى المراسل بعدم ارتياح وخوف: هل سيطلب أم لا؟ هل سيأخذ حصاننا الذهبي إلى الهلاك؟ حصاننا الذي ربيناه منذ أن كان مُهرًا؟ حصاننا المدلل؟ لقد رأى أبلجات أطفالاً ينتحبون وهم يتشبثون بجوادهم المفضل، رفيق لهوهم، الذي اقتيد من الإصطبل، ورأى أكثر من مرة وجوه البالغين التي شحبت من الشعور بالظلم والعجز.

قال بخشونة: «لا أحتاج إلى حصان جديد».

بدا له أن صاحب النُزل تنفس الصُّعداء.

أضاف المراسل: «سأتناول الطعام فقط، فقد جعتُ في الطريق. هل يوجد شيء في القُدْر؟».

- بقي قليل من الحساء، سأقدمه على الفور، اجلسوا. هل ستييت هنا؟
لقد حلّ الظلام.

فكر أبلجات قليلًا. قبل يومين التقى هانسوم، زميله المراسل، فحسب الأوامر تبادلا المراسلات. تسلم هانسوم البريد والرسائل الموجهة إلى الملك ديمافيند، وانطلق بالفرس عدوًا خلال تيميريا وماهاكام إلى فينجريرج. أما أبلجات، فتسلم البريد الموجه إلى الملك فيزيمير من ريدانيا، وسار تجاه أوكسينفورت وتريتوجور. كان عليه أن يقطع أكثر من ثلاثمئة ميل.

قرر: «سأتناول الطعام وأغادر. القمر مكتمل، والطريق مستوية ممهدة».

- كما تشاءون.

كان الحساء الذي قُدّم له خفيفًا ودون طعم، لكنّ المراسل لم يهتم بتلك التفاصيل. كان يستمرئ طعام زوجته في المنزل، لكنّ في السفر كان يأكل

ما يلقى في الطريق. ارتشف ببطء، ممسكًا الملعقة بخشونة بأصابع ثنتها كثرة إمساك اللجام.

رفع القط النائم على مقعد الموقد رأسه فجأة، وراح يهسهس.

- مراسل ملكي؟

انتفض أبلجات. من طرح السؤال كان الشخص الجالس في الظل، الذي خرج منه الآن ووقف بجانب المراسل. كان شعره أبيض كالحليب، مشدودًا على جبهته بشريطة من الجلد، وقد ارتدى سترة سوداء مثبتة عليها أزرار فضية، وانتعل حذاءً عاليًا. على كتفه اليمنى، لمع مقبض مكوّر لسيف ملقى على ظهره.

- إلى أين تسير بك الطريق؟

رد أبلجات ببرودة: «إلى حيث تستحثني الإرادة الملكية».

لم يردّ بطريقة مختلفة على مثل هذه الأسئلة بتاتًا.

ظل ذو الشعر الأبيض صامتًا لحظاتٍ قليلةً، وهو ينظر إلى المراسل متفحصًا. كان وجهه شاحبًا شحوبًا غير طبيعي وعينه داكنتين وغريبتين.

أخيرًا قال بصوت غير مريح، خشن قليلًا: «بالتأكيد الإرادة الملكية تأمرك بالإسراع؟ بالتأكيد أنت في عجلة من أمرك؟».

- وما شأنك في هذا؟ من أنتم لتستعجلوني؟

ابتسم ذو الشعر الأبيض ابتسامة قبيحة: «أنا لا أحد. ولا أستعجلك. لكنني لو كنت مكانك لرحلت من هنا بأسرع ما يمكن. لا أريد أن يصيبك مكروه».

كانت لدى أبلجات إجابة مُعدّة لمثل هذه التصريحات أيضًا. قصيرة وموجزة. غير مستفزة وهادئة. لكنها تذكر السامع بدقة بالشخصية التي يخدمها المراسل الملكي، وبما سيحدث لمن يجرؤ على لمسه. لكن في صوت ذي الشعر الأبيض شيء منع أبلجات من إعطاء الإجابة المعتادة.

- عليّ أن أريح حصاني، يا سيد. ساعة، ربما ساعتين.

أوماً ذو الشعر الأبيض برأسه، ثم رفع رأسه، كأنه ينصت للأصوات القادمة من الخارج: «أفهم ذلك».

أبلجات أيضًا أصاخ سمعه، لكنه لم يسمع سوى صرير الجدادج.
قال ذو الشعر الأبيض، معدلاً حزام سيفه الذي يقطع صدره قطعاً مائلاً:
«استرخِ إذن. لكن لا تخرج إلى الفناء. مهما حدث، لا تخرج».

امتنع أبلجات عن طرح الأسئلة. شعر غريزياً أن هذا سيكون أفضل. انحنى فوق الطبق واستأنف اصطياد نتف اللحم القليلة السابحة في الحساء. عندما رفع رأسه، لم يعد ذو الشعر الأبيض في الغرفة.
بعد لحظة، سَمِعَ سهيل في الفناء وقرقعة حوافر.

دخل ثلاثة رجال إلى النزل. عندما رآهم صاحب النزل بدأ بمسح الكوب أسرع. تحركت المرأة التي تحمل رضيعاً دانية أكثر من زوجها الغافي، وأيقظته بلكزة من يدها. سحب أبلجات كرسيه نحوه قليلاً، وكان عليه حزامه وخنجره.

دنا الرجال من النُضد، وهم يحدجون ضيوف النزل بنظرات خاطفة ويتفحصونهم. مشواً ببطء، تصحبهم قعقة سلاحهم ومهاميزهم.
تنحى صاحب النزل وسعل: «أهلاً وسهلاً بكم، أيها السادة الأكارم. بماذا يمكنني أن أخدمكم؟».

قال أحدهم، وكان قصيراً وممتلئاً، وله يدان طويلتان مثل يدي القرد، ومسلحاً بسيفين زركانيين معلقين على نحو متقاطع على ظهره: «بالحميا. هل تشرب، يا أستاذ؟».

وافق الرجل الثاني، وهو يضبط نظارته المثبتة على أنفه المعقوف، المصنوعة من البلور المصقول المائل إلى الأزرق، المزينة بإطار من الذهب: «بكل سرور. على ألا تكون الخمرُ مغشوشةً بأي شوائب».

صبَّ صاحب النزل الشراب. لاحظ أبلجات أن يديه ارتجفتا قليلاً. أسند الرجال ظهورهم إلى النضد، وارتشفوا من الطاسات الفخارية دون استعجال.

تلكم ذو النظارة فجأة: «يا صاحب النزل. أظن أن سيدتين مرّتا من هنا منذ وقت قريب، كانتا تسعيان بدأب إلى المضي باتجاه جورس فيلين؟».

تلعثم صاحب النزل: «كثيرون يمرون من هنا».

قال ذو النظارة ببطء: «لا يمكنك ألا تلاحظ السيدات المدانات. إحداهنّ سوداء الشعر وذات جمال خارق. تمتطي مهرًا أدهم. الأخرى، أصغر سنًا، شقراء وخضراء العينين، تركب فرسًا برشاء. هل كانتا هنا؟».

أبلجاتُ الذي أحس فجأة بالبرد يسري في ظهره، استبق صاحب النزل في الرد: «لا. لم تكونا».

خطر داهم. رمل ساخن...

- مراسل؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

هز أبلجات رأسه.

- من أين وإلى أين؟

- من حيث تقودني الإرادة الملكية وإليه.

- هل صادفت المرأتين اللتين سألتُ عنهما في الطريق؟

- لا.

زمجر الرجل الثالث، الطويل والنحيف مثل العود. شعره أسود ولامع، كأنه دُهِنَ بالدهن: «لماذا تنفي بسرعة. ولا يبدو لي أنك تُعمل ذاكرتك جيدًا».

لَوَّحَ ذو النظارة بيده: «دعه، يهايمو. إنه مراسل. لا تفتعل المشكلات. ما اسم هذه المحطة، أيها المالك؟».

- أنخور.

- كم المسافة إلى جورس فيلين؟

- ها؟

- كم ميلًا؟

- لم أقسها بالأميال. لكنها نحو ثلاثة أيام ركوبًا...

- على ظهر الحصان؟

- بالعربة.

نادى فجأة بصوت خفيض الرجلُ القصيرُ الممتلئُ الجسمُ، وقد استقام ونظر إلى الفناء من خلال الباب المفتوح على مصراعيه: «هيه. هلمَّ، ألقِ نظرة يا أستاذ. من يكون هذا الشخص؟ أليس هو هذا...».

حدَّق ذو النظارات أيضًا إلى الفناء، فانكمش وجهه فجأة.

قال كازًا أسنانه: «أجل. إنه هو بالتأكيد. ومع ذلك، حالفنا الحظ».

- هل ننتظر حتى يدخل؟

- لن يدخل. لقد رأى خيولنا.

- يعلم أننا...

- اصمت، ياكسا. إنه يقول شيئًا.

انبعث من الفناء صوت خشن قليلًا، لكنه واضح عالٍ، عرفه أبلجات على الفور: «لديكم الخيار. يخرج أحدكم ويخبرني من استأجركم. عندئذٍ ترحلون دون متاعب. أو تخرجون ثلاثتكم جميعًا. إني أنتظر».

زمجر ذو الشعر الأسود: «ابن العاهرة... إنه يعلم. فماذا نفعل؟».

وضع ذو النظارة الطاس ببطء على النضد.

- نفعل ما دُفع لنا مقابله.

بصق على يده، وحرك أصابعه، ثم استلَّ سيفه. عندما شاهد الرجلان الآخران ذلك، شهرا سيفيهما أيضًا. فغر صاحب النزل فمه ليصرخ، لكنه سرعان ما أغلقه تحت تأثير النظرة الباردة من فوق النظارة الزرقاء.

قال ذو النظارة، كازًا أسنانه: «اجلسوا جميعًا. ولا تنبسوا بحرف. هايمو، عندما يبدأ الأمر، حاول الالتفاف عليه من الخلف. هيا يا شباب، بالتوفيق. لنخرج».

بدأ الأمر فور خروجهم. أنين، وخبط أقدام، وصليل نصال. ثم صرخة. صرخة تجعل شعر الرأس منتصبًا.

شحب وجه صاحب النزل، وصرختِ المرأة ذات العينين التي تحف بهما هالات سود، بصوت مكتوم ضاغطة رضيعها على صدرها بكلتا يديها. قفز القط الذي كان على مقعد الموقد، نازلاً على قدميه بتوازن، وحنى ظهره، وانتصب ذيله كالفرشاة. انزوى أبلجات بسرعة مع كرسيه في الركن. وخنجره على ركبتيه، لكنه لم يستلّه من غمده.

مجددًا، من الفناء خبط أقدام على ألواح الخشب، وصفير وصليل نصال. صرخ شخص بتوحش، ورغم انتهاء هذا الصراخ بسباب بذيء، كان فيه يأس أكثر من الحَنَق: «آه، أنت... أنت...».

صليل نصال. وبعده على الفور صراخ عالٍ خارق، كأنه يمزق الهواء إِرْبًا إِرْبًا. خبط كأن كيسًا ثقيلًا من الحبوب هوى على الألواح. قرقرة حوافر من مربوط الخيل، وصهيل أحصنة مذعورة.

مجددًا، خبط على الألواح، وخطوات ثقيلة وسريعة لشخص يركض. احتضنتِ المرأة مع رضيعها زوجها، واتكأ صاحب النزل بظهره على الحائط. استلَّ أبلجات خنجره، ولا يزال يخفي سلاحه سطح المنضدة. اتجه الرجل الراكض مباشرة نحو النزل، كان واضحًا أنه سيصل إلى الباب بعد لحظة. لكنه قبل أن يبلغ الباب، انبعث صليل النصل.

صرخ الرجل، وخطا في الحال إلى الداخل مترنحًا. بدا كأنه سيسقط على العتبة، لكنه لم يسقط. خطا بضع خطوات متأرجحة ومتباطئة، وحينئذٍ فقط تهاوى متناقلًا في وسط الحجرة، مثيرًا الغبار المتراكم في شقوق الأرضية. سقط على وجهه دون حراك، ضاغطاً يديه وقد انكمشت ساقاه عند الركبتين. سقطت نظارته البلورية على الألواح مفرقة، وتهشمت متشظيةً إلى قطع زرق. وبدأت بركة داكنة لامعة تتسع تحت جسده الذي همد تمامًا.

لم يتحرك أحد. ولا أحد صرخ.

دخل ذو الشعر الأبيض إلى الحجرة.

أعاد السيف الذي كان يمسكه بيده إلى الغمد على ظهره ببراعة. اقترب من النضد حتى دون أن يشرف الجثة الملقاة على الأرضية بنظرة منه. انكمش صاحب النزل.

قال ذو الشعر الأبيض بصوت أجش: «أناس سيئون... الأناس السيئون ماتوا. عندما يأتي الممثل القانوني، قد يتبين أن مكافأة رُصدت لقاء رؤوسهم. فليفعل بها ما يراه مناسباً».

وأما صاحب النزل برأسه مستحسنًا الأمر.

تابع ذو الشعر الأبيض بعد لحظة: «قد يحدث أيضًا أن يسأل رفاق أو أصدقاء هؤلاء الأشرار عن مصيرهم. قل لهم إن الذئب عضهم. الذئب الأبيض. وأصف، عليهم أن ينظروا جيدًا وراءهم. يومًا ما سيتلفتون حولهم ويرون الذئب».



حين وصل أبلجات إلى بوابات تريتوجور بعد ثلاثة أيام، كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل كثيرًا. احتاج بشدة لأنه أضاع الوقت على الخندق وشق حنجرته من شدة الصراخ. كان الحراس نائمين ببلادة وتأخروا في فتح البوابات. خفف عن نفسه فشتهم بعنف، ولعن آباءهم حتى الجيل الثالث من أسلافهم. بعد ذلك استمع بارتياح إلى قائد الحراسة، الذي أوقظ قبل قليل. استمع له وهو يكمل ساردًا تفاصيل جديدة للعنات التي وجهها إلى أمهات الجنود المشاة وجداتهم وجداتهم. طبعًا لم يكن بإمكانه حتى أن يحلم بالوصول إلى الملك فيزيمير ليلاً. وفي المحصلة كان ذلك يناسبه، فقد أمل أن ينام حتى الفجر، حتى جرس الصباح. ولكنه كان مخطئًا. بدلًا من أن يشيروا إليه بمكان للراحة، قادوه دونما إبطاء إلى المحرس. في الحجرة، لم ينتظره أمر القلعة، بل ذاك الثاني الضخم والبدين. كان أبلجات يعرفه. إنه ديكسترا، المقرب الموثوق عند ملك ريدانيا. ديكسترا. -كان المراسل يعلم ذلك- إنه مخوّل لسماع الرسالة المخصصة فقط لمسمعي الملك. أبلجات سلّمه الرسائل.

- هل لديك رسالة شفوية؟

- نعم، سيدي.

- تكلم.

تلا أبلجات، مغمضاً عينيه: «من ديمافيند إلى فيزيمير. أولاً: المتنكرون جاهزون في الليلة الثانية بعد محاق تموز. احرص على ألا يخيب فولتيست توقعاتنا. ثانياً: لن أتشرف بحضور اجتماع الفيلسوف في ثانيد، وأنصحك بالشيء نفسه. ثالثاً: الشبلة ميتة».

عبس ديكسترا قليلاً، ونقر بأصابعه المنضدة.

- ها هي الرسائل إلى الملك ديمافيند. أما الرسالة الشفهية... أنصت جيداً وأعمل ذاكرتك. ستنقلها إلى ملك كلمة كلمة. فقط له، ولا لأحد غيره. هل تفهم؟

- أفهم، سيدي.

- الرسالة هي: من فيزيمير إلى ديمافيند. من الضروري إيقاف المتنكرين. أحد ما خاننا. حشد اللهب جيشاً في دول أنجرا، وينتظر ذريعة فحسب. كرر.

كرر أبلجات.

- أوماً ديكسترا برأسه: «جيد. ستنطلق حالما تبرزغ الشمس».

- منذ خمسة أيام وأنا في الطريق، سيدي المبجل. (حكَّ المراسل مؤخرته). هل يمكنني أن أنام ولو حتى الظهيرة... تسمحون لي؟

- وهل ملكك، ديمافيند، نائم الآن؟ هل أنا نائم؟ من أجل هذا السؤال وحده يجب أن تُلطم على فمك، أيها الرجل. سيعطونك طعاماً، وبعد ذلك تمدد قليلاً على القش. وستنطلق قبل شروق الشمس. أمرتُ بأن يعطوك جواداً أصيلاً، سترى، سيطير بك كالزوبعة. ولا تقطّب وجهك. وخذ كيسَ نقود صغيراً أيضاً مع مكافأة إضافية، حتى لا تقول إن فيزيمير بخيل.

- شكرًا، سيدي.

- عندما تكون في الغابات عند نهر بونتار، احترس. لقد شوهد السناجيب هناك. ولا ينعدم أيضًا وجود قطاع الطرق العاديين في تلك المناطق.
- أوه، أعلم ذلك، سيدي. أو، لقد رأيتُ قبل ثلاثة أيام...
- ما الذي رأيته؟
- سرد أبلجات بسرعة ما حدث في أنخور. استمع ديكسترا، عاقدًا ذراعيه الضخمتين على صدره.
- قال شاردَ الذهن: «الأستاذ... هايمو وكانثور وياكسا القصير. قتلهم أحد الويتشريين. في أنخور، في الطريق المؤدية إلى جورس فيلين، أي إلى ثانيد، إلى جارستانج... والشبلة ماتت؟».
- ماذا تقولون، يا سيدي؟
- رفع ديكسترا رأسه: «ليس مهمًا. بالنسبة إليك على الأقل. استرخ. وعند الفجر امض في طريقك.
- أكل أبلجات ما أحضر له، واستلقى قليلًا، لكن لم تغمض له عينان من التعب، وقبل الفجر كان قد خرج من البوابة. الجواد كان سريعًا حقًا، لكنه جامح. لم يكن أبلجات يحب مثل هذه الخيول.
- شيء ما سبب له حِجَّة على ظهره لا تُحتمل، بين لوح الكتف اليسرى والعمود الفقري، على وجه اليقين أن برغوثًا قد لدغه خلال نومه في الحظيرة. ولم يتكمن من حك نفسه بأي وسيلة.
- تراقص الجواد وسهل. همزه المراسل بالمهماز في جنبه وانطلق عدوًا. الوقت يضيق.



قال كايربر كازًا أسنانه، وهو يبرز من خلف أغصان الشجرة التي كان يراقب منها الطريق: *!Gar'ean En Dh'oine aen evall a stra'ede*

هبتُ توروفيل من الأرض، ممسكةً بالسيف ومثبتةً إياه على خصرها، ولكزتُ مقدمةً حذائها فخذًا يائفين الذي كان نائمًا بجانبها ومتكئًا على جدار

حفرة شجرة ساقطة. انتفض الإلفي متأوهاً من جِراء الرمل الساخن الذي اتكأ عليه بيده.

- *Que suecc's?*

- خيال قادم على الطريق.

رفع يائفين القوس والجعبة: «واحد؟ يا كايربر؟ واحد فقط؟».

- واحد. إنه يقترب.

- لننتخلص منه. سيكون عدد البشر أقل بواحد.

أمسكتُ توروفيل به من كفه: «دعه! ما حاجتنا إلى هذا؟ كان من المفترض أن نستطلع، ومن ثم ننضم إلى المغاوير. هل علينا قتل المدنيين على الطرق؟ أهذا هو القتال من أجل الحرية؟».

- نعم، بالضبط. ابتعدي.

- إذا وُجِدَتْ جثة على الطريق، فإن أي دورية تمرُّ سترفع مستوى الإنذار. وسيبدأ الجيش بمطاردتنا. سيطوقون المخاضات، وقد تواجهنا مشكلات في عبور النهر!

- هذه الطريق قليلة الحركة. قبل أن يكتشفوا الجثة، سنكون قد ابتعدنا.

قال كايربر من الشجرة: «ذلك الخيال أصبح بعيداً الآن. بدلاً من الحديث، كان يجب إطلاق السهم. لن تبلغه الآن. إنه على بعد مئتي خطوة كاملة».

مسح يائفين على قوسه: «من قوسي التي بقوة ستين رطلاً؟ وبطول ثلاثين بوصة؟ ثم إن المسافة ليست مئتي خطوة. هي مئة وخمسون على الأكثر. *Mire, que spar aen'le*».

- يائفين، اتركه...

- *Thaess aep, Toruviel*

قلب الإلفي قبعته حتى لا يعوقه ذيل السنجاب المثبت عليها، وشد القوس بقوة حتى أذنه، وصوّب بدقة، ثم أطلق الوتر.

لم يسمع أبلجات السهم. كان سهمًا «صامتًا»، مُزوَّدًا خصوصًا بأرياش طويلة ورفيعة رمادية اللون، ومؤخره محزَّز لزيادة صلابته وتقليل ثقله. أصاب النصل الثلاثي الرؤوس، الحاد كالمُوسَى، المراسلَ في منتصف ظهره، بين لوح الكتف اليسرى والعمود الفقري. كانت الرؤوس مثبتة بزاوية معينة، فعندما اخترق السهم الجسم، دار النصل ولف متغلغلًا كالبرغي، مدمرًا الأنسجة، وقاسمًا الأوعية الدموية وساحقًا العظام. هوى أبلجات على عنق الحصان وانزلق إلى الأرض هامدًا ككيس من الصوف.

كان رمل الطريق ساخنًا، فائزًا بلهب الشمس لدرجة أنه بات حارقًا. لكنَّ المراسل لم يحسَّ بذلك. فقد مات على الفور.

أن أقول إنني كنت أعرفها سيكون مبالغةً. أعتقد أن لا أحد غير الويتشر والساحرة كان يعرفها حقًا. عندما رأيتهما أول مرة، لم تترك في انطباعًا كبيرًا، حتى مع الوقائع المذهلة التي رافقت ذلك. كنت أعرف أشخاصًا يقولون إنهم أحسوا بلفحة الموت تسري خلف هذه الفتاة، منذ اللقاء الأول معها. لكنني بدا لي أنها عادية تمامًا، مع أنني كنت أعلم أنها لم تكن عادية، لذا حاولتُ بشدة أن أرقب وأكتشف وأستشعر غير العادي فيها. لكنني لم ألاحظ شيئًا ولم أحس بشيء يمكن أن يكون إشارة، أو حدسًا، أو نذيرًا للأحداث المأساوية اللاحقة. تلك التي كانت هي سببها. وتلك التي سببتها هي نفسها.

ياسكير، نصف قرن من الشعر

الفصل الثاني

عند المفرق تمامًا، في المكان الذي تنتهي عنده الغابة، رُكِّزَتْ في الأرض تسعة أعمدة. تُبْنَتْ على قمة كل عمود عجلة عربية على نحو مسطح. كانت الغربان والزيغان تتجمع فوق العجلات، تنقر الجثث المربوطة على إطارات العجلات وصُررها وتنهشها. كان ارتفاع الأعمدة وكثرة الطيور لا يسمحان، في الواقع، إلا بتخمين ماذا كانت البقايا التي يتعذر معرفتها، والتي بقيت على العجلات. لكنها كانت جثثًا، ولا يمكن أن تكون شيئًا آخر.

أدارت سيري رأسها، وجعدت أنفها باشمئزاز. هبّت الريح من جهة الأعمدة، وانتشرت الرائحة الخانقة للجثث المتحللة فوق مفترق الطرق.

قالت ينيفر وهي تنحني في سرجها وتبصق على الأرض، ناسيةً أنها وبّخت سيري بشدة لأنها فعلت مثل ذلك قبل أيام قليلة جدًا: «زينة رائعة. منظر خلّاب ورائحة عطرة. لكن لماذا هنا، عند طرف الغابة؟ عادة ما يُوضَع شيء كهذا خلف أسوار المدينة مباشرة. هل أنا محقة، أيها الناس الطيبون؟».

أسرع واحد من التجار المتجولين، الذين أدركوهم عند مفترق الطرق، ليشرح، وهو يكبح حصانه الأبلق المربوط إلى عربة ذات عجلتين مفرغة من البضائع: «إنهم السناجيب، سيدتي النبيلة. الإلفيون. هناك، على تلك الأعمدة. لهذا السبب تُنصَّب الأعمدة في الغابة. لتكون تحذيرًا للسناجيب الآخرين».

نظرت إليه الساحرة: «هل هذا يعني أن السكويائتيليون يجلبون إلى هنا بعد أسرهم أحياء...».

قاطعها التاجر: «الإلفيون، يا سيدتي، نادرًا ما يُمكن أخذهم أحياء. وحتى إذا أمسك الجنود بأحدهم، أخذوه إلى المدينة، فهناك يعيش غير البشريين المستقرين. عندما يشاهدون أولئك الذين أُعدموا في السوق، فإنهم سرعان ما يفقدون الرغبة في الانضمام إلى السناجيب. لكنّ عندما يقتل مثل هؤلاء الإلفيين في المعركة، تنقل جثثهم إلى مفترق الطرق وتعلق على الأعمدة. أحيانًا، يأتون بها من بعيد، وتصل متعفنة تمامًا...».

زمجرت ينيفر: «تخليلوا أنه سيحظر علينا مزاولة استحضر الموتى سحرًا، احترامًا لهيبة الموت وللجثامين التي تستحق التشريف، والهدوء، والدفن الطقوسي الاحتفالي».

- ماذا تقولون، سيدتي؟

- لا شيء. فلنتحرك بأسرع وقت من هنا، يا سيري، بعيدًا إلى أي مكان غير هذا. تفًا، أشعر أنني قد تشبعتُ تمامًا بهذه الرائحة النتنة.

قالت سيري، وهي تخبُّ بحصانها حول عربة التاجر الجوال: «أنا كذلك، إيعمع. فلننطلق عدوًا، حسنًا؟».

- حسنًا... سيري! عدوًا، لكن ليس عدوًا جنونيًا!



بعد وقت قصير، رأنا المدينة، كانت كبيرة ومحاطة بالأسوار، مليئة بالأبراج ذات السقوف اللامعة الحادة. وخلف المدينة، كان البحر، أخضر مزرقًا، يتلألأ تحت أشعة شمس الصباح، مزركشًا هنا وهناك ببقع بيض من الأشرعة. أوقفت سيري فرسها عند حافة جرف رملي، ووقفت على الركابين، واستنشقت الهواء والرائحة بنهم.

قالت ينيفر، وقد تقدمت وتوقفت محاذاتها: «جورس فيلين. وأخيرًا وصلنا. لنعد إلى الطريق».

سارتا في الطريق ممتطيتين دابتيهما عدوًا خفيًا، تاركتين خلفهما بضع عربات تجرها ثيران، وعدداً من المشاة المحملين بحزم من الخشب. عندما تجاوزتا الجميع وبقيتا وحدهما، أبطأت الساحرة وأوقفت سيري بإشارة منها.

قالت: «اقتربي أكثر. أقرب، أقرب. أمسكي الزمام وقودي حصاني. أحتاج إلى يدي كلتيهما».

- لأي شيء؟

- أمسكي الزمام، أرجوك.

أخرجتُ ينيفر مرآة فضية من الخرج، مسحتها، ثم همستُ بتعويذة. انزاحت المرأة من كفها، ارتفعتُ وحلقتُ فوق عنق الحصان، أمام وجه الساحرة تمامًا.

تنهدتُ سيري بإعجاب، ولعقت شفتيها.

أخرجتُ الساحرة مشطاً من الخرج، خلعتُ قبعتها، ثم مشطتُ شعرها بهمة في بضع دقائق. ظلتُ سيري صامتة. كانت تعلم أن من غير المسموح إزعاج ينيفر، أو تشتيت انتباهها، حين تمشط شعرها. فوضي ضفائرها الملتفة الغزيرة الخلافة، والمهملة ظاهرياً، تشكلت نتيجة مساحٍ طويلة وتطلبتُ جهداً غير قليل.

مدتُ الساحرة يدها إلى الخرج من جديد. ثبتت أقراطاً ألماسية، وارتدت أساور على معصميهما. خلعتُ وشاحها وفككتُ رباط بلوزتها، كاشفةً عن رقبتها وعن شريطة مخملية سوداء مزينة بنجمة من حجر السبع.

أخيراً نفذ صبر سيري: «ها! أعلم لماذا تفعلين هذا! تريدين أن تبدي جميلة، لأننا سنذهب إلى المدينة! هل حزرتُ؟».

- حزرتُ.

- وأنا؟

- أنت ماذا؟

- أريد أن أبدو جميلة أيضاً! سأمشط شعري...

قالت ينيفر بحدة، وهي لا تزال تحديق إلى المرأة المعلقة فوق أذني الحصان: «ضعي القبعة على رأسك. في المكان نفسه الذي كانت عليه. وأخفي شعرك تحتها».

زفرتُ سيرى بغضب، لكنها امتثلت على الفور. لقد تعلمتُ منذ زمن طويل كيفية تمييز نغمات صوت الساحرة ونبراته. كانت تعلم متى يمكنها محاولة النقاش، ومتى لا يمكنها ذلك.

أخيرًا، بعدما رُتبتُ ينيفر صفائرها على جبهتها، أخرجتُ من الخرج برطمانًا صغيرًا من الزجاج الأخضر.

قالت بلطف: «سيرى. نحن نسافر خفيةً. ورحلتنا لم تنتهِ بعد. لذلك يجب أن تخفي شعرك تحت القبعة. في كل بوابة مدينة، ثمة مَنْ يتقاضى أجرًا لمراقبة المسافرين مراقبةً يقظةً ودقيقةً. هل تفهمين؟».

اعترضتُ سيرى بوقاحة، وهي تشد لجام جواد الساحرة الأدهم: «لا. لقد تجملتُ لدرجة أن هؤلاء المراقبين في البوابة ستجحظ أعينهم! يا لها من سرية رائعة!».

ابتسمتُ ينيفر: «المدينة التي نتجه إلى بواباتها هي جورس فيلين. أنا لست مضطرةً إلى التخفي في جورس فيلين، بل يمكنني القول إن العكس صحيح. ولكن الأمر يختلف بالنسبة إليك. يجب ألا يتذكر أحد».

- أولئك الذين سيصدقون إليك، سيلاحظونني أيضًا!

فتحت الساحرة البرطمان، فانبعثتُ منه رائحة اليلك وعنب الثعلب. بعد أن غمستُ سبابتها في البرطمان، مسحتُ بقليل مما احتواه ما تحت عينيها. قالت، ولا تزال مبتسمة على نحو ملغز: «أشك في أن أحدًا سيلتفت إليك».



قبل الجسر، وقف صف طويل من الخيالة والعربات، واحتشد المسافرون عند البوابة ينتظرون دورهم للتفتيش. استاءت سيرى وتبرمتُ غاضبةً من فكرة الانتظار الطويل. لكنَّ ينيفر استقامت على السرج وتقدمتُ خبيًا، ناظرةً عاليًا فوق رؤوس المسافرين، الذين تفرقوا سريعًا، فاسحين لها الطريق وهم ينحنون باحترام. ثم إن الحراس ذوي الدروع الطويلة لاحظوا الساحرة على الفور، وفتحوا لها الطريق دون أن يبخلوا باستخدام عصي رماحهم لزجر المعاندين أو المبطلين كثيرًا.

نادى أحد الحراس محدقًا إلى ينيفر وقد تغير لون وجهه: «من هنا، من هنا، سيدتي الفاضلة، ادخلن من هنا، تفضلن، سيدتي! تحركوا! تحركوا، أيها الأوباش!».

ظهر من المحرس قائد الحراس الذي استدعى على عجل، عابسًا وغازبًا، لكنه عندما رأى ينيفر احمرَّ وجهه، واتسعت عيناه وفمه، وانحنى محيياً باحترام كبير.

غمغم وهو يستقيم ويحملق: «أحييكم بكل ترحيب في جورس فيلين، سيدتي الجليلة. نحن تحت أمرك... هل بإمكانني أن أخدمك، سيدتي الفاضلة، بأي شيء؟ موكب حراسة؟ مرشد؟ أو ربما أستدعي أحدًا ما؟».

استقامت ينيفر على السرج، ونظرت إليه من فوق: «لا حاجة إلى ذلك. سأبقى في المدينة مدة قصيرة. إني سائرة إلى ثانيد».

حرك الجندي رجليه بالتناوب، دون أن يغضَّ بصره عن وجه الساحرة: «مفهوم...».

كان سائر الحراس يحدقون أيضًا. شدَّت سيري جسدها باعتزاز ورفعت رأسها، لكنها أقرت أن أحدًا لم ينظر إليها. كأن لا وجودَ لها بتاتًا.

كرَّر قائد الحراس: «مفهوم. إلى ثانيد، نعم... إلى الاجتماع. أفهم ذلك، مفهوم. إذن، أتمنى...».

- أشكركم.

حثَّت ينيفر حصانها على الانطلاق، غير مهتمة فعلاً بما أراد القائد أن يتمنى لها. تبعثها سيري. كان الحراس ينحنون في أثناء مرور ينيفر، دون أن يشرفوها حتى بنظرة واحدة.

تمتعت لاحقاً ينيفر، ومحاولةً توجيه فرسها بحذر وسط الأخاديد المعمقة في وحل الطريق: «لم يسألوك حتى عن اسمك، «ولا من أين قدمنا! هل سحرتهم؟».

- لم أسحرمهم، بل سحرت نفسي.

التفتت الساحرة جانباً، فيما سيري تنهدت بصوت عالٍ. توهجت عينا ينيفر بلمعان بنفسي، وشعَّ وجهها جمالاً فاتناً. مثيراً. خطراً. وغير طبيعي.

خَمَنْتَ سيرى على الفور: «البرطمان الأخضر! ماذا كان ذلك؟».

- جلامري. إكسير، أو بالأحرى مرهم للمناسبات الخاصة. سيرى، هل أنت مضطرة إلى المرور من خلال كل بركة في الطريق؟“.

- أريد تنظيف أرسغ الفرس!

- لم تمطر منذ شهر. هذه قذارات خيول، وليست ماءً.

- أها... أخبريني، لماذا استخدمتِ هذا الإكسير؟ ألهذا الحد كان الأمر مهماً كثيراً لك...

قاطعتها ينيفر: «هذه هي جورس فيلين. مدينة تدين، أكثر ما تدين، برفاهيتها للسحرة. وللساحرات على وجه الدقة. لقد رأيتِ، أنتِ نفسك، كيف تُعامل الساحرات هنا. وأنا لم أرغبُ في تقديم نفسي أو إثبات من أكون. فضلتُ أن يكون ذلك واضحاً من النظرة الأولى. بعد هذا المنزل الأحمر، سننعطف إلى اليسار. أبطنِّي إلى حد المشي، يا سيرى، اكبحي الفرس، وإلا صدمتِ أحد الأطفال».

- ولماذا أتينا إلى هنا؟

- لقد قلتُ لك ذلك من قبل.

شخرتُ سيرى، وأطبقتُ فمها، ثم لكزتُ دابتها بكعبها لكزة قوية. رقصتِ الحجر، وكادت تصطدم بمَرْكَبَة مرت بجانبها. نهض الحوذي من مقعد المَرْكَبَة، وقد اعتزم أن يوجد بسيل من الشتائم بأسلوب سائقي العربات، لكنه حينما رأى ينيفر جلس سريعاً وانهمك في تحليل دقيق لحال قبقابه.

قالت ينيفر بامتعاض: «نطة أخرى مثل هذه، ونغضب. تتصرفين كمعزاة غير ناضجة. تسببين الخجل لي».

- أنتِ تريدين إرسالني إلى مدرسة ما، أليس كذلك؟ أنا لا أريد ذلك!

- اخفضي صوتك. الناس ينظرون.

- إنهم ينظرون إليك، وليس إليّ! أنا لا أريد الذهاب إلى أي مدرسة! وعدتني بأن تكوني معي دائماً، والآن تريدين تركي! وحدي! لا أريد أن أكون وحدي!

- لن تكوني وحدك. في المدرسة الكثير من الفتيات في مثل سنك. سيكون لديك العديد من الزميلات.

- لا أريد زميلات. أريد أن أكون معكِ ومع... ظننتُ أن...
التفتتُ ينيفر فجأة.

- ماذا ظننتِ.

رفعتُ سيرتي رأسها بتحدٍ: «ظننتُ أننا نسير إلى جيرالت. أعلم جيدًا فيما كنت تفكرين طوال الطريق. ولماذا كنت تتنهدين في الليل...».

زعقتُ الساحرة، ومنظر عينيها المتوهجتين جعل سيرتي تدس وجهها في عُرف الحصان: «كفى. لقد تجاوزتِ حدودك. أذكرك أن الوقت الذي كان بإمكانكِ معارضتي فيه قد مضى دونما رجعة. جرى ذلك بمحض إرادتك. الآن عليكِ الطاعة. ستفعلين ما أمرك به. هل فهمتِ؟».

هزتُ سيرتي رأسها.

- ما أمرك به سيكون الأفضل لكِ. دائمًا. ولهذا ستسمعيني وتنفيذين توجيهاتي. واضح؟ أوقفي فرسكِ. وصلنا.

غمغمتُ سيرتي، رافعة عينيها إلى واجهة المبنى الفخمة: «هل هذه هي المدرسة؟ هل صار...؟».

- لا كلمة أكثر. انزلي عن الفرس. وتصرفي كما ينبغي. هذه ليست مدرسة، المدرسة في أريتوزا، ليست في جورس فيلين. هذا مصرف.

- وما حاجتنا إلى المصرف؟

- فكري. قلتُ انزلي. ليس في البركة! اتركي الفرس، الخدم موجودون من أجل ذلك. انزعي قفازيكِ. لا يدخل الناس بقفازات الارتحال إلى المصرف. انظري إليّ. عدّلي القبعة. سوّي ياقة القميص. انتصبي. لا تعلمين ماذا تفعلين بيديك؟ إذن، لا تفعلي بهما شيئاً!

تنهدتُ سيرتي.

الخدم الذين بزغوا من بوابة المبنى وانحنوا باحترام في أثناء خدمتهم، كانوا من الأقزام. تأملتُهم سيرتي بفضول. مع أنهم قصار القامة بالقدر نفسه، وممثلئون وملتحون، لم يكونوا يشبهون صديقها ياربن زيجرين ولا «أولاده»

في شيء. كان الخدم باهتين، يرتدون زيًا موحدًا، ولا شيء يميزهم. ثم إنهم كانوا منقادين، وهو ما لم يكن يمكن قوله عن ياربن وأولاده بأي حال.

ولجأ إلى الداخل. لا يزال الأكسير السحري يعمل، لذا فإن ظهور ينيفر تسبب في اندفاع كبير على الفور، وهرولة، وانحناءات تلتها تحيات تبجيل، وإفصاح عن الاستعداد للخدمة، التي لم ينهها إلا ظهور قزم سمين على نحو لا يصدق، مرتديًا ملابس أنيقة، وله لحية بيضاء.

زعق القزم، مخشخشا بالسلسال الذهبي المتدلي من رقبته الضخمة إلى ما تحت لحيته البيضاء: «المحترمة ينيفر! يا لها من مفاجأة! ويا له من شرف عظيم! تفضلي، تفضلي إلى المكتب! وأنتم، لا تقفوا، ولا تحذقوا! إلى العمل، إلى أدوات العد! ويلفلي، إلى المكتب على الفور مع قنينة من كاستل دي نوف، من العام... صرت تعلم الآن من أي عام. بهمة، وبسرعة البرق! تفضلي، تفضلي، ينيفر. رؤيتك سعادة حقيقة. تبدين... آخ، تبأ لدم الكلاب، تخطفين الأنفاس!

ابتسمت الساحرة: «أنت أيضًا. تبدو بحال جيدة، يا جيانكاردي».

- نعم، طبعًا. تفضلي، تفضلي إلى مكتبي. لا، لا، السيدات أولاً. إنكِ تعرفين الطريق، يا ينيفر؟

كان المكتب معتمًا بعض الشيء وباردًا بلطف، وانبعث في الهواء رائحة تذكّرتها سيرى من برج الكويّتب جاري؛ رائحة الحبر، والرق، والغبار الذي يغطي الأثاث المصنوع من البلوط، ونسيج النجود، والأسفار القديمة.

أزاح المصرفي كرسيًا ثقيلًا عن المنضدة لينيفر، ورمى سيرى بنظرة فضول: «اجلسا، تفضلاً. هممم...».

قالت الساحرة دون اهتمام، ملاحظَةً نظرتة: «أعطها كتابًا، يا مولنار. هي تعشق الكتب. ستجلس في نهاية المنضدة، ولن تزعجنا. أليس كذلك، سيرى؟».

لم تجذّ سيرى ضرورة للتوكيد.

اهتمّ القزم، واقترب من الخزانة: «كتاب، هممم - هممم. ماذا لدينا هنا؟ أه، كتاب الإيرادات والإنفاقات... لا، ليس هذا. المكوس وضرائب الميناء...

أيضًا لا. الائتمان والاعتمادات المالية؟ لا. آه، ومن أين جاء هذا؟ لا أحد يعلم... لكن ربما يكون هذا مناسبًا تمامًا. تفضلي، يا صبية».

وُسِمَ الكتاب بعنوان فيزيولوجوس، وكان قديمًا جدًا وممزقًا إلى حد كبير. قلبت سيري الغلاف وبضع صفحات بحذر. جذب الكتاب اهتمامها على الفور، لأنه كان يتحدث عن الوحوش والمسوخ الغامضة، وكان حافلًا بالرسوم التوضيحية. حاولت خلال اللحظات التالية أن تولي اهتمامها للكتاب ولمحادثة الساحرة والقزم مناصفة.

- هل لديك رسائل لي، يا مولنار؟

صَبَّ المصرفي النبيذ لينيفر ولنفسه: «لا. لم تصل أي رسائل جديدة. آخرها كان قبل شهر، وسلمتها بالطريقة المتفق عليها».

- تسلمتها، أشكر. لكن هل صادف... أن أحدًا قد اهتمَّ بهذه الرسائل؟

ابتسم مولنار جيانكاردي: «هنا، لا. لكنك تصوبين نحو الهدف الصحيح، يا عزيزتي. لقد أبلغني مصرف الفيفالدين سرًا أن ثمة من حاول تتبع الرسائل. ثم إن فرعهم في فينجر بيرج اكتشف محاولة تتبع العمليات الجارية على حسابك الخاص. تبين أن أحد الموظفين لم يكن مخلصًا».

توقف القزم، ونظر إلى الساحرة من تحت حاجبيه الكثَّين. أنصتت سيري جيدًا. التزمت ينيفر الصمت وهي تلهو بنجمتها المصنوعة من السبج.

استأنف المصرفي خافضًا صوته: «فيفالدي لم يستطع أو لم يرغب في إجراء تحقيق في هذه القضية. أما الموظف غير المخلص والقابل للارتشاء، فسقط في خندق وهو مخمور، وغرق. كان حادثًا مؤسفًا. يا للخسارة. مضى بسرعة، وتهور...».

نفخت الساحرة شفتيها: «خسارة صغيرة، وأسف قصير. أعلم من كانت تهمه رسائلتي وحسابي، ولم يكن للتحقيق لدى الفيفالدين أن يأتي بأي مفاجآت».

بعثر جيانكاردي أشعار لحيته: «إذ إنك تعتقدين ذلك... هل ستذهبين إلى ثانيد، يا ينيفر؟ إلى ذاك الاجتماع العام للسحرة؟».

- أجل.

- لتقرري مصير العالم؟
- دعنا لا نبالغ.
- قال القزم بجفاف: «تدور شائعات مختلفة. وتحدث أشياء مختلفة غريبة».
- مثل ماذا، إن لم يكن سرًا؟
- تحدث جيانكاردي وهو يمسد لحيته: «تلاحظ منذ العام المنصرم تحركات غريبة في السياسة الضريبية... أعلم أن ذلك لا يهكم...».
- قل.
- تضاعفت قيمة الضريبة الفردية والأتاوى الشَّتوية، والضرائب التي تجبئها السلطات العسكرية مباشرة. كل التجار وأصحاب الأعمال عليهم دفع «القرش العاشر» للخزانة الملكية، وهو ضريبة إضافية جديدة تمامًا، قرش واحد من كل عشرة قروش من المبيعات. الأقزام، والجنوم، والإلفيون، والهوبيتيون، يدفعون أيضًا ضريبة الرؤوس وضريبة المنزل المزیدة. وإذا كانوا يديرون نشاطًا تجاريًا أو إنتاجيًا، ألزموا إضافة إلى ذلك، بدفع الهبة «غير البشرية» الإجبارية، ومقدارها عشرة من المئة. وهكذا أدفع أكثر من ستين في المئة من دخلي للخزانة. إن مصرفي، بجميع فروع، يدفع للممالك الأربع ستمئة جريفنة سنويًا. أضيفي إلى معلوماتك: هذا ما يقارب ثلاثة أضعاف ما يدفعه الدوق الثري أو الكونت من خراج الأراضي الملكية الشاسعة.
- الناس ليسوا مُلزمين بدفع الهبات للجيش؟
- لا. لا يدفعون سوى الضريبة الشخصية والأتاوى الشَّتوية.
- هزت الساحرة رأسها: «إذن، فإن الأقزام والآخرين من غير البشر هم الذين يمولون الحملة التي تدور في الغابات ضد السكوياتيل. توقعتُ شيئًا مثل هذا. لكن ما علاقة الضرائب بالاجتماع في ثانيد؟».
- تمتم المصرفي: «دائمًا ما يحدث شيء ما بعد اجتماعاتكم. هذه المرة، أمل أن يكون العكس. أمل أن اجتماعكم سيقف ما يحدث. سأكون مسرورًا جدًا إذا توقفت، على سبيل المثال، هذه التقلبات الغريبة في الأسعار».
- تحدّث بوضوح أكثر.

ارتاح القزم على الكرسي وشبك أصابعه على بطنه الذي غطته لحيته.

قال: «أعمل في مهنتي منذ بضع سنوات. سنوات طويلة بما يكفي لأتمكن من ربط بعض تحركات الأسعار ببعض الحقائق. وفي الآونة الأخيرة، ارتفعت أسعار الأحجار الكريمة كثيرًا. لأن الإقبال عليها كبير».

- هل تُحوّل الأموال إلى جواهر لتجنب الخسائر بدافع تقلبات الأسعار وتكافؤ العملات النقدية؟

- نعم. للأحجار مزية كبيرة أخرى أيضًا. صرة صغيرة من الماسات تزن بضع أونصات تساوي قيمة خمسين جريفة، وهذا المبلغ من القطع النقدية يزن خمسة وعشرين رطلًا ويشغل كيسًا ضخمًا. ويمكن للمرء الهرب والصرة الصغيرة في جيبه أسرع بكثير من حمله كيسًا على الكتف. وتكون يداه طليقتين، وهذا مهم أهمية لا يمكن إنكارها. ويمكن للمرء أن يمسك بيد زوجته، وإذا لزم الأمر يمكنه أن يهبش بيده الأخرى شخصًا ما.

ضحكت سيري بصوت خافت، لكنّ ينيفر أسكتتها بنظرة مخيفة.

رفعت رأسها: «إذن، يوجد بعض الأشخاص الذين قد استعدوا للهروب سابقًا. إلى أين يا ترى؟».

- أعلى أسعار العملات في الشمال البعيد. هنجفورس، كوفير، بوفيس. أولًا، لأنها بعيدة فعليًا، ثانيًا، لأن هذه البلدان محايدة ولها علاقات جيدة مع نيلفجارد.

الابتسامة الخبيثة لم تختف من شفتي الساحرة: «أفهم ذلك. إذن، الجواهر في الجيب، الزوجة من يدها، وإلى الشمال... أليس الوقت مبكرًا جدًّا؟ آخ، لا يهم. ما الذي يرتفع سعره أيضًا، يا مولنار؟».

- القوارب.

- ماذا؟

كرر القزم وابتسم كاشفًا عن ضواحه: «القوارب. كل بنائي القوارب الساحليين يصنعون قوارب يطلبها ضباط الإمداد لجيش الملك فولتيس. ضباط الإمداد يدفعون جيدًا ويقدمون طلبات جديدة دونما انقطاع. إذا كان

لديك رأس مال فائض، يا نينفر، فاستثمري في القوارب. شغل يد زهبا. تصنعين زورقا من القصب واللحاء، وتقدمين فاتورة على أنه قارب كبير من خشب الصنوبر من النخب الأول، وتقتسمين الأرباح مع ضابط الإمداد مناصفة...».

- جيانكاردي، لا تتهمكم.. قل ما الأمر بالضبط.

تكلم المصرفي بفتور، ناظرا إلى السقف: «هذه القوارب. تنقل إلى الجنوب. إلى سودن وبروجي، على نهر ياروجا. لكن مما أعلم، لا تُستخدم لصيد الأسماك في النهر. تُخفى في الغابات على الضفة اليمنى. على ما يبدو، إن الجيش يتدرب ساعات طويلة على الصعود والنزول منها. لكن حتى الآن في البر فقط.»

عضت نينفر على شفتيها: «أها. لكن، لماذا يستعجل بعض الناس الذهاب إلى الشمال؟ ياروجا في الجنوب.»

تمتم القزم، مسترقا النظر إلى سيرى: «يوجد خوف مسوَّغ من أن القيصر إمهير فار إمريس لن يكون مبهورا بخبر أن القوارب المذكورة قد أطلقت في الماء. يعتقد بعض الناس أن إطلاقها قد يغضب إمهير، وعندئذ من الأفضل أن يكون المرء أبعد ما يكون عن حدود نيلفجار... اللعنة، فقط حتى الحصاد. عند انتهاء الحصاد، سأتنفس الصُعداء. إن كان سيحدث شيء ما، فسيحدث قبل الحصاد.»

قالت نينفر ببطء: «المحاصيل ستكون في المخازن.»

- نعم، صحيح. من الصعب رعي الخيول في الحقول المحصودة، والقلاع ذات المخازن الممتلئة يطول حصارها... حالة الجو تلائم المزارعين والمحاصيل تبشر بخير وفير... نعم، الجو غاية في الجمال. الشميسة تشع دفئا، والفطر ينتظر المطر عبثا... ونهر ياروجا في دول أنجرا ضحل جدا... سهل عبوره. في كلا الاتجاهين.

- ولماذا دول أنجرا؟

مسد المصرفي لحيته، حادجا الساحرة بنظرة خاطفة: «آمل أن أستطيع أن أثق بك؟».

- كنتَ دائماً تستطيع، يا جيانكاردي. ولم يتغير شيء.

تكلم القزم ببطء: «دول أنجرا هي ليريا وأيدرن المتحالفتان مع تيميريا عسكرياً. لعلك لا تظنن أن فولتيس، الذي يشتري القوارب، ينوي استخدامها من تلقاء نفسه؟».

قالت الساحرة ببطء: «لا. لا أظن ذلك. أشكركَ على هذه المعلومات، يا مولنار. من يدري، قد تكون محقاً؟ ربما ننجح في المؤتمر في التأثير في مصير العالم وساكنيه من الناس؟».

نفخ جيانكاردي قائلًا: «لا تنسوا الأقسام. ومصارفهم».

- سنحاول. وإننا في هذا الصدد...

- أستمع إليك بانتباه.

- لديَّ نفقات، يا مولنار. وإذا سحبتُ شيئاً من حسابي لدى الفيفالديين، فسيكون أحدهم مستعداً للغرق من جديد، لذا...

قاطعها القزم: «ينيفر، لكِ عندي ائتمان غير محدود. المذبحة في فينجربيرج حدثت منذ زمن طويل جداً. ربما نسيت، لكنني لن أنسى أبداً. لا أحد من أسرة جيانكاردي سينسى. كم تحتاجين؟».

- ألف وخمسمئة أورين تيميري، بتحويل إلى فرع سيانفانيللي في إيلاندر، لمصلحة معبد مليتيلي.

- تم. تحويل جميل، إن التبرعات للمعابد معفاة من الضرائب. وماذا أيضاً؟

- كم يُدفع الآن للرسوم الدراسية سنوياً في مدرسة أريتوزا؟

سيرى أرهفت سمعها.

قال جيانكاردي: «ألف ومئتي كورونة نوفجرادية. ويضاف إلى الطلاب

الجدد رَسْم التسجيل، بما يقارب المئتين».

- زادتِ التكلفة، اللعنة.

- ارتفع ثمن كل شيء. لا يُبخل بشيء على الطالبات، يعشن في أريتوزا كالأميرات. وبفضلهنَّ تعيش نصف المدينة، الخياطون، والأساكفة، وصانعو الحلوى، والمُورِّدون...

- أعلم. أودع ألفين في حساب المدرسة. باسم مجهول. مع التوكيد أنها مخصصة لرسم التسجيل وللرسوم الدراسية... من أجل طالبة واحدة. وضع القزم الريشة جانباً، نظر إلى سيري، وابتسم متفهماً. سيري التي تظاهرت بتقليب صفحات الكتاب، كانت تستمع باهتمام.

- أهذا كل شيء، يا ينيفر؟

- وأيضاً ثلاثمئة كورونة نوفجرادية لي، نقداً. سأحتاج إلى ثلاثة أثواب على الأقل من أجل المؤتمر في ثانيد.

- ولمَ تحتاجين إليها نقداً؟ سأعطيك صكاً مصرفياً. بقيمة خمسمئة. أسعار الأنسجة المستوردة ارتفعت أيضاً ارتفاعاً جهنمياً، وأنت على أي حال، لا ترتدين الصوف أو الكتان. وإذا كنت في حاجة إلى شيء، لك أو للطالبة المستقبلية في مدرسة أريتوزا، فمتاجري ومستودعاتي مشرعة أبوابها لك.

- أشكرك. على أي نسبة سنتفق؟

رفع القزم رأسه: «النسبة دفعتها لأسرة جيانكاردي مقدماً، يا ينيفر. في أثناء المذبحة في فينجربيرج. دعينا لا نتحدث عن ذلك بعد الآن».

- لا أحب مثل هذه الديون، يا مولنار.

- وأنا أيضاً. لكنني تاجر، قزم أعمال. أعلم ما هو الالتزام. أعرف قيمته. أكرر، دعينا لا نتحدث عن ذلك بعد الآن. الأمور التي طلبتها، يمكنك أن تعديها مقضية. والأمور التي لم تطلبها، أيضاً مقضية.

رفعت ينيفر حاجبها.

ضحك جيانكاردي ضحكة خفيفة: «أحد الويتشريين المقربين منك زار مدينة دوريان منذ وقت قريب. أبلغت بأنه اقترح هناك من أحد المرابين مئة كورونة. ذاك المرابي يعمل لمصلحتي. سأعفيه من هذا الدين، يا ينيفر».

ألقت الساحرة نظرة على سيري، وعوجت فمها بقوة.

قالت ببرود: «مولنار، لا تدس أصابعك بين مصراعي باب تعطلت مفصلاتته. أشك في أنه لا يزال يعدني مقربة، وإذا علم بإعفائه من الديون،

فسيكهرني إلى أبد الآبدين. إنك تعرفه، هو يحرص على الشرف إلى حد الهوس. هل كان في دوريان منذ مدة طويلة؟“.

- منذ نحو عشرة أيام. ثم شوهدَ في المرح الرطب الصغير. من هناك، كما أُبلغتُ، ذهب إلى هيروندم، لأن المزارعين فيها عهدوا إليه لديه بمهمة. كالعادة، ثمة وحش يجب قتله...

تغير صوت ينيفر قليلاً: «ولقاء القتل، كالعادة، ستُدفع له قروش قليلة، وكالعادة، تكاد لا تكفي تكاليف العلاج، إذا جرحه الوحش. كالعادة. إذا كنت تريد حقاً أن تفعل شيئاً من أجلي، يا مولنار، فانخرط في هذا. تواصل مع مزارعي هيروندم وزد المكافأة. بطريقة تمكنه أن يكسب ما يكفي للعيش». ضحك جيانكاردي: «كالعادة. وماذا لو اكتشف في النهاية ذلك؟“.

رگزت ينيفر عينيها على سيرري، التي كانت تراقب وتستمتع، دون حتى أن تحاول التظاهر بالاهتمام بكتاب فيزيولوجوس.

قالت ببطء: «وممن يمكنه أن يعلم».

خفضتُ سيرري نظرها. ابتسم القزم ابتسامة ذات مغزى، ومسّد لحيته.

- قبل ذهابك إلى ثانيد، هل ستتوجهين نحو هيروندم؟ مصادفة، طبعاً؟

حوّلت الساحرة نظرها: «لا. لن أتوجه. دعنا نغير الموضوع، يا مولنار».

مسّد جيانكاردي لحيته مجدداً، ونظر إلى سيرري. خفضتُ سيرري رأسها،

وتنحنحت، وهي تدور على الكرسي.

أكد: «صحيح. حان الوقت لتغيير الموضوع. لكن من الواضح أن تلميذتك تشعر بالملل من الكتاب... ومن حديثنا. وما أريد التحدث معك عنه الآن سيشعرها بالملل أكثر، كما أظن... مصاير العالم، ومصاير الأقرام في هذا العالم، ومصاير مصارفهم، يا له من موضوع ممل للفتيات الشابات، خريجات أريتوزا في المستقبل... أطلقها قليلاً من تحت جناحك، يا ينيفر. دعها تتجول في المدينة...».

صرختُ سيرري: «أوه، نعم!».

امتعضتِ الساحرة وفغرت فمها لتحتجّ، لكنها غيرت رأيها فجأة. لم تكن سيري متيقنة، لكن بدا لها أن الغمزة الطفيفة، التي رافقت اقتراح المصرفي، كان لها تأثير في هذا القرار.

أضاف جيانكاردي مبتسمًا ابتسامَةً عريضة: «دعي الفتاة تستمتع بروعة المدينة العتيقة جورس فيلين. يلزمها قسط من الحرية قبل... أريتوزا. ونحن سندردش هنا عن بعض الأمور... هممم الأمور الشخصية. لا، لا أقترح أن تتجول الفتاة وحدها، مع أن المدينة آمنة. سأخصص لها رفيقًا وراعيًا. أحد كتبتي الشباب...».

لم تردّ ينيفر على الابتسامة: «معذرة، يا مولنار، لكن لا يُخِيل إليّ أن مرافقة قزم في أيامنا هذه، حتى في مدينة آمنة...».

استنكر جيانكاردي: «لم يخطر ببالي بتاتًا، أن يكون قزمًا. الكاتب الذي أتحدث عنه هو ابن تاجر محترم، إنسان على أكمل وجه، حسب تعبيرِي. أظننت أنني هنا أوظف الأقزام فقط؟ هي، يا ويلفلي! نادِ قابيو لتأتِ إلى هنا في الحال».

اقتربتِ الساحرة منها وانحنت قليلًا: «سيري. لكن، دون أي حماقات، لكي لا أضطر إلى الشعور بالخجل. واكتمي لسانك أمام الكاتب، هل تفهمين؟ عديني أنك ستنتبهين إلى أفعالك وكلماتك. لا تومئي برأسك. الوعود تعطى ملء الصوت».

- أعدك، سيدة ينيفر.

- انظري أيضًا إلى الشمس أحيانًا. ستعودين في الظهيرة. في الوقت تمامًا. وإذا... لا، لا أعتقد أن أحدًا سيعرفك. لكن إذا رأيت أن أحدًا يراقبك بشدة...

مدتِ الساحرة يدها إلى جيبها، وأخرجت حجرَ عقيق أخضرَ صغيرًا مُعلّمًا بحروف رونية، مصقول على شكل ساعة رملية.

- ضعيه في محفظتك. لا تضيعيه. عند الحاجة... تتذكرين التعويذة؟ لكن حذريها خفية، إن تفعيلها يترك صدى قويًا، والتيممة المفعلة ترسل موجات. إذا صادفتِ بقربك شخصًا حساسًا تجاه السحر، ستكشفين

عن نفسك بدلاً من التخفي. أها، خذي هذا أيضًا... إذا أردت أن تشتري شيئاً.

- شكرًا لك، سيدتي ينيفر.

وضعتُ سيرى التميمة والنقود في محفظتها، ونظرت باهتمام إلى الفتى الراكض إلى المكتب. كان الفتى ذا وجه منمّش، وشعر كستنائي متموج يتدلى على الياقة العالية لزيه الرمادي، الخاص بالكتبة.

قدمه جيانكاردي: «فابيو ساكس».

انحنى الفتى بأدب.

- فابيو، هذه السيدة ينيفر، ضيفتنا الجلييلة وزبونتنا المقدّرة. وهذه الآنسة، التي في رعايتها، تتمنى أن ترى المدينة. سترافقها، وتكون دليلها وراعيها.

انحنى الفتى مرة أخرى، هذه المرة وجه انحناءته بوضوح نحو سيرى.

قالت ينيفر ببرود: «سيرى. انهضي، من فضلك».

وقفت سيرى، متفاجئة قليلاً، لأنها كانت تعرف أن العرف لا يتطلب ذلك. وفهمت على الفور. ومع أن الكاتب بدا أن له من العمر مثل ما لها، كان أقصر منها بقدر الرأس.

تكلّمت الساحرة: «مولنار. مَنْ هنا سيرعى مَنْ؟ ألم يكن بإمكانك تكليف شخص ذي مقاسات أكبر قليلاً بهذه المهمة؟».

احمر وجه الفتى ونظر إلى رئيسه نظرة استفهام. أوماً جيانكاردي برأسه إيماءة سماح. انحنى الكاتب مرة أخرى.

باح بسلاسة ودون حرج: «سيدتي المكرمة، ربما لستُ كبير الحجم، لكنّ يمكن الاعتماد عليّ. أعرف المدينة وضواحيها والمنطقة بأكملها جيّداً. سأعنتني بهذه الآنسة بأفضل ما أستطيع. وعندما أقوم، أنا فابيو ساكس الأصغر، ابن فابيو ساكس، بشيء بأفضل ما أستطيع، ف... فلن يضاھيني كثيرون ممن هم أكبر حجماً مني».

نظرت ينيفر إليه لحظة، ثم التفتت نحو المصرفي.

قالت: «أهنتك، يا مولنار، تعرف كيف تختار موظفيك. سوف يجلب لك هذا الكاتب الأصغر سنًا الفرخ في المستقبل. حقًا، إن المعدن ذا العيار الجيد يرنُّ بصوت عالٍ عند طرقه. سيري، بكل ثقتي أضعك تحت رعاية فابيو، ابن فابيو، لأنه رجل جاد وجدير بالثقة.»

احمرَّ الفتى حتى بصيلات شعره الكستنائي. شعرت سيري أنها تحمرُّ أيضًا.

فتح القزم صندوقًا صغيرًا، وفَتَّش في محتوياته التي راحت ترنُّ: «فابيو، خذْ نصف قرش وثلاث... ومخمَّستين. في حال كانت لدى الأنسة أي رغبات. وإن لم تكن، أعدها. حسنًا، يمكنكما الذهاب.»

ذُكرتها ينيفر: «سيري، عند الظهيرة. لا تتأخري لحظة واحدة.»

- أتذكر، أتذكر.

- قال الفتى حالما انطلقا لينزلا من الدرج، وخرجا إلى شارع مزدحم: «اسمي فابيو. وأنتِ تُسمَّين سيري، أليس كذلك؟»

- بلى.

- سيري، ماذا تريدان أن تزوري في جورس فيلين؟ الشارع الرئيس؟ زقاق الصاغة؟ الميناء البحري؟ أم ربما الساحة والسوق الموسمي؟

- كل شيء.

قلق الفتى: «هممم... وقتنا محدود حتى الظهيرة... من الأفضل أن نذهب إلى ساحة البلد. اليوم يوم تسوق، سيمكنك رؤية الكثير من الأشياء المثيرة هناك! وقبل ذلك، سنصعد على السور الذي يطلُّ على الخليج بأكمله وعلى جزيرة ثانيد الشهيرة. ما رأيك؟»

- لنذهب.

سارت العربات مجلجلة في الشارع، ودبت الخيول والثيران، ودحرج النجارون البراميل الخشبية، وطغى الصخب والاستعجال في كل مكان. دُهِلَتْ سيري من الحركة والفوضى بعض الشيء، ونزلت بخشونة من الرصيف الخشبي وغاصت في الوحل والروث حتى كعبوها. أراد فابيو أن يضع يده تحت ذراعها، لكنها أفلتت.

- أَسْتَطِيعُ المشي وحدي!

- هممم... حسنًا، إذن فلنمضِ. هنا، حيث نحن الآن، شارع المدينة الرئيس. يُسمَّى كارديو ويربط البوابتين، الرئيسة والبحرية. انظري، من هنا يمكن الذهاب إلى دار البلدية. أترين ذاك البرج الذي عليه الدُويك الذهبي؟ هذه هي دار البلدية. وهناك، حيث عُلقَت اللافتة الملونة، نُزل «تحت المشد المفكوك». ولكن هناك، هممم... لن نذهب إلى هناك. سنذهب من هنا، نختصر الطريق خلال سوق السمك، الذي يقع في الشارع الدائري.

انعطفًا إلى الزقاق وخرجًا مباشرة إلى ساحة صغيرة محشورة بين جدران المنازل. كانت الساحة مليئة بالأكشاك، والبراميل، والقصاص التي انبعثت منها رائحة سمك قوية. كان الاتجار لا يزال نشطًا وصاخبًا، وقد حاول البائعون والمشترون أن تغطي أصواتهم على صراخ النوارس التي تدور محلقةً عاليًا. جثمت القطط عند السور، متظاهرة أنها ليست مهتمة بالأسماك على الإطلاق. قال فابيو فجأة، وهو يسير قُدماً بين الأكشاك: «سيدتك صارمة جدًا».

- أعلم.

- ليست قريبة لكِ مقربة، صحيح؟ يمكن معرفة ذلك على الفور!

- حقًا؟ وكيف تعرفه؟

قال فابيو بصراحة قاسية وعفوية كعفوية فتى شاب: «إنها جميلة جدًا». استدارت سيرتي بسرعة كالنابض، لكن قبل أن تتمكن من إتحاف فابيو بملاحظة لاذعة تتعلق بنمش وجهه وطوله، أفلح في جرّها بين العربات والبراميل والأكشاك، موضحًا في الوقت عينه أن البرج الدفاعي المرتفع فوق الساحة الصغيرة يُسمى برج اللصوص، وأن الحجارة المستخدمة في بنائه جاءت من قاع البحر وأن الأشجار التي تنمو تحته تُسمى أشجار الدلب. صرح فجأة: «سيرتي، أنتِ قليلة الكلام جدًا».

تظاهرت بالدهشة: «أنا؟ غير ممكن! فقط أصغي بانتباه إلى ما تقول. أنتَ تحكي أشياءً مثيرةً جدًا، هل تعلم؟ وقد أردتُ أن أسألك...».

- أستمعُ، أسألي.

- أبعيدة من هنا... مدينة أريتوزا؟

- كلا، ليست بعيدة بتاتاً! فأريتوزا ليست مدينة مطلقاً. لنصعد إلى السور، سأريك. أوه، السِّلَم هناك.

كان السور مرتفعاً والسِّلَم منحدرًا بشدة. تعرق فاييو ولهث، وهذا ليس غريبًا، لأنه ظل يتحدث طول الوقت. علمتُ سيري أن السور المحيط بمدينة جورس فيلين بناء غير قديم، وأحدث بكثير من المدينة نفسها، التي شيدها الإلفيون، وأن ارتفاعه يبلغ خمسة وثلاثين قدمًا، وأن ما يُسمى بسور المَكْمَن مصنوع من الحجر المقطوع والطوب غير المحروق، لأن هذا النوع من المواد أكثر مقاومة لضربات المدق.

هَبَّ عليهما نسيمٌ بحريٌّ منعشٌ، مُرحَّبًا بهما في أعلى القمة. تنفستُ سيري بفرح بعد ضغط هواء المدينة الخانق والراكد. أسندتُ مرفقيها إلى حافة السور، ناظرة من الأعلى إلى الميناء المزدان بالأشعة الملونة.

- ما هذا، يا فاييو؟ هذا الجبل؟

- جزيرة ثانيد.

بدتِ الجزيرة قريبة جدًا. وما كانت تشبه الجزيرة. بدتُ كمثل عمود حجري عملاق مغروس في قاع البحر، زقورة كبيرة محاطة بطريق حلزونية متعرجة، وبمنعرجات أدراج، وبشرفات. اخضرتِ الشرفات من جراء الأشجار والحدائق، وبرزت من الخضرة الملتصقة بالصخور كأعشاش السنونو أبراج بيضاء طويلة وقباب مزخرفة، تتوج مجمعات المباني المحاطة بالأروقة. لم تترك هذه المباني انطباعًا بأنها مبنية. لقد بدتُ أنها محفورة في سفوح هذا الجبل البحري.

أوضح فاييو: «كل هذا بناه الإلفيون. ويُقال إنه جرى باستخدام السحر الإلفي. ولكنَّ ثانيد كانت ملكًا للسحرة منذ عهود غابرة. بالقرب من القمة، حيث تلك القباب اللامعة، يقع قصر جارستانج. فيه سيبدأ مؤتمر السحرة الكبير بعد بضعة أيام. وهناك في القمة تمامًا، انظري، ذلك البرج العالي الوحيد بشرفاته المفرجة، هو تور لارا، برج النورس...».

- هل يمكن الوصول إلى هناك برًّا؟ إنه قريب جدًا.

- نعم. هناك جسر يربط شاطئ الخليج بالجزيرة. نحن لا نراه لأن الأشجار تحجبه. أترين تلك الأسطح الحمراء عند سفح الجبل؟ إنه قصر لوكسيا. إلى هناك يفضي الجسر. لا يمكن بلوغ الطريق المؤدية إلى الشرفات العليا إلا من خلال لوكسيا...

- وهناك، حيث الأروقة البديعة والجسور؟ والحدائق؟ كيف تمسك بالصخور دون أن تسقط... ما هذا القصر؟

- إنها أريتوزا، التي سألت عنها. هناك تقع المدرسة الشهيرة للساحرات الشابات.

لعلقت سيرى شفيتها: «آخ، إذن هناك... فابيو؟».

- نعم، أسمعك.

- هل ترى أحياناً الساحرات الشابات، اللاتي يتعلمن في هذه المدرسة؟ في أريتوزا هذه؟

نظر الفتى إليها مشدوهاً تماماً.

- لا أبداً! لا يراهن أحد! لا يُسمح لهنّ بمغادرة الجزيرة والخروج إلى المدينة. ولا أحد يمكنه دخول أرض المدرسة. حتى الكونت ومأمور التنفيذ، إذا كان لديهما قضية عند الساحرات، لا يمكنهما الذهاب إلا إلى لوكسيا. إلى المستوى الأدنى.

هزت سيرى رأسها، محدقةً إلى أسطح أريتوزا اللامعة: «هكذا ظننتُ. إنها ليست مدرسة، بل سجن. في الجزيرة، على الصخرة، فوق الهاوية. سجن ولا شيء آخر».

اعترف فابيو بعد لحظة من التفكير: «أجل، نوعاً ما. من الصعب الخروج من هناك... لكن لا، هذا ليس كما في السجن. إن المتدربات فتيات شابات. يجب حمايتهنّ...».

- ممّ؟

تلعثم الفتى: «حسناً... أنت تعرفين...».

- لا أعرف.

- هممم... أعتقد... أوه، سيرى، لا أحد يغلق عليهم أبواب المدرسة بالقوة.
هنّ أنفسهنّ يردن ذلك...

ابتسمتُ سيرى بمكر: «طبعًا. يردن ذلك، لذا يقبعن في هذا السجن. لو لم يردن، لما سمحن بأن يُغلق عليهنّ هناك. هذا ليس بالأمر العسير، يكفي الفرار في الوقت المناسب، قبل أن يجد المرء نفسه هناك، وإلا قد يكون الأمر بعد ذلك صعبًا...».

- كيف ذلك؟ الفرار؟ وإلى أين سيذهبن...

قاطعتُه: «ربما لن يكون لهنّ مكان يذهبن إليه، يا للمسكينات. فاييو؟ أين تقع مدينة... هيروندم؟».

نظر إليها الفتى متفاجئًا.

قال: «هيرندوم ليست مدينة. إنها مزرعة كبيرة. فيها بساتين وحدائق توفر الخضراوات والفواكه لكل المدن في المنطّقة. وفيها أيضًا برك لتربية الشبّوط والأسماك الأخرى...».

- كم تبعد هيروندم هذه من هنا؟ وأي طريق تؤدي إليها؟

- ولماذا تريدان أن تعرفي؟

- أرني الاتجاه، رجاء.

- ترين تلك الطريق المتجهة نحو الغرب؟ هناك، حيث تلك العربات؟ من هناك تحديدًا يمكن الذهاب إلى هيروندم. المسافة نحو خمسة عشر ميلًا، وتمتد الغابات دون انقطاع.

كررت سيرى: «خمسة عشر ميلًا. ليست بعيدة، إذا وُجدَ حصان جيد... شكرًا لك، يا فاييو».

- علامَ تشكرينني؟

- لا يهم. الآن خذني إلى السوق. لقد وعدتني.

- فلنذهب.

لم ترَ سيرى من قبل مثل هذا الزحام، والضجيج الذي عمّ ساحة جورس فيلين. سوق السمك الصاخب الذي مرّا به قبل قليل ولّد انطباعًا بأنه معبد

صامت، مقارنةً بهذه الساحة. كانت في الحقيقة هائلة الحجم، ومع ذلك بدا لها أنهما سيتمكنان، على أكثر تقدير، من المراقبة من بعيد، لأن الوصول إلى مِنطَقَة السوق الموسمية كان أشبه بحلم بعيد المنال. بيد أن فابيو شق طريقه بإقدام خلال الجمع الحاشد، شادًا إياها من يدها. أحسَّت سيري بدُّوار في رأسها على الفور.

كان الباعة يصيحون، والمشترون يصيحون بصوت أعلى، والأطفال الضائعون في الزحام يَعُولون وينتحبون. كانت الماشية تخور، والأغنام تنغو، والدواجن تنقُ وتصقع. كان الحرفيون الأقزام يضربون بالمطارق على صفائح حديد بعناد، وعندما يُوقِفون الطرُق ليشربوا، يبدؤون في التلُفُظ بالشتائم البذيئة. انبعثت أصوات المزامير، والغزلات، والسناطير، من عدة نقاط في الساحة، حيث كان المغنون المتجولون والموسيقيون، كما بدا، يعزفون. وما زاد الطين بِلَّةً، أن شخصًا غير مرئي وسط الجمهرة، كان ينفخ في بوق الزرنة النحاسي دون توقف. بالتأكيد لم يكن موسيقيًا.

قفزت سيري جانبًا متفادية خنزيرًا كان يركض بسرعة مخنخنا خنخنة حادة، فاصطدمت بأقفاص دجاج. وداسَت إثر اصطدامها شيئًا كان لينًا وينبعث منه مواء. قفزت بعيدًا، ولم تفصلها سوى شعرة من الوقوع تحت حوافر حيوان ضخم، كرية الرائحة، مقزز، مثير للرعب، شتت الناس بجنيبه المشعرين.

أنت، محاولة استعادة توازنها: «ماذا كان ذاك؟ فابيو؟».

- جمل. لا تخافي.

- لا أخاف! وممَّ أخاف!

أجالت النظر بفضول. تفحصت أعمال الأقزام وهم يصنعون أمام الجمهور قَرَبًا للزينة من جلد الماعز، فبُهِرَتْ بالدمى الجميلة التي كان يعرضها زوجان من أنصاف الإلفيين على إحدى المناضد. شاهدت مصنوعاتٍ من الدهنج واليشب يعرضها للبيع جنوم كئيب ونزق. تفحصت السيوف في مشغل صانع السلاح باهتمام ومعرفة. راقبت الفتيات اللاتي كن يصنعن السلال من أعواد الصفصاف، ووصلت إلى استنتاج مفاده أن لا شيء أسوأ من العمل. توقف النافخ في آلة الزرنة عن النفخ. ربما قُتل.

- ما هذه الرائحة الشهية هنا؟

تحسس فابيو محفظته: «لقيمات. هل ترغبين في تناول واحدة منها؟».

- أرغب في تناول اثنتين.

ناوله البائع ثلاث لقيمات، تناول قطعة نقود خُمسية وأعاد أربع قطع نحاسية، كسر إحداها إلى نصفين. سيرى، التي بدأت تستعيد توازنها، راقبت عملية الكسر بشراهة وهي تلتهم اللقيمة الأولى.

سألت وهي تهتمُّ بالتهام الثانية: «هل هذه المقولة أصلها من هنا: 'لا يساوي حتى قرشاً مكسوراً'؟».

بلع فابيو لقيمته: «من هنا. لا توجد، أصلاً، قطع نقدية أصغر من القرش. هل أنصاف القروش لا تُستخدم في بلدك الأصلي؟».

لعلقتُ سيرى أصابعها: «لا. في البلد الذي أنحدر منه، كانت تستخدم الدوكات الذهبية. لذلك فإن هذا الكسر بكامله كان غير ضروري ولا معنى له».

- لماذا؟

- لأنني أرغب في تناول لقيمة ثالثة.

فعلتِ اللقيمات المحشوة بمربي البرقوق فعلها كأروع إكسير. تحسَّن مزاج سيرى، وما عادت الساحة الصاخبة تُرعبها، بل بدأت تثير الإعجاب. لم تعد تسمح لفابيو بأن يجرجرها خلفه، وصارت تجره هي إلى الزحام الأكبر، نحو مكان كان يخطب منه شخص اعتلى منبراً رُكِّبَ بارتجال من مجموعة براميل. كان المتحدث رجلاً سميناً متقدماً في السن. من رأسه الحليق وردائه الرمادي البني، عرفت سيرى أنه كاهن متجول. لقد رأت من هم مثله من قبل، كانوا يزورون أحياناً معبد مليتيلي في إيلاندر. لم تكن الأم نينيكي تقول عنهم شيئاً آخر إلا «أولئك الحمقى المتعصبون».

زمجر الكاهن السمين: «يوجد قانون واحد في العالم! القانون الإلهي! الطبيعة بأكملها تخضع لهذا القانون، والأرض كاملة وكل ما يعيش على هذه الأرض! أما السحر والشعوذة فهما يعارضان هذا القانون! لذلك فإن السحرة ملعونون، ويوم الغضب قريب، الذي ستُدْمَر فيه النار الساقطة من السماء

جزيرتهم النجسة! ستنهار حينئذ أسوار لوكسا، وأريتوزا، وجارستانج، التي يجتمع خلفها هؤلاء الوثنيون ليحوكوا مكايدهم! ستنهار هذه الأسوار...».

تمتم عامل البناء الواقف بجانب سيرى، والمرتدي معطف العمل المتسخ بالجير: «ولا بُدَّ من تشييدها من جديد، تَبًّا للكلاب».

صرخ الكاهن بحدة: «أنبهكم أيها الناس الطيبون والمتقون، لا تصدقوا السحرة، ولا تتوجهوا إليهم لا لنصيحة ولا لطلب! لا تدعوا مظهرهم الجميل، أو كلامهم السلس، يخدعكم، فإنني أقول لكم حقًا، إن هؤلاء السحرة يشبهون القبور المُبَيَّضة، جميلة من الخارج، ولكنها من الداخل، مليئة بالعفن والعظام الرميم!».

قالت شابة تحمل سلَّة مليئة بالجزر: «لقد رأيتموه، ما أقواه في الكلام. ينبح على السحرة لأنه يحسدهم، هذا كل ما في الأمر».

وافق البناء: «بالتأكيد. انظروا، وحده رأسه أصلع كبيضة وبطنه الكبير يتدلى حتى ركبتيه. أما السحرة الوسيمون، فلا يسمنون ولا يصلعون... أما الساحرات، ها، فهنَّ الجمال عينه...».

صرخ شخص قصير وخلف حزامه مطرقة إسكاف: «لأنهنَّ بعنَّ أرواحهنَّ للشيطان مقابل هذا الجمال!».

- أنت أحمق، يا صانع الأحذية. لولا السيدات الطيبات من أريتوزا، لكنت الآن مفلسًا! فضلهنَّ لديك ما تلتهمه!

شد فابيو سيرى من كمها، وانغمسا مجددًا في الحشد الذي حملهما نحو مركز الساحة. سمعا قرعًا على الطبل وصيحات صاخبة تدعو إلى الصمت. ولم يفكر الحشد في الصمت، ولكنَّ ذلك لم يمنع المنادي من مواصلة الكلام من على المنصة الخشبية. كان صوته قويًا ومدرِّبًا ويعرف كيف يستخدمه.

زمجر بعد أن فتح لفافة من الرُّق: «يُعلن على الجميع أنَّ هوجو أنسباخ، من سلالة الهوبيت، أصبح خارج القانون، لأنه آوى في منزله الإلفيين الأشرار الذين يسمون أنفسهم السناجب وقدم لهم الضيافة. وكذلك الحدَّاد يوستين إنجفار، من سلالة الأقزام، الذي صنع لهؤلاء الأوغاد رؤوس السهام. وبناء على ذلك، يعلن الكونت أنهما مذنبان ويأمر بمطاردتهما. ولمن يقبض عليهما

مكافأة: خمسون كورونة نقدًا. ومن يقدم لهما طعامًا أو مأوى، فسيعُدُّ شريكًا لهما في الذنب وسيعاقب بالعقوبة نفسها التي ستلحق بهما. وإذا قُبض عليهما في ناحية أو مدينة، ستدفع الناحية بأكملها أو القرية الثمن...».

صرخ شخص من بين الجمع المحتشد: «ومن الذي سيقدم للهوبيت مأوى! فليبحثوا في مزرعتيهما وسيجدون هذين، اللذين من غير البشر، وليدفعوا بهما إلى الحفرة!».

- إلى المشنقة، لا إلى الحفرة!

بدأ المنادي بقراءة المزيد من بلاغات الكونت ومجلس المدينة، ففقدت سيرى اهتمامها. ولما عزمَتْ على التحرر من الجمع المحتشد، أحسَتْ فجأة بيد على مؤخرتها. يد وقحة وفائقة المهارة، ولم تكن عفوية على الإطلاق. الازدحام، كما بدا، عاقَ الالتفافَ، لكنَّ سيرى تعلمت في كاير مورهيْن كيف تتحرك في الأماكن التي يصعب التحرك فيها. التفت، متسببةً في بعض الاضطراب. ابتسمَ الكاهن الشاب حليق الرأس، الذي كان واقفًا خلفها مباشرة، ابتسامةً متغطسةً ومُدْرَبَةً. وقالت الابتسامة: وماذا ستفعلين الآن؟ ستحمرين حمرةً بديعةً، وينتهي الأمر بهذه الحمرة، أليس كذلك؟

من الواضح أن الكاهن لم يتسنَّ له التعامل مع تلميذة ينيفر قطً.

زعقت سيرى، وقد شحبت من الغضب: «ارفع يديك عني، يا أصلع الرأس! أمسك مؤخرتك، أيها المنافق الكذاب!!!».

مستفيدة من أن الكاهن المحبوس في الزحام لا يستطيع التحرك، اعتزمت سيرى أن تركله، لكنَّ فاييو أحبط ذلك، ساحبًا إياها بسرعة، بعيدًا عن الكاهن وموقع الحادث. عندما لاحظ أنها ترتجف من الغضب، هدأها بتقديم بضع كعكات مقلية مغطاة بالسكر المطحون، وعند رؤيتها نسيت الحادث على الفور. وقفوا عند كشك في المكان الذي أطلُّوا منه على المقصلة والمُشَهَّرَة. لكن، لم يكن أي مجرم في المُشَهَّرَة، وكانت المنصة نفسها مُزَيَّنة بأكاليل الزهور، وتخدم مجموعة من موسيقيين متجولين لباسهم ملون كاللبغاوات، يعزفون ارتجالياً على آلات العُزلة، وينفخون في مزمار القربة والقصبات. كانت شابة سوداء الشعر، ترتدي صدرية مطرزة بالخرز اللامع، تغني وترقص، وهي تهزُّ الدفَّ وتخطب بحذائها الصغير بمرح.

سارت الساحرة خلال منفسح الغابة، فلدغتها الحيات

نفقت الزواحف كلها، لكنَّ الساحرة بقيت حية!

كان الجمهور المتجمع حول المقصلة يضحك ضحكًا صاخبًا، ويصفق على وقع الإيقاع. قذف بائع الكعك المقلي وجبةً تاليةً في الزيت المغلي. لعق فابيو أصابعه وشدَّ سيرى من كمها.

كانت الأكشاك كثيرة جدًا، وفي كل مكان يُعرض ما لذ وطاب. أكل كل منهما كعكة مع الكريمة، وبعد ذلك تقاسما أنقليسًا مدخنًا، ثم زادا فتناولا شيئًا غريبًا جدًا، مقليلًا ومرصوصًا على عود. بعدئذٍ، توقفا عند براميل الملفوف المخلل وتظاهرا بأنهما يتذوقان كي يشتريا كمية أكبر. حين شبعوا ولم يشتريا شيئًا، وصفتهما بأنهما عجيان.

تابعا سيرهما. اشترى فابيو، بما تبقى له من نقود، سلة صغيرة من الإجاص المعطّرة. نظرت سيرى إلى السماء، لكنها رأت أن وقت الظهيرة لم يحنَّ بعد.

- فابيو؟ ما هذه الخيام والأكواخ هناك تحت الجدار؟

- أشياء ترفيحية متنوعة. هل تريدان أن تري؟

- أريد.

- لم يقفُ أمام الخيمة الأولى سوى رجال ينقلون خطاهم بدأب وهمة. كانت أصوات الناي تنبعث من الداخل.

- «ليلى السمرء... (قرأت سيرى بصعوبة الكتابة العشوائية على النسيج)

تفضح في رقصها كل أسرار جسدها»... يا لها من حماقة! أي أسرار... حثَّها فابيو، وقد احمرَّ وجهه قليلًا: «لنواصل السير، لنواصل السير. أوه، انظري، شيء مثير للاهتمام. هنا تجلس عرافة تتنبأ وتقرأ المستقبل. بقي لديَّ قرشان تمامًا، إنهما يكفیان...».

ردتْ سيرى بحنق: «مضيعة للمال. ما هذا التنبؤ، مقابل قرشين فقط! لتتنبأ، يجب أن تكون عرافة. التنبؤ موهبة عظيمة. حتى بين الساحرات، لا تمتلك مثل هذه القدرات سوى واحدة من بين كل مئة...».

قاطعها الفتى: «تنبأت العرافة لأختي الكبرى بأنها ستتزوج، وقد تحقق ذلك. لا تتذمري، يا سيري. تعالي، لنر ما ستتنبأ لنا به...».

- لا أريد أن أتزوج. لا أريد التنبؤات. الجو حار، وتنفوح من تلك الخيمة رائحة بخور كريهة، لن أدخل إليها. إذا أردت، اذهب وحدك، سأنتظرك. لا أدري، لماذا تحتاج إلى معرفة المستقبل؟ ماذا تريد أن تعرف؟

تأتا فابيو: «حسنًا... أكثر شيء أريده، هو... هل سأتمكن من السفر والارتحال؟ أود أن أرتحل. أجوب العالم بأسره...».

فكرت سيري فجأة وقد أحست بدوار: سيحصل. سيبحر على سفن شراعية بيضاء كبيرة... سيصل إلى بلاد لم يرها أحد قبله... فابيو ساكس، المكتشف... سيُسمى باسمه الرأس البحري، الطرف النهائي من القارة التي ليس لها اسم إلى هذا اليوم. عندما يبلغ من العمر أربعة وخمسين عامًا، وتكون له زوجة، وابن وثلاث بنات، سيموت، بعيدًا عن وطنه وأقربائه... بسبب مرض ليس له اسم إلى هذا اليوم...

- سيري! ما بك؟

مسحت وجهها بيدها. تولد لها انطباع أنها تصعد من قلب الماء، وأنها تسبح نحو السطح من قاع بحيرة عميقة وباردة كالجليد.

تمت، متلفتة حولها وهي تستعيد وعيها: «لا شيء... أصابني دوار في رأسي... بسبب هذا الحر اللاهب. وأيضًا بسبب روائح البخور المنبعثة من الخيمة...».

قال فابيو بجدية: «بالأحرى بسبب ذاك الكرب. أكلنا كثيرًا منه أكثر من اللازم. أنا أيضًا أحس بقرقرة في بطني».

رفعت سيري رأسها بحيوية، وهي تشعر بتحسن فعلي. الأفكار التي عَبَرَتْ رأسها كزوبعة، تبددت وذهبت طي النسيان: «أنا بخير! تعال، يا فابيو، لنواصل السير».

- هل تريدان إجازة؟

- بالتأكيد، أريد.

عند السور، كانت مجموعة من الفتیان يلعبون لعبة الخذروف لكسب النقود. كان يجب أن يُسَيَّر الخذروف، الذي لُفَّ بخيط على نحو دقيق، بحركة دائرية بشده شداً بارعاً وضربه بما يشبه ضربة السوط، كي يرسم دوائر على الحقول المرسومة بالطبشور. كانت سيري تتغلب، في لعبة الخذروف، على معظم الأولاد من جزيرة اسكيليج، وكذلك على جميع المتدربات في معبد مليتيلي. كانت تفكر، عندما لفتت انتباهها فجأة صيحاتُ صاحبة، في خُطَّة للانضمام إلى اللعبة والفوز على هؤلاء الأشقياء وتخليصهم ليس من نقودهم فحسب، بل من سراويلهم المرقعة أيضاً.

في نهاية صف الخيام والأكشاك، حُشِرَتْ حظيرة نصف دائرية غريبة الشكل، أسفل السور والدرج الحجري، أنشِئَتْ من نسيج مشمع مشدود على أعمدة ضخمة. بين عمودين منهما مدخل يسده رجل طويل القامة مجدور الوجه، يرتدي سترَةً مبطنةً وسروالاً مخططاً دُسَّ في حذاء بحّارة. تجمعتُ أمامه حَفنة صغيرة من الناس. بعد إلقاء بضع قطع من النقود إلى راحة يده، كانوا يختفون خلف الغطاء المشمع واحدًا تلو الآخر. كان الرجل ذو الندوب يخبئ المال في كيس خيش كبير، فيخشخشه ويصيح بصوت أجش.

- إيلي، أيها الناس الطيبون! إيلي! سترون بأَم أعينكم أفضع مخلوق خلقته الآلهة! رعب وهول! باسيليقي حي، وحش مخيف سام من الصحاري الزريكانية، شيطان متجسد، أكل شَرِه للحم البشر! أيها الناس، لم تروا من قبل مثل هذا الوحش! قُبِضَ عليه قبل وقت قريب، وجُلِبَ من وراء البحار على متن قارب! شاهدوه، شاهدوا الباسيلق الحيّ الخطِرَ بأَم أعينكم، فلن تروا أبداً مثل هذا الشيء مرة أخرى، في أي مكان! إنها الفرصة الأخيرة! هنا، عندي، مقابل ثلاث خُمسيات فقط! المرأة التي معها أطفال تدفع خمسينتين فقط!

قالت سيري، وهي تكشُّ الزنابير عن الإجاصات: «هاه. باسيليقي؟ وحي؟ لا بد أن أراه. لم أشاهدُ حتى الآن سوى رسومات له. هيا يا فابييو».

- لم يعد لديّ نقود...

- أنا لديّ. سأدفع عنك. هيا، لا تتهيب.

نظر ذو الندوب إلى القطع النقدية التي أُلقيت في يده: «المطلوب ست قطع. ثلاث خُمسيات من الشخص الواحد. السعر المخفَّض للنساء اللواتي معهنَّ أطفال».

أشارت سيرى بإجاصتها إلى فابيو: «هو طفل. وأنا امرأة».

شخر ذو الندوب: «السعر المخفَّض فقط للنساء اللواتي يحملن طفلاً على اليد. هيا، أضيفي خُمسيتين أخريين، أيتها الآنسة الفطنة، أو انصرفي ودعي الآخرين يمرون. أسرعوا، أيها الناس! لم يبقَ إلا ثلاثة أماكن شاغرة!».

خلف الحاجز المصنوع من المشمع، تزاخم عدد من سكان المدينة وهم يُطَوِّقون بحلقة محكمة منصة مكونة من ألواح، يعلوها قفص خشبي مغطى ببساط. بعد إدخال المتفرجين، الذين أكملوا ما كان ناقصاً من عدد الحضور الكلي، وثب ذو الندوب على المنصة، وأخذ عوداً طويلاً وأزاح به البساط. فاحت نتانة جيفة ورائحة زاحف كريهة. همهم الجمهور وتراجعوا قليلاً.

أعلن ذو الندوب: «تصرفون بحكمة، أيها الناس الطيبون. لا تقتربوا كثيراً، لأن هذا ليس آمناً!».

رقدت السحلية الملتفة على هيئة كرة في القفص الذي كان ضيقاً جداً عليها، مغطاة بحراشف داكنة ذات نقوش غريبة. عندما طرق الرجل ذو الندوب القفص بالعود، انتفض الزاحف، وخشخش بحراشفه على القضبان. مدَّ عنقه الطويل وهسهس بحدة، مظهرًا أسنانه البيض الحادة التي تتباين بشدة مع حراشفه المحيطة بغمه، وتكاد تكون سوداء. شهق المتفرجون بصوت عالٍ. اهتاج كلب صغير كثيف الشعر في نباح حاد، وكانت تحمله يدا امرأة يدل مظهرها على أنها تاجرة متجولة.

صاح ذو الندوب: «انظروا بانتباه، أيها الناس الطيبون. وافرحوا لأن مثل هذه المسوخ لا تعيش في ديارنا! هذا هو الباسيليق الرهيب من زُرِيكانيا البعيدة! لا تقتربوا، لا تقتربوا، لأنه حتى إن كان محبوساً في القفص، يمكنه أن يسممكم بأنفاسه وحدها!».

أخيراً، شقَّت سيرى وفابيو الطوق المشكَّل من المتفرجين.

تابع ذو الندوب كلامه من على المنصة، مستندًا إلى العود كحارس يستند إلى المطرَد: «الباسيليق أكثر وحوش العالم سُمية! لأن الباسيليق هو ملك الثعابين جميعها! لو كان الباسيليقيون أكثر عددًا، لصار هذا العالم أثرًا بعد عين! من حسن الحظ، هذا الوحش نادر جدًّا، لأنه يولد من بيضة يضعها ديك. وأنتم، أيها الناس، تعلمون أن ليس كل ديك يبيض، بل فقط الديك النجس الذي يعرض مؤخرته لـديك آخر كما تفعل الدجاجة».

ردَّ المتفرجون بالضحك الجماعي على النكتة الباردة. وحدها سيري لم تضحك، كانت طوال الوقت تراقب بانتباه الوحش، الذي استثاره الضجيج فأخذ يتلوى ويضرب قضبان القفص ويعضها، محاولًا عبثًا أن يبسط أغشية جناحيه المجروحة في المكان الضيق.

تابع ذو الندوب: «البيضة التي يضعها مثل هذا الديك، يجب أن يحتضنها مئة ثعبان وثعبان سام! وعندما يفقس الباسيليق...».

قالت سيري، وهي تقضم إجازة: «هذا ليس باسيليقًا».

شزرها ذو الندوب، ثم تابع كلامه: «...عندما يفقس الباسيليق، أقول، يأكل جميع الثعابين من العش، ويمتص سمومها، لكن لن يلحقه ضرر من جراء ذلك. ويمتلئ هو نفسه بالسم بحيث يمكنه أن يقتل ليس بأسنانه فحسب، ولا حتى بملامسته، بل بأنفاسه وحدها! وعندما يطعن الفارس الباسيليق بالرمح، فإن السمَّ سيسري من خلال قصبه الرمح إلى الأعلى، ويقتل الخيَّال والحصان معًا وعلى الفور!».

قالت سيري بصوت عالٍ، وهي تبصق بذرة إجازة: «هذه أكذوبة كاذبة». اعترض ذو الندوب: «إنها الحقيقة الحقَّة! سيقتل، سيقتل الخيَّال والحصان!».

- طبعًا!

صاحت التاجرة المتجولة صاحبة الكلب الصغير: «اصمتي، يا بُنيَّة! لا تزعجينا! نريد أن نستمتع ونستمع!».

همس فابيو، وهو يلكزها على جنبها لكزة خفيفة: «سيري، توقفي».

صرختُ سيرى في وجهه، وهي تمد يدها إلى سلة الإجاص لتأخذ واحدة أخرى منها.

رفع ذو الندوب صوته وسط الصخب المتزايد بين المتفرجين: «إن كل حيوان يفر من أمام الباسيليق بأقصى سرعة، حالما يسمع هسيسه. كل حيوان، حتى التنين، ماذا أقول، بل حتى الكوكودريل، والكوكودريل حيوان مخيف على نحو لا يصدق، من رآه، يعرف ذلك. حيوان واحد فقط لا يخاف من الباسيليق، هو الدلق. عندما يلحظ الدلق وحشاً في الصحراء، يهرب إلى الغابة بأسرع ما يمكن، وهناك يبحث عن العشب الذي لا يعرفه أحد سواه، ويأكله. حينئذ، يصبح سم الباسيليق غير ثقیل على الدلق، وإذا عضه أحد يمكن أن يؤدي إلى موته في وقت قريب...».

انفجرتُ سيرى ضاحكةً وراحتُ تقلدُ بشفتيها صوتاً مديدًا في غاية عدم اللياقة. ضاق صدر ذي الندوب: «هيه، يا متذاكية! إذا كان لا يروق لك الأمر، فانقلعي من هنا! لا إجبارَ على الاستماع، ولا على النظر إلى الباسيليق!».

- هذا ليس باسيليقًا إطلاقًا.

- حقًا؟ وماذا يكون إذن، أيتها الأنسة المتحذلقة؟

قالت سيرى، وهي تقذف عُقب الإجاصة وتلحق أصابعها: «إنه ويفيرن. ويفيرن عادي. فتّي، وصغير الحجم، وجائع وقذر. ولكنه ويفيرن، وهذا كل ما في الأمر. باللغة الأقدم: فيفرن».

صرخ ذو الندوب: «أوه، انظروا! ما أذكاه وأعلمها هذه التي خرجتُ إلينا! اغلقي فمك، لأنني إذا...».

هتف فتى أشقر الشعر يعتمر قبةً مخمليةً ويرتدي سترَةً مساعدٍ فارس دون شعار النبالة، وتحت ذراعه فتاة شاحبة وناعمة، تلبس ثوبًا بلون المشمش: «مهلاً. على رسلكم، يا حضرة صائد الحيوانات! لا تهددوا النبيلة، وإلا نبهتك بسيقي بسهولة. وإلى ذلك، أشم هنا رائحة خداع!».

انحبستُ أنفاس ذي الندوب: «أي خداع، أيها الفارس الشاب؟ هذه دموع! تكذب هذه المراه... أردتُ أن أقول إن هذه الأنسة النبيلة المنشأ مخطئة! إنه باسيليق!».

كررت سيري: «إنه ويفيرن».

- أي ويفيرن هو! إنه باسيليقي! انظروا فقط، كم هو رهيب، كيف يهسهس، وكيف يعض القفص! وأي أسنان كبيرة له! أسنانه، أقول لكم، مثل الـ...

عبست سيري: «مثل الويفيرن».

حدجها ذو الندوب بنظرة لا يمكن أن يخجل منها باسيليقي حقيقي: «إذا كنت تعلمين كل شيء، اقتربي! ادني منه لينفث نفسه عليك! عندئذ سيري الجميع كيف ستسقطين مزرقة من جراء السم! هيا، اقتربي! سحبت سيري يدها من قبضة فابيو وخطت خطوة إلى الأمام: «بكل سرور». صاح مساعد الفارس الأشقر، تاركًا رفيقته المشمشية وقاطعًا طريق سيري: «لن أسمح بذلك! لا يمكن حدوث ذلك! تعرضين نفسك للخطر الشديد، أيتها السيدة الودودة».

احمرًا قليلًا وجه سيري التي لم يخاطبها أحد بهذا اللقب من قبل، نظرت إلى الشاب ورفّت برموشها بطريقة جربتتها مرات عدّة من قبل مع الكؤيتب جارّ. ابتسمت بإغراء، مخالفة تحذيرات ينيفر التي كانت تذكرها كثيرًا بحكاية الأحق والجبن: «لا خطر البتة، أيها الفارس النبيل. لن يحدث لي شيء. هذا النفس، الذي تزعمون أنه سام، محض افتراء». وضع الفتى كفه على مقبض سيفه: «ومع ذلك، أرغب في أن أكون بجانبك. للحماية والدفاع... هل تسمحين؟».

لم تعرف سيري لماذا يثير فيها تعبير الحنق البادي على وجه الأنسة المشمشية مثل هذه المتعة الكبيرة: «أسمح».

رفع فابيو رأسه ونظر إلى مساعد الفارس بتحدّ: «أنا من يحميها ويدافع عنها! وأنا أيضًا سأسير معها!».

نفشت سيري نفسها ورفعت أنفها: «أيها السادة! مزيدًا من الكرامة. لا تتدافعوا. يوجد ما يكفي للجميع».

تماوجت دائرة المتفرجين وانبعثت منها همهمة، عندما اقتربت سيري من القفص بإقدام، وكادت تحس بأنفاس الفتيتين على رقبتها. صأى الويفيرن

بهاياج وأخذ يتلوى، فهبت على منخريها رائحة زواحف كريهة. زفر فابيو بصوت عالٍ، لكنَّ سيرى لم تتراجع. دنت أكثر ومدت يدها، حتى كادت تلامس القفص. انقض الوحش على القضبان، محاولاً قطعها بأسنانه. تماوج الجمع المحتشد من جديد، وصرخ أحد الأشخاص.

استدارت سيرى واضعةً يديها على خصرها بافتخار: «وماذا بعد؟ هل متُّ؟ هل سمَّني هذا الوحش الذي تزعمون أنه سام؟ إن كان هذا باسيليقي، فأنا...».

توقفت عندما رأت شحوباً مفاجئاً غطى وجهي مساعد الفارس وفابيو. استدارت على الفور ورأت أن قضيبيين من القفص أخذاً ينفصلان تحت وطأة الزاحف الهائج، ليقتلعا المسامير الصدئة من الإطار. صرخت بأعلى صوتهما: «اهربوا! القفص يتخلَّع!».

اندفع المتفرجون نحو المخرَج صائحين. حاول بضعة منهم شق طريقهم خلال الغطاء المشمع، لكنهم علقوا فيه، وتسببوا فقط في إسقاط أنفسهم والآخرين، مُكوِّنين كتلة صارخة. أمسك مساعد الفارس بكثف سيرى تماماً في اللحظة التي حاولت فيها القفز جانباً، وهذا ما أدى إلى انزلاقهما وتعثرهما ثم سقوطهما معاً، وإسقاط فابيو معهما أيضاً. بدأ كُليب التاجرة المتجولة ذو الشعر الكثيف ينبج بشدة، وراح ذو الندوب يتفوَّه بكلمات بذئية، فيما أخذت الأنسة المشمشية، المرتبكة تماماً، تزرق بحدة مرعبة.

تحطمت قضبان القفص تصحبها طقطقة، واندفع الويفيرن إلى الخارج. وثب ذو الندوب من المنصة وحاول إيقافها بالعود، لكنَّ الوحش أسقط العود منه بضربة واحدة من مخالب يده، ثم التفت حول نفسه وساطه بذيله الشائك، مُحوِّلاً خده المجدور إلى عجينة دموية. هبط الويفيرن من المنصة زاعقاً وناشراً جناحيه المجروحين، ومنقضاً على سيرى، وفابيو، ومساعد الفارس، الذين كانوا يحاولون النهوض من على الأرض. أغمى على الأنسة المشمشية وسقطت على ظهرها بطوله. شدت سيرى نفسها لتقفز، لكنها أدركت أن الوقت لن يسعفها.

أنقذهم الكُليب الكثيف الشعر، الذي أفلت من يدي التاجرة المتجولة المقلوبة والمتشابكة مع تنوراتها الست. انقضَّ الكلب على الوحش نابحاً نباحاً

خفيفًا. هسهس الويفيرن، ثم رفع نفسه وداس الكليب المهجن بمخالبه، التف بحركة ثعبانية فائقة السرعة، وغرز أسنانه في رقبته. أن الكلب أنينًا وحشيًا. هبّ مساعد الفارس منتصبًا على ركبتيه ومد يده إلى خصره، لكنه لم يجد مقبض السيف، فقد كانت سيرى أسرع منه. سحبت السيف من غمده بحركة خاطفة، وقفزت في التفاف نصف دائري. رفع الويفيرن رأسه، ورأس الكليب المقطوع يتدلى من فكه المسنن.

جميع الحركات التي تعلمتها سيرى، كما بدا لها، في كايير مورهيين، نُفِذَتْ من تلقاء نفسها، على وجه التقريب، دون إرادتها أو مشاركتها. طعنت الويفيرن المتفاجئ في بطنه، ودارت على الفور في مناورة تفادٍ، والزاحف المنقض عليها سقط على الرمل، ينزف دمًا. قفزت سيرى فوقه، متجنبًا بمهارة ذيله المتمايل، وهوت على عنق الوحش بقوة ودقة وثقة، ثم قفزت إلى الخلف، ونفّذت حركة تفادٍ تلقائية لم تعد ضرورية، وصححت الأمر على الفور، وهذه المرة بضربة قصمت فقراته. التوى الويفيرن وهمد، ولم يعد سوى ذيله الثعباني يتلوى ويتخبط، ناثراً الرمال من حوله.

دفعت سيرى بسرعة السيف المدمى إلى يد مساعد الفارس.

صاحت على الحشد المتجمع وعلى المتفرجين الذين لا يزالون يفكّون أنفسهم من الغطاء المشمع: «لقد انتهى الخطر! الوحش قُتل! هذا الفارس الشجاع صرعه حتى الموت...».

فجأة أحست بضغط في حلقها ودوامة في معدتها، وغامت عيناها. ضرب مؤخرتها شيء بقوة رهيبية، حتى إن أسنانها اصطكت من شدتها. نظرت حولها مشوشة الذهن. الشيء الذي ضربها لم يكن سوى الأرض.

همس فابييو وكان جاثيًا بجانبها: «سيرى... ما بك؟ يا للآلهة، أنت شاحبة كجثة...».

تمتمت: «من المؤسف أنك لا ترى نفسك».

تجمع الناس من كل جانب. راح بعضهم يلكز جثة الويفيرن بالعصي والمحاريك، وأخذ بعضهم الآخر يُضمد جراح ذي الندوب، وهتف ما تبقى منهم تكريماً لمساعد الفارس البطل، قاتل التنين غير الهياب، الذي لم يفقد

رباطة جأشه ومنع حدوث مجزرة. أيقظ مساعدُ الفارس الأنسةَ المشمشية، وكان لا يزال يحملق بشيء من الذهول إلى نصل سيفه المغطى بخطوط متلاشية من الدماء الجافة.

صحت الأنسة المشمشية وألقت ذراعيها حول عنق مساعد الفارس: «يا بطلي... يا منقذي! يا حبيبي!».

قالت سيرى بصوت ضعيف، وهي تشاهد حراس المدينة يشقون طريقهم خلال الجمهرة: «فابييو. ساعدني على النهوض وخذني من هنا. بسرعة».

- يا للأطفال المساكين... (نظرت إليهم امرأة حضرية سميئة ترتدي قلنسوة نسائية وهم يتسللون خلسة من الحشد المتجمع). أوه، لقد نجوتم. لولا الفارس الصغير المقدام، لبكتُ أعين أمهاتكم كثيرًا!

صرخ حرفي يرتدي مريلة جلدية: «استفسروا من يخدم هذا الشاب! إنه يستحق أن يُمنَح الحزامَ والمهمازين مكافأة على هذا الفعل!».

- وليؤخذ صائد الحيوانات إلى المُشَهَّرَة! تحت السياط، السياط! فليؤخذ هذا الوحش إلى المدينة، بين الناس...

- الماء، بسرعة! الأنسة أغمى عليها مجددًا!

زعقت فجأة التاجرة المتجولة، منحنيةً على ما تبقى من كلبها الكثيف الشعر: «مسكينتي موشكا! كلبتي البائسة! أيها الناصب! أمسكوا بهذه البنت، تلك الماكرة التي هيّجت التنين! أين هي؟ اقبضوا عليها! إنها ليست صائد حيوانات، إنها المذنبة في كل هذا!».

بدأ حراس المدينة، بمساعدة العديد من المتطوعين، يشقون طريقهم وسط الجمع المحتشد ويعاينون. تغلبت سيرى على الدوار في رأسها.

همست: «فابييو. سنتفرق. سنلتقي بعد قليل في ذاك الزقاق الذي جئنا منه. اذهب. وإذا أوقفك أحد وسألك عني، فأنت لا تعرفني ولا تدري من أكون».

- لكن... سيرى...

- اذهب!

دَسَّت سيري تميمة ينيفر في قبضتها وتمتت بتعويذة مُفعّلة. عملَ السحر في لمح البصر، وكان الوقت حاسماً. توقف الحراس، الذين كانوا قد شقُّوا طريقهم نحوها، مرتبكين.

قال أحدهم مذهولاً، وهو ينظر، كما بدا، إلى سيري مباشرة: «ما هذا بحق الشيطان؟ أين هي؟ لقد رأيتهما للتو...».

صرخ آخر مشيراً في الاتجاه المعاكس: «هناك، هناك!».

استدارت سيري وابتعدت وهي لا تزال شبه غائبة عن الوعي وواهنة من دفقة الأدرينالين وتفعيل التميمة. عملتِ التميمة كما ينبغي لها. لم يلاحظها أحد على الإطلاق ولم ينتبه إليها أحد. لا أحد على الإطلاق. ونتيجة لذلك، وقبل أن تخرج من الزحام، تعرضت مراتٍ لا تحصى للدفع والدوس والركل. وبمعجزة تفادتِ السحق بصندوق أُلقي من عربة. وكادت عينها تُفَقَأَ بمذراة. وكما تبين، فإنّ للتعويذات جوانب جيدة وأخرى سيئة، ومزاياها بقدر عيوبها. لم يستمرّ مفعول التميمة طويلاً. لم يكن لدى سيري ما يكفي من القوة للسيطرة عليها وإطالة مدة التعويذة. وتوقف السحر عن العمل، من حسن الحظ، في اللحظة المناسبة، عندما خرجت من الحشد ورأت فابيو ينتظرها في الزقاق.

قال الفتى: «أوه. أوه، سيري. أنتِ هنا. لقد قلقْتُ...».

- لا داعي إلى القلق. لنذهب، أسرع. قد انقضى وقت الظهر، ويجب أن أعود.

نظر الفتى إليها بإعجاب: «لقد تمكنتِ من ذاك الوحش بطريقة جيدة. كم كنتِ سريعةً وبارعةً! أين تعلمتِ ذلك؟».

- ماذا؟ مساعد الفارس هو من قتل الويفيرن.

- غير صحيح. لقد رأيْتُ...

- لم ترَ شيئاً! أرجوك، فابيو، لا تخبرُ أحداً بذلك. لا تخبرُ أحداً. وخصوصاً

السيدة ينيفر. أوه، ماذا ستفعل بي، إذا عرفت...

سكنت.

أشارت خلفها نحو السوق: «أولئك. كانوا محقين. أنا من أغضبت الويفيرن... كان ذلك بسببي...».

نفى فابيو بقناعة: «ليس بسببك. كان القفص متعفنًا ومثبًا كيفما اتفق. كان يمكن أن ينكسر في أي لحظة، بعد ساعة، غدًا، أو بعد غدٍ... من الأفضل أن ذلك قد حدث الآن، لأنك أنقذتِ...».

صرخت سيرى: «مساعد الفارس هو الذي أنقذ! مساعد الفارس! ضع هذا في رأسك أخيرًا! أقول لك، إذا خنتني، سأحولك إلى... إلى شيء فظيع! أنا أجيد السحر! سأسحرك...».

انبعث صوت من خلفهم: «مهلاً. كفاكما كل هذا!».

كانت إحدى المرأتين، اللتين سارتا خلفهما، ذات شعر داكن مصفف بسلاسة، وعينين لامعتين، وشفتين ضيقتين. على كتفيها معطف قصير من دمعس بنفسجي محفف بفرو الزغبة.

سألت بصوت بارد رنان، متفحصةً سيرى بنظرة نافذة: «لماذا لست في المدرسة، يا متدربة؟».

قالت المرأة الثانية، الأصغر سنًا، الشقراء والطويلة، التي ترتدي ثوبًا أخضرًا ذا فتحة واسعة في الصدر: «انتظري، تيسايا. أنا لا أعرفها. أظن أنها ليست...».

قاطعتها ذات الشعر الداكن: «إنها هي. أنا متيقنة أنها واحدة من فتياتك، يا ريتا. أنت لا تعرفين الجميع، هذه واحدة من اللواتي فررن من لوكسيا في خضم الفوضى عند تبديل أماكن السكن. وستعترف هي نفسها الآن. حسنًا، أيتها المتدربة، إنني أنتظر.».

قطبت سيرى: «ماذا؟».

زمت المرأة شفتيها الرفيعتين وضبطت أكمام قفازيها.

- ممن سرقَت التميمة المموهة؟ أم إن أحدًا أعطاك إياها؟

- ماذا؟

- لا تختبري صبري، يا متدربة. اسمك، وصفك، واسم معلمتك. بسرعة!

- ماذا؟

- تتظاهرين بالغباء، أيتها المتدربة؟ الاسم! ما اسمك؟
كزّت سيري أسنانها، واشتعلت عينها بلهب أخضر.
نبرت بوقاحة: «أنا إنجيبورجا كلوبستوك».

رفعت المرأة يدها، وأدركت سيري على الفور ضخامة خطأها. لقد بينت
ينيفر لها مرة واحدة فقط، وقد أنهكها التذمر الطويل، كيف يعمل السحر
الذي يشل الحركة. كان الانطباع مقررًا على نحو لا نظير له. والآن هو كذلك
أيضًا.

صرخ فابيو صراخًا مخنوقًا واندفع نحوها، لكنّ المرأة الثانية، الشقراء،
أمسكته من ياقة قميصه وثبته في مكانه. دافع الفتى، لكنّ ذراع المرأة كانت
كأنها من حديد. لم تستطع سيري حتى أن ترتعش. تولّد لديها انطباع أنها
تتغلغل في الأرض ببطء. انحنت ذات الشعر الداكن وركزت عليها عينيها
اللامعتين.

قالت ببرود، وهي تضبط كفتي قفازيها من جديد: «لست مؤيدة للعقاب
الجسدي، لكنني سأسعى إلى أن تجلدي، أيتها المتدربة. ليس لعدم الطاعة،
ليس لسرقة التميمة، وليس للتغيب عن الدروس. ليس لأنك ترتدين ملابس
غير مسموح بها، أو لأنك تمشين مع شاب وتحدثين إليه في أمور مُنعت من
التكلم عنها. ستجلدين لأنك لم تستطعي أن تتعرفي المعلمة الكبرى».

صاح فابيو: «لا! لا تؤذيها، يا سيدتي الفاضلة! أنا كاتب في مصرف السيد
مولنار جيانكاردي، وهذه الآنسة هي...».

صرخت سيري: «اصمت! اصم...».

قد أُلقيت التعويذة الكاتمة بسرعة وعنف. أحسّت بدم في فمها.

حثّ الشقراء فابيو على الكلام، وهي تطلقه وتعديل ياقة قميصه المجددة
بحركة ودود: «حسنًا؟ تكلم. من تكون هذه البنت العنيدة؟».



خرجت مارجرينا لاوكس-أنتيل من المسبح تصحبها بقبقة، ناثرة الماء
حولها. لم تستطع سيري أن تمنع نفسها من التحديق. لقد رأّت ينيفر عارية

من قبل عدة مرات، ولم تكنْ تظنْ أن أحداً يمكن أن يكون له قوام أجمل من قوامها. كانت مخطئة. حتى التماثيل الرخامية للربّات والهوريات كانت ستحمر غيرة عند رؤية مارجريتا لاوكس-أنثيل عارية.

أمسكت الساحرة بدلو من الماء البارد وسكبته على صدرها، لاعنة بكلمات غير لائقة، وهي ترتجف.

أشارت إلى سيرى: «هيه، أيتها الفتاة. لو تلطفتِ وناولتني المنشفة. هيا، كفي أخيراً عن الإعراض عني».

تأففتْ سيرى بصوت خافتٍ، ولا تزال مُغضبةً. عندما فضح فابيو هويّتها، جرّتها الساحرتان خلال نصف المدينة بالقوة، فجعلتاها مثاراً للسخرية.

في مصرف جيانكاردي، توضّح الأمر، بطبيعة الحال، على الفور. اعتذرتِ الساحرتان لينيفر، وشرحتا تصرفهما. وخلاصة الأمر أن المتدربات من أريتوزا نقلهنّ مؤقتاً إلى لوكسيا، لأن قاعات المدرسة حُوّلت إلى مساكن للمشاركين في اجتماع السحرة وضيوفه. وقد هربتْ بضع متدربات من ثانيد مستغلاتِ الفوضى في أثناء الانتقال، وتسلن إلى المدينة. عندما نُبّهتْ مارجريتا لاوكس-أنثيل وتيسايا دي فريس، بأن تميمة سيرى قد فُعّلتْ، حسبها واحدة من الفتيات الهاربات من المدرسة.

لقد اعتذرتِ الساحرتان لينيفر، لكنّ أيّاً منهما لم تفكر في الاعتذار لسيرى. كانت ينيفر تنظر إليها وهي تستمع للاعتذارات، وكانت سيرى تشعر بأن أذنيها تشتعلان. وكان فابيو أكبر مسكين، فقد وبّخه مولنار جيانكاردي بشدة لدرجة أن عيني الصبي فاضتا بالدموع. تأسفت سيرى عليه، لكنها كانت فخورة به أيضاً، فقد حافظ فابيو على كلمته، ولم يتفوّه بكلمة واحدة عن الويفيرن.

كما اتضح، فإن ينيفر كانت تعرف تيسايا ومارجريتا تماماً. دعتها الساحرتان إلى «مالك الحزين الفضي»، وهو أفضل وأعلى نزل في جورس فيلين، حيث أقامت تيسايا دي فريس بعد وصولها، لأسباب لا يعلمها أحد سواها، تؤخر ذهابها إلى الجزيرة. مارجريتا لاوكس-أنثيل، التي تبين أنها كانت مديرة أريتوزا، قبلت دعوة الساحرة الكبرى وقاسمتها السكن مؤقتاً. كان النزل فخماً حقاً، ففيه حمام خاص في القبو، استأجرته مارجريتا

وتيسايا لاستخدامه استخدامًا حصرًا، ودفعنا مبالغ طائلة مقابل ذلك. وطبعًا، شجعنا ينيفر وسيري على استخدام الحمام، ونتيجة لذلك، كنَّ جميعًا يتناوبن على السباحة في المسبح والتعرُّق في البخار عدة ساعات، وهنَّ في غضون ذلك يثرثرن دون توقف.

سيري ناولت الساحرة المنشفة. قرصتها مارجريتا بلطف من خدها. تأففتُ سيري مجددًا، وقفزت محدثةً بقبقة في المسبح، في الماء العابق بإكليل الجبل.

ضحكتُ مارجريتا، وهي تتمدد بجوار ينيفر على تخت خشبي: «تسبح مثل فقمة صغيرة. ورشيقة كحورية الماء. هل ستعطيني إياها، يا يِنَّا؟».

- لهذا الغرض جلبتها إلى هنا.

- في أي سنة أقبلها؟ هل تعرف الأساسيات؟

- تعرفها. لكنَّ دعيها تبدأ مثل الجميع، من مستوى روضة الأطفال. لن يضرها ذلك.

قالت تيسايا دي فريس، وكانت مشغولة بضبط وضع الأكواب على سطح منضدة رخامية مغطاة بطبقة من بخار الماء المكثف: «تفكير حكيم. حكيم، يا ينيفر. سيكون الأمر للفتاة أسهل إذا بدأت مع المبتدئات الأخريات».

قفزتُ سيري خارجةً من المسبح، وجلستُ على حافته، تعصر شعرها وتخبط قدميها في الماء. كانت ينيفر ومارجريتا تثرثران بكسل، وتمسحان وجهيهما من حين إلى آخر بقماشتين مبللتين بالماء البارد. لم تشارك تيسايا، التي كانت متلفعةً بملاءة بطريقة متواضعة، في الحديث، مثيرة انطباعًا بأنها منغمسة كليًا بترتيب المنضدة.

صاح فجأة من الأعلى صاحب النزل دون أن يراه أحد: «أعتذر أعظم الاعتذار، سيداتي الفاضلات! أرجوكنَّ أن تعذرني على جرأتي في إزعاجكنَّ، ولكنَّ... ضابطًا يرغب في رؤية السيدة دي فريس على وجه السرعة! يقول إن الأمر لا يحتمل التأخير!».

ضحكت مارجريتا لاوكس-أنتيل ضحكة خافتة، وغمزت بعينها لينيفر، ثم ألقت كلتاهما، كأنهما نفذتا أمرًا أمرتا به، الفوطتين عن وركيهما واتخذتا وضعيتين مثيرتين وغاية في الإغراء.

صرخت مارجريتا، كابحة ضحكتها: «فليدخل الضابط! أهلاً به! نحن مستعدات!».

تنهدت تيسايا دي فريس، هازة رأسها: «مثل الأطفال. غطّي نفسك، يا سيري».

دخل الضابط، ولكنّ خدعة الساحرات أخفقت إخفاقاً ذريعاً. لم يرتبك الضابط عند رؤيتهنّ، لم يحمرّ وجهه، ولم يفرغ فمه، ولم تجحظ عيناه. فقد كان الضابط امرأة. امرأة طويلة ونحيلة، ذات شعر أسود مضفر وسيف على جنبها.

قالت المرأة بجفاف، وهي تنحني قليلاً نحو تيسايا دي فريس، تصحبها خشخشة الزرد: «سيدتي، أبلغكم بأن توصياتكم قد نُفذت. أطلب الإذن في العودة إلى الحامية».

أجابت تيسايا باختصار: «آذن لك، أشكرك على الحراسة والمساعدة. سفراً مُيسراً».

جلست ينيفر على التخت، ناظرة إلى الشارة السوداء-الذهبية-الحمراء على ذراع المحاربة.

- ألسْتُ أعرفك؟

انحنيت المحاربة دون مرونة، ومسحت وجهها المتعرق. كان الحمّام حارّاً، وهي ترتدي زرداً وقفطاناً من الجلد.

قالت: «زرتُ فينجر بيرج مراراً، سيدة ينيفر. اسمي رايلا».

- بالنظر إلى الشارة، يمكن الظن أنك تخدمين في الوحدات الخاصة للملك ديمافيند؟

- نعم، سيدتي.

- برتبة؟

- برتبة نقيب.

ضحكتُ مارجريتا لاوكس-أنتيل: «جيد جدًا. في جيش ديمافيند، كما أقرُّ بكل سرور، بدأوا أخيرًا في منح الجنود الذين يمتلكون الشجاعة رتب ضباط». استقامت المحاربة مسندةً راحتها إلى مقبض سيفها: «هل يمكنني الانصراف؟».

- يمكنك.

قالت مارجريتا بعد لحظة: «لقد شعرتُ بالعدائية في صوتك، يا يِنَّا. ما مشكلتكِ مع السيدة النقيب؟».

نهضتُ ينيفر وأزالت كوبين صغيرين عن المنضدة.

سألت: «هل رأيتِ الأعمدة المنتصبة على مفارق الطرق؟ لا بُدَّ من أنكِ قد رأيتها، لا بُدَّ من أنكِ قد شممتِ رائحة الجثث المتعفنة. هذه الأعمدة من أفكارهم ومن صنيعهم. منها ومن رؤوسها في الوحدات الخاصة. عصابة من الساديين!»

- إنها الحرب، يا ينيفر. رايلا هذه كثيرًا ما رأث رفاقها في السلاح يقعون أحياء في أيدي السناجيب. علّقوا من أيديهم على الأشجار هدفًا للسهام. لقد سملوا أعينهم، وخُصّوا، وأُحرقت أرجلهم في النيران. الفضاعات التي ارتكبتها السكوياتيل لم تكن لتخجل فالكا نفسها.

- طرائق الوحدات الخاصة تشبه فعلًا طرائق فالكا. لكن ليس هذا هو المقصود، يا ريتا. أنا لا أتأسى على مصير الإلفيين، وأعلم ما الحرب. أعلم أيضًا كيف تُكسب الحروب. تُكسب بالجنود الذين يدافعون عن بلدهم وبيوتهم بإيمان وتضحية. وليس بأمثال ريلا هذه، والمرتزقة الذين يقاتلون من أجل المال، والذين لا يعرفون التضحية ولا يريدونها. إنهم حتى لا يعلمون ما تكون التضحية. وإذا علموا ما هي، احتقروها.

- لا تلتفت إليها، وإلى تضحياتها واحتقارها. ماذا يعني هذا؟ سيري، ارتدي شيئًا واقفزي إلى الأعلى وأحضري قارورة جديدة. أشتهي أن أسكر اليوم.

تنهدت تيسايا دي فريس، هازة رأسها. لم يغب ذلك عن عين مارجريتا.

ضحكت ضحكة خافتة: «من حسن الحظ، لم نعد تلميذات في المدرسة، أيتها المعلمة الحبيبة. مسموح لنا الآن فعل ما يعجبنا».

سألت تيسايا بخبت: «حتى في حضور المتدربة المستقبلية؟ أنا عندما كنت مديرة أريتوزا...». مكتبة سر من قرأ

قاطعتها ينيفر بابتسامة: «تذكر، نتذكر. حتى لو أردنا، فلن ننسى. سيرى، انهبى وأحضري القارورة».

في الأعلى، وخلال انتظار سيرى للقارورة، كانت شاهدة على مغادرة المحاربة وفريقها المكوّن من أربعة جنود. تفحصت بفضول وانبهار، قوام أجسامهم وتعابير وجوههم وملابسهم وأسلحتهم. لحظت تشاجرت رايلا، النقيب ذات الجديلة السوداء، مع صاحب النزل.

- لن أنتظر حتى الفجر! ولا يهمني في شيء إن كانت البوابات مغلقة! أريد الخروج من داخل الأسوار على الفور! أعلم أن للنزل بابًا خلفيًا في الإصطبلات! أمرُ بفتحه!

- القوانين...

- لا تهمني القوانين في شيء! إنني أنفذ أوامر المعلمة الكبرى دي فريس!

- حسنًا، أيتها النقيب، كفى لا تصرخي. سأفتحه لكم...

كان ذلك الباب الخلفي، كما تبين، ممّرًا ضيقًا، موصدًا بإحكام، ويؤدي مباشرة إلى خارج أسوار المدينة. قبل أن تأخذ سيرى القارورة من يد الخادم، رأت كيف فُتِحَ ذاك الباب الخلفي، وكيف غادرت رايلا وفريقها إلى الخارج، في الليل. واستغرقت في التفكير شاردة.



«أخيرًا» فرحت مارجريتا، دون أن يُعرَف أكان ذلك لرؤية سيرى، أم لمشاهدة القارورة التي كانت تحملها. وضعت سيرى القارورة على الخوان، وعلى ما يبدو بطريقة غير صحيحة، لأن تيسايا دي فريس عدلتها على الفور. وحين راحت ينيفر تصب، أفسدت ترتيب الأكواب بأكمله، فاضطرت تيسايا إلى تعديله من جديد. من شدة الرهبة، تخيلت سيرى تيسايا في دور المعلمة.

عادتُ ينيفر ومارجريتَا إلى حديثهما الذي انقطع، ولم يقتصدا في القارورة. أصبح الأمر واضحًا لسيري أنها ستُضطر قريبًا إلى الركض من جديد لإحضار واحدة جديدة. فكرتُ شاردة الذهن، وهي تنصت لحديث الساحرات.

هزتُ مارجريتَا رأسها: «لا يا يِنَّا، أنتِ كما أرى، لستِ على علم بآخر المستجدات. لقد انفصلتُ عن لارس. انتهى الأمر. *Elaine deirea'dh*، كما يقول الإلفيون».

- ولهذا السبب تملكك الرغبة لتسكري؟

أكدتُ مارجريتَا لاوكس-أنثيل: «لهذا ولأسباب أخرى. أشعر بالحزن، لا أخفي ذلك. في النهاية كنت معه أربع سنوات. لكن كان لا بدُّ لي من الانفصال عنه. فلن يعطيني هذا الشوك عنبًا...».

نفختُ تيسايا دي فريس، محدقةً إلى النبيذ الذهبي في الكأس المتأرجحة: «لا سيِّما أن لارس كان متزوجًا».

هزتُ الساحرة كتفيتها: «هذا بالضبط ما أراه غير ذي أهمية. جميع الرجال الجذابين، الذين يهمني عمرهم، متزوجون. ولا أستطيع فعل شيء حيال ذلك. أحبني لارس، وبدا لي أيضًا خلال مدة من الزمن... آه، ما الفائدة من كثرة الكلام. أراد الكثير. هدّد حريتي، وأنا أشعر بالغثيان بمجرد التفكير في الزواج الأحادي. في المحصلة، اقتديتُ بك، يا يِنَّا. هل تذكرين تلك المحادثة في فينجر بيرج؟ عندما قررت الانفصالَ عن ذاك الويتشر، صاحبك؟ نصحتك حينئذٍ بأن تفكري، وقلتُ إن الحب لا يُعثرُ عليه في الشوارع. لكنك مَنْ كنتِ المحقة. الحب حب، والحياة حياة. الحب ينقضي...».

قالت تيسايا ببرود: «لا تستمعي لها، يا ينيفر. إنها محبطةٌ ويملاها الأسى. أتعلمين لماذا لا تذهب إلى الوليمة في أريتوزا؟ لأنها تخجل من الظهور هناك وحدها، دون الرجل الذي ارتبطتْ صورتها به منذ أربع سنوات. الرجل الذي كانت تُحسد عليه، والذي فقدته لأنها لم تستطع أن تقدّر حبه خيرَ تقدير».

اقترحتُ ينيفر بصوت غير مبالٍ ظاهريًا، لكنه متغير بعض الشيء: «هل لنا أن نتحدث عن شيء آخر؟ سيري، صُبِّي لنا. اللعنة، صغيرة هذه القارورة. لطفاً، أحضري لنا واحدة أخرى».

ضحكتُ مارجريتا: «أحضري اثنتين. وكمكافأة ستحصلين على رشفة وتجلسين معنا، ولن تضطري بعد الآن إلى رفع أذنيك للتَّنصُّت من بعيد. هنا سيبدأُ تعليمُك، الآن وقبل أن تصلي إليّ، إلى أريتوزا».

وجهتُ تيسايا عينيها عاليًا نحو السقف: «التعليم! يا للآلهة!».

ضربتُ مارجريتا بكفها فخذها المبللة متظاهرةً بالغضب: «اهدئي، أيتها المعلمة الحبيبة! أنا الآن مديرة المدرسة! لم تستطعي إسقاطي في الامتحانات النهائية!».

- أشعر بالندم.

- وأنا أيضًا، تخيلي. كنتُ سأحصل على تدريب خاص الآن، مثل يِنَّا، وما كنتُ اضطررتُ إلى ذاك العذاب مع الطالبات، ولا كنت اضطررتُ إلى مسح أنوف أولئك الباقيات ولا التشاجر مع هؤلاء العنيدات. سيري، استمعي لي وتعلمي. الساحرة تعمل دائمًا. وسيتبيّن لاحقًا أكان العمل جيدًا أم سيئًا. لكن يجب العمل، والإمساك بالحياة من ناصيتها. صدقيني، يا صغيرة، لا يندم المرء إلا على الخمول والتردد والتذبذب. الأفعال والقرارات، حتى إن جلبت الحزن والأسى أحيانًا، لا يُندَم عليها. انظري إلى تلك السيدة الجادة التي تجلس هناك، تظهر تعابير وجهها وتصلح كل ما تستطيع بدقة بالغة. إنها تيسايا دي فريس، المعلمة الكبرى، التي ربّت عشرات الساحرات، بتعليمهنّ أن العمل واجبٌ. وأن التردد...

- ريتا، توقفي.

قالت ينيفر، وهي لا تزال محدقةً إلى زاوية الحمام: «تيسايا محقة. توقفي. أعلم أنك حزينّة بسبب لارس، لكن لا تحوّلي ذلك إلى درس في الحياة. لا يزال لدى الفتاة الوقت لتتعلم هذا النوع من الدروس. ولن تتلقاها في المدرسة. سيري، اذهبي لإحضار قارورة».

نهضتُ سيري. كانت قد ارتدت ملابسها كاملة.

وبدتُ مصممةً تمامًا.



صرختُ ينيفر: «ماذا؟ ماذا حدث؟ كيف غادرت؟».

تمتم المضيف، وقد شحب وهو يضغط ظهره على الحائط: «طلبت... طلبت أن يُسَرَّجَ لها الحصان...».

- وأطعتهَا؟ بدلاً من أن تلجأ إلينا؟

- سيدتي! وكيف لي أن أعلم؟ كنتُ واثقاً أنها تتحرك بأمركم... ولم تخطرُ ببالي فكرة...

- أيها الأبله الملعون!

وضعت تيسايا يدها على جبينها: «اهدئي، ينيفر. لا تخضعي للعواطف. الآن ليل. لن يسمحوا لها بالخروج من البوابات».

همسَ المضيف: «طلبتُ أن يُفَتَّحَ لها الباب الخلفي...».

- وفتحتموه لها؟

خفض المضيف عينيه: «بسبب هذا الاجتماع، يا سيدتي، امتلأتِ المدينة بالسحرة... الناسُ خائفون، لا أحدَ يجرؤُ على الوقوف في طريقهم... كيف لي أن أرفضَ طلبها؟ لقد تكلمتُ بالطريقة ذاتها التي تتكلمون بها، يا سيدتي، وبالصوت نفسه... وكانت تنظر بالطريقة ذاتها... لم يجرؤُ أحد حتى على النظر إلى عينيها، فما بالكم بطرح الأسئلة... كانت تماماً مثلكم... نسخة طبق الأصل... طلبتُ أن تُقدِّمَ لها ريشةً وحبزٌ... وكتبت رسالة».

- هاتِها!

كانت تيسايا دي فريس أسرع.

قرأت بصوت مسموع:

السيدة ينيفر!

سامحيني. أنا ماضية إلى هيروندن، لأنني أريد رؤية جيرالت. قبل أن أذهب إلى المدرسة، أريد رؤيته. سامحيني على عدم إطاعتك، لكنني مضطرة. أعلم أنك ستعاقبينني، لكنني لا أريد أن أندم على التردد والتذبذب. إذا كان لا بُدَّ لي من الندم، فليكن ذلك على فعل وعمل. أنا ساحرة. أُمسِكْ بالحياة من ناصيتها. سأعود حالما يمكنني ذلك.

سيرى

- هذا كل شيء؟

- يوجد أيضًا تذييل:

أخبرني السيدة ريتا أنها لن تُضطرَّ إلى مسح أنفي في المدرسة.

أدارت مارجريتا لاوكس-أنتيل رأسها غير مصدقة. أما ينيفر، فراحت تشتم. احمرَّ صاحب الحانة وفغر فاه. لقد سمع كثيرًا من الشتائم من قبل، لكنه لم يسمع مثل هذا السباب قطُّ.



كانت الريح تهبُّ من البر باتجاه البحر. اكتسحت موجاتُ الغيوم القمرَ المعلقَ فوق الغابة. وغرقتِ الطريق المؤدية إلى هيروندنم في الظلام. أصبح جري الحصان خطرًا جدًّا. أبطأتُ سيرِي، وتحولتُ إلى الخبب. لم تفكر حتى في التحول إلى المشي. كانت في عجلة من أمرها.

من بعيد، كانت تُسمع قرقرةُ عاصفةٍ مقتربةٍ، وكان الأفق بين الحين والآخر يضيء بوميض البروق، تبزغ من الظلام منشارًا مسننًا من قمم الأشجار. أوقفتُ حصانها. كانت عند المَفْرِق؛ تفرعتِ الطريق إلى فرعين، وبدا التفرعان متطابقين تمامًا.

لماذا لم يذكُر فابيو شيئًا عن مفارق الطرق؟ لكن، لا يهم، فأنا لا أضل الطريق أبدًا، وإني دائماً أعلم أي طريق عليّ أن أسلك أو أن أسير فيها... لماذا إذن لا أعلم الآن إلى أي طريق أنعطف؟

مرَّ فوق رأسها شكل ضخم دون صوت. شعرت سيري أن قلبها انزاح إلى المريء. سهل الحصان، وثب وهو يرفس، واندفع جاريًا واختار التفرع الأيمن. أوقفته بعد لحظة.

نطقتُ بمشقة، محاولةً تهدئة نفسها والحصان: «إنها ليست سوى بومة عادية. طير عادي... لا شيء يدعو إلى الخوف...».

اشتدتِ الريح، وغطَّتِ الغيومُ الداكنةُ القمرَ تمامًا. لكن بدا أمامها، وفق اتجاه الطريق، سطوع ضوء في الفَجِّ المتسع وسط الغابة. سرَّعت جري الحصان، فتطاير الرمل من تحت حوافره.

سرعان ما اضطُرَّت إلى التوقف. كان أمامها منحدر، وبحر برز منه مخروط الجزيرة الأسود المعروف. من المكان الذي كانت فيه لم تكن ممكنة رؤية أضواء جارستانغ، ولا أضواء لوكسيا أو أريتوزا. لم تبصر سوى البرج الوحيد الشاهق، الذي يُتَوَجَّ ثانيد.

تور لارا.

دَوَّى الرعد، وبعد لحظة، ربط السماء المغيمة بقمة البرج شريطاً من برق يخطف الأبصار. حملتُ تور لارا إليها بأعين نوافذها الحمر، فخيَّلَ إليها أن النار قد اشتعلت داخل البرج لحظة قصيرة.

تور لارا... برج النورس... لماذا يثير هذا الاسم في نفسي مثل هذا الرعب؟ هزَّت الرياح العاصفة الأشجار بعنف، علا هزيز الأغصان، ضيقت سيري عينها، لطمها الغبار والأوراق على خدها. أدارت الحصان المضطرب والمعاند، واستعادت اتجاهها. جزيرة ثانيد تشير إلى الشمال، وكان عليها أن تسير تجاه الغرب. امتدَّت الطريقُ الرملية وسط الظلام شريطاً أبيض واضحاً. انطلقت بالحصان جرياً.

دَوَّى الرعد مجدداً، وفي ضوء البرق رأت سيري فجأة خيالة. أشكالاً متحركة قاتمة وغير واضحة، على جانبي الطريق. سمعتُ صرخة.

!Gar'ean –

دون تفكير، شدَّت العنان بعد أن حفزت الحصان واستدارت به وانطلقت جرياً. خلفها صرخة، صفير، صهيل، قرقعة حوافر.

!Gar'ean! Dh'oine –

جري، قرقعة حوافر، هبوب هواء. ظلامٌ تومض فيه الجذوع البيض لأشجار القضبان على جانب الطريق. رعدٌ، برقٌ، في ضوءه خيالان يحاولان قطع طريقها. أحدهم يمدُّ يده، يريد الإمساك بالعنان. على قبعته ثُبَّت ذيلُ سنجاب. تضرب سيري الحصان بعقبها، وتلتصق بعنق الحصان، فيزيحها الاندفاع جانباً. خلفها صرخة، صفير، هزيم رعد. برقٌ.

!Spar'le, Yaevin –

عَدُو، عَدُو! أَسْرِعْ، أيها الحصان! رعدُ. برقُ. تفرغُ الطرقُ. إلى اليسار! أنا لا أتوه أبدًا! تفرغُ من جديد. إلى اليمين! عَدُوًا، أيها الحصان! أَسْرِعْ، أَسْرِعْ! الطريق يتجه صعودًا، تحت الحوافر رمل، الحصان، رغم حثه على الإسراع، يبطئ...

في قمة المرتفع تلفتتُ. أضاء الطريق برقُ آخر. كانت فارغة تمامًا. أصغتُ، لكنها لم تسمع سوى الريح، التي تحف بأوراق الأشجار. دوى الرعد. لا أحد هنا. السناجيب... إنها ليست سوى ذكريات من كايدين. وردة من شائراًفيد... هذا كله ليس إلا تخيلات. لا رائحة حياة هنا، لا أحد يطارطني... ضربتها الريح. فكرتُ: الريح تهب من اليابسة، وأشعر بها على خدي الأيمن... لقد تهتُ.

برق. في ضوءه، يتوهج سطح البحر، وفي خلفيته المخروط الأسود لجزيرة ثانيد. وتور لارا. برج النورس. البرج الذي يجذب كالمغناطيس... لكنني لا أريد الذهاب إلى هذا البرج. أنا ماضية إلى هيروندم؛ يجب أن أرى جيرالت.

ومض البرق مجددًا.

وقف بينها وبين المنحدر حصان أسود. وعلى ظهره فارس يرتدي خوذة مزينة بجناحي طائر جارح. رف الجناحان فجأة، وهبَّ الطائر طائرًا... سينترا!

خوف يسبب الشلل. الأيدي مشدودة على الرسن إلى أقصى حد. برق. الفارس الأسود يحفز حصانه. لديه قناع مخيف في مكان وجهه. الجناحان يرفرفان...

دخل الحصان في الجري دون تحفيز. الظلام، مضاء بالبروق. الغابة تنتهي. تحت الحوافر بقبقة، وصليل مستنقع. خلفها عجيج جناحي الطائر الجارح. يقترب أكثر... أكثر...

جري محتدم، العينان تدمعان من شدة الاندفاع. البروق تمزق السماء، في ضوءه ترى سيرى أنساقًا من جار الماء والصفصاف على جانبي الطريق.

لكنها ليست أشجارًا. إنها خَدَمُ ملك جَارِ الماء. خَدَمُ الفارس الأسود الذي يجري على فرسه خلفها، وجناحا الطائر الجارح يرفَّان بعجيج على خوذته. وحوش قميئة على جانبي الطريق تمدُّ نحوها أذرعها ذات العقد، وتضحك ضحكًا وحشيًا، فاغرةً أفواه تجويف سوداء في جذوع الشجر. تلتصق سيري بعنق الحصان. أغصان تصفر، تسوط، تتشبث بملابسها. جذوع مشوهة تصرُّ صريرًا، تجويفات الجذوع تقطّط، وتطلق ضحكًا ساخرًا...

شيلة سينترا! طفلة الدماء الأقدم!

صار الفارس الأسود خلفها مباشرة، سيري تشعر بيده تحاول الإمساك بشعر قذالها. يندفع الحصان إلى الأمام، بعد صرخة حثته على الإسراع، بقفزة حادة تتجاوز عقبة غير ظاهرة للعيان، فيكسر القصب، ويعثر...

شدتِ العنان، مائلةً إلى الخلف على السرج، وأدارتِ الحصان الذي كان يشخر. صرختُ صراخًا وحشيًا وحانقًا. سحبتِ السيف من غمده، ولوحت به فوق رأسها. هذه ليست سينترا بعد الآن! أنا لم أعد طفلة! لم أعد عاجزة عن حماية نفسي! لن أسمح...

- لن أسمح بذلك! لن تلمسني بعد الآن! لن تلمسني بعد الآن أبدًا!

هبط الحصانُ في الماء الذي بلغ بطنه، محدثًا بقبقة وغبابًا. انحنْتُ سيري وصرختُ، ضربتِ الفرس بعقبها وانطلقتُ عائدةً إلى السد الترابي. فكرتُ: البرك. كان فابيو قد تحدث عن برك الأسماك. هذه هي هيروندم. لم أخطئ. أنا لا أتوه أبدًا...

برق. خلفها السد الترابي، وبعده جدار الغابة الأسود، ممتدًا في السماء كمنشار. ولا أحد. صمت لا يقطعه إلا عويل الريح. بطّة مذعورة تبطبط في مكان ما في المستنقعات.

لا أحد. لا أحد على السد الترابي. لا أحد يلاحقني. كانت هذه هلوسة، كابوسًا. ذكرى من سينترا.

لقد خُيِّل إليّ ذلك، ليس إلا.

ضوء في البعيد. مصباح. أو نار. إنها مزرعة. هيروندم. أصبحت قريبة. لم يبقَ سوى جهد واحد...

برق. واحد، ثان، ثالث. دون رعد. الريح خمدت فجأة. الحصان يسهل، يهزُّ رأسه ويقف على كراعيه.

في السماء السوداء يظهر شريط حلبي يزداد سطوعه بسرعة، ويتلوى كالأفعى. الريح تضرب الصفصاف مجدداً، وتثير عجاجاً يتصاعد من السد الترابي محملاً بالأوراق والأعشاب الجافة.

يختفي الضوء البعيد. يغرق ويتلاشى في فيضان مليار من الشرارات الزرق التي تسطع فجأة وتشعل المستنقع أكمله. الحصان يشخر، يسهل، يهيج على السد الترابي، وسيري بصعوبة تبقى متماسكة على السرج.

تترامى في الشريط المتحرك في السماء أطيايف خيالة غير واضحة ومرعبة. يقتربون أكثر فأكثر، وتزداد رؤيتهم وضوحاً شيئاً فشيئاً. تتمايل قرون الثيران وقلنسوة الريش المهترئة على الخوذات، ومن تحت الخوذات تبدو أقنعة الموت بيضاء. يجلس الخيالة على هياكل الخيول العظمية، المغطاة بخرق من الرّخت. الريح الهائجة تهب وسط الصفصاف، وشفرات البروق تقطع السماء السوداء دون انقطاع. علا عويل الريح أكثر فأكثر. لا، ليست الريح. إنه غناء مربع.

ينعطف موكب الخيالة المخيف، وينطلق مباشرة نحوها. حوافر الخيول الشبحية تثير أضواء الوهج المستنقعي المعلق فوق المستنقعات. في مقدمة الموكب يجري ملك الصيد بجواده. خودة صدئة تهتز فوق قناع جثة، يتخلله نَقَبُ المحجرين اللذان تشتعل فيهما نار مزرقة. معطف ممزق يرفرف. تقرقع على واقية الصدر المغطاة بالصدأ، قلادة فارغة كساق بازلاء قديمة. كانت فيها، في وقت مضى، أحجار كريمة. لكنها سقطت في أثناء مطاردة وحشية في السماء، وأصبحت نجومًا...

هذا ليس حقيقياً! هذا غير موجود! إنه كابوس، خيال، وهم! هذا ما يُخَيَّل إليّ، لا أكثر!

ملك الصيد يحثُّ حصانه النحيف حصانه - الهيكل عظمي، وينفجر بضحك وحشي مربع.

طفلة الدم الأقدم! أنتِ تنتمين إلينا! أنتِ ملكنا! انضمي إلى الموكب، انضمي إلى صيدنا! سنستمر في المطاردة، المطاردة حتى النهاية، حتى

الأبدية، حتى نهاية الوجود! أنتِ ملكنا، يا ابنة الفوضى ذات العين النجمية!
انضمي، اعرفي فرحة الصيد! أنتِ ملكنا، أنتِ واحدة منا! مكانكِ بيننا!
صرختُ: «لا! اذهبوا بعيداً! أنتم جثث!».

ملك الصيد يضحك، تصطك أسنانه المتعفنة فوق ياقة الدرع الصدئة.
محجراً قناع الجثة يشتعلان مزرقيين.
نعم، نحن جثث. ولكنكِ أنتِ الموت.

سيرى التصقّت بعنق الحصان. لم تكن مضطرةً إلى حث الحصان
للإسراع. اندفعتِ الدابة خلال السد الترابي بعدو متهور بعد أن أحسّت أن
شبحاً خلفها يطاردها.



بيرني هوفماير، مزارع هوبيتي من هيروندم، رفع رأسه الأجعد، مصغياً
إلى صوت رعد بعيد.

قال: «شيء خطر، مثل هذه العاصفة دونما مطر. ستضرب الصاعقة في
مكان ما وسيكون الحريق جاهزاً...».

تنهد ياسكير، وهو يشد مفاتيح عودِه: «بعض المطر سيكون مفيداً،
فالهواء كثيف لدرجة أنه يمكن أن يُقَطَّع بالسكين... القميص يلصق بالظهر،
البعوض يقرص... لكن يبدو أن هذا كله سيتلاشى. كانت العاصفة تحوم،
وتحوم، لكنّ البرق منذ مدةٍ بدأ يلمع في الشمال. ربما فوق البحر».

أكد الهوبيتي: «يضرّب ثانيد. إنها أعلى نقطة في المنطقة. ذلك البرج على
الجزيرة، تور لارا، يجذب الصواعق بشدة، ويبدو في أثناء النائية القوية كأنه
في وسط النار. وما يثير العجب أنه لا ينهار...».

قال التروبادور بقناعة: «إنه السحر. كل شيء في ثانيد سحري، حتى
الصخرة نفسها. والسحرة لا يخشون الصواعق. ماذا أقول! هل تعلم، يا
بيرني، أنهم يستطيعون الإمساك بالصواعق؟».

- بالتأكيد! أنت تكذب، يا ياسكير.

- ليعصف بي الرعد... (توقف الشاعر فجأة، ونظر بقلق إلى السماء). لينقرني الإوز إذا كنتُ أكذب. أقول لك، يا هوفماير، إن السحرة يمسون بالصواعق. رأيتُ ذلك بأم عيني. جورازد المُسن، ذلك الذي قُتل لاحقًا على مرتفع سودن، قد أمسك مرة بالصاعقة أمامي. أخذ سلًا طويلًا، وثبتَّ أحد طرفيه على قمة برجه، أما الطرف الآخر...

زعق فجأة ابن هوفماير، الهوبيتي الصغير، ذو الشعر الكثيف والملف كصوف الخروف، وهو يدور في الرواق: «يجب وضع الطرف الآخر من السلك في قنينة. في قارورة زجاجية، كتلك التي يستخدمها أبي لصنع النبيذ. ستندفع الصاعقة خلال السلك إلى القارورة...».

صرخ المزارع: «فرانكلين، إلى البيت! إلى السرير، للنوم، هيا على الفور! أوشك منتصف الليل أن يحلَّ، وغداً عليك أن تعمل! ولو أمسكتُ بك تعبتُ قرب القوارير أو الأسلاك في أثناء العاصفة، فسيفعل الحزام الجلدي فعله! ولن تجلس على مؤخرتك طوال أسبوعين! بيتونيا، خذيه من هنا! وأحضري لنا مزيدًا من الجعة!».

قالت بيتونيا بغضب وهي تأخذ ابنها من الرواق: «لقد كرعتم ما يكفي».

- لا تتذمري. بعد لحظات سيعود الويتشر. ومن الواجب إقراء الضيف.

- عندما يعود الويتشر، سأجلب الطعام. له.

شخر هوفماير، لكن بصوت خافت حتى لا تسمعه زوجته: «يا لها من امرأة بخيلة. كل أسرتها، آل بيبرفيلدت من المُرَج، بقضُّهم وقضيضهم، شديدو البخل، بخلاء أبًا عن جد... مرَّ وقت طويل ولما يظهر الويتشر. منذ أن ذهب إلى البرك، اختفى. رجل غريب. رأيتُ كيف كان ينظر في المساء إلى الصبيتين، إلى سينيا وتانجرينكا، عندما كانتا تلعبان في الفناء؟ كانت نظراته غريبة. والآن... لا أستطيع أن أدفع عني الانطباع بأنه مضى ليكون وحيدًا. وقد قَبِلَ ضيافتي لأن مزرعتي منعزلة، بعيدة عن الآخرين. أنت تعرفه أكثر مني، يا ياسكير، قل...».

قتل الشاعر بعوضة على عنقه، وراح يطنطن على عودِه، محدقًا إلى أشكال الصفصاف السوداء فوق البركة: «أعرفه؟ لا، يا بيرني. لا أعرفه. أعتقد أن لا أحد يعرفه. لكنَّ شيئًا ما يحدث له، أرى ذلك. لماذا جاء إلى هنا، إلى

هيروندم؟ ليكون إلى جزيرة ثانيد أقرب؟ وعندما اقترحت البارحة عليه أن نسافر معاً إلى جروس فيلين، حيث يمكننا رؤية ثانيد، رفض دون تفكير. ما الذي يبقيه هنا؟ هل أعطيتموه أيّ مهامّ مريحة؟».

تمتم الهوبيتي: «أبدأ. بصراحة، لا أصدق بتاتاً أن وحشاً يمكن أن يكون هنا حقاً. ذاك الطفل الذي غرق في البركة قد يكون أصيب بتشنج. ولكنّ الجميع يصرخون على الفور بأن الفاعل هو الوحش الغارق أو كيكيمورا، ويجب استدعاء الويتشر... ووعده بمبلغ مالي تافه، يخجل المرء من ذكره. وماذا فعل؟ ثلاث ليالٍ جاب السدود الترابية، في النهار ينام أو يجلس هامداً كحطبة دون أن ينطق بكلمة، ينظر إلى الأطفال، إلى المنزل... هذا غريب. بل كنت سأقول، غير مألوف».

- جيد ما كنت ستقول.

لمع البرق، مضيئاً الفناء وأبنية المزرعة. شعّت لحظةً بالبياض بقايا القصر الإلفي عند نهاية السد الترابي. بعد هنيهة، دارت جلجلة الرعد فوق البساتين. هبّت ريح عاتية، أصدرت الأشجار والقصب من جوانب البركة هزيراً ومالت منحنية، تجعّدت صفحة الماء وتعكرت، وتصلبت بأوراق النيلوفر المنتصبة. رنا صاحب المزرعة إلى السماء: «ومع ذلك، فإن العاصفة تتجه نحونا. ربما شتتها السحرة من الجزيرة بأسحارهم؟ وصل إلى ثانيد، على ما قيل، قرابةً مثتي ساحر... ماذا تظن، يا ياسكير، فيم سيتشاورون في اجتماعهم هذا؟ هل سيتمخض عنه ما يفيد؟».

مرّر التروبادور إبهامه على أوتار العود: «لنا؟ أشك في ذلك. هذه الاجتماعات عادة ما تكون استعراض أزياء، وثرثرات، وفرصةً للنميمة والصراعات الداخلية. هي مشاجرات حول أكان يجب نشر السحر أم جعله حكراً على النخبة. مشاحنات بين أولئك الذين يخدمون الملوك وأولئك الذين يفضلون الضغط على الملوك من بعيد...».

قال بيرني هوفماير: «ها. يبدو لي إذن، أن خلال هذا الاجتماع، سوف تلمع البروق وتدوي الرعود في ثانيد على نحو لا يقل سوءاً عما يحدث في أثناء العاصفة».

- ربما. لكن ما شأننا بذلك؟

قال الهوبيتي بكآبة: «لا شَأَنَ لَكَ بِذَلِكَ بَتَاتًا. فَأَنْتَ تَطْنُظُنْ عَلَى الْعُودِ وَتَدْنِدُنْ فَقَط. تَنْظُرُ إِلَى الْعَالَمِ مِنْ حَوْلِكَ وَلَا تَرَى سِوَى الْأَوْزَانِ وَالنِّغْمَاتِ. أَمَّا نَحْنُ -فَقَط فِي الْأَحَدِ الْأَخِيرِ- فَقَدْ سَحَقَ الْخَيَالَةَ مَلْفُوفَنَا وَلِفْتَنَا بِحَوَافِرِ خِيُولِهِمْ مَرَّتَيْنِ. الْجَيْشُ يَطَارِدُ السَّنَاجِيْبَ، وَالسَّنَاجِيْبُ يَتَسَلَّلُونَ وَيَلْتَفُونَ وَيَهْرَبُونَ، وَكِلَا الطَّرْفَيْنِ يَتَخَذَانِ مَلْفُوفَنَا طَرِيقًا لِهَمَا...».

ردد الشاعر: «الْوَقْتُ لَيْسَ مَنَاسِبًا لِلتَّأْسُفِ عَلَى الْمَلْفُوفِ فِيمَا تَحْتَرِقُ الْغَابَةُ».

شزره بيرني هوفماير: «أَنْتِ، يَا يَاسْكِيرُ، عِنْدَمَا تَقُولُ شَيْئًا، لَا يَعْرِفُ الْمَرْءُ أَكُنَ سِيْبِكِي أَمْ يَضْحَكُ أَمْ يَرُكِّلُ مُؤَخَّرَتَكَ. أَنَا أَتَكَلَّمُ بِجَدِيَّةٍ! وَأَقُولُ لَكَ، لَقَدْ قَدْ حُلَّ الزَّمَنُ الْبَائِسُ. الْمَشَانِقُ بِجَوَارِ الطَّرِيقِ، وَالْجُنُثُ فِي فَسْحَاتِ الْغَابَاتِ وَدُرُوبِهَا، اللَّعْنَةُ، لَا بُدَّ أَنْ هَذَا الْبَلَدُ هَكَذَا كَانَ يَبْدُو فِي زَمَنِ فَالْكَ. فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَعِيشَ؟ فِي النَّهَارِ يَأْتِي رِجَالُ الْمَلِكِ وَيَهْدِدُونَنَا بِأَنَّهُمْ سَيَأْخُذُونَنَا إِلَى الْمَقْطَرَةِ فِي حَالِ مَسَاعَدَةِ السَّنَاجِيْبِ. وَفِي اللَّيْلِ يَظْهَرُ الْإِلْفِيُّونَ، وَجَرَّبَ أَنْ تَرْفُضَ مَسَاعَدَتَهُمْ! يَعِدُونَنَا بِطَرِيقَةٍ شَاعَرِيَّةٍ بِأَنَّنَا سَنَرَى كَيْفَ يَكْتَسِبُ اللَّيْلُ قِسْمَاتِ حُمْرًا. إِنَّهُمْ شَاعَرِيُونَ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْمَرْءَ عَلَى وَشِكِ التَّقْيُوءِ. وَهَكَذَا رَمُونَا بَيْنَ نَارَيْنِ...».

- هَلْ تَعَوَّلُ عَلَى أَنْ يَغْيِرَ اجْتِمَاعُ السَّحَرَةِ شَيْئًا؟

- أَجَلْ، أَعُولُ. لَقَدْ قُلْتُ، أَنْتَ نَفْسَكَ، إِنَّ ثَمَّةَ تَيَارَيْنِ فِي صَفُوفِ السَّحَرَةِ يَتَصَارِعَانِ. لَقَدْ حَدَثَ فِي الْمَاضِي أَنَّ السَّحَرَةَ كَبَحُوا جَمَاحَ الْمُلُوكِ، وَوَضَعُوا حَدًّا لِلْحُرُوبِ وَالْاضْطِرَابَاتِ. إِنَّ السَّحَرَةَ تَحْدِيدًا هُمْ مَنْ صَنَعُوا السَّلَامَ مَعَ نِيلْفَجَارْدَ قَبْلَ ثَلَاثِ سِنَوَاتٍ. رُبَّمَا هَذِهِ الْمَرَّةُ أَيْضًا...

سَكَتَ بِيرْنِي هُوفْمَايِرُ، مُصَغِيًّا. كَتَمَ يَاسْكِيرُ بَرَاخَةَ يَدِهِ الْأَوْتَارِ الَّتِي كَانَتْ تَطْنُ.

طَلَعَ الْوَيْتِشَرُ إِلَى السَّدِّ التَّرَابِيِّ مِنْ وَسْطِ الظَّلَامِ. سَارَ بِبَطْءٍ تَجَاهَ الْمَنْزِلِ. لَمَعَ الْبَرْقُ مِنْ جَدِيدٍ. حِينَ دَوَّى الرِّعْدُ، كَانَ الْوَيْتِشَرُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ، فِي الرُّوَاقِ.

سَأَلَ يَاسْكِيرُ، لِيَكْسِرَ الصَّمْتَ الْمَحْرَجِ: «حَسَنًا، مَاذَا يَا جِيرَالْتِ؟ هَلْ اصْطَدْتَ الْمَسْخَ؟».

- لا. هذه ليست ليلة للصيد. إنها ليلة مضطربة. مضطربة... أنا متعب،
يا ياسكير.

- اجلس إذن، واسترخ.

- أنت لم تفهمني.

تمتم الهوبيتي، ناظرًا إلى السماء، ومصيحًا: «أصبّت. ليلة مضطربة، شيء سيئ عالق في الهواء... الحيوانات تتخبط في الحظيرة... وخلال هذه الرياح الشديدة تُسمع صرخات...».

قال الويتشر بصوت خافت: «الصيد البري. أحكموا إغلاق مصاريع النوافذ،
يا سيد هوفماير».

ذُعر بيرني: «الصيد البري؟ الأشباح؟».

- لا تقلق. سيمرُّ عاليًا. دائمًا ما يمر عاليًا في الصيف. لكنّ الأطفال قد يستيقظون، فالصيد البري يجلب الكوابيس. من الأفضل إغلاق مصاريع النوافذ.

قال ياسكير، ناظرًا بقلق إلى الأعلى: «الصيد البري ينذر بالحرب».

- هراء. خرافة.

- لكنّ! قبل مدة قصيرة من هجوم نيلفجارد على سينترا...

قاطعه الويتشر بإشارة، واستقام فجأة، محدقًا إلى الظلام: «اخفض صوتك!».

- ماذا...

- الخيالة.

قال هوفماير كازًا أسنانه، وهو يهبُّ من الأريكة: «تبًا لدم الكلاب».

- في الليل، لا يمكن أن يظهر أحد سوى السكويائتيليين...

قاطعه الويتشر، وهو يرفع السيف من الأريكة: «حصان واحد. حصان واحد حقيقي. الباقي أشباح من ركب الصيد... اللعنة، هذا غير ممكن... في الصيف؟».

هَبَّ يَاسْكِرٍ وَاقْفًا أَيْضًا، لَكِنَّهُ خَجَلَ أَنْ يَهْرَبَ، لِأَنْ جِيرَالَتَ وَبِيرَنِي لَمْ يَتَهَيَّأَ لِلْفِرَارِ. اسْتَلَّ الْوَيْتَشْرُ سَيْفَهُ وَرَكَضَ تَجَاهَ السَّدَ التَّرَابِي، وَتَبَعَهُ الْهُوبِيَّتِي دُونَ لَحْظَةٍ تَفْكِيرٍ، مُسَلِّحًا بِمِزْرَاةٍ. لَمَعَ الْبَرْقُ مِنْ جَدِيدٍ، وَلَاحَ حِصَانٌ يَجْرِي عَلَى السَّدِّ. خَلْفَ الْحِصَانِ سَارَ شَيْءٌ غَيْرٌ مُحَدَّدٍ، عَلَى هَيْئَةٍ كُومَةٍ غَيْرٍ مُنْتَظِمَةٍ مُنْسُوجَةٍ مِنَ الظَّلَامِ وَالضُّوْءِ، دُوَّامَةٌ، وَهَمٌّ. شَيْءٌ يَثِيرُ الذَّعْرَ الشَّدِيدَ، وَالرَّعْبَ الْفُظْلِيْعَ الَّذِي يَلْوِي الْأَحْشَاءَ.

صَرَخَ الْوَيْتَشْرُ، رَافِعًا سَيْفَهُ. رَأَاهُ الْخِيَالُ، فَسَرَّعَ جَرِي فَرَسِهِ، وَتَلَفَّتْ خَلْفَهُ. صَرَخَ الْوَيْتَشْرُ مَرَّةً أُخْرَى. قَصَفَ الرَّعْدُ.

لَمَعَ شَيْءٌ فِي السَّمَاءِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَرْقًا هَذِهِ الْمَرَّةَ.

جَثَا يَاسْكِرٌ بِجَانِبِ الْأَرِيكَةِ، وَكَانَ سَيَدْخُلُ تَحْتَهَا، لَكِنَّهَا كَانَتْ مُنْخَفِضَةً جَدًّا. تَرَكَ بِيرَنِي الْمِزْرَاةَ تَسْقُطُ. رَكَضَتْ بِيْتُونِيَا هُوفْمَايِرَ، الَّتِي هُرِعَتْ مِنَ الْمَنْزِلِ، وَرَاحَتْ تَصْرُخُ.

تَجَسَّدَ السُّطُوعُ الَّذِي يُبْهِرُ الْأَبْصَارَ فِي هَالَةٍ شَفَافَةٍ، لَاحَتْ دَاخِلَهَا شَخْصِيَّةٌ، أَخَذَتْ تَتَشَكَّلُ مَلَامِحُهَا وَتَفَاصِيلُهَا بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ. عَرَفَهَا يَاسْكِرٌ عَلَى الْفُورِ. عَرَفَ هَذِهِ الْخَصَلَاتِ السُّودَ الْمُضْطَرِبَّةَ وَالنَّجْمَةَ الْمَصْنُوعَةَ مِنَ السَّبِجِ الْمَثْبُتَةِ عَلَى شَرِيْطِ الْمَخْمَلِ. الْوَجْهَ كَانَ الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْهُ وَلَمْ يَرَهُ مِنْ قَبْلُ. وَجْهَ الْهَيْجَانِ وَالْحَنْقِ، وَجْهَ إِلَهَةِ الْإِنْتِقَامِ، وَالْهَلَاكِ وَالْمَوْتِ.

رَفَعَتْ يَنِيْفَرُ يَدَهَا وَصَاحَتْ بِتَعْوِيْذَةٍ، فَانْطَلَقَتْ مِنْ يَدِهَا لَوَالِبُ نَاصِرَةٍ شَرَارَاتٍ مَصْحُوبَةٌ بِهَسْهَسَةٍ، وَشَاقَّةٌ سَمَاءَ اللَّيْلِ، وَمُرْتَدَّةٌ بِأَلْفِ انْعِكَاسٍ عَلَى سَطْحِ الْبَرْكِ. انْغَرَسَتْ اللَّوَالِبُ كَرِمَاحٍ قَصِيْرَةٍ فِي دُوَّامَةِ تَطَارْدِ الْفَارَسِ الْوَحِيدِ. تَدَحَّرَجَتِ الدُّوَّامَةُ بِعَنْفٍ، بَدَأَ لِيَاسْكِرُ أَنَّهُ يَسْمَعُ صَرَخَاتٍ رَهِيْبَةً، وَيَرَى أَطْيَافًا كَابُوسِيَّةً لَخِيُولٍ شَبْحِيَّةٍ. رَأَى ذَلِكَ فِي جِزْءٍ مِنْ ثَانِيَةِ وَاحِدَةٍ، فَقَدْ انْكَمَشَتِ الدُّوَّامَةُ فَجَاءَتْ وَتَكَوَّرَتْ وَانْطَلَقَتْ إِلَى الْأَعْلَى نَحْوَ السَّمَاءِ، مَمْدُدَةً نَفْسَهَا فِي انْدِفَاعِهَا، وَمَجْرَجَرَةً خَلْفَهَا ذِيْلًا يَشْبَهُ الْمَذْنَبَ. حَلَّ الظَّلَامُ، وَلَمْ يَتَخَلَّلْهُ مِنَ الضُّوْءِ إِلَّا وَمِيْضٌ مُرْتَجِفٌ مِنْ فَاَنُوسٍ، كَانَتْ تَمَسُكُ بِهِ بِيْتُونِيَا هُوفْمَايِرَ.

أَوْقَفَ الْخِيَالُ حِصَانَهُ فِي الْفَنَاءِ أَمَامَ الدَّارِ، انْزَلَقَ مِنَ الرَّحْلِ، وَتَمَايَلُ. أَدْرَكَ يَاسْكِرُ عَلَى الْفُورِ مِنْ يَكُونُ. لَمْ يَرَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْفَتَاةِ النَّحِيْفَةِ ذَاتِ الشَّعْرِ الرَّمَادِيِّ. لَكِنَّهُ عَرَفَهَا عَلَى الْفُورِ.

قالت الفتاة بصوت خفيض: «جيرالت... السيدة وينيفر... أعذر... كان عليّ أن أفعل ذلك. إنك تعلم...».

قال الويتشر: «سيري».

خطت وينيفر خطوة نحو الفتاة، لكنها توقفت. ظلت صامتة.

فكر ياسكير: إلى من ستقترب؟ لا أحد منهما، لا الويتشر ولا الساحرة، سيخطو خطوة أو يومئ إيماءة واحدة. إلى من ستقترب أولاً؟ إليه؟ أم إليها؟ سيري لم تدن من أي منهما. لم تستطع أن تختار. ففقدت وعيها.



كان المنزل فارغاً، فقد غادر الهوبيتي وأسرته بأكملها إلى العمل عند بزوغ الفجر. تظاهرت سيري بأنها نائمة، لكنها سمعت جيرالت وينيفر يغادران. تسلفت من فراشها، وارتدت ملابسها بسرعة، ثم انسلت خلسة من الغرفة، وتبعتهما إلى البستان.

انعطف جيرالت وينيفر إلى السد التراي بين البرك التي زهت ببياض النيلوفر وصفرة النينوفر. اختبأت سيري خلف جدار متهدم وراقبتهما من خلال أحد الشقوق. لقد ظننت أن ياسكير، الشاعر الشهير الذي كانت تقرأ أشعاره مرات كثيرة، لا يزال نائماً. لكنها أخطأت. الشاعر ياسكير لم يكن نائماً. وقد أمسك بها متلبسة.

دنا منها بغتة، وقال ضاحكاً بلؤم: «هيه، هل من الجميل أن تتجسسي وتتنصتي بهذه الطريقة؟ حافظي على السرية أكثر يا صغيرة. دعيهما يقضيا قليلاً من الوقت معاً.»

احمر وجه سيري، لكنها على الفور زمّت شفيتها.

تكلمت كازة أسنانها بتحدٍ: «أولاً، أنا لست صغيرة. ثانياً، أظن أنني لا أزعجهما، ها.»

بدا ياسكير جدياً بعض الشيء.

قال: «ربما لا. بل يبدو لي أنك تساعدنيهما.»

- كيف؟ فيم؟

- لا تتظاهري. ما فعلته البارحة كان ماكراً جداً. لكنكِ لم تفلحي في خداعي. لقد تظاهرتِ بفقدان الوعي، صحيح؟
تمتعتُ، وهي تدير وجهها: «صحيح، السيدة ينيفر اكتشفتُ ذلك، لكنَّ جيرالت لم...».

- لقد حملكِ إلى المنزل. وتلامستُ أيديهما. جلسا بجانب سريركِ حتى ما يقارب الصباح، لكنهما لم يتبادلا كلمة واحدة. الآن فقط قررا أن يتحدثا، هناك على السد الترايبي، عند البركة. وأنتِ قررتِ التنصت على ما يقولان... ومراقبتهما من خلال ثقب في الجدار. هل عليكِ أن تعرفي بهذه السرعة ما يفعلان هناك؟

احمرَّ وجه سيرري بعض الشيء: «إنهما لا يفعلان شيئاً هناك! إنهما يتحدثان قليلاً، هذا كل شيء».

جلس ياسكير على العشب تحت شجرة تفاح، وأسند ظهره إلى جذعها بعد أن تحقق سابقاً من خلوه من النمل أو اليساريع: «وأنت... أنتِ تودين معرفة عما يتحدثان، أليس كذلك؟».

- بلى... نعم! وفي المحصلة... في المحصلة، أنا لا أسمع شيئاً على أي حال. إنهما بعيدان جداً.

ضحك الشاعر المغني: «إن شئتِ، فسأقول لك».

- وكيف لك أن تعرف ذلك أساساً؟

- ها، ها. أنا، يا سيرري اللطيفة، شاعر. الشعراء يعرفون كل شيء عن مثل هذه الأمور. سأخبركِ بشيء آخر: الشعراء يعرفون عن هذه الأمور أكثر من الأشخاص المعنيين أنفسهم.

- يا للدقة!

- أعطيكِ كلمتي. كلمة شاعر.

- حقاً؟ إذن... إذن قل، عمَّ يتحدثان؟ اشرح لي، ما يعني هذا كله.

- انظري مرة أخرى من خلال الثقب وشاهدي ماذا يفعلان.

عضتُ سيرري شفتها السفلية، ثم انحنت وقربت عينها من الثغرة: «هممم... السيدة ينيفر تقف عند الصفصافة... تقطف الأوراق وتعبث بنجمتها... لا

تقول شيئاً ولا تنظر إلى جيرالت بتأتاً... وجيرالت يقف بجانبها. خفض رأسه. يقول شيئاً. لا، إنه صامت. آه، تعابير وجهه... يا لها من تعابير غريبة...».

وجد ياسكير تفاحة في العشب، ومسحها على سرواله، ثم فحصها بدقة: «الأمر شديد البساطة. إنه يطلب منها الآن أن تسامحه على كلماته وأفعاله الحمقاء المتنوعة. يعتذر عن عدم صبره، وفقدانه الثقة والأمل، وعن عناده وتعنته، وعن حرّده وحدية تصرفاته التي لا تليق بالرجل. يعتذر عن شيء لم يفهمه من قبل، عن شيء لم يرغب في فهمه...».

استقامت سيرى وبحركة سريعة أزاحت غرّة شعرها عن جبهتها: «هذا ما لا يمكن تصديقه! أنت تخلق هذا كله!».

حدّق ياسكير إلى السماء، وبدأ صوته يأخذ الإيقاع الخاص بقصائد البالادا: «يعتذر عما لم يفهمه إلا الآن... عما يودّ فهمه، لكنه يخشى ألا يسعفه الوقت... وعما لن يفهمه أبداً. يعتذر ويطلب المغفرة... هممم، هممم... المعنى... الضمير... القدر؟ كل شيء مبتذل، اللعنة...».

خبطت سيرى الأرض بقدمها: «ليس صحيحاً! جيرالت لا يقول ذلك البتة! إنه... لا يقول شيئاً على الإطلاق. إنني رأيت ذلك. إنه يقف هناك صامتاً...».

- هذا هو دور الشعر، يا سيرى. التحدث عن الأمور التي يصمت عنها الآخرون.

- دورك هذا غبي. وأنت تخلق كل شيء.

- وهذا أيضاً دور الشعر. هيه، أسمع أصواتاً مرتفعة من فوق البركة. انظري بسرعة، شاهدي ما يحدث هناك.

وضعت سيرى عينها على الثقب في الجدار من جديد: «جيرالت يقف هناك خافضاً رأسه. وينيفر تصرخ عليه بشدة. تصرخ وتلوح بيديها. واه... ماذا يمكن أن يعني ذلك؟».

حدق ياسكير مجدداً إلى الغيوم الجارية في السماء: «الأمر شديد البساطة. الآن هي تعتذر له».

مكتبة
t.me/soramnqraa

هأنا آخذك لنفسي لي، ولأمتلكك وأحتفظ بك، في
الأسفل، جميلة وقبيحة، الأفضل والأسوأ، في النهار
والليل، في المرض والصحة، لأنني أحبك من كل
قلبي، وأقسم أن أحبك إلى الأبد، إلى أن يفرقنا الموت.

صيغة الزواج القديمة

عن الحب نعلم القليل. الحب يشبه الإجاص.
الإجاص حلوة ولها شكل. حاولوا تعريف شكل
الإجاص.

ياسكير، نصف قرن من الشعر

الفصل الثالث

كانت لدى جيرالت أسباب ليشك -وكان يشك- أن ولائم السحرة تختلف عن مآدب البشر العاديين وحفلاتهم. لكنه لم يتوقع أن تكون الفروق بهذا الحجم الكبير وبهذا العمق.

كان عرض مرافقته ينيفر إلى الوليمة التي سبقت اجتماع السحرة مفاجئاً له، لكنه لم يصبه بالذهول. فلم يكن أول عرض من هذا النوع يُقدَّم له. سابقاً، في أثناء عيشهما معاً في وئام، رغبت ينيفر في حضور الاجتماعات واللقاءات السرية برفقته. بيد أنه رفض بحزم في ذلك الوقت. كان مقتنعاً بأنه سيُعامل بين السحرة، في أحسن الأحوال، كشيء غريب ومحفَّز للإثارة، وفي أسوأ الأحوال كمتطفل ومنبوذ. كثيراً ما سخرت ينيفر تسخر من مخاوفه، لكنها لم تكن تلح عليه. ولما كانت تستطيع في مواقف أخرى أن تلح لدرجة أن البيت يهتز ويتناثر فيه الزجاج، فقد ترسخت القناعة لدى جيرالت بأن قراراته كانت صحيحة.

هذه المرة، وافق دون تفكير. جاء العرض بعد حديث طويل وصريح ومليء بالعاطفة. بعد الحوار الذي قرب بينهما من جديد، وأزاح الخلافات القديمة جانباً ووضعها في خانة النسيان، وأذاب جليد العتب، والكبرياء، والتعنت. بعد الحديث على السد الترابي في هيروندم، كان جيرالت سيوافق على أي عرض، أي عرض على الإطلاق، تقدمه ينيفر. لن يرفض، حتى لو اقترحت عليه زيارة مشتركة إلى الجحيم لشرب كوب من القطران المغلي رفقة شياطين النار.

وسيري أيضًا، لولاها لما كان هذا الحديث ولا ذاك اللقاء. سيري التي اهتم بها أحد السحرة، حسب كودرينغر. عوّل جيرالت على أن حضوره الاجتماع سيستفز الساحر ويجبره على التحرك. لكنه لم يقل شيئاً لينيفر عن ذلك.

من هيروندم ساروا مباشرة إلى ثانيد، هو، وهي، وسيري، وياسكير. في البداية، أقاموا في المجمع الضخم لقصر لوكسيا، الذي يتبوأ السفح الجنوبي الشرقي للجبل. لقد عَجَّ القصر بضيوف الاجتماع ومن يرافقهم، لكنّ لينيفر وُجِدَتْ على الفور أماكن للإقامة. قضوا في لوكسيا يوماً كاملاً. أضع جيرالت ذلك اليوم في الحديث مع سيري، وياسكير أضعه في الركض، وجمع الشائعات ونشرها، وأضعته الساحرة في قياس الأزياء على جسدها واختيارها. وعندما حلّ المساء، انضمّ الساحر وينيفر إلى الموكب الملون المتجه إلى أريتوزا - القصر الذي ستقام فيه الوليمة. والآن، في أريتوزا، أخذت الدهشة جيرالت وحركته المفاجأة، مع أنه طالما وعد نفسه أنه لن يُدهش من أي شيء، ولن يسمح لأي شيء بمفاجأته.

بُنِيَتْ قاعة القصر المركزية الضخمة على شكل حرف „T“. كان للجانب الأطول نوافذ ضيقة وعالية على نحو لا يصدق، فتكاد تبلغ قنطرة السقف المسنودة بالأعمدة. وكانت قنطرة السقف أيضًا مرتفعة. مرتفعة جدًا لدرجة أن رؤية تفاصيل الرسوم الجدارية التي تزينه، خصوصًا جنس العراة الذين شكّلوا الموضوع الأكثر تكررًا في اللوحات الجدارية. على النوافذ زجاج معشق لا بدّ أن ثمنه يعادل ثروة حقيقية، ومع ذلك جرى في القاعة تيار هوائي محسوس بوضوح. استغرب جيرالت أن الشموع لا تنطفئ، لكنه بعد مراقبتها مراقبة أدقّ توقف عن الاستغراب. كانت الشمعدانات سحرية، وربما حتى وهمية. وفي كل الأحوال، أعطت الأضواء الكثير، أكثر بكثير مما تعطي الشموع.

عندما دخلوا، كان مئة شخص أو يزيد في الداخل. يمكن للقاعة، كما قدّر الويتشر، أن تستوعب ما لا يقل عن ثلاثة أضعاف هذا العدد، حتى لو وضعت المناضد في منتصفها على شكل حدوة حصان، وفَقَّ العُرف المتبع. لكنّ أي حدوة حصان تقليدية لم تكن موجودةً بتاتًا. بدا أن تناول الطعام والشراب سيكون وقوفًا، وبالتجول المتواصل على طول الجدران المزينة

بأنسجة النجود، والأكاليل، والرايات المثلثة المتمايلة في التيار الهوائي. صُفِّتِ الموائد تحت أنسجة النجود والأكاليل في صفوف طويلة. تراكمتُ على الموائد الأطعمة البديعة على أوانٍ أبدعَ، وسط طاقات زهور بديعة ومنحوتات بديعة من الجليد. بعد معاينة أدق، تأكد لجيرالت أن الفخامة البديعة كانت أكثر، أكثر بكثير من الطعام.

- لا توجد مائدة. (أكد بصوت كئيب حقيقة واضحة، وهو يعدل قفطانه القصير الأسود المضفور بالفضة، والمضيّق عند الخصر، والذي ألبسته إياه ينيفر. يُعرَف هذا القفطان، الذي يعدُّ أحدث صيحات الموضة، باسم «دُبلية». لم تكنُ للويتشر أي فكرة من أين جاءت هذه التسمية. ولم يرغب في معرفة ذلك).

لم تردّ ينيفر. وجيرالت لم يتوقع ردّها منها، كان يعلم جيدًا أن الساحرة لم تعتدِ الرد على مثل هذه الملاحظات. لكنه لم يستسلم. واستمر في التأفف. ببساطة، كان يشعر برغبة في التأفف.

- لا موسيقى هنا. الرياح تعول بشدة. لا مكان للجلوس. سنأكل ونشرب واقفين؟

رمتُه الساحرة بنظرة بنفسجية مديدة وذات معنى.

قالتُ بهدوء غير متوقع: «نعم، سنتناول الطعام واقفين. واعلم أيضًا أن الوقوف الطويل عند مائدة الطعام يُعدُّ انعدامًا للباقة.

تمتم: «سأحاول أن أكون لبقًا. لا سيّما ألا شيء يستحق فعلًا الوقوف عنده، كما أرى».

استمرتُ ينيفر في إلقاء تعليماتها، دون أن تُولي أيَّ اهتمام لتمامات الخفيضة: «الشرب على نحو مفرط يُعد انعدامًا كبيرًا للباقة. وتجنب الحديث يُعد انعدامًا للباقة لا يُغتفر...».

قاطعتها: «وماذا عن هذا النحيف ذي السروال الغبي، الذي الآن يشير إليّ بإصبعه لأنظر إلى رفيقته، هل يُعدُّ ذلك انعدامًا للباقة؟».

- نعم، لكنه غير كبير.

- ماذا سنفعل، يا ين؟

- سنجول في القاعة، نحْيُ الناس، نلقي المجاملات، ونتحدث... توقف عن تعديل «دبليتك» وضبط شعرك.
- لم تسمح لي بارتداء العصابة...
- عصابتك متكلفة. هيا، أمسك بذراعي ولنذهب. الوقوف بالقرب من المدخل يُعدُّ انعدامًا لللباقة.

تجولا في القاعة التي راحت تمتلئ بالضيوف تدريجيًا. كان جيرالت جائعًا إلى حد الهياج، لكنه سرعان ما أدرك أن ينيفر لم تكن تمزح. أصبح جليًا أن العُرف الملزم والسائد بين السحرة يقتضي فعلًا تناول القليل من الطعام والشراب، والتظاهر بعدم الرغبة. والأسوأ من ذلك، أن كل توقف عند مائدة الطعام يجلب معه واجبات الرفقة. يلاحظك أحدهم، يظهر سعادته بأنه لاحظك، ويقترب ليحييك بحرارة زائفة. وبعد التظاهر اللازم بتقبيل الخدود أو بالمصافحة الخفيفة غير اللطيفة، وبعد الابتسامات غير الصادقة والمجاملات الأقل صدقًا، مع أنها كانت كاذبة على نحو كبير، تأتي محادثة قصيرة وتافهة على نحو ممل، عن لا شيء.

كان الويتشر يتلفت باحثًا بحرص عن وجوه مألوفة، أملًا أنه ليس الشخص الوحيد في هذا المكان الذي لا ينتمي إلى أخوية السحرة. كانت ينيفر قد أكدت له أنه لن يكون وحيدًا، لكنه مع ذلك لم يرَ أحدًا من خارج هذه الرابطة، أو لم يتمكن من التعرف بأحد.

حمل خدام البلاط النبيذ على الصواني، متنقلين بين الضيوف. ينيفر لم تشربُ بتاتًا. كان الويتشر يرغب في الشرب، لكنه لم يستطع. دبليته شربت من تحت إبطيه.

سحبته الساحرة بعيدًا عن المائدة، وهي توجه ذراعيها برشاقة، وقادته إلى منتصف القاعة، إلى مركز الاهتمام الشامل. لم تفد المقاومة في شيء. أدرك حقيقة الأمر. لقد كان استعراضًا بأبسط صوره المألوفة.

كان جيرالت يعلم ما يمكن أن يتوقعه، لذلك تحمّل بهدوء رواقى نظرات الساحرات المفعمّة بالفضول المريض، وابتسامات السحرة الغامضة. ومع أن ينيفر أكدت له أن الأعراف واللباقة يمنعان استخدام السحر في مثل هذه المناسبات، لم يصدق أن السحرة يمكنهم الكف عن ذلك، خصوصًا أن ينيفر

كانت تضعه بطريقة استفزازية أمام الملأ. وقد أصاب في عدم تصديقه لذلك. أحسَّ بارتجاف الميدالية عدة مرات وبوخزات الإشارات السحرية. لقد حاول بعضهم، وخصوصًا بعضهنَّ، قراءة أفكاره بوقاحة. كان مستعدًا لذلك، ويعلم ما المقصود، ويعلم كيف يرد بسرعة. نظر إلى ينيفر التي كانت تمشي بجانبه، إلى ينيفر البيضاء السوداء الماسية ذات الشعر الأسود الفاحم والعينين البنفسجيتين، والسحرة الذين كانوا يسبرون أغواره ارتبكوا، وتاهوا، وفقدوا رباطة الجأش والثقة بالنفس على نحو بَيِّن، ما منحه لذة الرضا. نعم، أجابهم في ذهنه، نعم، لستم مخطئين. هي وحدها، هي من جانبي، هنا والآن، وهذا فقط ما يهم. هنا والآن. وأما من كانت هي في الماضي، وأين كانت في الماضي، ومع من كانت في الماضي، فلا يهمُ في شيء على الإطلاق. الآن هي معي، هنا، بينكم. معي، وليستُ مع أحد غيري. نعم، هكذا أفكر بالضبط، ولا أزال أفكر فيها، أفكر فيها دون انقطاع، أحسُّ برائحة عطرها ودفء جسدها. وأنتم اختنقوا بحسدكم.

ضغطتِ الساحرة ذراعَه بقوة، ومالت قليلاً على جنبه.

تمتمت، وهي تُوجِّهه مرة أخرى نحو الموائد: «شكرًا. لكن دون تكابر زائد عن الحد، أرجوك».

- هل أنتم، السحرة، دائمًا تنظرون إلى الصراحة على أنها تكابر؟ هل لأنكم لا تؤمنون بالصراحة، حتى عندما تقرؤونها في أفكار الآخرين؟
- نعم. لهذا السبب.

- ولكنك تشكريني؟

ضغطتِ ذراعَه بقوة أكبر، وتناولت طبقًا: «لأنني أصدقك. املاً الطبق بيعض السلمون، أيها الويتشر. وبيعض السلطعونات».

- هذه السلطعونات من بوفيس. قد صيدت على الأرجح منذ شهر، والجو لاهب. ألا تخافين...

قاطعته: «هذه السلطعونات كانت تزحف في قاع البحر هذا الصباح. النقل الآن اختراع رائع».

وافق: «أجل. يستحق أن يعمم، ألا تظنين ذلك؟».

- نعمل على ذلك. املاّ الطبق، املاّ، أنا جائعة.

- أحبك، يا ين.

توقفت، رفعت رأسها، وأزاحت خَصْلَةً شعر سوداء عن خدها، وأوسعت عينيها البنفسجيتين: «رجوتك، دون تكابر... جيرالت! لقد اعترفت لي بذلك لأول مرة!».

- مستحيل. إنك تسخرين مني.

- لا، لا أسخر. في الماضي كنت تفكر في ذلك، واليوم قلته.

- هل هذا فرق كبير؟

- كبير جدًا.

- ين...

- لا تتكلم وفمك ممتلئ. أنا أحبك أيضًا. ألم أقل لك؟ أيتها الآلهة، ستختنق!

ارفع يديك، سأضربك على ظهرك. تنفس بعمق.

- ين...

- تنفس، تنفس، ستتحسن بعد قليل.

- ين!

- نعم. الصراحة مقابل الصراحة.

- هل أنت بخير؟

عصرت ليمونة على السلمون: «انتظرتُ. لم يكن من المناسب أن أرد على اعترافاتٍ تعتمل في الأفكار. انتظرتُ حتى سمعتُ الكلمات، وأمكنني الرد، وقد رددتُ. أشعر بأنني في حال رائعة».

- ماذا حدث؟

- سأخبرك لاحقًا. كُل. هذا السلمون لذيذ، أقسم بالقوة، حقًا إنه لذيذ.

- هل يمكنني تقبيلك؟ الآن، هنا، أمام الجميع؟

- لا.

اقتربت ساحرة ذات شعر داكن كانت تمر بجانبهما، متحررة من مرفق الرجل الذي يرافقها: «ينيفر! قد أتيت إذن؟ يا له من أمر رائع! لم أرك منذ عهود طويلة!».

فرحت نينفر فرحاً صادقاً، يمكنه أن يخدع الجميع ما عدا جيرالت: «سابرينا! يا حبيبتي! أنا غاية في السرور!».

تعانقت الساحرتان بحذر وقبّلت إحداهما الأخرى قبلاتٍ في الهواء بجانب أذانهما وأقراطهما المرصعة بالماس والجزع العقريقي. كانت أقراط الساحرتين، التي تشبه عناقيد عنب مصغرة، متطابقة؛ وفاحت على الفور رائحة عداء مستعر.

- جيرالت، دعني أعرفك، هذه صديقتي من أيام المدرسة، سابرينا جليفيسيج من أرد كارايغ.

انحنى الويتشر وقبّل يدها الممدودة عاليًا. تمكن حالاً من إدراك أن جميع الساحرات يتوقعن أن تُقبّل أيديهن عند التحية، بحركة تساويهنّ بالأميرات على الأقل.

رفعت سابرينا جليفيسيج رأسها، فاهتزّ قرطاهما وأصدرا رنيناً، بهدوء لكنّ على نحو استعراضي ووقح.

قالت مبتسمة: «تمنيتُ بشدة أن أتعرفك، يا جيرالت. (وكعادة جميع الساحرات، لم تكن تعترف لا بالألقاب، ولا بالصيغ الواجبة بين النبلاء، مثل «السيد» أو «الشريف المكرّم»). أنا مسرورة، مسرورة أشد السرور. أخيراً توقفت عن إخفائه عنّي، يا يناً. بصراحة، أستغرب أنك تأخرت كل هذا الوقت. لا شيء يستدعي الخجل مطلقاً».

أجابت نينفر بتلقائية، مغمضة عينيها قليلاً وهي تزيج شعرها عن قرطها بطريقة استعراضية: «أظنّ ذلك أيضاً. بلوزة رائعة، يا سابرينا، لا بل باهرة. ليس كذلك، جيرالت؟».

أوماً الويتشر برأسه، وابتلع لعابه. كانت بلوزة سابرينا جليفيسيج، المخيطة من نسيج الشيفون الأسود، تكشف تمامًا كل ما يمكن كشفه، وهو ليس بالقليل. تنورتها القرمزية، المشدودة بحزام فضي ذي إبريم كبير على

شكل وردة، مشقوقة على الجانب وفق أحدث صيحات الموضة. لكنّ الموضة كانت تقتضي ارتداء التنورة مشقوقة حتى منتصف الفخذ، فيما سابرينا ارتدت تنورة مشقوقة حتى منتصف وركها. وركها فائقة الجمال.

سألت ينيفر، متظاهرة بأنها لا ترى إلّا ينظر جيرالت: «ما الجديد في كايدين؟ هل لا يزال ملك هينسلت يخسر قواه وموارده لمطاردة السناجيب في الغابات؟ هل لا يزال يفكر في حملة عقابية ضد الإلفيين في دول بلاثانا؟». ابتسمت سابرينا. كان أنفها الطويل بعض الشيء وعيناها الجارحتان يجعلانها شبيهة بالصورة التقليدية للمشعوذة: «فلندع السياسة جانبًا. غداً، في أثناء الاجتماع، سنتحدث في السياسة حتى نشبع. وسنستمع إلى مختلف... الدروس والعبر. عن الحاجة إلى التعايش السلمي... عن الصداقة... وعن ضرورة اتخاذ موقف متضامن تجاه خطط ملوكنا ونواياهم... وإلّا سنستمع أيضًا، يا ينيفر؟ ما الذي يحضره لنا غداً مجلس التشريف فيلجفورتز؟».

- فلندع السياسة جانبًا.

ضحكت سابرينا جليفيسيج ضحكة فضيعة، على وقع رنين خافت من قرطبيها.

- صحيح. فلننتظر حتى الغد. غداً... غداً سيتضح كل شيء. آه، هذه السياسة، وهذه الاجتماعات التي لا تنتهي... يا لتأثيرها الشديد السوء في البشر. من حسن الحظ، لديّ مرهم ممتاز، صدّقيني يا حبيبتي، التجاعيد تختفي كما يختفي الحلم الجميل... هل تريدين وصفته؟

- شكرًا، حبيبتي، لكنني لا أحتاج إليه. حقًا.

- آه، أعلم. لطالما كنت في المدرسة أحسدك على بشرتك. أيتها الآلهة، كم مر من السنين؟

تظاهرت ينيفر بأنها تحيي أحد المارين قربها، فيما ابتسمت سابرينا للويتشر، وأبرزت بتلذذ ما لم يستره الشيفون الأسود.

ابتلع جيرالت لعبه مجددًا، محاولاً عدم التحديق بكثير من الوقاحة إلى حلمتيها الورديتين، الظاهرتين بوضوح تحت النسيج الشفاف. نظر باستحياء إلى ينيفر. كانت الساحرة تبتسم، لكنه كان يعرفها جيدًا. كانت مهتاجة.

قالت فجأة: «أوه، اعذريني. أرى فيليبيا هناك، يجب أن أتحدث إليها، حتمًا. اسمح لي، جيرالت. إلى سلام، سابرينا».

نظرتُ سابرينا جليفيسيج إلى عيني الويتشر: «سلام، يِنَّا. أهنئك مرة أخرى... على ذوقك».

كان صوت ينيفر باردًا على نحو مريب: «شكرًا. شكرًا، عزيزتي». كانت فيليبيا إيلهارت رفقة ديكسترا.

جيرالت، الذي ربطته في وقت مضى علاقة عابرة مع الجاسوس الريداني، كان عليه -من حيث المبدأ- أن يشعر بالسرور، فقد لقي أخيرًا شخصًا يعرفه، شخصًا مثله، لا ينتمي إلى أخوية السحرة. لكنه لم ينعم بالسرور.

قَبَلْتُ فيليبيا الهواء بجانب قرط ينيفر: «فرحتُ برؤيتك، يا يِنَّا. مرحبًا، جيرالت. أنتما تعرفان الكونت ديكسترا، أليس كذلك؟».

حنتُ ينيفر رأسها قليلًا، ومدتُ ليدكسترا يدها، التي قَبَلها الجاسوس باحترام: «ومَن لا يعرفه. أنا مسرورة برؤيتكم مجددًا، أيها الكونت».

أكد رئيس استخبارات الملك فيزيمير الخاصة: «والبهجة تغمرني لرؤيتك مجددًا، يا ينيفر. خصوصًا في مثل هذه الصحبة الطيبة. سيد جيرالت، لكم أعمق احترامي...».

صافح جيرالت اليد الممدودة، كابحًا نفسه عن التوكيد أن احترامه أعمق بكثير، صافحها أو بالأحرى حاول فعل ذلك؛ حجمها تجاوز المقاسات المعتادة، ما جعل المصافحة غير ممكنة عمليًا. كان الجاسوس الضخم يرتدي دبليّة ذات لون بيج زاهٍ، مفتوحةً بطريقة غير رسمية. وبدا واضحًا أنه يشعر بالراحة وهي على جسده.

قالت فيليبيا: «لاحظتُ أنكِ تحدثتِ مع سابرينا؟».

نبرت ينيفر بحدة: «تحدثنا. أرايتِ ماذا ترتدي؟ يجب أن يكون المرء فاقدًا للذوق والحياء لكي... تبًا، هي أكبر مني سنًا ب... لا يهم. لكن لو كان لديها ما يستحق العرض! يا لها من قردة مقرزة!».

- هل حاولتِ استجوابكما؟ الجميع يعلم أنها تتجسس لمصلحة هينسلت من كايدين.

تظاهرت ينيفر بالدهشة، وهذا ما عُدَّ مزحة فُذَّة: «حقًا؟».

سألت ينيفر بعدما توقفت فيليبيا وديكسترا عن الضحك: «وحضرتكم، أيها الكونت، هل تستمتعون جيدًا بحفلنا؟».

انحنى جاسوس الملك فيزيمير انحناءً أنيقة: «جيدًا على نحو لا مثيل له». ابتسمت فيليبيا: «إذا أخذنا بعين الاعتبار، أن الكونت هنا في مهمة رسمية، فمثل هذا التأكيد يُعدُّ توجيه إطراء لنا على نحو غير مسبوق. وكأي إطراء مشابه، فإنه قليل الصدق. قبل قليل فقط اعترف لي أنه يفضل الغبش اللطيف والحميم، ورائحة المشاعل واللحم المشوي بشدة على السفود. ثم إنه يفتقد مائدته التقليدية التي تسيل عليها الصلصة والجعة، حيث يمكنه أن يضربها بكوبه على إيقاع أغاني السكارى السوقية، ويمكنه أن ينزلق تحتها برشاقة مع شروق الصباح، لينام بين الكلاب السلوقية التي تنهش العظام. وقد ظل يصم أذنيه أمام حججي التي تثبت تفوق طريقتنا في الولاثم، فتخليوا ذلك». نظر الويتشر إلى الجاسوس بتلطف أكبر: «حقًا؟ وما تلك الحجج، إن كان ممكنًا أن أعلم؟».

هذه المرة بدا بأوضح ما يمكن أن سؤاله عُدَّ مزحةً فُذَّة، فقد ضحكت الساحرتان كلتاها، في الوقت نفسه.

قالت فيليبيا: «آه، أيها الرجال، لا تفهمون شيئًا. هل يمكن لشخص في أثناء جلوسه إلى المنضدة، وسط الدخان والغبش، أن يُبهر الآخرين بثوبه وقوامه؟».

ولمَّا لم يجد جيرالت كلماتٍ ليقولها، اكتفى بإمالة رأسه. فضغطت ينيفر بلطف ذراعَه.

قالت: «آه. أرى هناك تريس ميريغولد. يجب أن أتبادل معها كلمات قليلة... عذرًا، فسنترككما الآن. إلى اللقاء، يا فيليبيا. بالتأكيد سنجد اليوم وسيلةً للرددشة. أليس كذلك، أيها الكونت؟».

ابتسم ديكسترا وانحنى بعمق: «دون شك. أنا تحت أمرك، يا ينيفر. وعند أي إشارة منك».

اقتربا من تريس، التي كانت تلمع بعدة درجات لونية من الأزرق والأخضر النضر. عندما رأتهما تريس، قطعت حديثها مع اثنتين من السحرة، وضحكت بفرح، ثم عانقت ينيفر، وتكرّر طقس تقبيل الهواء قرب الأذنين. جيرالت أمسك باليد التي مُدّت له، لكنه قرر أن يخالف المراسيم، فعانق الساحرة ذات الشعر الكستنائي، وقبّل خدها اللين والأزغب كالذُّراق. احمرّ وجه تريس قليلاً. قدّم الساحران نفسيهما. كان أحدهما دريثلّم من بونت فانيس، والآخر شقيقه دتمولد. كلاهما كانا في خدمة الملك إستراد من كوفير. كانا قليلي الكلام، وابتعدا في أول فرصة سنحت.

لاحظت تريس وهي تعبت بقلب من اللازورد مغلف بالفضة والماس، ومعلق حول رقبتها: «تحدثتما مع فيليبيا وديكسترا من تريتوجور. تعلمان، طبعًا، من هو ديكسترا؟».

قالت ينيفر: «نعلم. هل تحدث معكِ؟ هل حاول أن يستجوبكِ؟».

ابتسمت الساحرة ابتسامة ذات مغزى وضحكت بخفوت: «حاول، بحذر شديد. لكنّ فيليبيا عرقلت محاولاته قدر الإمكان. وكنتُ أظنّ أنهما في توافقٍ أوّثق».

حذّرت ينيفر بجدية: «هما في توافق تامّ، احذري، يا تريس. لا تنبسي بكلمة أمامه عن... تعلمين عنم أنحدث».

خفّضت تريس صوتها: «أعلم. سأكون حذرة. وبالمناسبة... ما أخبارها؟ هل سأتمكن من رؤيتها؟».

ابتسمت ينيفر: «إذا قررتِ في نهاية المطاف تعليم التمارين في أريتوزا، ستتمكنين من رؤيتها كثيرًا».

فتحت تريس عينيها على اتساعهما: «آه. فهمت. هل سيري...».

- اخفضي صوتك، يا تريس. سنتحدث عن ذلك لاحقًا. غدًا. بعد الاجتماع. ابتسمت تريس بغرابة: «غدًا؟».

قطبت ينيفر حاجبيها، لكنها قبل أن تتمكن من طرح سؤال، سادت جلجلة خفيفة في القاعة فجأة.

تنحنت تريس: «ها هم قد أتوا. وأخيرًا أتوا».

أكدت ينيفر وهي تزيج نظرها عن عيني صديقتها: «أجل. لقد أتوا. جيرالت، وأخيرًا لاحتِ الفرصة لتتعرف أعضاء مجلس التشريف والمجلس الأعلى. إذا تهيأت الوسيلة، فسأقدمك لهم، لكن لن يضر أن تعلم سابقًا من يكون من».

تفرق السحرة المجتمعون، حانين رؤوسهم باحترام للشخصيات التي تدخل القاعة. أول من تقدم رجل ليس فتيةً، لكنه متينُ البنية يرتدي زياً من الصوف شديد التواضع. سارت إلى جانبه امرأة طويلة، ذات ملامح حادة وشعر داكن ممشط بسلاسة.

أعلمته ينيفر بصوت خفيض: «هذا جيرهارت من أيل، المعروف باسم هين جديميث، أقدم السحرة الأحياء. المرأة التي تمشي بجانبه هي تيسايا دي فريس. هي أصغر من هين بقليل، لكنها لا تخجل من استخدام الإكسير». خلف الثنائي سارت امرأة جذابة ذات شعر ذهبي داكن طويل، ترفل في بثوب أخضر مصفر، مزين بمخرمات.

- فرانسييسكا فينداباير، التي تُدعى إينيد آن جليانا، زهرة اللؤلؤية من دولين. لا توسّع عينيك، يا ويتشر. تُعدُّ على نطاق واسع أجمل امرأة في العالم.

أعرب جيرالت عن استغرابه هامسًا: «هل هي عضو في مجلس التشريف؟ تبدو شابةً فتيةً جدًا. هل تستخدم أيضًا الإكسير السحري؟».

- ليس في حالتها. فرانسييسكا إلفية نقية الدم. انتبه إلى الرجل الذي يرافقها. إنه فيلجفورتز من روجيفين. هو شاب فتى حقًا. لكنه موهوب إلى حد لا يصدق».

مصطلح «شاب»، كما عرّفه جيرالت، يمتدُّ ليشمل من يبلغ من السحرة المئة عام وما دونها. بدا فيلجفورتز في الخامسة والثلاثين من العمر. كان طويل القامة، حسن البنية، برداء قصير على الطراز الفروسي، لكن طبعًا دون شارة النبالة. وكان في غاية الوسامة أيضًا. وقد استرعى ذلك انتباه الناظرين حتى بوجود فرانسييسكا فينداباير ذات العينين الواسعتين كعيني الغزال، وذات الجمال الأخاذ، التي كانت تتهاذى بخفة إلى جانبه.

أوضحت تريس ميريجولد: «ذاك الرجل القصير الذي يسير بجانب فيلجفورتز هو أرتود تيرانوفا. هؤلاء الخمسة يشكلون مجلس التشريف...».

- وتلك الفتاة ذات الوجه الغريب التي تسير خلف فيلجفورتز؟

قالت ينيفر ببرود: «إنها مساعدته، ليديا فان بريدفورت. شخصية لا أهمية لها، لكنَّ التحديق إلى وجهها يُعدُّ انعدامًا كبيرًا للباقة. والأحرى أن تلتفت إلى هؤلاء الثلاثة الذين يسرون في الخلف، إنهم أعضاء المجلس الأعلى. فيركارت من سيدارس، رادكليف من أوكسينفورت، وكاردوين من لان إكستر».

- أهذا هو المجلس كاملاً؟ بكل أعضائه؟ كنت أظن أنهم أكثر عددًا.

- يتكون مجلس التشريف من خمسة أشخاص، ويضم المجلس الأعلى خمسة آخرين. فيليبيا إيلهارت أيضًا في المجلس الأعلى.

هز جيرالت رأسه: «لا يزال حساب العدد غير متوافق، كما أرى».

وضحكت تريس ضحكة خافتة.

- ألم تخبريه؟ ألا تعلم حقًا، يا جيرالت؟

- أعلم ماذا؟

- ينيفر أيضًا عضو في المجلس الأعلى. منذ معركة سودن. ألم تتباهى وتخبريه حتى الآن، يا عزيزتي؟

نظرت الساحرة إلى عيني صديقتها مباشرة: «لا، عزيزتي. أولاً، لا أحب التباهي. ثانيًا، لم يكن ما يكفي من الوقت. لم أرَ جيرالت منذ زمن طويل جدًّا، ولدينا قضايا كثيرة متراكمة، تجمعها قائمة طويلة. ونحن نسوي تلك القضايا وفق هذه القائمة».

قالت تريس مرتبكة: «هذا واضح. هممم... بعد هذا الوقت الطويل جدًّا... أتفهم الأمر. ثمة ما يستدعي الحديث عنه...».

ابتسمت ينيفر ابتسامة غامضة، وشرفت الويتشر بنظرة أخرى مديدة: «الاحاديث تأتي في نهاية القائمة. في آخرها تمامًا، يا تريس».

اضطربت الساحرة ذات الشعر الكستنائي، واحمرَّ وجهها قليلًا.

كررت وهي تعبت محرجة بالقلب المشغول من اللازورد: «أتفهم الأمر».

- يسعدني جدًا أنك تتفهمين. جيرالت، أحضر لنا النبيذ. لا، ليس من هذا الخادم. من ذاك، ذلك الأبعد.

أطاع، وقد أحس إحساسًا لا يخطئ بالنبرة الآمرة في صوتها. راقب الساحرتين خلسةً، وهو يأخذ الكؤوس من الصينية التي يحملها الخادم. تحدثت ينيفر بسرعة وبصوت منخفض، فيما استمعت تريس ميريجولد خافضةً رأسها. عندما عاد جيرالت إلى مكانه، لم تكن تريس هناك.

لم تبتد ينيفر اهتمامًا بالنبيذ الذي جلبه، فترك الكأسين، اللتين لم تعد ضرورة لهما، على المنضدة.

سأل ببرود: «ألم تبالغي في الأمر؟».

اشتعلت عينا ينيفر باللون البنفسجي.

- لا تحاول أن تجعل مني بلهاء. هل ظننت أنني لا أعلم ما بينك وبينها؟

- إذا كان الأمر يتعلق بذلك...

قاطعته: «بالضبط يتعلق بذلك. لا تفتعل تعابير غبية على وجهك، وكفّ عن التعليقات. وقبل كل شيء، لا تحاول الكذب. أعرف تريس أكثر مما أعرفك بمدة طويلة، نفهم بعضنا جيدًا وسنظل نفهم بعضنا، بصرف النظر عن بعض الحوادث... البسيطة المختلفة. والآن، بدا لي أن لديها بعض الشكوك. لذا بددتها، وهذا كل شيء. لن نعود إلى ذلك».

لم يكن ينوي ذلك. أراحت ينيفر خصلات من شعرها عن خدها.

- سأتركك الآن لحظة، يجب أن أتحدث مع تيسايا وفرانسيكا. تناول مزيدًا من الطعام، لأن معدتك أخذت تقرر. وكن يقظًا. من المؤكد أن عددًا من الأشخاص سيتهافتون عليك. فلا تكن مطية لخدعهم، ولا تقسّد سمعتي.

- كوني مطمئنة.

- جيرالت؟

- نعم.

- لقد أعربت قبل وقت قصير عن رغبتك في تقبيلي هنا، أمام الجميع. لا يزال الأمر قائمًا؟

- لا يزال.

- حاول ألا تفسد أحمر الشفاه.

ألقي نظرة بطرف عينه على الحاضرين، الذين راقبوا القبلة، لكن دون إلحاح. أما فيليبيا إيلهارت، التي كانت تقف مع مجموعة من السحرة الشباب على مقربة، فغمزته بعينها وتظاهرت بأنها تصفق.

انتزعتُ ينيفر شفتيها من شفتيه وتنهدت عميقًا.

تمتعت: «شيء صغير، لكنه يسعدني. حسنًا، سأذهب الآن. سأعود قريبًا. ولاحقًا، بعد الوليمة... هم...».

- ماذا؟

- لا تأكل شيئًا مع الثوم، أرجوك.

عندما انصرفتُ، تخلى جيرالت عن التقاليد، حلّ دبليته، شرب الكأسين وحاول بجدية أن يشغل نفسه بالطعام. لم يثمر ذلك شيئًا.

- جيرالت.

- حضرة الكونت.

عبس ديكسترا: «لا تخاطبني بهذا اللقب. ما أنا بكونت. أمرني فيزيمير أن أقدم نفسي على هذا النحو، كي لا أزعج حاشية البلاط السحرة بأصولي الجلفة. حسنًا، كيف تسير أمورك مع الإبهار بالثوب والقوام؟ والتظاهر بأنك تلهو وتستمتع جيدًا؟».

- لست مضطرًا إلى التظاهر. لست هنا في مهمة رسمية.

ابتسم الجاسوس: «هذا مثير للاهتمام. لكنه يؤكد الرأي العام، الذي يقول إنك لا تتكرر وإنك فريد من نوعك. لأن الآخرين هنا جميعهم في مهمات رسمية».

رأى جيرالت أن من المناسب أن يبتسم: «هذا تحديدًا ما كنت أخشاه. أحسستُ أنني سأكون فريدًا من نوعي. هذا يعني أنني لست في المكان المناسب».

تفحص الجاسوس الصحن القريبة منه، التقط من أحدها قرناً كبيراً أخضر من نبات لا يعرفه جيرالت، وقضمه.

قال: «بالمناسبة، أشكرك على ما فعلت بالإخوة ميشليت. كثير من الناس في ريدانيا تنفسوا الصُعداء عندما قتلت أربعتهم جميعاً في ميناء أوكسينفورت. لقد ضحكت بقوة عندما قال الطبيب، الذي استدعني من الجامعة للتحقيق، بعد معاینته الجروح، إن أحدهم استخدم محشاً مثبتاً عكسياً إلى الأعلى». جيرالت لم يعلق. وديكسترا أدخل قرناً آخر في فمه.

استمر وهو يمضغ: «من المؤسف، أنك لم تتوجّه إلى رئيس البلدية بعد قتلهم. خُصّصت مكافأة على جلبهم أحياء أو أمواتاً. لم تكن صغيرة».

- المشكلات المرتبطة بالإقرار الضريبي كثيرة جداً. (قرر الساحر أيضاً أن يتناول قرناً أخضر، ولكن طعمه كان كطعم الكرفس المغسول بالصابون). إضافة إلى ذلك، كان عليّ وقتئذ أن أغادر عاجلاً، ف... لكنني أظن أنني جعلتك تملّ، يا ديكسترا، فإنك تعلم كل شيء، على أي حال.

ابتسم الجاسوس: «لا، على الإطلاق. إنني لا أعلم كل شيء. ومن أين يتأتى لي ذلك؟».

- من تقارير فيليبيا إيلهارت، لكي لا نذهب بعيداً.
- التقارير، الحكايات، الشائعات. أنا مضطر إلى الاستماع لها، فهذا عملي. لكن عملي في الوقت ذاته يجبرني على غربلتها بغربال دقيق الثقوب جداً. في الآونة الأخيرة، تخيل، وصلت إليّ إشاعات أن شخصاً قتل البروفيسور الشهير واثنين من رفاقه. حدث ذلك عند نُزُل في أنخور. ذاك الذي ارتكب الفعل استعجل أيضاً أكثر مما يلزم لأخذ المكافأة. جيرالت هز كتفيه.

- الشائعات. غربلها بغربال دقيق الثقوب، وسترى ما يتبقى.
- لا أحتاج إلى ذلك. أعرف ما سيتبقى. كثيراً ما يكون هذا الأمر محاولة متعمدة للتضليل. أها، وعلى ذكر التضليل، كيف حال الصغيرة سيريل،

البُنية المسكينة التي تعاني الأمراض، وكثيرًا ما تصيبها الدفتيريا؟ هل صحتها جيدة؟

أجاب الويتشر ببرود، ناظرًا مباشرة إلى عيني الجاسوس: «دع عنك هذا، يا ديكسترا. أعلم أنك هنا في مهمة رسمية، لكن لا تغال في الحماسة كثيرًا». راح الجاسوس يقهقه. نظرتُ إليهما ساحرتان مرّتا بجانبهما بدهشة وفضول.

قال ديكسترا بعد أن أنهى قهقهته: «الملك فيزييمير يدفع لي مكافأة إضافية مقابل كل سرٍّ أفك لغزه. الغلو في الحماسة يضمن لي عيشًا كريمًا. قد تضحك، لكن سأقول لك، لديّ زوجة وأطفال».

- لا أرى في ذلك ما يُضحك؛ فاعمل إذن على توفير العيش لزوجتك وأطفالك، لكن ليس على حسابي، أطلب ذلك إن جاز لي الطلب. يُخيل إليّ أن هذه القاعة لا تنعدم فيها الأسرار والألغاز.

- على العكس تمامًا. أريتوزا بأكملها لغز واحد كبير. لعلك لاحظت ذلك؟ شيء ما يلوح في الأفق، يا جيرالت. وللتوضيح أضيف أنني لا أتحدث عن الشمعدانات.

- لا أفهم.

- أصدق ذلك. فأنا أيضًا لا أفهم. لكنني أتمنى حقًا أن أفهم. وأنت، ألا تريد ذلك؟ آه، عذرًا. إنك على أي حال تعلم كل شيء على الأرجح. من تقارير الفاتنة ينيفر من فينجربرج، لكي لا نذهب بعيدًا. فقط فكّر، أنه كان يحدث لي أيضًا في أوقات مضت أن أعلم هذا وذاك من الأمور من لدن الفاتنة ينيفر. آه، أين ثلوج الأيام الخوالي؟

- حقًا لا أدري ماذا تقصد، يا ديكسترا. هل يمكن أن تُعبّر عن أفكارك على نحو أدق؟ حاول. بشرط ألا يكون ذلك رسميًا. عذرًا، لكنني لا أنوي العمل من أجل مكافأتك الإضافية.

عبس الجاسوس: «أظن أنني أحاول أن أتقرب منك بطريقة دنيئة؟ وأن أتحايل عليك للحصول على معلومات؟ تظلمني يا جيرالت. ما يهمني فقط

معرفة أكنتَ تلاحظ الأمور الصحيحة ذاتها التي تتمثل أمام ناظرِي في هذه القاعة».

- وماذا يتمثل لك؟

- ألا يدهشك غياب الرؤوس المتوّجة، وهو أمر يمكن ملاحظته بسهولة في هذا الاجتماع؟

جيرالت تمكن أخيرًا من التقاط حبة زيتون مخلة بالنُّكاشة: «لا، لا يدهشني مطلقًا. الملوك على الأرجح يُفضّلون الولايم التقليدية، يجلسون إلى الموائد التي يمكنهم الانزلاق بلطف تحتها عند الفجر. بالإضافة إلى...».

وضع ديكسترا أربع زيتونات في فمه، بعد أن تناولها بأصابعه من الصحن، دون حرج: «بالإضافة إلى ماذا؟».

نظر الويتشر إلى الجمع المتنقّل في القاعة: «بالإضافة إلى أن الملوك لم يرغبوا في تحمّل مشقة القدوم. أرسلوا بدلًا منهم جيشًا من الجواسيس. أولئك الذين من الأخوية وهؤلاء الذين من خارجها. ربما ليتجسسوا على ما يلوح في الأفق هنا».

بصق ديكسترا نوايا الزيتون على المائدة، ثم أخذ شوكة طويلة من حاملة فضية، وراح ينقّب به في صحيفة بلورية عميقة.

قال دون أن يتوقف عن التنقيب: «أما فيلجفورتز، فقد حرص على ألا يغيب أي جاسوس عن هذا المكان. وضع جواسيس الملوك جميعهم في وعاء واحد. فلماذا يحتاج فيلجفورتز إلى جمع جواسيس الملوك كلهم في وعاء واحد، يا ويتشر؟».

- ليست لديّ أي فكرة عن ذلك. ولا يهمني كثيرًا. قلتُ لك، أنا هنا لأسباب خاصة. أنا، إذا صح القول، خارج الوعاء.

اصطاد جاسوس الملك فيزيمير أخطبوطًا صغيرًا من الصحيفة، وتفحصه باشمئزاز.

هز رأسه بتعاطف مصطنع، ثم استدار إلى جيرالت: «إنهم يأكلون هذا الشيء».

قال بصوت خافت: «استمع إليَّ بانتباه، يا ويتشر. اقتناعك بخصوصيتك، ويقينك هذا بأنك لا تهتم بشيء، وأن لا شيء يمكنه أن يهكم... وهذا ما يثيرني ويدفعني إلى المقامرة. هل لديك بعض الميول إلى المقامرة؟»
- أوضح أكثر، من فضلك.

رفع ديكسترا الشوكة التي انغرز فيها رأسُ الرجل: «أقترح عليك رهانًا. أؤكد أن فيلجفورتز سيطلب منك في غضون الساعة المقبلة إجراء محادثة أطول. أؤكد أنه في أثناء هذه المحادثة سيثبت لك أنك لستَ شخصية خاصة، وأنك تقبع داخل وعائه. إذا كنتُ مخطئًا، فسأكل أمام عينيك هذا الشيء المُقرف بمجساته، وقضه وقضيضه. هل تقبل الرهان؟».

- وما الذي عليَّ أكله إن خسرتُ؟

تلقت ديكسترا سريعًا: «لا شيء. إذا خسرتَ، فستبلغني بمحتوى محادثتك مع فيلجفورتز».

صمت الويتشر لحظةً، ناظرًا إلى الجاسوس بهدوء.

وأخيرًا قال: «وداعًا، أيها الكونت. شكرًا على الدردشة. كانت ذات طابع تعليمي».

زم ديكسترا شفثيه قليلًا.

- إلى هذا الحد...

قاطعه جيرالت: «إلى هذا الحد. الوداع».

هز الجاسوس كتفيه، ألقي الأخطبوط ومعه الشوكة إلى الصحفة، ثم استدار وغادر. جيرالت لم ينظر وراءه. وتزحزح ببطء إلى منضدة أخرى، مدفوعًا برغبته في الوصول إلى قطع الروبيان البيضاء الوردية الضخمة، المتراكمة على صحن فضي بين أوراق الخس وحزوز الليمون. اشتهاها، لكنه ما زال يشعر بنظرات فضولية تراقبه، وأراد أن يأكل هذه القشريات بطريقة أنيقة، مع مراعاة الأصول. اقترب منها ببطء استعراضى، وراح يقضم المقبلات من أطباق أخرى بتحفظ ووقار.

عند المنضدة المجاورة، وقفت سابرينا جليفيسيج منخرطة في حديث مع ساحرة ذات شعر أحمر ناري، لا يعرفها. كانت حمراء الشعراء ترتدي تنورة

بيضاء وبلوزة من نسيج «جورجيت» شفاف وأبيض. بدت البلوزة شفافة أيضاً على نحو فائق، تماماً مثل التي ترتديها سابرينا، لكنها توشّت ببضع تطريزات وطبعات موزعة على نحو استراتيجي. ولهذه الطبعات، كما لاحظ جيرالت، مزيّتان مثيرتان للاهتمام: تستر وتكشف بالتناوب.

تحدثت الساحرتان متخمتين بشرائح جراد البحر مع المايونيز. تكلمتا اللغة الأقدم بصوت خفيض. ومع أنهما لم تنظرا نحوه، كان حديثهما يدور حوله بوضوح. ركّز جيرالت سمعه الويتشري الحساس بطريقة مكشوفة، متظاهراً بأن اهتمامه منصب فقط على الروبيان.

استيقنت حمراء الشعراء، وهي تعبت بعقد من اللؤلؤ ملتف حول عنقها، إذ بدا كطوق: «...مع ينيفر؟ تتحدثين بجدية، يا سابرينا؟».

أجابت سابرينا جليفيسيج: «بكامل الجدية. لن تصدقي، هذا الأمر مستمر منذ بضع سنوات. أعجب حقاً، كيف يتحمل أن يكون مع هذه الحشرة الدنيئة».

- ولماذا العجب هنا؟ لقد ألقْتُ عليه سحراً، والآن تبقى تحت سحرها. مرات كثيرة أنا نفسي فعلت ذلك؟

- لكنه ويتشر. لا يمكن أن يخضع الويتشريون للسحر، على الأقل ليس مدةً طويلةً.

تنهدت حمراء الشعراء: «إذن، إنه الحب. والحب أعمى».

عbst سابرينا: «إنه أعمى. هل تصدقين، يا مارتى، أنها تجرأت على تقديمي إليه على أنني صديقة من أيام المدرسة؟ بلويدي بيست، هي أكبر مني بـ... هذا لا يهم. أقول لك، إنها تغار على هذا الويتشر بجنون. ميريجولد الصغيرة ابتسمت له فقط، لكن هذه الحيزبون وبختها بأبشع الألفاظ وطردتها. والآن... انظري فقط. إنها واقفة هناك، تتحدث مع فرانسيسكا، وعيناها لا تفارقان الويتشر».

ضحكت حمراء الشعراء بخفوت: «إنها تخشى أن نخطفه منها، حتى لو لليلتنا هذه. ما رأيك، سابرينا؟ هل نجرب؟ الرجل جذاب، ليس كمثّل رجالنا الهزيلين المغرورين بعقدهم النفسية وملاماتهم المستمرة...».

كَزَّتْ أَسْنَانَهَا سَابِرِينَا: «اخفضي صوتك، مارتى. لا تنظري إليه ولا تبرزي ضواحكك. ينيفر تراقبنا. وحافظي على الأسلوب. هل تريدين إغراءه؟ هذا تصرف غير لائق».

اعترفتُ مارتى بعد لحظة تفكير: «هممم، أنت محقة. وماذا لو اقترب فجأة وعرض نفسه بنفسه؟».

رمقتُ سَابِرِينَا جليفيسيج الويتشر بعين سوداء مفترسة: «لوهبته نفسي دون تفكير، حتى لو على حجر».

ضحكت مارتى: «وأنا حتى لو على قنفذ».

أخفى الويتشر، الذي كان نظره مركزًا على مفرش المائدة، تعابيرَ وجهه الخجلة بقطعة من الروبيان وبورقة خس، مسرورًا بشدة بحقيقة أن الطفرة في أوعيته الدموية جعلت وجهه عصيًا عن الاحمرار.

- الويتشر جيرالت؟

ابتلع قطعة روبيان واستدار. ابتسم الساحر ذو الملامح المألوفة ابتسامة خفيفة، وهو يلمس طيتي دبليته البنفسجية المطرزة.

- دُرْجَرَاي من فولى. نحن نعرف بعضنا. لقد التقينا...

- تذكرتُ. معذرة، لم أعرفك من الوهلة الأولى. أنا مسرور...

ابتسم الساحر أكثر قليلًا، وهو يتناول كأسين من الصينية التي كان يحملها الخادم.

قال وهو يُقدِّم إحدى الكأسين لجيرالت: «أراقبك منذ بعض الوقت. كنتُ تعلن لكل مَنْ قدمتك ينيفر إليهم، أنك مسرور. أهو نفاق أم انعدام المقدرة على النقد؟».

- هو تأدُّب.

أشار دُرْجَرَاي بإيماءة عريضة إلى ضيوف الوليمة: «لهم؟ صدقني، لا يستحق الأمر أن تجهد نفسك. إنهم عصابة مغرورة وحسودة ومخادعة، لن يقدِّروا تأدبك، بل سيأخذونه على محمل السخرية. عليك أن تتعامل مع هؤلاء، يا ويتشر، بطرقهم الخاصة: بجلافة، بتعجرف، بخشونة، عندئذٍ تبهرهم على الأقل. هل ستشرب معي النبيذ؟».

ابتسم جيرالت بلطف: «هذا النبيذ السيئ الذي يقدمونه هنا؟ مع أقصى درجات الاشمئزاز. حسنًا، لكن إذا كنت تستطيه... فسأجبر نفسي».

قهقهت سابرينا ومارتي بصوت عالٍ متنصتين من خلف المنضدة. حدجهما دُرَجْرَاي بنظراتٍ ملأها الازدراء، ثم استدار وقرع كأسه بكأس الويتشر، وهو يبتسم، ولكن بصدق هذه المرة.

اعترف دون تلوؤ: «نقطة لمصلحتك. تتعلم بسرعة. بحق الجحيم، أين اكتسبت هذا المفهوم، يا ويتشر؟ في الطرق التي تتجول فيها دائمًا متتبعا أثر المخلوقات الآيلة إلى الانقراض؟ في صحتك. ستضحك، لكنك واحد من القلائل في هذه القاعة الذين أرغب في تقديم نخب مثل هذا لهم».

تجرع جيرالت قليلًا من النبيذ، وتمطّق بلطف متلذذاً بطعمه: «حقًا؟ رغم أنني أزاول ذبح المخلوقات الآيلة للانقراض؟».

ربّت الساحرُ كتفه بمودة: «لا تأخذني من كلامي. الوليمة لم تبدأ إلا منذ قليل. ربما سيتهافت عليك عدة أشخاص آخرين، لذا رتبّ ردودك اللاذعة. أما في ما يخص مهنتك... أنت، جيرالت، على الأقل لديك كرامة كافية كي لا تتباهى بما غنمت. لكن تلفت من حولك. هيا، دون استحياء، دع التقاليد جانبًا، إنهم يحبون حينما تُحْدق إليهم».

صوبَ الويتشر نظره طائعا إلى صدر سابرينا جليفيسيج.

أمسكه دُرَجْرَاي من كمه، وأشار بإصبعه إلى الساحرة التي كانت تمرّ بجانبهما، مرفرفةً بنسيج التول المخرم: «انظر! حذاؤها من جلد العُضْرُفوط ذي القرون. هل لاحظت ذلك؟».

أوما برأسه مؤكداً، لكنه لم يكن صادقاً، لأنه لم يرَ إلا ما لم تسترهُ بلوزة التول الشفافة.

تعرفَ الساحرُ بدقة متناهية الأحذية التي كانت تجوب القاعة. وما سهّل مهمته هذه بروزُ الموضة التي تمثلت بتقصير الثوب إلى ما فوق الكعب: «أوه، تفضل، هذا من جلد الأفعى الصخرية. وذاك... من العيدشون الأبيض. السمندل. الفيفرن. الكيمن ذي النظارة. الباسيليق... كلها زواحف مهددة

بالانقراض، حتى آخر واحد منها. بحق الجحيم، ألا يمكن ارتداء أحذية مصنوعة من جلد العجل أو الخنزير؟“.

تساءلت فيليبيا إيلهارت، وهي تتوقف بجوارهما: «أنت دائماً ما تتحدث عن الجلود، يا دُرْجَرَاي؟ عن دباغة الجلود وصناعة الأحذية؟ يا له من موضوع تافه وغير مستساغ».

عبس الساحر بازدرء: «بعض الناس لا يستسيغ هذا، وبعضهم الآخر لا يستسيغ ذاك. الطبقات التي توشّي ثوبك جميلة، يا فيليبيا. إذا لم أكن مخطئاً، فهي من فراء القاقوم الماسي؟ أنيق جداً. لعلك تدرين أن هذا النوع قد أبيع تماماً منذ عشرين عاماً بسبب فروته الجميلة؟».

صححت فيليبيا، وهي تحشر في فمها آخر قطع الروبيان، واحدة تلو الأخرى، وكان الوقت قد فات جيرالت ليتناولها: «ثلاثين عاماً. أدري، أدري، هذا النوع كان سينبعث من جديد حتماً، لو أنني طلبتُ من مصممة الأزياء حياكة أطراف ثوبي بنسالة الكتان. فكرتُ في ذلك. لكنّ نسالة الكتان لم يكن لونها مناسباً».

اقترح الويتشر تلقائياً: «لنذهب إلى المنضدة في تلك الناحية. لقد رأيتُ هناك زبديّة كبيرة من الكافيار الأسود. ولما كان سمك الحفش المجذافي قد قارب أيضاً على الانقراض كلياً، فعلينا أن نسرع».

رفّت فيليبيا برموشها ووضعت يدها تحت ذراعه، ناشرة رائحة القرفة والنردين المهيّجة: «الكافيار برفقتك؟ كنت أحلم بذلك. هيا بنا، دونما إبطاء. هل ستبقى برفقتنا، يا دُرْجَرَاي؟ لا؟ حسناً، إلى اللقاء، استمتع بوقتك».

نفخ الساحر واستدار. تابعتُ سابرينا جليفيسيج وزميلتها حمراء الشعر المغادرين بنظرات أكثر سُميّة من الأفاعي الصخرية المهددة بالانقراض.

تمتمتُ فيليبيا، ملتصقةً بجانب جيرالت دون استحياء: «دُرْجَرَاي يتجسس لمصلحة الملك إيثاين من سیدارس. كنْ حذراً. زواجه وجلوده هذه، ما هي إلا مقدمة تسبق أسئلته الاستجوابية. أما سابرينا جليفيسيج، فكانت تتنصت لكل شيء بحرص....».

أكمل جيرالت: «...لأنها تتجسس لمصلحة هينسلت من كايديفين. أعلم، ذكرت ذلك من قبل. وحمراء الشعر هذه، صديقتها...؟».

- شعرها ليس أحمرَ طبيعيًا، بل مصبوغ. أليس لك عينان؟ إنها مارتى سودرجرين.

- لمصلحة من تتجسس هي؟

ضحكت فيليبيا، ولمعت أسنانها من تحت شفثيها المصبوغتين بشدة بأحمر الشفاه: «مارتى؟ ليست لمصلحة أحد. مارتى لا تهتم بالسياسة».

- أمر مثير للسخط. ظننتُ أن الجميع هنا يتجسسون.

ضيقت الساحرة عينها: «كثير منهم. لكن ليس جميعهم. وليس مارتى سودرجرين. مارتى معالجة... وهي مصابة بالهوس الجنسي. آه انظر، بحق الجحيم!».

- لقد أكلوا الكافيار بأكمله! حتى آخر قطعة! نظّفوا الصحن تنظيفًا! فما نحن الآن بفاعلين؟

ابتسم جيرالت ببراءة: «الآن ستخبريني أن شيئًا يلوح في الأفق. ستقولين إن عليّ أن أتخلّى عن حيادي وأتخذ قرارًا. ستعرضين عليّ رهانًا. حول ما ستكون جائزتي في هذا الرهان، لن أجرؤ حتى على أن أحلم. لكنني أعلم ما عليّ فعله عندما أخسر».

ظَلَّتْ فيليبيا صامتةً طويلًا، دون أن تحرف نظرها.

قالت بصوت خافت: «كان يمكنني أن أخمن. ديكسترا لم يتحمل الأمر. قدّم لك عرضًا. وقد أُنذرتُه أنك تحقّر الجواسيس».

- أنا لا أحتقر الجواسيس. أحتقر التجسس. وأحتقر الاحتقار. لا تعرضي عليّ أيّ رهان، يا فيليبيا. نعم، أنا أيضًا أشعر أن شيئًا يلوح في الأفق. وليكن هذا الشيء كما يشتهي، لكنه لا يخصني ولا يهمني.

- قد قلتَ لي هذا من قبل. في أوكسينفورت.

- يسرني أنك لم تنسي. تذكرين الظروف أيضًا، كما أتوقع؟

- بدقة. لم أبخ لك حينئذ لمن يعمل رينس ذاته، أو أيًا كان اسمه. سمحتُ له أن يهرب. آه، لقد كنتَ غاضبًا مني حينئذ...

- بتعبير ملطّف.
- حان الوقت لإعادة تأهيلي. غدا سأعطيك هذا المدعو رينس. لا تقاطعني، ولا تغير تعابير وجهك. هذا ليس رهاناً بأسلوب ديكسترا. إنه وعد، وأنا أفي بوعودي. لا، لا أسئلة من فضلك. انتظر حتى الغد. أما الآن، فلنركز على الكافيار والثرثرة التافهة.
- لا يوجد كافيار.
- لحظة واحدة.
- تلفتت حولها بسرعة، ثم حركت يدها وتمتعت بتعويذة. وامتلأ الوعاء الفضي، الذي بدا على شكل سمكة متقوسة في أثناء قفزها، فوراً ببطارخ من سمك الحفش المهدد بالانقراض. فابتسم الويتشر.
- هل يمكن أن نأكل الوهم ونشبع؟
- لا. لكنّ به يمكن أن يُدغغ الذوق النخبوي دغدغة محببة. هيا ذّقه.
- همم... فعلاً... يبدو لي أنه ألدّ من الحقيقي...
- قالت الساحرة باعتزاز، وهي تقطر عصير الليمون على ملعقة أخرى مليئة بالكافيار: «ولا يُسمّن. هل يمكنني طلب كأس من النبيذ الأبيض؟».
- تفضلي. فيليبيا؟
- نعم؟
- يُقال إن الأعراف المتبعة تمنع إلقاء التعاويذ هنا. ألا يكون من الآمن أن تصنعي وهم الطّعم وحده بدلاً من وهم الكافيار؟ الانطباع وحده؟ إنك تستطيعين...
- نظرت فيليبيا إيلهارت إليه من خلال بلور الكأس: «طبعاً، أستطيع. إن بنية هذه التعويذة أبسط من بنية المخباط. لكنّ إذا اكتفينا بانطباع الشعور بالطّعم فحسب، فقدنا المتعة التي تأتي بها الممارسة. العملية، والحركات الإيمائية المرافقة... المحادثة والتواصل البصري المرافقين لتلك العملية... سأبهجك بمقارنة طريفة النكتة، أترغب في ذلك؟».
- نعم، إنني أستمع، وسأفرح سلفاً.

- أستطيع أيضًا أن أخلق بالسحر وهمًا بالشعور بالنشوة الجنسية.
- قبل أن يستعيد الويتشر القدرة على الكلام، اقتربت منهما ساحرة نحيلة، ذات شعر طويل ومستقيم بلون القش. عرفها على الفور، كانت تلك التي ترتدي حذاءً من جلد العصفوف ذي القرون، وبلوزة من التول الأخضر الذي لم يكن يخفي حتى أدق التفاصيل، كالشامة الصغيرة على صدرها الأيسر.
- قالت: «عذرًا، لكنني عليّ أن أقطع هذا الغزل بينكما. فيليبيا، إن رادكليف وديتمولد يطلبانك لمحادثة قصيرة. الأمر عاجل».
- حسنًا، إذا كان الأمر كذلك، فسأذهب. إلى اللقاء، يا جيرالت. سنتابع غزلنا لاحقًا!
- قاسته الشقراء بعينها: «أها! جيرالت. الويتشر الذي جئتُ به ينيفر؟ كنت أراقبك وأعمل فكري متسائلةً من يمكنك أن تكون أيضًا. وهذا كان يعذبني بشدة!».
- أجاب بابتسامة مهذبة: «أعرف هذا النوع من العذاب. إنني أعانيه الآن، في هذه اللحظة».
- أعتذر عن عدم لباقتي. اسمي كيرا ميتز. أوه، كافيار!
- احذري، إنه وهم.
- تركت الساحرة الملعة، وكأنها ألقت ذيل عقرب سوداء: «إلى الجحيم، أنت محق! من هذا الذي كان وقحًا لهذه الدرجة... أنت؟ هل تستطيع خلق أوهام سحرية من المستوى الرابع؟ أنت؟».
- كذب دون أن يكف عن الابتسام: «أنا. أنا معلم السحر، أظهاره بأني ويتشري للحفاظ على سرية هويتي. هل تظنين أن ينيفر كانت ستهتم بويتشر عادي؟».
- نظرت كيرا ميتز مباشرةً نحو عينيه وعوجت فمها. كانت ترتدي قلادة على شكل صليب العنخ، فضية ومرصعة بقطع من الزركون.
- اقترح ليقطع الصمت المحرج: «نبيد؟».
- خشي أن دعابته لم تلقَ قبولًا حسنًا.

قالت كيرا ببرود جليدي: «لا، شكرًا... أيها المعلم الزميل. لا أشرب. لا أستطيع. هذه الليلة أنوي أن أحبل».

سألت صديقة سابرينا جليفيسيج ذات الشعر المصبوغ بالأحمر، وهي تقترب مرتديةً بلوزةً شفافةً من نسيج الجورجيت الأبيض، مزينةً بطبعات موزعةً بطريقة مدروسة: «ممن؟».

كررتُ ببراءة وهي ترفُّ برموشها الطويلة: «ممن؟».

استدارتُ كيرا وقاستها بنظرات بدءًا من حداثها المصنوع من العيْدَشون الأبيض حتى التُّويج المرصَّع باللالئ.

- وما شأنكِ أنت؟

- لا شيء. فضول مهني. ألا تعرفينني رفيقكِ، جيرالت من ريفيا واسع الشهرة؟

- على مضض. لكنني أعلم أن من غير الممكن صرفكِ عن ذلك.

- جيرالت، هذه مارتي سودرجرين، معالجة. تخصصها المنشطات الجنسية.

- هل علينا الحديث عن الشغل؟ أوه، لقد تركتم لي بعض الكافيار؟ يا للطفكم الغامر.

قالت كيرا والويتشر بصوت واحد: «احذري. إنه وهم».

انحنُتُ مارتي سودرجرين، وقطبتُ أنفها، ثم أخذتُ بيدها كأْسًا ونظرت إلى أثر أحمر الشفاه القرمزي: «حقًا! طبعًا، فيليبيا إيلهارت. من غيرها يمكن أن يجرؤ على التصرف بمثل هذا الوقاحة؟ حية قميئة. هل تعلمان أنها تتجسس لمصلحة فيزيمير من ريدانيا؟».

جازف الويتشر: «وهي مصابة بالهوس الجنسي؟».

انفجرتُ مارتي وكيرا ضاحكتين في وقت واحد.

سألت المعالجة: «هل كنت تأمل ذلك وأنت تتودد إليها وتحاول مداعبتها؟ إذا كان الأمر كذلك، فاعلم أن أحدهم خدعك بخبث. فيليبيا توقفت منذ وقت مضى عن الاهتمام بالرجال».

نفختُ كيرا مitzer شفيتها اللامعتين: «وربما أنت امرأة؟ ربما تتظاهر بأنك رجل، يا زميلي معلم السحر؟ للحفاظ على سرية هُوَيْتِكَ؟ أتعلمين يا مارتى، لقد اعترف لي قبل قليل أنه يحب التظاهر».

ابتسمتُ مارتى بخبث: «يحبه ويجيده. أليس كذلك، يا جيرالت؟ منذ وقت غير بعيد رأيتك تتظاهر بأنك ضعيف السمع وأنت لا تعرف اللغة الأقدم».

قالتُ ينيفر ببرود، وهي تقترب وتضع يدها تحت ذراع الويتشر بتسلط: «لديه الكثير من العيوب. عملياً، ليس لديه سوى العيوب. إنكَنَ تضيِّعن وقتكَنَ، يا بنات».

وافقتُ مارتى سودرجرين، وهي لا تزال مبتسمة بخبث: «يبدو الأمر كذلك. إذن، نتمنى لكما وقتاً ممتعاً. هيا يا كيرا، لنشرب شيئاً... خالياً من الكحول. ربما أنا أيضاً أقرر أن أفعل شيئاً في الليل؟».

زفر جيرالت بمشقة عندما غادرتا: «أف. وصلت في الوقت المناسب، يا ين. شكرًا لك».

- تشكرني؟ أظن شكركَ غير صادق. في القاعة إحدى عشرة امرأة بالضبط، يتفاخرن بنهودهنَّ من تحت البلوزات الشفافة. أتركك نصف ساعة، ثم أعود فأجدك مشغولاً بحديث مع اثنتين منهنَّ...

توقفت ينيفر، ونظرت إلى الوعاء الذي يشبه شكل سمكة.

أضافت: «...ويأكل الوهم. أوه جيرالت، يا جيرالت. تعال، لدينا فرصة لتقديمك إلى بعض الأشخاص الذين يستحقون أن تتعرفَهم».

- هل أحد هؤلاء الأشخاص فيلجفورتز؟

ضيقت الساحرة عينها: «من المثير أنك تسأل عنه تحديدًا. نعم، فيلجفورتز يرغب في تعرفك والتحدث. أقول لك سابقًا، إن المحادثة قد تبدو تافهة وغير جادة، لكن إياك أن تنخدع بذلك. فيلجفورتز لاعب بارع وغاية في الذكاء. لا أعلم ماذا يريد منك، كن يقظًا».

تنهد: «سأكون يقظًا. لكني لا أظن أن لاعب البارع سيكون قادرًا على مفاجأتي. ليس بعد ما مررتُ به هنا. لقد هاجمني جواسيس، وانقضت عليَّ زواحف آيلة إلى الانقراض وحيوانات القاقوم. أطعمتُ كافيًا لا وجودَ له.

إن النساء المَهْوَّسات جنسيًا اللاتي لا يروق لهنَّ الرجال، وضعنَ رجولتي في خانة الشك، وهددنني بالاعتصاب على أشواك قنفذ، وخوَّفنني بالحمل، بل حتى بالنشوة الجنسية، وذلك الذي لا ترافقها الحركات الطقوسية. بررر...».

- هل شربت؟

- قليلًا من النبيذ الأبيض من سيدارس. لكنْ كان فيه على الأرجح مُنشَط

جنسي... ين؟ هل بعد الحديث مع فيلجفورتز هذا، سنعود إلى لوكسيا؟

- لن نعود إلى لوكسيا.

- ماذا؟

- أريد أن أقضي هذه الليلة في أريتوزا. معك. منشط جنسي، قلت؟ في

النبيذ؟ هذا مثير للاهتمام...



تنهدتُ ينيفر، وهي تمددُ نفسها وتلقي ساقها على ساق الويتشر: «أوه، آه يا سلام. آه يا سلام. لم أمارس الجنس منذ زمن طويل... منذ زمن طويل جدًا».

أخرج جيرالت أصابعه من بين ضفائر شعرها، ولم يعلق. أولًا، قد يكون قولها استفزازًا، وكان يخشى الخطاف المخفي في الطُعم. ثانيًا، لم يرغب في أن يزيل بكلماته طعم تلذذها الذي لا يزال على شفثيه.

تمتعتُ بعد لحظة، عندما اتضح أن الويتشر لن يبلغ الطُعم: «منذ زمن طويل، لم أمارس الجنس مع الرجل الذي اعترف لي بحبه واعترفتُ له بحبي. لقد نسيْتُ كيف يمكن أن يكون. آه يا سلام».

تمدّت بقوة أشد، شادَّة ذراعيها وممسكةً بطرفي الوسادة بكلتا يديها، حينئذ، أخذ نهداها المغموران بسطوع ضوء القمر شكلًا جعل الويتشر يشعر برعشة في أسفل ظهره. احتضنها، وظلا مستلقيين دون حراك، حتى خمدَا وبردَا.

خارج نافذة الحُجيرة، صرصرت حشرات الزيز، وسَمِعَ أيضًا ضحك وأصوات خافتة وبعيدة، تشير إلى أن الوليمة لا تزال مستمرة رغم تأخر الوقت.

- جيرالت؟

- نعم، ين؟

- احكِ لي.

- عن حديثي مع فيلجفورتز؟ الآن؟ سأخبركِ في الصباح.

- الآن، أرجوك.

كان ينظر إلى المكتب في زاوية الحُجيرة. وُضِعَتْ عليه كتب وألبومات وأشياء أخرى لم تأخذها معها المتدربة التي أُجْلِيَتْ مؤقتًا إلى لوكسيا. وهناك أيضًا انتصبت دمية نسيجية مستديرة مستندة بحرص إلى الكتب، عليها ثوب مكشكش، ومجعد من كثرة العناق.. فَكَّرَ: لم تأخذِ الدمية معها إلى لوكسيا، ربما لئلا تتعرض لسخرية زميلاتها في المهجع المشترك. لم تأخذ دميته، ولعلها الآن لا تستطيع النوم من دونها.

حدجته الدمية بعينين من زرين. فأشاح عنها النظر.

عندما قدمته ينيفر إلى مجلس التشريف، راقب نخبة السحرة بانتباه. لم يمنحه هين جديميث سوى نظرة سريعة ومتعبة، كان واضحًا أن الوليمة قد تمكنت من إرهاق هذا الشيخ وإنهاكه. كانت تعابير وجه أرتود تيرانوفا ملتبسة، وقد انحنى متنقلًا بعينه بينه وبين ينيفر، لكنه سرعان ما صار أكثر جدية تحت نظرات الآخرين. كانت عينا فرانسيسكا فينداباير الإلفيتان زرقاوين عصيتين على الاختراق وصلبتين كالزجاج. عندما قُدم إليها، ابتسمت زهرة اللؤلؤية من دولين. لقد أحدثت ابتسامتها في نفس الويتشر شعورًا بالرهبة، مع أنها كانت فائقة الجمال. أما تيسايا دي فريس، فمع أنها بدت ظاهريًا مشغولة بضبط أكامها وجواهرها دون انقطاع، ابتسمت له وقت تقديمه ابتسامة أقل جمالًا بكثير، لكنها أصدق بكثير. وكانت تيسايا هي التي بادرت إلى الحديث على الفور، ذاكرةً واحدة من أفعاله الويتشرية النبيلة التي، والكلام هنا خارج السياق، لم يتذكرها، وشكَّ في أنها من نسج خيالها.

وعندئذٍ، انضم فيلجفورتز إلى الحديث. وفيلجفورتز من روجيفين، ساحر ذو طلة مهيبة، له ملامح نبيلة وجميلة، وصوت صادق وأمين. كان جيرالت يعلم أن الناس الذين يتمتعون بمثل هذا المظهر يمكن توقع أي شيء منهم. تحدثا قليلاً، وقد شعر بنظرات طافحة بالقلق مسلطة عليه. كانت ينيفر تنظر إلى الويتشر، وكانت ساحرة شابة لها عينيْن ودودتين تحديق إلى فيلجفورتز، محاولة باستمرار إخفاء أسفل وجهها وراء مروحة. تبادلوا بضع ملاحظات نمطية، ومن ثم اقترح فيلجفورتز مواصلة الحديث في مجموعة صغرى من الحضور. بدا لجيرالت أن تيسايا دي فريس كانت الوحيدة التي فاجأها هذا الاقتراح.

- هل نعستَ، يا جيرالت؟ (انتزعته همسة ينيفر من شروذ ذهنه). كنت ستحكي لي عن حديثكما.
كانت الدمية على المكتب، تنظر إليه بعينيْن من زرَّين. فأشاح بصره عنها. بدأ بعد لحظة: «حالما دخلنا إلى الرواق المعمد، تلك الفتاة ذات الوجه الغريب...».

- ليديا فان بريدفورت. مساعدة فيلجفورتز.
- نعم، صحيح، لقد ذكرت ذلك. هي شخصية غير مهمة. وإذن، عندما دخلنا إلى الرواق المعمد، توقفت تلك الشخصية غير المهمة، ونظرتُ إليه ثم سألته شيئاً. بالتخاطر.
- لم يكن ذلك قلة لباقة؛ ليديا لا تستطيع استخدام صوتها.
- خمنتُ ذلك. لأن فيلجفورتز لم يردَّ عليها بالتخاطر. لقد رد...



ردَّ فيلجفورتز: «نعم، ليديا، هذه فكرة جيدة. سنتمشى في معرض المجد. ستتاح لك الفرصة لإلقاء نظرة على تاريخ السحر، يا جيرالت من ريفيا. لا أشك في أنك تعرف تاريخ السحر، لكنك ستتاح لك الفرصة لتعرف تاريخه المرئي. وإذا كنت من عشاق الرسم، فلا تفزع. معظم اللوحات هي أعمال طالبات متحمسات من أريتوزا. ليديا، امنحينا شيئاً من لطفك واجعلي الظلام المخيم هنا مشرقاً بالضوء قليلاً».

حرّكت ليديا فان بریدفورت كفها في الهواء، فأشرق الممر فجأة بضوء أكثر.

تصوّر اللوحة الأولى قاربًا شراعيًا من التاريخ القديم، تتقاذفه الدوّامات وسط شعاب تبرز من بين المياه الهادرة. على مقدمة السفينة يقف رجل يرتدي ثوبًا أبيض، ورأسه محاط بهالة من الضوء.

خمن الويتشر: «الهبوط الأول».

أكد فيلجفورتز: «طبعًا. سفينة المنفيين. يان بيكر يُخضع القوة لإرادته. يهدئ الأمواج، مثبتًا أن السحر ليس بالضرورة أبدًا أن يكون شريرًا ومدمرًا، بل يمكن أن ينقذ الحياة».

- هل حدثت هذه الواقعة فعلاً؟

ابتسم الساحر: «أشكّ في ذلك. من المرجح أكثر أن بيكر رفقة الآخرين خلال أول رحلة وهبوط، تقيًا مرارة، متدليًا من فوق حافة السفينة. وقد أفلح في السيطرة على القوة بعيد الهبوط الذي بطريقة عجيبة كان موفقًا. لنواصل. ها أنت ترى يان بيكر مجددًا كيف يجبر الماء على الانبجاس من صخرة في مكان إنشاء أول مستوطنة. وهنا، تفضل، هذا بيكر، محاطً بالمستوطنين الراكعين، يبذد الغيوم ويوقف العاصفة المطرية لحماية المحصول».

- وهذه؟ ما الحدث الذي تصوره هذه اللوحة؟

- تعرّف المجتبيين. بيكر وجيامباتيستا يُخضعان أطفال المستوطنين الجدد الوافدين لاختبار السحر، لاكتشاف المصادر. وسيؤخذ الأطفال المنتقلين من والديهم ويرسلون إلى ميرثي، مقر السحرة الأول. أنت الآن تشاهد لحظة تاريخية. كما ترى، جميع الأطفال مرعوبون، ما عدا هذه البنت الجريئة، ذات الشعر البني، التي تمُدُّ يديها نحو جيامباتيستا، وابتسامة الثقة تملأ وجهها. هذه هي التي اشتهرت في ما بعد، أجنيس من جلانفيل، أول امرأة تصبح ساحرة. وهذه التي تقف خلفها والدتها. تبدو حزينة نوعًا ما.

- وهذا المشهد الجماعي؟

- الاتحاد النوفجرادي. بيكر وجيامباتيستا ومونك يعقدون اتفاقًا مع الحكام والكهنة والدرويديين. شيء يشبه اتفاقية عدم الاعتداء، وفصل السحر عن الدولة. تفاهة مروّعة. لنواصل. هنا نرى جيفري مونك ينطلق إلى أعلى نهر بونتار، الذي كان يُسمّى حينئذ أيفون ي بونت آر جفينيلين، نهر الجسور الرخامية. أبحر مونك إلى لوك مويني لإقناع الإلفيين المحليين بقبول مجموعة من الأطفال، المصادر، ليتدربوا على يد السحرة الإلفيين. قد يثير اهتمامك أن من بين الأطفال كان صبي صار يُدعى لاحقًا جيرهارت من إيلي. تعرفته قبل قليل. الآن هذا الصبي يسمى هين جديميث.

نظر الويتشر إلى الساحر: «أكثر ما يُحتاج إليه هنا رسم لمعركة. لكنّ بعد سنواتٍ قليلة من رحلة مونك التي كُلِّتُ بالنجاح، ارتكبتُ جيوش المارشال راوپنيك من تريتوجور مذبحه في لوك مويني وإيست هايمليت، وقتلت جميع الإلفيين، بصرف النظر عن العمر أو الجنس. وبدأت الحرب، التي انتهت بمجزرة قرب شايراويد».

ابتسم فيلجفورتز مجددًا: «معرفتكَ المذهلة بالتاريخ، تتيح لك معرفة أن لا أحد من السحرة المهمين شارك في هذه الحروب. لذلك لم يلهم هذا الموضوع أي متدربة لرسم لوحة تناسبها. فلنواصل».

- لنواصل. في هذه اللوحة هنا، أي واقعة تُصوّر؟ آه، أدري. هذا هو رافارد الأبيض يصالح الملوك المتخاصمين، ويضع نهاية لحرب السنوات الست. وهنا نرى رافارد يرفض قبول التاج. حركة جميلة ونبيلة.

أمال فيلجفورتز رأسه جانبًا: «أتظن ذلك؟ حسنًا، على أي حال كانت هذه الحركة ذات قوة سابقة. بيد أن رافارد قبل منصب المستشار الأول، وحكم فعليًا، لأن الملك كان أبله».

تمتم الويتشر وهو يقترب من اللوحة التالية: «معرض المجد... وما لدينا هنا؟».

- لحظة تاريخية لتأسيس أول مجلس تشريفي وإقرار القانون. من اليسار، يجلس: هربرت ستاملفورد، وأورورا هينسون، وإيفو ريختر، وأجنيس من جلانفيل، وجيفري مونك، ورادمير من تور كارنيد. هنا

أيضًا، إذا تعيَّن عليَّ أن أكون صادقًا، نحتاج إلى لوحة معركة متممة. فبعد مدة وجيزة، قُضِيَ بوحشية على أولئك الذين لم يرغبوا في الاعتراف بمجلس التشريف والامتثال للقانون. وكان من بينهم رافارد الأبيض. لكنَّ المؤلَّفات التاريخية تلتزم الصمت عن ذلك، حتى لا تضر بأسطوره الجميلة.

- وهنا... هممم... نعم، أظن أن هذه اللوحة رسمتها متدربة. وفتية جدًا...
- دون شك. وهي في المحصلة ذات منحى رمزي. يمكنني أن أسميها «رمزية الأنوثة المنتصرة». الهواء، والماء، والأرض، والنار. وأربع ساحرات شهيرات، بارعات في التحكم بقوى عناصر الطبيعة هذه. أجنيس من جلانفيل، أورورا هينسون، نينا فيورافانتي، وكلارا لاريسا دي وينتر. انظر إلى اللوحة التالية، وهي أكثر نجاحًا. هنا أيضًا ترى كلارا لاريسا وهي تفتتح أكاديمية للبنات. في المبنى الذي نحن فيه الآن. وهذه الصور هي للخريجات الشهيرات من أريتوزا. إنه تاريخ طويل للأنوثة المنتصرة وتساعد نسوة المهنة: يانا من موريفيل، نورا فاجنر، أختها أوجوستا، يادي جليفيسيج، ليتيسيا تشاربونيو، إيلونا لاوكس-أنتيل، كارلا ديميتيا كريست، فيولنتا سواريز، أبريل فينهافر... والوحيدة التي على قيد الحياة: تيسايا دي فريس...

استمرًا في المشي. خشخش حرير فستان ليديا فان بريدفورت بنعومة حريرية، وفي هذه الخشخشة يكمن سر مخيف.

توقف جيرالت: «وهذا؟ يا له من مشهد مروع؟».

- استشهد الساحر رادمير، الذي سُلِّحَ جلده حيًّا في أثناء تمرد فالكا. في الخلفية، حصن ميرثي يحترق، بعد أن أمرت فالكا بجعله أثرًا بعد عين.
- وبعد ذلك، سرعان ما أُحْرِقَتْ فالكا وصارت رمادًا. على كوم من حطب.
- هذه حقيقة معروفة على نطاق واسع، الأطفال في تيميريا وريدانيا لا يزالون إلى يومنا هذا يلعبون لعبة «حرق فالكا» عشية ساوفين. دعنا نعد حتى تتمكن من رؤية الجانب الآخر من المعرض... أرى أنك تريد أن تسأل شيئًا. تفضل.

- أتساءل عن التسلسل الزمني. أعلم طبعًا، كيف يعمل إكسير الشباب، لكنّ الظهور المشترك في اللوحات لأشخاص يعيشون مع آخرين قد ماتوا منذ زمن طويل...

- بعبارة أخرى، أنت تستغرب أنك في الوليمة قابلت هين جديمديث وتيسايا دي فريس، ولم يكن بيننا بيكر وأجنيس من جلانفيل، وستاميلفورد، أو نينا فيورافانتي؟

- لا. أعلم أنكم لستم خالدين...

قاطعه فيلجفورتز: «ما الموت؟ في رأيك؟».

- النهاية.

- نهاية ماذا؟

- الوجود. بدأنا في التفلسف، كما يُخيّل إليّ.

- الطبيعة لا تعرف مفهوم الفلسفة، يا جيرالت من ريفيا. عادةً ما تسمى الفلسفة بالمحاولات البائسة والمضحكة لفهم الطبيعة، التي يجريها البشر. وتُعدّ نتائج تلك المحاولات فلسفة أيضًا. هذا أشبه بأن يحاول الشمندر فهم أسباب وعواقب وجوده، مسميًا نتيجة محاكماته الفكرية صراعًا أزليًا وخفيًا بين الجذر والأوراق، ويعد المطر قوة فاعلة لا تفهم. نحن السحرة لا نضيع وقتنا في محاولة فهم ما هي الطبيعة. نحن نعلم ما هي، لأننا نحن أنفسنا الطبيعة ذاتها. هل تفهمني؟

- أحاول، لكن تحدث ببطء، أرجوك. لا تنس أنك تتحدث مع الشمندر.

- هل فكرت يومًا، ماذا حدث حينما أجبر بيكر الماء على الانبجاس من الصخرة؟ ببساطة شديدة يُقال: إن بيكر تحكم في القوة. أرغم أحد عناصر الطبيعة على الطاعة. أخضع الطبيعة وسيطر عليها... ما موقفك من النساء، يا جيرالت؟

- ماذا؟

استدارت ليديا فان بريدفورت تصحبها خشخشة الحرير، وهمدت في الانتظار. رآها جيرالت متأبطة لوحة ملفوفة. لم يكن لديه فكرة من أين بزغت

هذه اللوحة، فقبل لحظة لم تكن ليديا تحمل شيئاً. اهتزت التيممة على عنقه بخفة.

ابتسم فيلجفورتز.

ذُكره: سألتك عن آرائك عن العلاقة بين الرجل والمرأة.

- عن أي جانب من هذه العلاقة؟

- هل برأيك يمكن إجبار المرأة على الطاعة؟ طبعاً، عن النساء الحقيقيات أتحدث، لا عن الإناث. هل يمكن السيطرة على المرأة الحقيقية؟ التحكم فيها تماماً؟ كي تخضعها لإرادتك؟ وإن كان الجواب بالإيجاب، فبأي وسيلة؟ أجب.



لم تُنزل الدمية النسيجية عينيها الزرّين عنهما. أشاحت ينيفر ببصرها جانباً.

- هل أجبتُ؟

- أجبتَ.

ضغطتِ الساحرة راحتها اليسرى على مرفقه، واليمنى على الأصابع التي كانت تلمس نهدِها.

- كيف؟

- أنت تعلمين.



قال فيلجفورتز بعد لحظة: «لقد فهمتَ. وأظن أنك كنت تفهم دائماً. إذن، ستفهم أيضاً أنه إذا مات واختفى مفهوم الإرادة والخضوع، والأمر والطاعة، والحاكم والمحكوم، تحققت عندئذِ الوَحْدَة. الأمة، والانصهار في كيان كلي واحد. الالتحام المتبادل. وعندما يحدث مثل هذا الشيء، فلن يحسب للموت حساب. هناك، في قاعة الولائم، حاضرَ يان بيكر، الذي كان بمنزلة ينبوع منجس من الصخر. القول بأن بيكر مات يشبه تماماً القول بأن الماء مات. انظر إلى هذه اللوحة».

نظر.

قال بعد لحظة: «إنها خارقة الجمال».

وشعر على الفور بارتجاف خفيف للميدالية الويتشرية.

ابتسم فيلجفورتز: «ليديا، أشكرك على التقدير. وأنا أهنتك على ذوقك. الرسم يمثل لقاء كريجينان من لود ولارا أيب دورين إيب شيادهال، الحبيبين الأسطوريين، اللذين فرق بينهما ودمرهما زمن الازدراء. كان ساحرًا، وكانت إلفية، واحدة من النخبة أين سايفهيرني، أي: العارفين. وتحول ما كان يمكن أن يكون بداية للمصالحة، إلى مأساة».

- أعرف هذه الحكاية. نظرتُ إليها دائمًا على أنها حكاية خرافية. كيف كان الأمر في الحقيقة؟

اعترت الساحر جدية: «هذا لا يعلمه أحد. أعني، لا أحد على وجه التقريب. ليديا، علّقي لوحتك، هنا بالجوار. جيرالت، استمتع بعمل آخر من ريشة ليديا. هذه صورة لارا دورين أيب شيادهال، رُسِمَتْ على أساس نموذج مصغر من التاريخ القديم».

انحنى الويتشر لليديا فان بريدفورت، ولم يرتجف صوته ولو قليلًا: «أهنتك. إنها حقًا تحفة فنية».

لم يرتجف صوته، مع أن لارا دورين أيب شيادهال كانت تحرق إليه من اللوحة بعيني سيري.



- وماذا حدث بعد ذلك؟

- بقيت ليديا في المعرض. خرج كلانا إلى الشرفة. وهو استمتع بلهوه على حسابي.



- من هنا، يا جيرالت، لو سمحت. سرّ فقط على البلاطات الداكنة من فضلك.

كان البحر يهدر في الأسفل، وشخصتُ جزيرة ثانيد وسط الزبد الأبيض للموج المتكسر. كانت الأمواج تضرب جدران لوكسيا، الواقعة تحتها تمامًا. بدتْ لوكسيا متلاثلة من الأضواء، مثلها مثل أريتوزا. أما كتلة جارستانج الحجرية التي لاحت فوقهما، فكانت سوداء وخاوية.

تابع الساحر نظرات الويتشر: «غداً سيرتدي أعضاء مجلس التشريف والمجلس الأعلى حُللاً تقليدية، ومعاطفَ سوداء ويعتَمرون قبعاتٍ حادةً تعرفها أنت من الرسوم القديمة. ثم إننا سنتسلح بعصيٍّ وصوالجٍ طويلة، مشبهين أنفسنا بالمشعوذين والمشعوذات اللواتي يخوِّف الأطفال بهن. هذا من التقاليد. سنذهب، صحبة بضع من المندوبين الآخرين إلى هناك، إلى الأعلى، إلى جارستانج. هناك، في قاعة مُعدَّة خصوصاً، سنعقد اجتماعاتنا. أما من تبقى، فسينتظر في أريتوزا عودتنا وقراراتنا».

- هل الاجتماعات في جارستانج، ضمن الدائرة الضيقة، أيضًا تقليد؟
- بكل تأكيد. إنه تقليد طويل الأمد تمليه دوافع عملية. حدث في بعض الأحيان أن كانت اجتماعات السحرة عاصفة، حتى وصل الأمر إلى احتدام تبادل نشط جدًا للآراء. وخلال إحدى هذه التبادلات، خرَّبتُ صاعقة كروية تصفيفة شعر نينا فيورافانتي وثوبها. حوَّطت نينا أسوار جارستانج بهالة وحاجز صائدٌ للسحر في غاية القوة، وقد خصصت لذلك عامًا من العمل. منذ ذلك الحين، لا تعمل أي تعويذة داخل جارستانج، وتجري المناقشات بهدوء أكبر. لا سيما إذا لم يُنسَ أمر مصادرة السكاكين من المتناقشين.

- أفهم. وماذا عن ذاك البرج الوحيد، فوق جارستانج، أعلى القمة؟ هل هو بناء مهم؟

- إنه تور لارا، برج النورس. أطلال. هل هو مهم؟ من المحتمل نعم.

- من المحتمل؟

استند الساحر إلى المتكأ.

- وَفَقَّ روايات الإلفيين، فإن تور لارا متصل، كما قيل، بوساطة بوابة نقل آني، بتور زيريال، أي: برج السنونو، الغامض الذي لم يُعثر عليه حتى اليوم.

- كما قيل؟ ألم تتمكنوا من اكتشاف بوابة النقل الآني هذه؟ لا أصدق.
- أنت محق في ذلك. اكتشفنا البوابة، لكن وَجَبَ علينا إغلاقها. وقعت احتجاجات، اندفع الجميع إلى إجراء التجارب، وأراد كل واحد منهم أن يشتهر كمستكشف تور زيريال، المقر الأسطوري للحكماء والسحرة الإلفيين. لكنَّ البوابة معوجةٌ اعوجاجًا لا يمكن إصلاحه، وتنتقل دونما اتساق. فأغلقت بعد وقوع عدد من الضحايا. هيا بنا، جيرالت، الجو أصبح باردًا. كنْ حذرًا. سرُّ فقط على البلاطات الداكنة.

- لماذا فقط على الداكنة منها؟

- هذه المباني خربة. الرطوبة، التآكل، الرياح القوية، الملح في الهواء، كل ذلك يؤثر في الجدران تأثيرًا شديد السوء. وسيكون إصلاحها مكلفًا جدًّا، لذلك فإننا نستخدم الوهم. هو الجاه والجلال، أنت تفهم ذلك.
- ليس كل شيء.

حرَّكَ الساحر يده فاخترقت الشرفة. كانا واقفين فوق هاوية، فوق فجوة مدججة في أسفلها بأسنان من الصخر تبرز من بين الزبد. كانا واقفين على شريط ضيق من البلاطات الداكنة، ممتد كأنه شبه منحرف بين رواق أريتوزا والركن الساند للشرفة.

حافظ جيرالت على توازنه بجهد كبير. لو كان إنسانًا، لا ويتشر، لما تمكَّن من الحفاظ عليه. لكنه هو نفسه تفاجأ. لم تكن حركته المبالغثة لتمرَّ دون أن يلاحظها الساحر، وكان لا بدَّ من أن تظهر بعض التغيرات على وجهه. لقد أرجحته الرياح على الجُسير الضيق، وأذرته الهاوية بهدير أمواجها المشووم. صرخ فيلجفورتز مبتسمًا: «أتخاف الموت؟ إنك تخافه».



كانت الدمية المصنوعة من الخرق تحدِّق إليهما بعينين من زرَّين.

تمتت ينيفر وهي تحتضن الويتشر: «لقد خدعك. لم يكن الأمر خطرًا، بالتأكيد كان يحميك ويحمي نفسه بحقل التحليق. لم يكن ليخطر... ماذا كان بعد ذلك؟».

- انتقلنا إلى الجناح الآخر من أريتوزا. قادني إلى حجرة كبيرة، كانت على الأرجح مكتبًا لإحدى المحاضرات، وربما للمديرة نفسها. جلسنا إلى منضدة عليها ساعة رملية. كان الرمل يتسرّب ببطء. شعرتُ بعطر ليديا، وعلمتُ أنها كانت في الحجرة قبلنا...

- وفيلجفورتز؟

- طرح سؤالًا.



- لماذا لم تصبح ساحرًا، يا جيرالت؟ ألم يجذبك الفن قط؟ كن صريحًا.

- سأكون كذلك. جذبني الفن.

- فلماذا إذن، لم تتبع نداء الرغبة؟

- وصلتُ إلى قرار أن من الحكمة اتباع صوت العقل.

- ماذا يعني هذا؟

- سنوات العمل في الحرفة الويتشرية علّمتني أن أقيس قوتي على قدر

الغايات. تعلم، يا فيلجفورتز، قد عرفتُ ذات يوم قزمًا، عندما كان

طفلًا، حلم كثيرًا بأن يصبح إلفيًا. ما رأيك، هل كان سيصبح كذلك لو

تبع نداء الرغبة؟

- أهذا مقارنة؟ تشبيه؟ إذا كان كذلك، فهو غير صائب مطلقًا. لا يمكن

للقزم أن يصبح قزمًا، فأمه لم تكن إلفية.

صمت جيرالت طويلًا.

وقال أخيرًا: «نعم، كان يمكنني أن أخمن. لقد نقبت قليلًا في سيرتي

الذاتية. هل يمكنك أن تبوح لي ما غايتك من ذلك؟».

- ربما (ابتسم الساحر قليلاً) أحلم بلوحة في معرض المجد؟ كلانا، حول المنضدة، وعلى الرصعة النحاسية مكتوب: «فيلجفورتز من روجيفين يبرم اتفاقية مع جيرالت من ريفيا».

قال الويتشر: «يمكن أن يكون ذلك تمثيلاً مجازياً، بعنوان: العلم ينتصر على الجهل. كنت أفضل لوحة أكثر واقعية، تحمل عنوان: فيلجفورتز يشرح لجيرالت ما يجري».

جمع فيلجفورتز أصابع يديه على مستوى فمه.

- أليس الأمر واضحاً؟

- لا.

- هل نسيّت؟ اللوحة التي أحلم بها معلقة في معرض المجد، تنظر إليها الأجيال القادمة، التي تعلم تمامًا ما المقصود، وما الذي تمثله الرسمة. في اللوحة، فيلجفورتز وجيرالت يتفاهمان ويتوصّلان إلى اتفاق، بموجبه لا يتبع جيرالت نداء شهوة أو رغبة ما، بل نداء الواجب الحقيقي، وانضمّ أخيراً إلى صفوف السحرة، منهياً وجوده السابق الذي كان لا معنى له ولا مستقبل.

قال الويتشر بعد لحظة صمت طويلة جداً: «تصور أنني قبل وقت قريب جداً كنت أظن ألا شيء يمكن أن يفاجئني بعد الآن. صدّقني يا فيلجفورتز، سأذكر طويلاً هذه الوليمة وهمرة هذه الأحداث العجيبة. حقاً، هذا يستحق أن يكون لوحة. العنوان: جيرالت يغادر جزيرة ثانيد، منفجراً من الضحك».

انحنى الساحر قليلاً: «لم أفهم. ضعت بين زخارف كلامك المنمق، المتخم بالكلمات المتأنقة».

- أسباب سوء الفهم واضحة بالنسبة إليّ. نحن مختلفان جداً فلا نفهم بعضنا؛ أنت ساحر مقتدر من مجلس التشريف الذي وصل إلى الوَحْدَة مع الطبيعة. أنا متسكع، ويتشر، متحول، يجوب العالم ويقتل الوحوش مقابل المال...

قاطعه الساحر: «الكلام المنمق قد نبذه الابتذال».

لم يسمح جيرالت بأن يقاطع: «نحن مختلفان جدًا. وحقيقة أن أمي، مصادفةً، كانت ساحرة لا يمكنها محو هذا الاختلاف. وبالمناسبة: مَنْ كانت أمك؟».

قال فيلجفورتز بهدوء: «ليست لدي فكرة عن ذلك».

صمت جيرالت على الفور.

تابع الساحر بعد لحظة: «عثر عليّ الدرويدون من دائرة كوفير في أحد المزاريب في لان إكسيتر التقطوني وربوني. لأكون درويدًا، طبعًا. هل تعلم من هو الدرويد؟ إنه ذلك المتحول، المتسكع، الذي يتجول في العالم وينحني للبلوط المقدس».

ظل جيرالت صامتًا.

تابع فيلجفورتز: «ومن ثمّ، في أثناء بعض الطقوس الدرويدية، ظهرت قدراتي إلى العلن. قدرات، أتاحت بوضوح وعلى نحو لا يمكن إنكاره، تحديد أصلي. أنجبني، مصادفةً طبعًا، اثنان من البشر، أحدهما على الأقل كان ساحرًا».

ظل جيرالت صامتًا.

استمرّ فيلجفورتز بهدوء: «ذاك الذي اكتشف قدراتي المتواضعة، كان طبعًا ساحرًا التقيته مصادفة. وقد أسدى إليّ معروفًا عظيمًا: عرض عليّ التعليم والتطوير، وفي النهاية الانضمام إلى أخوة السحرة».

قال الويتشر بصوت عميق: «وأنت، قبلت العرض».

أخذ صوت فيلجفورتز يزداد برودة ويتناقص لطفًا: «لا، رفضته بطريقة غير مؤدبة، بل وقحة. صيبت غضبي كله على هذا الهرم. أردتُ أن أشعره بالذنب، هو وكل جماعته السحرية. هو مذنّب، طبعًا، بسبب المزراب في لان إكسيتر، مذنّب أن واحدًا أو اثنين من السحرة الحقيرين معدومي القلب والشعور الإنساني قد ألقيا بي في ذلك المزراب بعد ولادتي، وليس قبلها. الساحر، طبعًا، لم يفهم ولم يهتم بما قلتُ له حينئذٍ. هز كتفيه وذهب بعيدًا، واصمًا نفسه وجميع زملائه بأبناء الحرام المتكبرين، وفاقدي الإحساس، الذين يستحقون أقصى درجات الازدراء».

ظل جيرالت صامتًا.

واصل فيلجفورتز: «لقد ضجرتُ من الدرويديين، فتركتُ غابات البلوط المقدسة وانطلقتُ إلى العالم. فعلتُ أشياء كثيرة. بعضها أخطأتُ منه حتى هذا اليوم. وفي النهاية، أصبحتُ جنديًا مرتزقًا. سارتُ حياتي بعد ذلك، كما يمكنكُ أن تتخيل، بطريقة نمطية. جندي منتصر، جندي مهزوم، جندي هارب، قاطع طريق، مغتصب، مجرم، وفي المحصلة هارب من حبل المشنقة إلى نهاية العالم. هربتُ إلى نهاية العالم. وهناك، في نهاية العالم، تعرفتُ امرأة. ساحرة». همس الويتشر، وضاحت عيناه: «احذر. احذر. يا فيلجفورتز، حتى لا يقودك البحث قسرًا عن أوجه التشابه بعيدًا جدًا».

لم يزح الساحر نظره جانبًا: «قد انتهتُ أوجه التشابه. فأنا لم أفلح في التغلب على الشعور الذي كنتُ أكنه لتلك المرأة. ثم إنني لم أفهم شعورها، وهي لم تسعَ إلى مساعدتي على ذلك. تركتها. لأنها كانت مُنحلة جنسيًا، ومتعجرفة، ولئيمة، وقاسية، وباردة. ولأنها كان لا يمكن السيطرة عليها، وسيطرتها كانت مذلة. تركتها لأنني أدركتُ أنها اهتمت بي فقط لأن ذكائي، وشخصيتي، وغموضي الأسر حجبوا حقيقة أنني لم أكنُ ساحرًا، وهي اعتادت أن تشرف السحرة فقط بأكثر من ليلة واحدة. تركتها، لأن... لأنها كانت مثل أمي. فجأة أدركتُ أن ما كنتُ أشعر به نحوها لم يكن حبًا إطلاقًا، بل هو شعور أكثر تركيبًا، قوي ولكنه عسير على التصنيف: خليط من الخوف والندم والغضب وعذاب الضمير والحاجة إلى التكفير عن الخطيئة، والشعور بالذنب، والخسران والظلم، والحاجة المنحرفة إلى المعاناة والتوبة. إن ما شعرتُ به نحو تلك المرأة كان كراهية».

ظل جيرالت صامتًا. نظر فيلجفورتز جانبًا.

استأنف بعد لحظة: «تركتها. ولم أستطع العيش مع الفراغ الذي اجتاحني. وفجأة فهمتُ أن غياب المرأة ليس هو ما يسبب هذا الفراغ، بل غياب ما كنتُ أشعر به حينئذٍ. هي مفارقة، أليس كذلك؟ لا أحتاج إلى إنهاء الحديث، فيمكنك تخمين مآلاته. أصبحتُ ساحرًا. بدافع الكراهية. وعندئذٍ فقط فهمتُ كم كنتُ أحمق. كنتُ أخلط بين السماء والنجوم المنعكسة ليلاً على سطح البركة».

تمتم جيرالت: «كما لاحظتَ ملاحظة صائبة، لم تكن الموازنات بيننا متوازنة إلى النهاية. وعلى عكس ما يبدو، ليس لدينا الكثير من القواسم

المشتركة، يا فيلجفورتز. ماذا أردت أن تثبت، بسرد قصتك لي؟ أن الطريق إلى إتقان السحر، مع أنها متعرجة وصعبة، متاحة للجميع؟ حتى لأبناء الحرام، معذرة على الموازة، واللقطاء، والصعاليك أو الويتشريين...».

قاطع الساحر: «لا، لم أعتزم إثبات أن هذه الطريق متاحة للجميع، فهذا بديهي ومثبت منذ زمن طويل. ولا تتطلب الإثبات أيضًا الحقيقة القائلة بأن بعض الناس، ببساطة، ليس لديهم طريق أخرى».

ابتسم الويتشر: «إذن، ليس لي خيار؟ أعلني أن أعقد معك ذاك العهد الذي سيصبح موضوع اللوحة وأصبح ساحرًا؟ نظرًا إلى عامل الجينات فحسب؟ ها. أعرف قليلًا نظرية الوراثة. كان والدي -وهذا ما توصلت إليه بصعوبة كبيرة- صعلوكًا، ساذجًا، ومشاغبًا، وسيافًا. قد يكون لديّ تفوق في الجينات الموروثة من جهة الأب، لا من جهة الأم. وحقيقة أنني أقاتل بالسيف على نحو جيد، تؤكد ذلك على ما يبدو».

ابتسم الساحر ساخرًا: «في الصميم. يكاد الرمل ينفذ من الساعة، وأنا، فيلجفورتز من روجيفين، معلم السحر، عضو مجلس التشريف، لا أزال أناقش، من غير انعدام المتعة، مع رجل ساذج وسياف، ابن رجل ساذج وسياف وصعلوك. نحن نتحدث عن أمور وقضايا تُشكّل، كما هو معلوم، موضوعًا عاديًا لمجادلات السيفيين السذج بجوار النار. كالوراثة، على سبيل المثال. من أين تعرف هذه الكلمة عمومًا، يا سيّافي أنت؟ من مدرسة المعبد في إيلاندر، التي يُعلّم فيها تهجئة أربعة وعشرين حرفًا رونيًا وكتابتها؟ ما الذي دفعك إلى قراءة الأسفار التي تحتوي على هذه الكلمات وما شابهها؟ أين صقلت هذه البلاغة والفصاحة؟ ولم فعلت ذلك؟ أمن أجل أن تتحدث مع مصاصي الدماء؟ يا صعلوكي الوراثي أنت، الذي تبتسم لك تيسايا دي فريس. أنت يا ويتشري، يا سيّافي الذي يُبهر فيليبيا إيلهارت إلى درجة أن يديها ترتعشان. والذي ذكره يجعل تريس ميريجولد تغرق في حمرة الخجل. أما ينيفر من فينجربيرج فلن أذكرها».

- ربما من الأفضل ألا تذكرها. عمليًا، قد بقي في الساعة الرملية قليل جدًّا من الرمل، إلى درجة أن من الممكن عدّ حبيباته. لا ترسم المزيد من اللوحات، يا فيلجفورتز. قل ماذا تبغي. تحدث بكلمات مباشرة.

تخيل أننا نجلس بجوار النار متسكعين، نشوي خنوصًا سرقناه للتو، ونحاول دون جدوى أن نثمل بعصير البتولا. ثمة سؤال بسيط يطرح نفسه. أجب عنه. كما يجيب صعلوك صعلوكًا آخر.

- ما هذا السؤال البسيط؟

- ما العهد الذي تعرضه عليّ؟ ما الاتفاق الذي سنعقده؟ لماذا تريدني أن أكون في وعائك، يا فيلجفورتز؟ في القدر التي بدأت تغلي، كما يبدو لي؟ ما الذي يلوح هنا معلقًا في الهواء، غير مشاعب الشموع؟

فكر الساحر أو تظاهر بذلك: «هممم... السؤال ليس بسيطًا، لكنني سأحاول الإجابة. لكن ليس كما يجيب الصعلوك صعلوكًا آخر. سأجيب... كما يجيب سياف مأجور سيافًا آخر مثله».

- ممكن.

- اسمع إذن، رفيقي السياف. عراك كبير يلوح في الأفق. مذبة قاسية، مذبة حياة أو موت، لن تكون فيها مسامحة. فريق سينتصر، وآخر ستنهشه الغربان. أقول لك، أيها الرفيق، انضم إلى من لديهم فرص أكثر. إلينا. اترك الآخرين وابصق عليهم ما استطعت، لأنهم لا فرص لديهم البتة، تبًا لمّ عليك أن تموت صريعًا معهم؟ لا، لا، أيها الرفيق، لا تعوج بوزك أمامي، أعرف ما تريد أن تقول. تريد أن تقول إنك محايد. إنك لا تبالي لا بهؤلاء ولا بأولئك، وإنك ببساطة ستنتظر انتهاء العركة في الجبال، في كاير مورهين. هذه فكرة سيئة، أيها الرفيق. معنا سيكون لك كل ما تحبه. وإن لم تنضم إلينا، ستفقد ذلك كله. ستغرق عندئذ في الفراغ والعدم والكرهية. سيدمرك زمن الازدراء الذي سيحل. لذا كن عاقلًا، وقف في الجانب الصحيح عندما يحين وقت الاختيار. وسيحين وقت الاختيار. يمكنك أن تصدقني.

ابتسم الويتشر بابتسامة شنيعة: «مذهل، إلى أي حد يستفز الناس حيادي. إلى أي حد يجعلني هذا هدفًا لعروض العهود والاتفاقيات، وعروض التعاون، والإرشادات عن ضرورة اتخاذ قرار والوقوف في الجانب الصحيح. فلننهِ هذه المحادثة، يا فيلجفورتز. إنك تضيع وقتك. لستُ شريكًا مساويًا

لك في هذه اللعبة. لا أرى ما يمكّننا أن نكون معًا في لوحة واحدة بمعرض
المجد. خصوصًا في مشهد قتالي».

ظل الساحر صامتًا.

تابع جيرالت: «صُفّ على رقعة الشطرنج التي لديك الملكين، والوزيرين،
والفيلة، والقلاع، ولا تهتمّ بي، لأنّ قيمتي على هذه الرقعة تساوي قيمة الغبار
الذي يغطيها. هذه ليست لعبتي. تقول إنني سأضطر إلى الاختيار؟ أؤكد لك
أنك مخطئ. لن أختار. سأتكيف مع الأحداث. سأتكيف مع ما يختار الآخرون.
فعلتُ ذلك دائمًا».

- إنك من أتباع الجبرية.

- إنني كذلك. مع أن هذه كلمة أخرى لا ينبغي لي أن أعرفها. أكرر، هذه
ليست لعبتي.

انحنى فيلجفورتز فوق المنضدة: «حقًا؟».

- في هذه اللعبة، أيها الويتشر، حصان أسود صار الآن على رقعة
الشطرنج، مربوطًا بك برباط القدر، يلazمك في السراء والضراء. تدري
عمن أتحدث، أليس كذلك؟ لعلك لا تريد أن تفقدها؟ فاعلم أن سبيلًا
واحدًا أمامك فقط كي لا تفقدها.

ضاعت عينا الويتشر.

- ماذا تريدون من هذه الطفلة؟

- ثمة سبيل واحد فقط كي تتمكن من معرفة ذلك.

- حذار. لن أسمح بأن يؤذيها أحد...

- ثمة سبيل واحد فقط يمكنك من خلاله تحقيق ذلك. لقد اقترحت عليك
هذا السبيل، يا جيرالت من ريفيا. فكّر في اقتراحي. أمامك ليلة كاملة
لذلك. فكّر وأنت تنظر إلى السماء. إلى النجوم. ولا تخلط بينها وبين
تلك التي تنعكس على سطح البركة. نفذ رمل الساعة.



- أنا خائف على سيرتي، يا ين.

- لا داعي إلى الخوف.

- ولكن...

احتضنته: «ثق بي. ثق بي، أرجوك. لا تقلق من فيلجفورتز. إنه لاعب. أراد التحايل عليك واستفزازك، ونجح جزئياً في ذلك. لكن هذا ليس مهماً. سيري تحت رعايتي، وستكون آمنة في أريتوزا، وستتمكن من تطوير مهاراتها ولن يعوقها أحد. لا أحد. أما عن كونها ستصبح ويتشرية، فانس هذا الأمر. هي تمتلك مواهب أخرى، ومقدرة لها أفعال أخرى. يمكنك الوثوق بي».

- أثق بك.

- هذا تقدم كبير. ولا تقلق من فيلجفورتز. يوم غد سيوضح الكثير من الأمور وسيحل العديد من المشكلات.

فكّر: يوم غد. إنها تخفي شيئاً عني. وأنا أخاف أن أسأل. كان كودرينغر محقاً. لقد تورطت في متاعب فضيحة. لكن لا مخرج منها الآن. لا بد من انتظار ما سيأتي به الغد الذي من المفترض أن يوضح كل شيء. يجب أن أثق بها. أعلم أن شيئاً ما سيحدث. سأنتظر. وسأتكيف مع الوضع. نظر إلى المكتب.

- ين؟

- أنا هنا.

- عندما كنت تتعلمين في أريتوزا... عندما كنتِ تنامين في حُجيرة مثل هذه... هل كانت لديك دمية لا تستطيعين النوم من دونها؟ تلك التي تضعينها على المكتب في أثناء النهار؟

تحركت ينفر بتوتر: «لا. لم تكن لدي أي دمية. لا تسألني عن ذلك، يا جيرالت. أرجوك، لا تسأل».

همس وهو يتلفّت حوالَيْه: «أريتوزا. أريتوزا في جزيرة ثانيد. بيتها. سنوات كثيرة جداً... عندما تخرج من هنا، ستكون امرأة ناضجة...».

- توقف. لا تفكر في ذلك ولا تتحدث عنه. بدلاً من ذلك...

- ماذا، ين؟

- هبني متعة الحب.

احتضنها. لمسها. وجد ما يشتهيهِ. كانت ينيفر... ناعمة ومتينة في آن معًا، وعلى نحو لا يصدق. تنهدت بصوت عالٍ. تقطعتِ الكلمات التي نطقاها، وضاعت بين الأنفاس المتسارعة والتنهدات، ولم يعد لها معنى، ثم تلاشت. صمًا، وركزا على البحث عن نفسيهما، والبحث عن الحقيقة. بحثًا طويلًا، بعناية ودقة شديدة، مخافة التسرع المدنُّس والطيش. بحثًا بشدة وتركيز شديد ودأب، مخافة الشك المدنُّس والحيرة. بحثًا بحذر مخافة الجلافة المدنُّسة.

وجدا نفسيهما، تغلبا على الخوف، وبعد لحظة وجدا الحقيقة، التي انفجرت تحت جفونهما بوضوح مروع يخطف الأبصار، ومزقت بأنيها الشفتين المطبقتين بإصرار. وارتجف الوقت عندئذٍ الوقت بتشنج وهمد، اختفى كل شيء، وأصبح اللمس الحاسة الوحيدة التي تعمل.

مضتِ الأبدية، وعاد الواقع، وارتجف الوقت مرة أخرى، وتحرك مجددًا من مكانه ببطء، متثاقلاً، كعربة ضخمة محملة. نظر جيرالت من النافذة. كان القمر لا يزال معلقًا في السماء، مع أن ما حدث قبل لحظات كان من المفروض أن يسقطه على الأرض.

عاد مرة أخرى ليبدأ ببطء، كعربة محملة تسير بثقل. نظر جيرالت من النافذة. كان القمر لا يزال معلقًا في السماء، رغم أن ما حدث للتو كان ينبغي أن يسقطه على الأرض.

قالت ينيفر بعد لحظة طويلة، وهي تمسح بحركة بطيئة دمعة من خدها: «أه يا سلام».

استلقيا ساكنين بين الأغصان المتناثرة، وسط الارتعاش، وسط الدفء المتصاعد بخارًا، والسعادة الآخذة بالانطفاء، وسط الصمت، وكان الظلام غير الواضح يتكاثر من حولهما، مشبعًا برائحة الليل وأصوات الزيزان. كان جيرالت يعلم أن قدرات التذاهن لدى الساحرة، في مثل هذه اللحظات، شديدة الحساسية وقوية جدًا، لذا فكَرَّ تفكيرًا عميقًا في الأمور والأشياء الجميلة. في الأشياء التي من شأنها أن تسعدها. في شروق الشمس المتفجر سطوعًا. في الضباب المعلق فجراً فوق البحيرة الجبلية. في الشلالات البلورية التي تقفز

من خلالها أسماك السلمون، متلائة كما لو كانت من الفضة الخالصة. في قطرات المطر الدافئة التي تضرب أوراق الأرقطيون المثقلة بالندى. فُكّر من أجلها. وينيفر كانت تبتسم، وهي تستمع إلى أفكاره. ارتعشت الابتسامة على خدها بظل رموشها القمري.



سألت ينيفر فجأة: «منزل؟ أي منزل؟ هل لديك منزل؟ هل تريد بناء منزل؟ أه... اعذرنى. لا ينبغي لي أن...».

ظل صامتًا. كان غاضبًا من نفسه. بينما كان يفكر من أجلها، سمح لها دون قصد بقراءة أفكاره عنها.

مسدت ينيفر ذراعه بنعومة: «حلم جميل. منزل. منزل بنيت به بيديك، وفي هذا المنزل، أنا وأنت. سيمكنك أن تربي الخيول والنعاج، وسيمكنني أن أزرع الحديقة، وأطبخ الطعام، وأغزل الصوف، الذي سنحمله إلى السوق. ومن النقود، التي سنكسبها من بيع الصوف ومن محاصيل الأرض المختلفة، سنشتري ما هو ضروري لنا، على سبيل المثال القدور النحاسية وأمشاط الأرض الحديدية. من وقت إلى آخر، ستزورنا سيرى مع زوجها وأطفالها الثلاثة، وأحيانًا ستأتينا تريس ميريجولد لقضاء بضعة أيام. سننقدم في العمر معًا بحسن وكرامة. وإذا مللتُ ستعزف لي في المساءات على مزمار القربة الذي صنعتَه بيديك. فالعزف على المزمار، كما هو معلوم، أفضل علاج للكآبة».

ظل الويتشر صامتًا. وتنحنت الساحرة بصوت خفيض.

قالت بعد لحظة: «المعذرة».

رفع نفسه متكئًا على مرفقه، انحنى وقبّلها. تحركت فجأة واحتضنته بصمت.

- قل شيئًا.

- لا أريد أن أفقدك، يا ين.

- ولكنني ملك يديك.

- هذه الليلة ستنتهي.

- كل شيء ينتهي.

فَكَرَ: لا، لا أريد أن يكون الأمر على هذا النحو. أنا متعب. متعب جداً من قبول فكرة النهايات التي هي بدايات، ومنها يجب بدء كل شيء من جديد. أريد... بحركة سرعة، وضعت أصابعها على شفتيه: «لا تقل شيئاً. لا تقل لي ما تريد وما تتمنى. لأنني قد يثبت أنني لا أستطيع تحقيق رغباتك، وهذا يؤلمني».

- وما الذي تتمنيه، يا ين؟ بمَ تحلمين؟

- بالأشياء التي يمكن بلوغها، ولا شيء آخر.

- وأنا؟

- أنتَ قد صرْتَ ملك يدي.

ظل صامتاً لحظات طويلة. وانتظر إلى أن قطعتُ هي الصمت.

- جيرالت؟

- هممم؟

- هبني متعة الحب، هيا أرجوك.

في البداية، وقد أشبعا بنفسيهما، كانا ممثليْن بالخيال، وبأفكار الإبداع والابتكار، ومستكشفيْن ومتعطشيْن لما هو جديد. وكما هو معتاد، سرعان ما اتضح أن هذا كله أكثر مما يلزم وأقل مما يلزم في آنٍ. فهما ذلك معاً في وقت واحد، ومن جديد أكد كل منهما حبه للآخر.

عندما عاد جيرالت إلى وعيه، كان القمر لا يزال في مكانه. عزفتِ الزيزان بإلحاح، كأنها أرادت بجنون وإصرار التغلب على القلق والخوف. صرخ من النافذة القريبة، في الجناح الأيسر من أريتوزا، شخص ينشد النوم، شاتماً بأقذع الشتائم، ومطالباً بالهدوء. من نافذة في الجهة الأخرى، شخص آخر ذو روح أكثر فنية، كما بدا، صفق بحماسة مهنئاً.

همس الويتشر لائماً: «آخ، ين...».

قبْلته ثم دست خدها في الوسادة: «كان لديَّ سبب... كان لدي سبب لأصرخ. لذلك صرختُ. لا ينبغي كبتُ ذلك، إنه ليس صحيحاً وليس طبيعياً. ضمّني إن أمكنك ذلك».

بوابة لاري للنقل الآتي، المعروفة أيضًا باسم بوابة بينافنت نسبة إلى مكتشفها، تقع على جزيرة ثانيد في الطابق الأخير من برج النورس. وهي ثابتة تُفَعَّل دوريًا. قواعد عملها: غير معروفة، وجهتها: غير معروفة، وعلى الأرجح سُوِّهَتْ نتيجة لانهيـار ذاتي، ولا يُستبعد وجود تفرعات عدّة آ وانتشارات غير منظمة. ملاحظة: البوابة فوضوية وخطرة خطرًا مميّـًا. التجارب ممنوعة منعًا باتًا. يُحظَر استخدام السحر في برج النورس والمناطق المجاورة، وخصوصًا السحر المتعلق ببوابات النقل الآتي. ينظر مجلس التشريف، على نحو استثنائي، في طلبات الحصول على إذن لدخول تور لارا ومعاينة بوابة النقل الآتي. يتعين دعم الطلبات بأعمال بحثية جارية وبتخصيص في مجال المادة.

المراجع: جيفري مونك: «سحر الشعب الأقدم»؛ إيمانويل بينافنت: «بوابة من تور لارا»؛ نينا فيورفانتي: «نظرية النقل الآتي وتطبيقاته»؛ رانسانت ألفارو: «بوابات السر».

المحظورات (ثبت بالمشغولات الممنوعة)،

أرس ماجيكا، الطبعة الثامنة والخمسون

الفصل الرابع

في البداية، لم تكن إلا الفوضى النابضة واللامعة، وشلال الصور، ودوامة ممثلة بأصوات الهوة العميقة وأصدائها. رأت سيري برجا يبلغ عنان السماء، كانت تتراقص على سطحه البروق. سمعت صرخة طائر جارح، وكانت هي هذا الطائر. كانت تطير بسرعة هائلة وفوقها البحر الهائج. رأت دمية صغيرة مصنوعة من الخرق، وفجأة أصبحت هي هذه الدمية، وتكاثفت الظلمة من حولها خافقة بأصوات الزيزان.

رأت قطا أسود وأبيض ضخما، وفجأة أصبحت هي هذا القط، ومن حولها منزل مظلم، كسوة خشبية داكنة للجدران، ورائحة شموع وكتب قديمة. سمعت أحدا ما يتلفظ باسمها عدة مرات، يناديها. رأت أسماك سلمون فضية تقفز من خلال الشلالات، وسمعت جلجل المطر يضرب أوراق الشجر. ومن ثم سمعت صرخة غريبة ومديدة من ينيفر. وهذه الصرخة هي التي أيقظتها وانتزعته من هذه الهوة التي لا تسير لا على زمان ولا على نظام.

لم تسمع الآن، وهي تحاول دون جدوى تذكر الحلم، سوى أصوات خافتة من عود وناي، وقرع دف، وغناء وضحك. ياسكير ومجموعة من الشعراء المتجولين الذين التقاهم مصادفة، كانوا لا يزالون يلهون بأفضل ما عندهم في الغرفة، في نهاية الممر.

دخل خيط من ضوء القمر من خلال النافذة، جاعلا العتم أقل حلقة، ومانحا حجرة لوكسيا مظهر مكان من حلم. أزاحت سيري الملاعة عنها. كانت تتعرق، وشعرها ملتصق بجبينها. في المساء، لم تستطع النوم بعد

مرور وقت طويل، كانت متقطعة الأنفاس، مع أن النافذة كانت مفتوحة على مصراعها. كانت تعلم ما السبب. قبل أن تخرج مع جيرالت، غطت ينيفر الغرفة بتعاويز الحماية، على أساس أنها ستمنع أي شخص من الدخول، لكن سيري شكّت في أن القصد من وراء ذلك كان بالأحرى منعها من الخروج. كانت ببساطة حبيسة. مع أن ينيفر سرّت على نحو بين بلقاء جيرالت، لم تنس ولم تغفر لسيري بعد، هروبها الاعباطي غير المتعقل إلى هيروندم، هروبها الذي بفضل حدث هذا اللقاء.

لقاؤها جيرالت ملأها حزنًا وخيبة. كان الويتشر قليل الكلام، مضطربًا، قلقًا، وغير صريح تمامًا. محادثتهما كانت تتقطع وتتوقف، وتتعثّر بجمل وأسئلة غير مكتملة وتُقطع في نصف الكلمة. عينا جيرالت وأفكاره تهرب منها وتجري بعيدًا، وسيري كانت تعلم إلى أين تجري.

من الحُجيرة في نهاية الممر، وصل غناء ياسكير الخافت، مصحوبًا بموسيقى من أوتار العود، تشبه خرير جدول ماء على الحجارة. عرفت اللحن الذي كان الشاعر المغني يعمل عليه منذ بضعة أيام. أغنية البالادا، كما تباهى ياسكير عدة مرات، وُسِمَتْ بـ«الغائبة»، وكان من المنتظر أن تحقق للشاعر انتصارًا في المسابقة السنوية للمغنين التي ستقام في قلعة فارتبورج، في أواخر الخريف. سيري أنصتت للكلمات.

فوق الأسطح المبللة تحلقين

بين النينوفر الأصفر تغوصين

لكنني سأفهمك على أي حال

طبعًا، إن أسعفني الوقت...

قرقعتِ الحوافر، والخيالة على أفراسهم يجرون في الليل، وفي الأفق، ازدهرت السماء بوهج الحرائق. زعق طائر جارج وفرد جناحيه، وانطلق طائرًا. غرقت سيري في النوم من جديد، وهي تسمع شخصًا يتلفظ باسمها عدة مرات. مرة كان جيرالت، ومرة ينيفر، ومرة تريس ميريجولد، وأخيرًا فتاة نحيلة لا تعرفها، ذات شعر زاه، وحزينة، تحديق من صورة مصغرة مؤطرة بقرون ونحاس أصفر، وقد تلفظت باسمها بضع مرات.

ثم رأت قطعاً أسود وأبيض، وبعد لحظة أصبحت هي ذلك القط، ونظرت بعينيه. من حولها جثم منزل غريب ومظلم. رأت أرفقاً كبيرةً ملأى بالكتب، ومنصة مضاءة ببضعة شمعدانات، وعندها رجلان منحنيان فوق بعض الطوامير. أحدهما كان يسعل ويمسح شفثيه بمنديل. الآخر، قزم رأسه ضخمة، جالس على كرسي ذي عجلات. لم تكن له ساقان.



تنهَّد فين وهو يمرر بصره على المخطوطة المهترئة: «هذا لا يُصدِّق... من الصعب تصديق ذلك... من أين لك هذه الوثائق؟».

سعل كودرينغر: «لن تصدقني لو أخبرتك. هل فهمت الآن من هي حقاً سيريلا، أميرة سينترا؟ أطفال الدم الأقدم... آخر فرع من شجرة الكراهية اللعينة! آخر غصن، وعليه آخر تفاحة مسمومة...».

- الدم الأقدم... يمتد بعيداً إلى الورا... بافيتا، كالانثي، أداليا، إيلين، فيونا.

- وقالكا.

- بحق الآلهة، هذا مستحيل! أولاً، لم يكن لدى فالكا أطفال! ثانياً، فيونا كانت ابنة شرعية...

- أولاً، لا نعلم شيئاً عن شباب فالكا. ثانياً، لا تضحكني، يا فين. أنت تعلم جيداً أنني أصاب بنوبات ضحك عند سماع كلمة «شرعي». أنا أصدق هذه الوثيقة، لأنها في رأيي أصيلة وتقول الحقيقة. فيونا، الجدة الأولى لبافيتا، كانت ابنة فالكا، هذا الوحش في جلد بشري. تبّاً للشيطان، لا أصدق كل تلك التنبؤات المجنونة، والنبوءات وغيرها من الهراء، لكن عندما أتذكر الآن نبوءة إتلينا...

- الدم الملوّث؟

- ملوّث، فاسد، ملعون، يمكن فهمه بطرق مختلفة. ووفق الأسطورة، إن تتذكر، تحديداً فالكا كانت ملعونة، لأن لارا دورين أيب شياهاال ألقت لعنتها على والدتها...

- هذه حكايات خرافية، يا كودرينغر.

- أنت محق، هذه خرافات. لكن هل تعلم متى تتوقف الحكايات الخرافية عن أن تكون حكايات خرافية؟ لحظة ما يبدأ أحد الأشخاص في تصديقها. وثمة من يؤمن بخرافة الدم الأقدم. خصوصًا الجزء الذي يقول إن من دم فالكا سيولد المنتقم، الذي سيدمر العالم القديم، ويبنى آخر جديدًا على أنقاضه.

- وهذا المنتقم سيكون سيريلا؟

- لا. ليس سيريلا. بل ابنها.

- وسيريلا يبحث عنها...

أكمل كودرينغر ببرود: «إمهير فار إمريس، قيصر نيلفجارد. تفهم الآن؟ ستكون سيريلا، بصرف النظر عن إرادتها، أمًّا لوارث العرش. الأرشيدوق الذي سيكون أرشيدوق الظلام، وسبط تلك الشيطانة فالكا والمنتقم لها. الإفناء، ومن ثم إعادة بناء العالم ستجري، كما يبدو لي، بطريقة موجّهة ومتحكّم فيها.

صمت المعوّق طويلاً.

وأخيرًا سأل: «ألا ترى أن من الواجب إبلاغ جيرالت بذلك؟».

عوج كودرينغر شفّتيه: «جيرالت؟ ومن يكون هذا؟ أليس هو ذلك السانج الذي أخبرني قبل مدة وجيزة أنه لا يعمل من أجل الربح؟ أوه، أنا أصدق، هو لا يعمل من أجل ربحه الشخصي. إنه يعمل من أجل الآخرين، دون أن يدرك ذلك. إنه يتتبع أثر رينس، الذي هو يُقاد بمقود، دون أن يشعر بالطوق حول رقبته. هل عليّ أن أخبره؟ أن أساعد هؤلاء الذين يريدون السيطرة على هذه الدجاجة التي تبيض ذهبًا لابتزاز إمهير أو لكسب رضاه؟ لا، يا فين. لستُ غيبًا إلى هذا الحد».

- الويتشر يعمل وَفْقَ مقود يقوده؟ مقود من؟

- فكَرُّ.

- تَبًّا!

- كلمة منتقاة بدقة. الشخصية الوحيدة التي تؤثر فيه، التي يثق بها. لكنني لا أثق بها. ولم أثق بها قط. سأدخل هذه اللعبة بنفسِي.

- هذه لعبة خطيرة، يا كودرينغر.
- لا ألعابَ آمنة. توجد فقط ألعاب تستحق العناء وأخرى لا تستحقه. فين، أخي، ألا تفهم ما الذي وقع في قبضتنا؟ دجاجة ذهبية ستبيض لنا، وليس لأحد غيرنا، بيضة ضخمة، كلها من الذهب الخالص...
- انتابث كودرينغر نوبة سعال: عندما أزال المنديل عن فمه، كانت عليه آثار دماء.
- قال فين، ناظرًا إلى المنديل في يد شريكه: «الذهب لن يعالج هذا الشيء، ولن يعيد إليّ ساقِيّ...».
- من يدري؟
- طرق شخص الباب. دار فين بقلق، جالسًا في كرسيه ذي العجلات.
- هل تنتظر أحدًا، يا كودرينغر؟
- أجل. أنتظر الناس الذين أرسلتهم إلى ثانيد. ليأتوا بالدجاجة الذهبية.



لا تفتح الباب، صرخت سيري. لا تفتح هذا الباب! خلفه الموت! لا تفتح هذا الباب!



صاح كودرينغر، وهو يسحب الترابيس، ثم استدار نحو القط الذي كان يموء: «سأفتحه حالًا، سأفتحه حالًا. وأنت كن صامتًا، أيها الوحش الملعون...». قطع كلامه. لم يكن الواقفون عند الباب من توقعهم. عند الباب وقف ثلاثة أشخاص لا يعرفهم.

- حضرة السيد كودرينغر؟

تظاهر المحامي بإبداء تعابير وجه لشخص غبي، وغير صوته ليصبح حادًا قليلًا: «حضرته غادر في مهمة عمل. أنا رئيس خدم حضرته، اسمي جلومب، ميكائيل جلومب. بماذا يمكنني أن أخدم السادة الأفاضل؟».

قال أحد الرجال، وكان نصف إلفي طويل القامة: «لا نحتاج إلى شيء. إذ إن حضرته ليس هنا، فسنترك رسالة وخبرًا، فحسب. وهذه هي الرسالة». انحنى كودرينغر بخشوع، وقد أتقن دور الخادم البليد، ومد يده لأخذ لفافة الرُّق المربوط بخيط أحمر: «سأوصلها بكل تأكيد. والخبر؟».

انفكَّ الخيط الذي كان يطوق اللفافة كأفعوان في حالة هجوم، وكالسطح ساطع والتف بإحكام مضيئًا على معصمه. الشخص الطويل شده بقوة. فقد كودرينغر توازنه، وتهاوى إلى الأمام، كي لا يسقط على نصف الإلفي، أسند كفه اليسرى إلى صدره تلقائيًا. في هذه الوضعية، لم يتمكن من تفادي الخنجر الذي غُرِزَ في بطنه. صرخ بصوت مكتوم وجرجر نفسه إلى الخلف، لكنَّ الخيط السحري الملتفَّ حول معصمه لم ينفك. جرَّه النصف إلفي مجددًا إلى ناحيته، وطعنه مرة أخرى. هذه المرة، علق كودرينغر على النصل.

هسَّ النصف إلفي الطويل، وهو يسحب الخنجر بقوة نحو الأعلى، ويستخرج أحشاء المحامي كما لو كان سمكة: «هذا هو الخبر والتحيات من رينس. اذهب إلى الجحيم، يا كودرينغر. إلى الجحيم رأسًا».

حشرج كودرينغر. أحس بالنصل يطحن أضلاعه وعظمة القص ويفتتها. تهاوى على الأرض متكورًا. أراد الصراخ لينذر فين، لكنه لم يستطع إلا إطلاق نعيق خافت، سرعان ما كتّمته دفقة دم.

خطا النصف إلفي الطويل فوق الجثة، تبعه الشخصان الآخران إلى الداخل. كانا من البشر.

فين لم يُؤخَذ على حين غرة.

أحضر وتر القوس، هوى أحد هؤلاء الأشرار على ظهره، وقد أصيب بكرة فولاذية في منتصف جبهته. ابتعد فين مع كرسيه عن المكتب، محاولًا ويداها ترتجفان تلقيم قوس البندق دون جدوى.

اندفع الطويل إليه، وبركلة قوية قلب الكرسي. تدرج القزم بين الأوراق المتناثرة على الأرض. وقد بدا، وهو يحرك بوهن يديه الصغيرتين وساقيه المبتورتين، كعنكبوت مشوّهة.

ركل النصف إلفي قوس البندق مُبْعَدًا إياها عن متناول فين. وبدأ سريعًا بفحص الوثائق الملقاة على المكتب، دون أن يلتفت إلى المُقْعَد الذي كان يحاول الزحف جاهدًا. لفتت انتباهه صورة مصغرة موضوعة بإطار من قرن ونُحاس، تُظهر فتاة شقراء. تناولها ومعها الورقة المثبتة بها.

رمى الشرير الثاني الرجل المصاب بالكرة التي أُطْلِقَتْ من قوس البندق، واقترب. رفع النصف إلفي حاجبيه متسائلًا. هَزَّ الشرير رأسه.

أخفى النصف إلفي في جيب صدريته الصورة المصغرة وبعض الوثائق التي أخذها من المكتب. ثم أخذ حُزْمَةً ريش من المحبرة وأشعلها بنار من الشمعدان. راح يدير الفرشاة الورقية، وهذا ما سمح لها أن تشتعل جيدًا، ثم ألقى بها على سطح المكتب، بين الطوامير التي اتقدت النار فيها على الفور. صرخ فين.

أزاح النصف إلفي الطويل عن المنضدة المشتعلة القارورة المليئة بسائل مزيل للحبر، ووقف فوق القزم المتخبط وصب عليه كل ما احتوته القنينة. زعق فين زعيقًا طويلًا. سحب الشرير الثاني الطوامير من رف الكتب وضرب بها المُقْعَد.

اندلعت النار على المكتب ووصلت حتى السقف. انفجرت زجاجة مزيل بقع ثانية، أصغر حجمًا، محدثَةً دويًا، ولسعتُ ألسنة اللهب الرفوف. بدأت الطوامير واللفائف والأضابير تسودُ وتنكمش وتحركها النار. زعق فين. تقهقر الشخص الطويل عن المكتب المشتعل، وراح يلف فرشاة أخرى من الورق وأشعلها. ألقى الشرير الثاني على المُقْعَد حُزْمَةً أخرى من الطوامير الرقيقة. زعق فين.

وقف النصف إلفي فوقه ممسكًا بالفرشاة الورقية المشتعلة.

جلس قط كودرينغر الأبيض الأسود على جدار قريب. لعب وهَج الحريق في عينيه الصفراوين، محوّلًا الليل الودود إلى محاكاة مرعبة للنهار. ضجّت المِنْطَقَةُ بالصراخ. لهيب! لهيب! ماء! هُرِعَ الناس تجاه المنزل. كان القط هامدًا، وهو ينظر إليهم بدهشة وازدراء. هؤلاء الحمقى على ما يبدو كانوا يتجهون هناك، نحو الهاوية النارية التي تمكن من الخروج منها بشق الأنفس.

استأنف قط كودرينغر في لعق مخالب يده الغارقة بالدم، وقد استدار جانباً غير مبالي.



استيقظت سيرى متصببةً عرقاً، وكفاها ضاغطتان بشدة على الملاءة. ساد الصمت المكان، والظلام الخفيف قد شقَّ بخيط من ضوء القمر كما الخنجر. حريق. نار. دم. كابوس... لا أتذكر، لا أتذكر شيئاً...

تنفستُ بعمق هواء ليلياً منعشاً. زال شعورها بالاختناق. كانت تعلم لماذا. التعاويذ الوقائية لم تعمل.

لقد حدث شيء ما، فكَّرتُ سيرى. قفزتُ من السرير وارتدتُ ملابسها بسرعة. ربطت الخنجر بحزامها. لم يكنُ لديها السيف، أخذته ينيفر منها ووضعتَه تحت رعاية ياسكير.

لا بدُّ أن يكون الشاعر نائماً الآن، وقد خيمَ الصمت على لوكسيا. فكرتُ سيرى هل تذهب لإيقاظه، حين أحستُ بنبض قوي في أذنيها، ورجيف دمها. أصبح خيط وهج القمر المتسلل من خلال النافذة طريقاً. وكان في نهاية الطريق، بعيداً جداً، باب. فتح الباب، ووقفت فيه ينيفر. تعالي.

خلف الساحرة، فُتِحَتْ أبواب أخرى. بابٌ تلو الآخر. عدد كبير منها لا نهائي. في الظلام، بانَّت على نحو غير واضح أشكال سود لأعمدة. أو ربما لتمائيل... إنني أحلم، فكَّرتُ سيرى، دون أن تصدق ذلك. إنني أحلم. هذه ليست طريقاً البتة، إنه ضوء، خيط من الضوء. لا يمكن المشي عليه...

تعالي.

أطاعتُ.



لولا وخز الضمير الغبي الذي يشعر به الويتشر، ولولا مبادئه غير الواقعية، لكان مسار الكثير من الحوادث اللاحقة مختلفاً تماماً. وعلى الأرجح لما كانت ستقع حوادث كثيرة بتاتاً. ولكان تاريخ العالم سار وقتنئذٍ على نحو مختلف.

لكنَّ تاريخ العالم سار كما سار، والسبب الوحيد لذلك هو أن الويتشر كان لديه ضمير. عندما استيقظ في الصباح الباكر وأحسَّ بأن عليه قضاء الحاجة، لم يفعل ما كان سيفعله أي شخص آخر: لم يخرج إلى الشرفة ولم يتبول في إناء أزهار السلبوت. كان لديه ضمير. ارتدى ملابسه بهدوء، دون أن يوقظ نينفر، التي كانت نائمة بعمق، دون حراك، وتكاد لا تتنفس. خرج من الحُجيرة ومضى إلى الحديقة.

كانت الوليمة لا تزال مستمرة، لكنَّ على نحو جزئي، كما أشارت الأصوات. نوافذ قاعة الرقص ما زالت تسطع بضوء يغمر البهو وأحواض عود الصليب. لذا سار الويتشر أبعد قليلاً، نحو شجيرات أكثر تشابكاً، وهناك حدق إلى السماء التي كانت أسطح من الأفق الذي بات مشتعلًا بوهج بخط الفجر القرمزي.

عندما عاد ببطء، مستغرقًا في أفكاره بأمور مهمة، ارتجفت ميداليته بقوة. أمسك بها بكفه، شاعرًا بالاهتزاز يخترق جسده بأكمله. ما من شك أن شخصًا ما قد ألقى تعويذات في أريتوزا. أنصت جيرالت وسمع صرخات مكتومة ولغطًا وخبطًا ينبعث قادمة من الرواق المعمد في الجناح الأيسر من القصر.

أي شخص آخر كان سيولي دبره دونما إبطاء، ويسير بخطى سريعة في طريقه، متظاهرًا بأنه لم يسمع شيئًا. وربما كان تاريخ العالم سيسير وقتئذٍ على نحو مختلف. لكنَّ الويتشر كان لديه ضمير، واعتاد أن يتصرف وفق المبادئ غير الواقعية وغير الحكيمة.

عندما ركض نحو الرواق المعمد، كانت تجري فيه معركة. بضعة أشرار يرتدون سترات رمادية قد شلُّوا حركةً ساحر قصير القامة طُرِحَ على الأرض. قاد ديكسترا، رئيس استخبارات فيزيمير، ملك ريدانيا، عملية شل حركة الساحر. قبل أن يتمكن جيرالت من فعل أي شيء، شلَّت حركته هو أيضًا. فقد دفعه اثنان آخران من الأشرار الرماديين إلى الحائط، فيما وضع الثالث حربة ثلاثية الرؤوس على صدره.

ظهرت على صدور الأشرار جميعهم أطواق عُنقية يزيناها النسر الريداني.

- هذا ما يُسمَّى «الوقوع في البراز». (أوضح ديكسترا بصوت خافت، وقد اقترب منه) وأنت، أيها الويتشر، يبدو أن لديك موهبةً فطريةً لتقع في مثل هذا الوقوع. قفْ بهدوء وحاول ألا تلفت نظر أحد من الآخرين. وأخيرًا، تمكن الريدانيون من السيطرة على الساحر القصير ورفعوه، ممسكين به من يديه. كان هذا الشخص أرتود تيرانوفا، عضو مجلس التشريف.

انبتق الضوء، الذي أتاح رؤية التفاصيل، من كرة معلقة فوق رأس كيرا ميتز، الساحرة التي دردش معها جيرالت في الوليمة مساءً. تعرفها بصعوبة، فقد استبدلت بنسيج التول الرقيق زيًّا رجوليًّا صارمًا، وكان على جنبها خنجر. أمرت بإيجاز، ورنَّت بين يديها الأصفاد المصنوعة من معدن أزرق: «قيِّدوه».

صرخ تيرانوفا: «لا تتجرأ على تقييدي بهذا! لا تتجرأ يا ميتز! أنا عضو في مجلس التشريف!».

- كنتَ. الآن أنت خائن عادي. وستُعامل كخائن.

- وأنتِ عاهرة قدرة، و...

تراجعت كيرا خطوة إلى الخلف، وتمايلت قليلًا بوركها، ثم لكمتها في وجهه بكل ما أوتيت من قوة. ارتدَّ رأس الساحر إلى الخلف بشدة إلى درجة أن خيِّلَ إلى جيرالت خلال لحظة أن رأس الساحر سينفصل عن رقبته. تدلى تيرانوفا من أيدي الرجال الذين كانوا يمسكون به، والدم يسيل من أنفه وشفتيه. لم توجَّه الساحرة إليه لكمة أخرى، مع أن يدها كانت مرفوعة. لاحظ الويتشر بريقَ البرجمية النحاسي على أصابعها. لم يستغرب ذلك. كانت كيرا صغيرة الحجم، ولم يكن ممكناً أن توجه مثل هذه اللكمة بقبضة عارية.

لم يتحرك. فقد أحكم الأشرار قبضاتهم عليه، وكانت الحربة الثلاثية الرؤوس تحزُّ صدره. لم يكن جيرالت متيقنًا أكان سيتحرك لو كان حرًا. هل كان سيعلم ماذا يفعل؟

شدَّ الريدانيون السلاسل على يدي الساحر المثنيتين إلى الخلف. صرخ تيرانوفا، وانتفض، وانحنى، وتجشأ متهوِّعًا. كان جيرالت يعلم مما صُنِعَتْ

الأصفاد. إنها مصنوعة من سبيكة من الحديد والديمریت، وهو معدن نادر، له خصائص من شأنها قمع القدرات السحرية. وكان مثل هذا الاختناق مصحوبًا بعوارض جانبية محزنة جدًا تصيب السحرة.

رفعت كيرا مitez رأسها، وهي تزيح شعرها عن جبهتها. وعندئذٍ رآته.

- ماذا يفعل هنا بحق الجحيم؟ من أين بزغ هنا؟

أجاب ديكسترا ببرود: «لقد وقع. لديه موهبة للوقوع. ماذا عليّ أن أفعل به؟».

تجهمت كيرا وخبطت بكعب حذاءها العالي عدة مرات.

- احرص عليه. لا وقت لدي الآن.

غادرت بسرعة، وتبعها الريدانيون جازين تيرانوفا. طارت الكرة المتوهجة خلف الساحرة، لكنّ الفجر كان قد حلّ وأشرق بسرعة. بإشارة من ديكسترا، أطلق الأشرار سراح جيرالت. اقترب الجاسوس ووجّه نظره إلى عيني الويتشر.

- حافظ على الهدوء المطلق.

- ماذا يحدث هنا؟ ما هذا...

- وعلى الصمت المطلق.

عادت كيرا مitez بعد لحظة قصيرة، ولم تكن وحدها. كان يرافقها ساحر ذو شعر أصفر برتقالي، قُدّم إلى جيرالت أمس على أنه ديتمولد من بان أرد. وهو عندما رأى الويتشر، أطلق شتيمة وضرب يده بقبضته.

- تبًا لدم الكلاب! أهذا هو الذي أحبته ينيفر؟

أكدت كيرا: «نعم. إنه جيرالت من ريفيا. المشكلة هي أنني لا أدري ما أمر ينيفر...».

هز ديتمولد كتفيه: «أنا أيضًا لا أدري. على أي حال، هو الآن قد تورط. لقد رأى أكثر مما يجب. خذوه إلى فيليبيا، هي ستقرر. قيدوه».

قال ديكسترا بتثاقل ظاهري: «لا حاجة إلى ذلك. أنا مسؤول عنه. سأقوده إلى حيث يجب أن يكون».

أشار برأسه ديتمولد: «هذا مناسب تمامًا. فنحن لا وقت لدينا. تعالي يا كيرا، الأمور تزداد وتتفاقم هناك في الأعلى....».

تمتم الجاسوس الريداني، ناظرًا إلى الغادرين: «يا لهم من مضطربين. قلة خبرة، لا شيء آخر. أما الانقلابات والتمردات فتشبه حَساء الشمندر البارد. يجب تناولها باردة. هيا بنا، يا جيرالت. وتذكر: بهدوء، وكرامة، ودون فضائح. لا تجعلني أندم على أنني لم آمرُ بتقييدك أو تكبيلك».

- ماذا يحدث هنا، يا ديكسترا؟

كان الجاسوس يمشي بجانبه، وثلاثة ريدانيين تبعوهما: «ألم تخمنُ بعد؟ أخبرني بصراحة، أيها الويتشر، كيف حدث أن ظهرت هنا؟».

- خفتُ أن تذبل زهرة السلبوت.

نظر إليه ديكسترا بعبوس: «جيرالت. لقد وقعتَ في البراز حتى رأسك. لقد طفوتَ وفمكَ فوق السطح، لكنَّ رجلك لا تزالان تلامسان قاع حفرة البراز. ثمة من يمد لك يد العون، مخاطرًا بأنه هو نفسه سيتلوث وينتن. لذا كُفَّ عن إلقاء النكات السخيفة. ينيفر هي من قالت لك أن تأتي إلى هنا، أليس كذلك؟».

- لا. ينيفر تنام في سرير دافئ. هل هذا جعلك تطمئن؟

التفتَ الجاسوس العملاق بسرعة، أمسك جيرالت من كتفيه ودفعه إلى حائط الممر.

نطق بصوت خافت: «لا، هذا لم يطمئنني، أيها الأبله اللعين. ألم تفهمُ بعد، أيها البليد، أن السحرة المحترمين المخلصين للملوك لا ينامون هذه الليلة؟ وأنهم لم يرقدوا في الأسرّة بتاتًا. الذين ينامون في الأسرّة الدافئة هم الخونة الذين باعوا أنفسهم لنيلفجارد؟ الخونة الذين أعدّوا هم أنفسهم للتمرد، لكنَّ ليكون في وقت لاحق. لم يدروا أن خططهم قد كُشِفَتْ، ونواياهم عُرِفَتْ سابقًا؟ وها هم الآن يُسحبون من تخوتهم الدافئة، وتُلكم أسنانهم بالبرجمية، وتُقَيّد أيديهم بسلاسل من الديمريت. الخونة انتهوا، هل تفهم؟ إذا كنتَ لا تريد أن تذهب إلى القاع معهم، كُفَّ عن التظاهر بأنك أبله! هل استمالك فيلجفورتز إليه مساء البارحة؟ أم لعل ينيفر قد استمالك إليها قبله؟ تكلم! بسرعة، لأن البراز سيبدأ بإغراق فمك!».

ذَّكَرَ جيرالت: «حَسَاءَ الشَّمندر البارد، يا ديكسترا. خذني إلى فيليبيا. بهدوء، وكرامة، ودون فضائح».

أطلقه الجاسوس، وتراجع خطوة.

قال ببرودة: «لنذهب. على هذا الدرج، إلى الأعلى. أما الحديث فسنكمله. أعدك بذلك».



هناك، حيث تلتقي أربعة ممرات، تحت عمود ساند للسقف، كان المكان مضاءً بفانوس وكرات سحرية. هنا تجمع الريدانيون والسحرة. وكان من بين السحرة أعضاء من المجلس: رادكليف وسابرينا جليفيسيج. كانت سابرينا، مثلها مثل كيرا ميتز، ترتدي زيًا رماديًا رجاليًا. فهم جيرالت أن التمرد الذي يُعدُّ أمام ناظريه يمكن تمييز الأطراف فيه حسب أزيائهم.

كانت تريس ميريغولد راكعةً على الأرضية، منحنيةً فوق جسد ممدد في بركة من الدماء. تعرَّف جيرالت ليديا فان بريدفورت. عرفها من شعرها وفستانها الحريري. ما كان ممكنًا أن يعرفها من وجهها، لأنها لم يعد لها وجه. كان قناع جثة مقزَّرًا ومروَّعًا، يلمع بالأسنان البارزة حتى منتصف الخدين، وبِعَظَم الفك السفلي المعوج والمشوه والغائر.

قالت سابرينا جليفيسيج بصوت أجوف: «غطوها. عندما ماتت، تبدد الوهم... اللعنة، غطوها بشيء ما!».

سألت تريس وهي تسحب يدها من المقبض المذهَّب للخنجر المغروس أسفل عظم القص لليديا: «كيف حدث هذا، يا رادكليف؟ كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ كان من المفترض أن يجري الأمر دون جثث!».

تمتم الساحر، مطأطئًا رأسه: «هاجمتنا. عندما اقتيد فيلجفورتز، انقضت علينا. حدث ارتباك... أنا نفسي لا أدري كيف حدث ذلك... إنه خنجرها هي».

التفتت سابرينا جانبًا بسرعة: «غطوا وجهها!». رأت جيرالت، فلمعت عينها المفترستان كقطعتين من الفحم الصلب.

- كيف وصل هذا إلى هنا؟

انتصبتُ تريس على الفور، واندفعت نحو الويتشر. أبصر جيرالت راحة يدها أمام وجهه تمامًا. ثم رأى وميضًا وغرق في الظلام بلطف.
أحس بيد على ياقة قميصه وبشد عنيف.
- أمسكوه، وإلا سقط.

كان صوت تريس غير طبيعي، بدا فيه غضب مصطنع. شدته من جديد، بطريقة تجعله بجانبها تمامًا مقدار لحظة.
سمع همسها السريع: «اعذرني. كان عليّ فعل ذلك».
كان رجال ديكسترا يمسكونه.

حرّك رأسه. بدأ يعتمد على حواسه الأخرى. عجت الحركة في الممرات، تماوج الهواء حاملًا معه الروائح. والأصوات. أطلقت سابرينا جليفيسيج الشتائم، فهدأتها تريس. كان الريدانيون الذين فاحت منهم رائحة الثكنات يجرّون على الأرضية جثةً هامدةً تحفُّ بثوب حريري. دم. رائحة دم. ورائحة أوزون. رائحة سحر. أصوات مرتفعة. خطوات ووقع كعوب أحذية متوترة.
- أسرعوا! هذا كله يستغرق وقتًا طويلًا جدًا! كان يجب أن نكون في جارستانج الآن!

فيليبا إيلهارت. متوترة.

- سابرينا، جدي بسرعة مارتي سودرجرين. إذا لزم الأمر، فاسحبها من الفراش. حال جديمديث سيئة. ربما تكون ذبحة قلبية. دعي مارتي تعتني به. ولكن لا تقولي شيئًا، لها ولا لمن تنام معه. تريس، جديها واجلبها إلى جارستانج دُرْجَراي، ودريثيلم وكاردوين.
- لماذا؟

- إنهم يمثلون الملوك. فليُبلغ إثنين وإستِراد بعمليتنا ونتائجها. ستوصلينهم... تريس، على يدك دم! من؟
- ليديا.

- اللعنة. متى؟ كيف؟

- هل يهم كيف حدث؟

صوت بارد وهادئ. تيسايا دي فريس. حفيف ثوب. كانت تيسايا ترتدي ثوبًا للحفلات، لا زيَّ المتمردين. أصاخ جيرالت، لكنه لم يسمع قرقعة الأصفاة الديميريتية.

كررتُ تيسايا: «تتظاهرين بأنك مهتمة؟ قلقة؟ حينما تنظّم الثورات، وحين يُجلب الأشرار المسلحون في الليل، يجب الأخذ الضحايا في الحسبان. ليديا ماتت، وهين جديمديث يُحتَضَر. رأيتُ قبل قليل أرتود كان مشوّه الوجه. فكم سيكون عدد الضحايا، يا فيليبا إيلهارت؟».

أجابت فيليبا بصلابة: «لا أعلم. ولكنني لن أراجع».

- طبعًا. أنتِ لا تتراجعين عن أي شيء.

تحرك الهواء، وبإيقاع مألوف طرق كعبًا حذاءً بلاط الأرضية. كانت فيليبا تسير نحوه. تذكر الإيقاع المتوتر لخطواتها عندما مشيًا معًا في قاعة أريتوزا، البارحة، كي يلتهما الكافيار. وتذكر رائحة القرفة والنردين. الآن اختلطت تلك الرائحة برائحة الصوديوم. امتنع جيرالت عن المشاركة في أي انقلاب أو تمرد، لكنه تساءل هل كان، فيما لو شارك، سيفكر في تنظيف أسنانه أولًا.

قال ديكسترا بتثاقل ظاهري: «إنه لا يراك، يا فيل. لا يرى شيئًا ولم يرَ شيئًا. جميلة الشعر تلك، أعمت بصره».

سمع أنفاس فيليبا وأحس بكل حركة منها، لكنه حرك رأسه بارتباك، متظاهرًا بالعجز. لم تنخدع الساحرة.

- لا تتظاهر، يا جيرالت. تريس أعمتُ بصرك، بيد أنها لم تسلب عقلك. أي معجزة جاءت بك إلى هنا؟

- سقطتُ. أين ينيفر؟

- طوبى لأولئك الذين لا يعلمون. (لم يكن في صوت فيليبا سخرية). لأنهم سيُعمَّرون أكثر. كن ممتنًا لتريس. لقد كانت تعويذة سحرية خفيفة، ستزول العتمة عن عينيك قريبًا. وأنت لم ترَ ما هو غير مسموح لك أن تراه. احرص عليه، يا ديكسترا. سأعود بعد قليل.

الحركة مجددًا. أصوات. صوت كيرا مitzer الصادح الرنان، صوت رادكليف الأنفي الخشن. خبط أحذية الريدانين الكبيرة. وصوت تيسايا دي فريس المرتفع.

- اتركوها! كيف تجرأتم؟ كيف تجرأتم على فعل ذلك بها؟

نطق رادكليف من خلال أنفه: «إنها خائنة!».

- لن أصدق ذلك أبدًا!

قالت فيليبيا ببرود: «الدم ليس ماءً. والقيصر إمهير وعد الإلفيين بالحرية. وبدولة مستقلة لهم. هنا، على هذه الأراضي. طبعًا، بعد استئصال شأفة البشر. وهذا كان كافيًا لكي تخوننا على الفور».

تيسايا دي فريس، بانفعال: «أجيبني! أجيبها، يا إنيد!».

- أجيبني يا فرانسيسكا.

رنين الأصفاة المصنوعة من الديرمت. واللكنة الإلفية الغنائية لفرانسيسكا فينداباير، زهرة اللؤلؤية من دولين، أجمل امرأة في العالم.

. Va vort a me, Dh'oine. N'aen te a dice'n -

- هل هذا يكفيك، يا تيسايا؟ (صوت فيليبيا، كالنباح). هل تصدقيني

الآن؟ أنت، وأنا، نحن كلنا الآن ودائمًا كنا بالنسبة إليها دهبين، بشرًا،

ليس لدى آين سيدهي ما تقوله لهم. وأنت يا فيركارت؟ بماذا تعهد لك

فيلجفورتز وإمهير لكي تقرر أن تخون؟

- اذهبني إلى الشيطان، أيتها الساقطة المنحرفة.

حبس جيرالت أنفاسه، لكنه لم يصل إليه صوت البرجمية وهي تصطدم

بالفك. كانت فيليبيا أكثر رباطة جأش من كيرا. أو ربما لم تكن لديها برجمية.

- رادكليف، خذ الخونة إلى جارستانج! ديتمولد، أعط ساعدك للمعلمة

الكبرى دي فريس. اذهبوا. سألحق بكم بعد قليل.

خُطى. رائحة قرقة ونردين.

- ديكسترا.

- أنا هنا، يا فيل.

- لم يعد لنا حاجة إلى مرؤوسيك هنا. دعهم يعودون إلى لوكسيا.

- هل أنت متأكدة...

- إلى لوكسيا، يا ديكسترا!

- أمركم مُطاع، سيدتي الكريمة. (علت نبرة التهكم في صوت الجاسوس).

الغللمان سيغادرون، لقد أدوا ما عليهم فعله. الآن صار الأمر كله أمر السحرة حصراً. وبعد، أنا أيضاً غير مقيم سأغرب عن عيني صاحبة السمو الجميلتين. لم أكن أتوقع شكراً على المساعدة والمشاركة في التمرد، لكنني واثق أن سموكم ستحفظونني في الذاكرة الممتنة.

- اعذرني يا سيجيسموند. أشكر على المساعدة.

- لا شكر على واجب، ولقد غمرتني البهجة أكملها. يا فويمير، اجمع

الرجال. خمسة يبقون معي. وقد الباقين إلى الأسفل وأركبهم سفينة

«سبادا». لكن بصمت، على أطراف رؤوس الأصابع، دون ضجيج،

ودون إثارة. خلال الممرات الجانبية. في لوكسيا وفي الميناء، لا تفتحوا

أفواهكم ولو بكلمة! نفذ!

قالت فيليبيا إيلهارت هامسة، وهبت منها على الويتشر رائحة القرفة

والنرددين والصوديوم: «لم تر شيئاً يا جيرالت، لم تسمع شيئاً. لم تتحدث مع

فيلجفورتز قط. سيأخذك ديكسترا الآن إلى لوكسيا. سأحاول أن أجذك هناك،

عندما... عندما ينتهي كل شيء. لقد وعدتك بشيء الباردة وسأفي بوعدتي».

- ماذا عن ينيفر؟

عاد ديكسترا مجرّجاً قدميه: «أغلب الظن أنه مُهوّس بها. ينيفر، ينيفر...

إلى حد الملل. لا تهتمي به يا فيل. ثمة أمور أهم. هل عُثر عند فيلجفورتز ما

كان يُتوقع العثور عليه؟».

- نعم، تفضل، هذا لك.

- أوه! (صوت الورق وهو يُفتح). أوه! أوه، أوه! رائع! الدوق نيتيرت.

بديع! البارون...

- بسرّية أكثر، دون ذكر أسماء. وأرجوك رجاءً حارّاً، لا تبدأ بالإعدامات

مباشرة بعد عودتك إلى تريتوجور. لا تثر فضيحة مبكرة.

- لا تخافي. إن الصبيان في هذه القائمة، المتعطشون جدًا لذهب نيلفجارد، آمنين... في الوقت الحالي. سيكونون لي دمي محبوباً لأشدها بالخيوط. وبعد ذلك سأضع لهم خيوطاً حول أعناقهم الصغيرة... تُرى، أكانت أيضاً قوائم أخرى؟ الخونة من كايدين، من تيميريا، من أيديرن؟ سأكون سعيداً أن ألقى نظرة عليها، حتى لو من طرف عيني...

- أعلم أنك ستكون سعيداً، لكنّ هذا ليس من شأنك. تلك القوائم حصل عليها رادكليف وسابرينا جليفيسيج، وسيعرفان كيف يستخدمانها. والآن وداعاً. أنا في عجلة من أمري.

- فيل.

- نعم، أسمعك.

- أعيدي إلى الويتشر بصره. كي لا يتعثّر على الدرج.



كانت الوليمة لا تزال مستمرة في قاعة الاحتفالات في «أريتوزا»، لكنها أخذت شكلاً أكثر تقليدية وخصوصية. حُرِّكتِ المناضد، وجلب السحرة والساحرات كراسي ومقاعد حصلوا عليها من أماكن أخرى، جلسوا عليها مرتاحين، وشُغِلوا في أمور مسلية متنوعة. كانت معظم هذه التسلّيات غير لائقة. تحلقت مجموعة كثيرة العدد حول دن كبير فيه خمر رديئة، وكان كل من ضمتهم يشربون ويتجادبون أطراف الحديث، وأحياناً ينفجرون ضاحكين بصوت عالٍ. أولئك الذين كانوا قبل وقت قليل يغرسون بنعومة المقبلات النفيسة مستخدمين شوگا فضية، الآن ينهشون دون استحياء أضلاع الغنم ممسكين بها بكلتا اليدين. بضعة منهم كانوا يفسخونها، متجاهلين المحيطين بهم. وبعضهم أخذه النوم. في إحدى الزوايا، راح زوجان من الحضور يتبادلان القبلات بنهم، وبدا من شدة حماستهما أنهما لن يكتفيا بالتقبيل.

ديكسترا أمال نفسه على متكأ الرواق المعمد، معاينا السحرة من الأعلى: «انظر إليهم فحسب، أيها الويتشر. انظر كيف يلهون بفرح، ستظنهم صبية. فيما مجلسهم الأعلى قد وطأ مجلسهم التشريفي بأكمله تقريباً، وحكم عليه

الآن بالخيانة، والتخاير مع نيلفجارد. انظر إلى ذلك الثنائي. سيبحثان بعد قليل عن زاوية منعزلة، وقبل أن ينتهيا من الجماع، سيكون فيلجفورتز قد شُنِقَ. آه، هذا العالم عجيب...

- ديكترا، اخرس.



كانت الطريق المؤدية إلى لوكسيا تتعرج بتعرج الدرج على سفح الجبل. كان الدرج يتصل بشرفات مزينة بأسيجة نباتية مهمة، وبأحواض الأزهار، وصبار الأجاف الجاف في الأصص. توقف ديكترا على إحدى الشرفات السابقة الذكر، واقترب من الجدار، من صف الرؤوس الحجرية لوحوش الخيمر، التي كان الماء يتدفق من أفواهها. انحنى الجاسوس، وشرب لحظات طويلة.

دنا الويتشر من المتكأ. تلاً البحر بالذهب، وبدت السماء فاقعة اللون بدرجة أكبر من شبيهاها في اللوحات بمعرض المجد. في الأسفل، رأى فوجاً صغيراً من الريدانيين الذين أعيدوا من أريتوزا، متجهاً نحو الميناء في صف منظم. كانوا يعبرون جسراً يربط بين ضفتي فجوة صخرية.

ما لفت انتباهه فجأة كان شخصية ملونة وحيدة. لفتت الأنظار لأنها كانت تتحرك بسرعة، وفي الاتجاه المعاكس للريدانيين، إلى الأعلى نحو أريتوزا. استعجله ديكترا بنحنة: «حان وقت المغادرة، السفر لا يحتمل التأخير».

- إذا كنت مستعجلاً إلى هذا الحد، فاذهب وحدك.

عبس الجاسوس: «بالتأكيد. وأنت ستعود إلى الأعلى لإنقاذ صاحبك ينيفر. وستشأغب مثل جنوم مخمور. نحن ذاهبون إلى لوكسيا، أيها الويتشر. هل لديك أوهام، أو شيء من هذا القبيل؟ هل تظن أنني أخرجتك من أريتوزا بدافع الحب المخفي طويلاً؟ طبعاً لا. أخرجتك من هناك لأنني أحتاج إليك».

- فيم؟

- هل تتظاهر؟ في أريتوزا اثنتا عشرة فتاة من أعرق أسر ريدانيا. لا أستطيع المخاطرة بالدخول في صراع مع المديرة المحترمة، مارجريتا

لاوكس-أنتيل. المديرية لن تسلمني سيريلا، أميرة سينترا، التي أحضرتها
ينيفر إلى ثانيد. لكنها ستسلمها لك، إذا طلبتَ منها ذلك.

- من أين لك هذا الافتراض المضحك بأنني سأطلب ذلك؟

- من الفرضية المضحكة بأنك تريد ضمان سلامة سيريلا. تحت حمايتي،
تحت حماية الملك فيزيمير، ستكون في أمان. في تريتوجور. لكنها في
ثانيد ليست آمنة. فتوقف عن التعليقات الخبيثة. نعم، أعلم أن الملوك
لم يكن لديهم، في البداية، أحسن الخطط للفتاة. لكن الأمر تغير. الآن
أصبح واضحاً أن سيريلا حية، ومعافة وآمنة يمكنها أن تكون في
الحرب القادمة أكثر قيمة من عشرة ألوية من الفرسان المدرعين. لكنها
ميتة، لا تساوي فلساً صدئاً.

- هل فيليبيا إيلهارت تعلم ما تنوي فعله؟

- لا تعلم. بل لا تعلم أنني أعلم أن الفتاة في لوكسيا. فيل، محبوبتي
السابقة، ترفع رأسها عالياً، لكن فيزيمير لا يزال ملك ريدانيا. أنا أنفذ
أوامر فيزيمير، ومكايد السحرة لا تهمني بتاتاً. سيريلا ستركب سفينة
«سبادا» وتبحر إلى نوفيجراد، ومن هناك ستمضي إلى تريتوجور.
وستكون في أمان. هل تصدقني؟

انحنى الويتشر على أحد رؤوس الخيمر، وشرب من الماء المتدفق من
الفم الوحشي.

كرّر ديكسترا، واقفاً فوقه: «هل تصدقني؟».

استقام جيرالت، ثم مسح شفتيه، وضربه بكل ما أوتي من قوة على فكه.
ترنح الجاسوس لكنه لم يسقط. وثب أقرب رجل من الريدانيين ليمسك بالويتشر،
لكنه أمسك بالهواء، وقعد في الحال يبصق دماً وسناً. عندئذ انقض عليه الجميع.
نشب تدافع وفوضى واضطراب وتجاذب، وهذا بالضبط ما كان يريد الويتشر.

اصطدم وجه أحد الريدانيين برأس الخيمر الحجري محدثاً دويّاً، فتلون
الماء المتدفق من فمه بالأحمر على الفور. أما الثاني، فتلقى لكمةً بمقدم
القبضة على قصبته الهوائية، وانثنى كأن أعضاءه التناسلية قد استوصلت.
والثالث، الذي ضربت عينه بالمرفق، قفز جانباً متأوهاً. أمسك ديكسترا

بالويتشر مسكّة بقوة دب، فركله جيرالت بقوة كبيرة على مشط قدمه بكعب
حذائه. أنّ الجاسوس ورقص على ساق واحدة بطريقة مثيرة للضحك.

أراد شرير آخر أن يطعن الويتشر بسيف قصير، لكنه طعن الهواء. أمسكه
جيرالت من مرفقه بيد، ومن معصمه باليد الأخرى، وجعله يدور مسقطاً على
الأرض اثنين آخرين كانا يحاولان النهوض. كان هذا الشرير قوياً ولم يكن
يفكر في التخلي عن السيف. أحكم جيرالت قبضته عليه وكسر يده حتى
أصدرت طقطقة.

التقط ديكسترا الحربة المسننة من الأرض، وكان لا يزال يتأرجح على ساق
واحدة، وقد عزم على تثبيت الويتشر إلى الحائط بشفرتها الثلاثية الأسنان.
انحنى جيرالت وأمسك عصا الحربة بيديه وطبّق مبدأ الرافعة، المعروف لدى
العلماء. وإذ رأى الجاسوس الطوب وملاط الجدار ينموان في عينيه، ألقى
الحربة، لكن بعد أن فات الأوان لتجنب اصطدام عجانه برأس الخيمر الذي
يتدفق منه الماء.

استخدم جيرالت الحربة المسننة لإسقاط شرير آخر على الأرض، ثم وضع
عصا الحربة على بلاط الأرضية، وكسرها بضربة من حذائه، مقصّراً إياها لتصير
بطول السيف. جرب العصا، فضرب ديكسترا أولاً على رقبته، وكان ممتطياً
الخيمر الحجري، وحالاً بعد ذلك أسكت أنين العتل الذي كُسرت يده. ولقد انفكت
منذ وقت طويل عُرى الدبلية تحت الإبطين، وشعر الويتشر بتحسن أكبر في
حاله.

ولقد هاجمه أيضاً العتل الأخير، الذي ظلّ واقفاً على قدميه، بحربة مسننة،
ظاناً أن طولها يمنحه التفوق. ضربه جيرالت على جسر أنفه، فسقط بقوة
على أصيص صبار الأجاف. ريداني آخر، عنيد على نحو غير اعتيادي، أمسك
بفخذ الويتشر وعضّه عضّة مؤلمة. استشاط الويتشر غضباً، وبركة شديدة
حرّم هذا القارض من القدرة على العض.

هُرِعَ ياسكير إلى أعلى الدرج لاهئاً، ورأى ما كان يحدث، فشحب كالورق.
صاح بعد لحظة: «جيرالت! سيري اختفت! لا أثر لها!».

خبط الويتشر بالعصا ريدانيًا آخر لم يرغب في الاستلقاء بهدوء: «توقعتُ ذلك. لكنك تجعلنا ننتظر يا ياسكير. قلتُ لك أمس، إن حدث شيء ما، عليك أن تطير على جناح السرعة إلى أريتوزا! هل أحضرتَ سيفي؟».

- كليهما!

- دفع جيرالت العُتلَّ الذي كان يحاول النهوض من بين صبار الأجاف: «السيف الآخر هو سيف سيري، أيها الأبله».

تكلم الشاعر لاهثًا: «ليست لديَّ معرفة بالسيوف. بحق الآلهة، توقف عن سحقهم! ألا ترى النسور الريدانية؟ إنهم رجال الملك فيزيمير! هذا يعني الخيانة والتمرد، ويمكن أن يُزجَّ بك في الزنزانة على فعلك هذا...».

تلعثم ديكسترا، وهو يسحب خنجره، مقتربًا بخطوات غير ثابتة: «إلى المقصلة. كلاكما ستذهبان إلى المقصلة...».

علق ياسكير مقيماً الأمر بكآبة: «تكسير العظام بالعجلة. يسبقه التمزيق بالملاقط الساخنة...».

ركل الويتشر الجاسوس ديكسترا في أضلعه، فانقلب على جنبه كأيلٍ ذبيح. علَّق الشاعر: «تجزئة الجسد إلى أرباع».

- كفى يا ياسكير. أعطني السيفين. واغرب عن وجهي، وبسرعة. اهرب من الجزيرة. اهرب إلى أبعد ما يكون!

- وأنت؟

- سأعود إلى الجبل. يجب أن أنقذ سيري... وينيفر. ديكسترا، ارقُد بتأدب واترك الخنجر بهدوء!

لهث الجاسوس: «لن تفلتَ بفعلتك هذه. سأستدعي رجالي... سأتبعك...».

- لن تتبعني.

- سأتبعك. لديَّ على متن «سبادا» خمسون رجلًا...

- هل بينهم معالج؟

- ها؟

تقدم جيرالت نحو الجاسوس من الخلف، انحنى وأمسك بقدمه، ثم جذبها وأدارها بعنف وقوة شديدة. انبعث طقطقة. عوّل ديكسترا وأغمي عليه. صرخ ياسكير كأنّ المفصل كان مفصله.

تمتم الويتشر: «ما سيفعلونه بي بعد تمزيقي إلى أرباع، لم يعد يهمني كثيرًا».



خيّم الصمت على أريتوزا. لم يبقَ في قاعة الحفلات إلا قلة قليلة، منهكة إلى حد أنها لم تعد قادرة على مواصلة الصخب. تجاوز جيرالت القاعة، غير راغب في أن يلاحظه أحد.

بجهد غير قليل، وجد الحُجيرة التي قضى فيها الليل مع ينيفر. فممرات القصر كانت متاهة حقيقية، وكلها متشابهة تمامًا.

حدّقت الدمية النسيجية إليه بعينين من زرّين.

جلس على السرير، ممسكًا رأسه براحتيه بقوة. لا أثر لدماء على أرضية الحُجيرة. لكنّ ثوبًا أسود كان معلقًا على مسند الكرسي. ينيفر غيرت ملابسها. ارتدت زياً رجاليًا، زي المتأمّرين؟

أو أنها أخرجت بملابسها الداخلية؟ بأصفاد من الديمريت.



في ركن النافذة، جلستِ المداوية مارتي سودرجرين. رفعت رأسها عند سماعها خطواته. كانت خدودها مبللة بالدموع.

قالت بصوت متقطع: «هين جديميث مات. القلب. لم أتمكن من فعل شيء... لماذا استدعوني بمثل هذا القدر من التأخير؟ سابرينا لطمتني. لطمتني على وجهي. لماذا؟ ماذا حدث هنا؟».

- هل رأيتِ ينيفر؟

- لا، لم أرها. دعني. أريد أن أكون وحدي.

- أرشديني إلى أقصر طريق إلى جارستانج. أرجوك.



ثلاث شرفات تحفُّها الشجيراتُ كانت أعلى أريتوزا، تلاها سفح جبل صار منحدرًا شديدًا ولا يمكن الوصول إليه. فوق هذا المنحدر لاح قصر جارستانج. عند أساسه كانت كتلة حجر قاتمة وملساء تمامًا، ملتصقة بالصخور. كان الطابق الأعلى، ولا شيء قبله، يتلألأ بالرخام وزجاج النوافذ المعشق، وكانت صفائح القرب المعدنية تتوهج بلون الذهب تحت الشمس.

الطريق المرصوفة المؤدية إلى جارستانج، ومن ثمَّ إلى القمة، تتلوى حول الجبل كأفعى. لكنَّ ثمة طريق أخرى أقصر، هي الدرج الذي يربط الشرفات، ويختفي تحت جارستانج تمامًا في فم نفق أسود. وقد أرشدت مارتي سودرجرين الويتشر إلى هذا الدرج بالتحديد.

بعد النفق مباشرة، جسر يربط بين حافتي الهوة. خلف الجسر، يصعد الدرج إلى الأعلى بحدة وينعطف، ثم يختفي خلف المنعطف. حتَّ الويتشر الخطى.

كان متكأ الدرج مزينًا بتمائيل صغيرة لكائنات الفون والحوريات. ولَّدت هذه التماثيل انطباعًا بأنها حية. تحركت. بدأت ميدالية الويتشر بالاهتزاز بشدة.

فرك عينيه. تمثلت حركة التماثيل الظاهرية بأنها غيرت هيئتها. فتحول الحجر الأملس إلى كتلة خشنة غير متناسقة الشكل، متآكلة بفعل الرياح والملح. وبعد ذلك مباشرة كان يتجدد مرة أخرى.

إنه يعلم ما يعني ذلك. إن الوهم الذي أسبغ على ثانيد قناعًا كان يتمايل ويتلاشى. والجسر الصغير أيضًا كان وهما جزئيًا. من خلال القناع المليء بالثقوب كغربال، بانَّت الهوة والشلال الهادر في قاعها. لم تكن أي ألواح قاتمة تشير إلى الطريق الآمنة. عبَّرَ الجسر ببطء، منتبهًا إلى كل خطوة، لاعتنا في سره ضياع الوقت. عندما وجد نفسه في الجانب الآخر من الهوة، سمع خطوات شخص يركض.

عرفه على الفور. من الأعلى، كان الساحر دُرَّجَراي، الذي يخدم الملك إيثاين من سيدارس، يجري نازلًا الدرج. تذكر كلمات فيليبيا إيلهارت. لقد دُعي السحرة، الذين يمثلون الملوك المحايدين، إلى جارستانج كمراقبين. لكن دُرَّجَراي جرى على الدرج بسرعة أوحَتْ بأن الدعوة أُلغيت فجأة.

- دُرْجَرَاي!

لهث الساحر: «جيرالت؟ ماذا تفعل هنا؟ لا تقف هنا، اهرب! بسرعة، إلى الأسفل، إلى أريتوزا!».

- ماذا حدث؟

- خيانة!

- ماذا؟

فجأة ارتجف دُرْجَرَاي وسعل بطريقة غريبة، وإثر ذلك انحنى وسقط مباشرة على جيرالت. قبل أن يمسك الويتشر به، تمكن من لمح رأس سهم بارز من ظهره، وعليه أرياش رمادية. تمايل والساحر بين ذراعيه، وهذا ما أنقذ حياته، فالسهم الثاني المشابه تمامًا للأول بدلًا من أن يخترق حلقه ارتطم بوجه تمثال فون الحجري المبتسم ابتسامة قبيحة، مسقطًا أنفه وجزءًا من خده. خلى الويتشر دُرْجَرَاي وانحدر منزلقًا خلف المتكأ. فتهاوى الساحر عليه.

كان عدد الرماة اثنين، كلاهما يعتمر قبعة عليها ذيل سناجب. بقي أحدهما أعلى قمة الدرج يشد وتر قوسه، فيما الآخر سحب سيفه من غمده واندفع نحو الأسفل، واثبًا بضع درجات في كل مرة. أزاح جيرالت دُرْجَرَاي عنه، وهبَّ مستلًا سيفه. غرَّد سهم، فقطع جيرالت تغريده صائدًا إياه بضربة سريعة من شفرة سيفه. صار الإلفي الثاني قريبًا الآن، لكنه تردد لحظة عند رؤيته السهم الذي صُدَّ. لكنَّ ذلك لم يدم سوى لحظة واحدة. انقضَّ على جيرالت، شاهراً سيفه ليطعن. صُدَّ الويتشر الضربة بزاوية حادة قصيرة، بطريقة تجعل نصل الإلفي ينزلق على حد سيفه. فقد الإلفي توازنه، فاستدار الويتشر بانسيابية وطعنه في طرف عنقه، تحت أذنه. طعنة واحدة فقط. وكانت كافية.

شد مُطلق السهم الواقف أعلى الدرج وتر قوسه مجددًا، لكنَّ الوقت لم يكفِه لإرخاء الوتر. رأى جيرالت وميضًا، فصرخ الإلفي، ثم نشر ذراعيه وهوى إلى الأسفل، متدحرجًا على دركات الدَّرَج. واحترقت السترة التي كانت على ظهره.

هبط من الدرج ساحر آخر. عندما رأى الويتشر توقف ورفع يده. لم يضيغ جيرالت وقتاً في التوضيحات، فسقط على الأرض ممدداً، وطار البرق الناري فوقه مصحوباً بهسهسة، ساحقاً تمثال الفون ومحولاً إياه إلى غبار.

صرخ: «توقف! هذا أنا، الويتشر!».

شهق الساحر وهو يقترب راكضاً: «تباً لدم الكلاب».

لم يتذكر جيرالت أنه رآه في الوليمة: «لقد حسبتك أحد هؤلاء السفاحين الإلفيين... ماذا عن دُرْجَراي؟ هل هو حي؟».

- أظن ذلك...

- بسرعة، إلى الجانب الآخر من الجسر!

جَرُّوا دُرْجَراي بنجاح، لأنهم حينما كانوا في عجلة من أمرهم، لم يُولوا اهتماماً للوهم الذي كان يتمايل ويتلاشى. لم يطاردهم أحد، ومع ذلك مدَّ الساحر يده، ونطق تعويذة، وبصاعقة أخرى حطم الجسر. وقععتِ الحجارة على جدران الهوة.

قال: «هذا الأمر يجب أن يوقفهم».

مسح الويتشر الدم المتدفق من فم دُرْجَراي.

- رئته مثقوبة. هل تستطيع مساعدته؟

قالت مارتى سودرجرين صاعدة الدرج بمشقة، من جهة أريتوزا، من النفق: «أنا أستطيع. ماذا يحدث هنا، يا كاردوين؟ من رماه بالسهم؟».

مسح الساحر جبهته بكفه: «السكويائتيليون. القتال مستمر في جارستانج. عصابة ملعونة، كل واحد أسوأ من الآخر! إن فيليبيا تقيد فيلجفورتز بالأصفاد في الليل، وفيلجفورتز وفرانسيكا فينداباير يجلبان السناجيب إلى الجزيرة! أما تيسايا دي فريس... تباً، فهي التي أحدثت الاضطراب!».

- هلاً قلتَ كلاماً أكثر وضوحاً، يا كاردوين!

- لن أضيع الوقت في الحكى! سأهرب إلى لوكسيا، ومن هناك سأنتقل أنياً إلى كوفير على الفور. وليذبح أولئك الموجودون في جارستانج بعضهم! لم تعدْ للأمر أي أهمية! الوقت الآن حرب! هذه المعركة بأكملها

دبّرتها فيليبيا لتمكين الملوك من بدء الحرب مع نيلفجارد! ميفي من ليريا وديمافيند من أيديرن استفزاً نيلفجارد! هل تفهمون ذلك؟ قال جيرالت: «لا. ونحن لا نريد بتاتاً أن نفهم. أين ينيفر؟».

صرخت مارتى سودرجرين، منحنيةً فوق دُرَجَرَاي: «توقفوا! ساعدوني! أمسكوه! لا أستطيع إخراج السهم!».

ساعدوها. راح دُرَجَرَاي يئنُّ ويرتعش، واهتزَّ الدرج أيضاً. ظنَّ جيرالت في البداية أن ذلك من سحر تعويذات مارتى العلاجية. لكنَّ ذلك كان جارستانج. فجأة، انفجر الزجاج المعشَّق، وومضت النارُ في نوافذ القصر، وتصاعد الدخان.

كزَّ كاردوين أسنانه: «إنهم لا يزالون يقاتلون. والأمور محتدمة هناك، تعويذة بعد تعويذة...».

- تعويذات؟ في جارستانج؟ إن هالة مضادةً للسحر موجودة هناك!

- هذا من تدبير تيسايا. قد قررتُ فجأةً إلى أي جانب تقف. أزالَت الإغلاق، وأنهتِ الهالة وحيَّدتِ الديرمت. عندئذٍ هجم أحدهم على الآخر جميعاً! فيلجفورتز وتيرانوفا من جهة، وفيليبيا وسابرينا من جهة أخرى... تحطمت الأعمدة وانهارت قناطر السقوف... وفتحت فرانسيسكا مدخلَ القبو، ومن هناك قفز هؤلاء الشياطين الإلفيون... صرخنا قائلين إننا محايدون، ولكنَّ فيلجفورتز ضحك فحسب. قبل أن نتمكن من بناء ستار، أصيب دريثلم بسهم في عينه، وملأتِ السهام جسد ريبان كأشواك قنفذ... لم أنتظر تطور الأحداث المتتالي. مارتى، هل سيطول الأمر أكثر؟ علينا الهروب من هنا!

مسحتِ المعالجة يديها الملطختين بالدم بثوبها الاحتفالي الأبيض: «لن يكون دُرَجَرَاي قادراً على السير. انقلنا بالنقل الآني، يا كاردوين».

- من هنا؟ لعلك فقدتِ عقلك. قريباً جداً من تور لارا، تشعُّ بوابة لارا وتحرف أي انتقال آني. النقل الآني غير ممكن من هنا!

- هو لا يستطيع المشي! يجب أن أبقى معه...

نهض كارديوين: «أبق، إذن! واستمتع جيدًا! أنا حياتي عزيزة عليّ! سأعود إلى كوفير! كوفير محايدة!».

بصق الويتشر، ناظرًا إلى الساحر الذي راح يختفي في النفق: «رائع. الزمالة والتضامن! لكنني أنا أيضًا لا أستطيع البقاء معك، يا مارتى. يجب أن أذهب إلى جارستانج. رفيقك المحايد دمرّ الجسر. هل من طريق أخرى؟». استنشقت مارتى سودرجرين. ثم رفعت رأسها وأومات موافقة.



كان عند سور جارستانج عندما سقطت كيرا مitez على رأسه. الطريق التي أشارت إليها المعالجة تمرّ خلالَ حدائق معلقة متصلة بتعاريج الدرج. كان الدرج مغطى بكثافة باللباب وزهور العسلة، وقد جعلت الأعشاب التسلق عسيرًا، ولكنها وفرت إمكانية الإخفاء. تمكن من الوصول إلى سور القصر دون أن يلاحظه أحد. وبينما كان يبحث عن المدخل، سقطت كيرا عليه، فهوى كلاهما بين شجيرات برقوق السياج. قالت الساحرة بكآبة ولثغة خفيفة: «لقد كُسرَت سني». كانت شعثاء، ووسخة، ومغطاة بالملاط والسخام، وعلى خدها ورم دموي كبير.

أضافت وهي تبصق دمًا: «أظن أنني كسرتُ ساقي. أهذا أنت أيها الويتشر؟ سقطتُ عليك؟ كيف حدث ذلك؟».

- وأنا أتساءل أيضًا.

- رماني تيرانوفا من النافذة.

- هل تستطيعين النهوض؟

- لا، لا أستطيع.

- أريد الوصول إلى الداخل. دون أن يلاحظني أحد. من أين؟

بصقت كيرا مجددًا، وتأوهت محاولة أن تنهض مستندةً إلى مرفقها: «هل كل الويتشريين مجانيين؟ القتال مستمر في جارستانج! الأمور هناك محتدمة لدرجة أن نقوش التزيين تسيل من الجدران! هل تبحث عن المتاعب؟».

- لا. أنا أبحث عن ينيفر.

توقفتُ كيرا عن محاولاتها للنهوض، واستلقتُ على ظهرها: «ها! أتمنى لو أن أحدًا أحبني مثل هذا الحب. احملني على يديك».

- ربما في مرة أخرى. أنا في عجلة من أمري قليلًا.

- احملني على يديك، أقول لك! سأرشدك إلى الطريق المؤدية إلى جارستانج. يجب أن أصل إلى ذلك الوغد تيرانوفا. هيا، ماذا تنتظر؟ لن تجد المدخل وحدك، وحتى إن وجدته، فسيقضي عليك أولاد العاهرات أولئك الإلفيين... أنا لا أستطيع المشي، لكن لا أزال قادرةً على إلقاء بعض التعاويذ. إن وقف أحد في طريقنا، فسيندم.

صرختُ عندما رفعها.

- المَعذرة.

طوقتُ عنقه بذراعيها: «لا بأس. إنها هذه الساق. لا تزال تفوح منك رائحة عطورها، تعلم ذلك؟ لا، ليس من هنا. ارجع، وسرُّ نحو الأعلى. يوجد مدخل آخر، من جهة تور لارا. ربما لن يكون هناك إلفيون... والاه! احذر أكثر، اللعنة!».

- المَعذرة. من أين أتى السكوياتيليون إلى هنا؟

- كانوا في السرايب. ثانيد فارغة كقشرة دون لب، هناك تجويف عظيم يمكن للسفينة أن تجري فيه إذا عرفت الطريق. أحد الأشخاص باح لهم ودلَّهم على الطريق... والاه! انتبه! لا تهزني!

- المَعذرة. إذن السناجيب أتوا خلال البحر؟ متى؟

- الشيطان وحده يعلم متى. ربما البارحة، ربما قبل أسبوع؟ كنا نستعد لفيلجفورتز، وفيلجفورتز يستعد لنا. فيلجفورتز وفرانسيسكا وتيرانوفا وفيركارت... قد خدعونا جيدًا. اعتقدتُ فيليبيا أنهم يبتغون الاستيلاء على السلطة في مجلس التشريف ببطء، والتأثير في الملوك... ولكنَّ نيتهم كانت التخلص منا في أثناء الاجتماع العام... جيرالت، لا أستطيع التحمل أكثر... ساقى... أنزلني لحظة. والاه!

- كيرا، هذا كسر مفتوح. الدم يسيل من رجلك.

- اصمتْ واستمعْ. فهذا الأمر يتعلق بصاحبك ينيفر. دخلنا إلى جارستانج، إلى قاعة الاجتماعات. يوجد هناك كايح مضاد للسحر، لكنه غير ذي فاعلية في الديميريت، كنا نشعر بالأمان. بدأتِ المشاجرة. تيسايا والمحايدون كانوا يصرخون علينا، ونحن كنا نصرخ عليهم. أما فيلجفورتز فظل صامتًا ومبتسمًا...



- أكرر، فيلجفورتز خائن! لقد تأمر مع إمهير من نيلفجار، وجذب آخرين إلى المؤامرة! خرق القانون، وخاننا وخان الملوك...

- مهلاً، يا فيليبيا. أعلم أن النعم التي يغدق عليك منها فيزييمير تعني لك أكثر مما يعنيه التضامن مع الأخوية. الشيء ذاته ينطبق عليك، يا سابرينا، فأنتِ تؤدين الدور نفسه في كايدفين. كيرا ميتز وتريس ميريجولد تمثلان مصالح فولتيسست من تيميريا، ورادكليف هو أداة ديمافيند من أيديرن...

- وما علاقة هذا بالموضوع، يا تيسايا؟

- ليس ضرورياً أن تتطابق مصالح الملوك مع مصالحنا. إنني أعلم تماماً ما يجري. لقد بدأ الملوك حملة إبادة ضد الإلفيين والآخرين من غير البشر. ربما أنت، يا فيليبيا، تعتقدين أن هذا الأمر صائب. ولعلك أنت، يا رادكليف، ترى أن مساندة جيوش ديمافيند في مطاردة السكويائتيليين أمرٌ صحيحٌ. لكنني أعارض ذلك. ولا أستغرب من إينيد فينداباير أن تقف ضد ذلك أيضاً. لكنَّ ذلك لا يعني الخيانة. لا تقاطعيني! إنني أعلم تماماً ماذا كان ملوككم ينوون، وأعلم أنهم يريدون إشعال الحرب. ربما تكون الأفعال، التي كان من شأنها تجنب الحرب، خيانة من وجهة نظر صاحبك فيزييمير، لكنها ليست كذلك من وجهة نظري. إن أردت محاكمة فيلجفورتز وفرانسيسكا، فحاكميني أنا أيضاً!

- عن أي حرب يدور الكلام هنا؟ ملكي، إستراد من كوفير، لن يدعم أي أعمال عداثية ضد إمبراطورية نيلفجار! كوفير محايدة وستظل كذلك!

- أنت عضو في المجلس الأعلى، يا كاردين! ولستَ سفير ملكك!

- ومن يقول ذلك، سابرينا؟

خبطت فيليبيا المنضدة بقبضتها: «كفى! سأرضي فضولك، يا كاردين. تسأل من يعدُّ للحرب؟ تعدُّ لها نيلفجارد التي تعتزم مهاجمتنا وتدميرنا. لكنَّ إمهير فار إمريس يتذكر تلَّ سودن، وقرَّر هذه المرة أن يحمي نفسه، ويُخرج السحرة من اللعبة. ولهذا الغرض تواصل مع فيلجفورتز من روجيفين. اشتراه، واعدًا إياه بالسلطة والأمجاد. نعم، يا تيسايا. إن فيلجفورتز، بطل معركة سودن، سيصبح نائبًا وحاكمًا على جميع بلدان الشمال المستولى عليها. إن فيلجفورتز، مدعومًا من تيرانوفا وفيركارت، هو من سيحكم المقاطعات التي ستنشأ مكان الممالك المحتلة، وهو من سيلوح بالسوط النيلفجاردية فوق رؤوس سكان هذه البلدان، الذين يكدحون عبيدًا للإمبراطورية. أما فرانسيسكا فينداباير، إينيد آن جليانا، فستصبح ملكة لدولة الإلفيين الأحرار. وسيكون ذلك طبعًا تحت اسم الوصاية النيلفجاردية، لكنَّ هذا سيكفي الإلفيين، إذا ما أطلق القيصر إمهير أيديهم لذبح البشر. والإلفيون لا يرغبون في شيء آخر غير رغبتهم في ذبح الدهوين».

- هذا اتهام ثقيل. لذا فإنَّ الأدلة يجب أن تكون مهمة كذلك. لكنَّ قبل أن تضعي هذه الأدلة على المحك، يا فيليبيا إيلهارت، كوني على علم بموقفي. الأدلة يمكن أن تُلفَّق، والأفعال ودوافعها يمكن أن تُؤوَّل. لكنَّ الحقائق الراسخة لا شيء يغيرها. لقد كسرت وَحْدَةَ الأخوية وتضامننا، يا فيليبيا إيلهارت. قيدت أعضاء مجلس التشريف بالأصفاد كأنهم قطاع طرق. فلا تتجرئي على عرض منصب عليَّ في مجلس التشريف الجديد الذي تنوي تشكيله عصابتك من الانقلابيين، عصابتك التي باعتْ نفسها للملوك. بيننا موت ودم. موت هين جديمديث. ودم ليديا فان بريدفورت. هذا الدم سفكتَه بازدراء. كنتِ أفضل تلميذاتي، يا فيليبيا إيلهارت. كنتِ دائمًا فخورة بك. لكنني الآن ليس لديَّ لك إلا الازدراء.



كانت كيرا ميتز شاحبة كورقة مصفرة.

همست: «منذ بعض الوقت، بدتُ جارتانج أهدأ. إنها توشك أن تنتهي... يتراكمون في القصر. فيه خمسة طوابق، وست وسبعون حجرة وقاعة. وفيه متسع للركض...».

- كنت ستتحدثين عن ينيفر. أسرع، أخشى أن تفقدي وعيك.
- عن ينيفر؟ آه، نعم... كل شيء كان يسير كما خططنا، حتى ظهرت ينيفر فجأة. وأحضرت تلك الوسيطة الروحية إلى القاعة...
- مَنْ؟

- فتاة، ربما في الرابعة عشرة. شعرها رمادي، وعيناها خضراوان كبيرتان... قبل أن نتمكن من تفحصها جيداً بأعيننا، بدأت تتنبأ. تحدثت عن الأحداث في دول أنجرا. لم يشكُّ أحد في صحة كلامها، لأنها كانت في حالة غشية، وفي الغشية لا مكان للكذب.



قالتِ الوسيطة الروحية: «في الليلة الماضية، اعتدتُ قوات تحمل علامات ليريا ورايات أيديرن على إمبراطورية نيلفجارد. هوجم حصن جليفيتزينجن الحدودي في دول أنجرا. أعلن المنادون، سائرين بأبواقهم في قرى المنطقة، باسم الملك ديمافيند، أن أيديرن ستتولى السلطة على البلاد بأكملها. ودعوا الشعب إلى الانتفاضة المسلحة ضد نيلفجارد...».

- هذا مستحيل! إنه استفزاز مقزز!

قالت تيسايا دي فريس بهدوء: «تجري هذه الكلمة خلال فمكِ بسلاسة، يا فيليبيا إيلهارت. لكن لا تتوهمي، صراخكِ لن يوقف الغشية. تابعي الحديث، أيتها الطفلة».

- أصدر القيصر إمهير فار إمريس أمراً بالرد على الضربة بضربة. دخلت الجيوش النيلفجاردية ليريا وأيديرن اليوم فجراً.

ابتسمت تيسايا: «وإن، قد أظهر ملوكنا أنهم حكام ذوو فهم، ومتنورون، ومحبون للسلام. وبعض السحرة أثبتوا أي قضية يخدمون حقاً. وكُبل أولئك الذين قد يتجنبون الحرب التوسعية بأصفاة من الديميريت ووجهت إليهم اتهامات تافهة...».

- هذا كله كذب صارخ!

صرخت سابرينا جليفيسيج فجأة: «تَبَّاً لكم جميعاً! فيليبيا! ما معنى هذا كله؟ ما هذه المعركة في دول أنجرا؟ ألم نتفق على ألا نبدأ مبكراً؟ لماذا لم يتوقف ذاك السافل ديمافيند؟ لماذا لم تتوقف تلك العاهرة ميفي...».

- اصمتي، سابرينا!

رفعت تيسايا دي فريس رأسها: «لا، فلتتحدث. فلتتحدث عن جيش هينسلت من كايدفين المحتشد على الحدود. فلتتحدث عن جيوش فولتيست من تيميريا، التي ربما بدأت إنزال القوارب إلى الماء، القوارب التي كانت مخبأة إلى الآن في الأحراج على ضفة ياروجا. فلتتحدث عن قوة الحملة الحربية بقيادة فيزيمير من ريدانيا، المتأهبة على ضفة بونتار. هل ظننت، يا فيليبيا، أننا عُميَّ وصُمُّ؟».

- إنها عملية استفزاز ضخمة ولعينة! الملك فيزيمير...

قاطعتها الوسيطة الروحية ذات الشعر الرمادي بصوت فاتر: «الملك فيزيمير قُتِلَ ليلة البارحة. طعنه متمرّدٌ بخنجر. لم يعد لريدانيا ملك».

نهضت تيسايا دي فريس: «لم يكن لريدانيا ملك منذ زمن طويل. كان الحكم في ريدانيا، في يد المكّمة الزاهرة فيليبيا إيلهارت، الخليفة الجديرة لرافارد الأبيض. والمستعدة للتضحية بعشرات الآلاف من الأرواح من أجل السلطة المطلقة».

صرخت فيليبيا: «لا تستمعوا لها! لا تستمعوا لهذه الوسيطة الروحية! إنها أداة، أداة معدومة الفهم... أنت من تخدمين، يا ينيفر؟ من أمرك بإحضار هذا الوحش إلى هنا؟».

قالت تيسايا دي فريس: «أنا».



- ماذا جرى بعد ذلك؟ ماذا حدث للفتاة؟ ولينيفر؟

أغمضت كيرا عينيها: «لا أعلم. أزالَت تيسايا الحاجز فجأة. بتعويذة واحدة. لم أرَ شيئاً مثل هذا في حياتي... أفقدتنا وعينا وقيدتنا، ثم حررت فيلجفورتز

والآخرين... وفتحتُ فرانسيسكا المداخل إلى السراييب، وفجأة انتشرت جموع السكويائيليين في جارستانج. قادهم شخص غريب الأطوار يرتدي درعًا وخوذة نيلفجاردية مجنّحة. ساعده مخلوقٌ آخر على وجهه علامة. كان يمكنه إلقاء التعويذات... وحماية نفسه بالسحر...».

- رينس.

- ربما، لا أدري. كان الجو حارًا... انهار السقف. انطلقتُ تعاويذ ورميات سهام... مذبحه... منهم خرَّ فيركارت صريعًا، وقُتِلَ منا دريثلْم، وقُتِلَ رادكليف، وسقط ماركوارد، ورييان، وبيانكا دي إستي قتلى... أصيبتُ تريس ميريجولد، وجُرِحَتْ سابرينا... عندما رأْتُ تيسايا الجثث، أدركتُ خطأها، وحاولتُ حمايتها، وحاولتُ تهدئة فيلجفورتز وتيرانوفا... فيلجفورتز سخر منها وتهكم. عندئذٍ، فقدتُ تيسايا عقلها وهربت. آخ يا تيسايا... كل تلك الجثث...

- ماذا عن الفتاة وينيفر؟

راحتِ الساحرة تسعل بشدة، وبصقتُ دمًا. تنفستُ تنفسًا غير عميق وبصعوبة واضحة: «لا أدري. بعد أحد الانفجارات المتتالية فقدتُ وعيي لحظةً. ذاك الرجل ذو الندبة ورفاقه الإلفيون شلُّوا حركتي. ركلني تيرانوفا في البداية، ثم ألقي بي من النافذة».

- ليستُ ساقكِ فحسب، يا كيرا. أضلاعكِ مكسورة أيضًا.

- لا تتركني.

- عليَّ أن أذهب. سأعود لأخذكِ.

- بجد.

مكتبة

t.me/soramnqraa

في البداية، لم تكنُ إلا الفوضى المتوهجة، ونبض الظلال، وتموُّر الظلام والإشراق، وجوقة الأصوات المتلعثمة الآتية من الأعماق. فجأة، اشتدت قوة الأصوات، وانفجر الصراخ والضجيج من كل اتجاه. أصبح النور وسط الظلام نازًا تلتهم سجاد الجدران ونسيج النجود، وصارتُ حزمًا من الشرر بدتُ

كأنها تتطاير من الحيطان، ومن متكاً الدرج، ومن الأعمدة التي تسند السقف. اختنقت سيري بالدخان، وفهمت أن ذلك لم يعد حلاً. حاولت الوقوف، مستندةً إلى يديها. لامست كفها بللاً، فنظرت إلى الأسفل. كانت راحة في بركة من الدماء. جثة هامة كانت ملقاة بجوارها تماماً. جثة إلفي. عرفت ذلك على الفور.

- قفي.

كانت ينيفر واقفة بجانبها، وبيدها خنجر.

- يا سيدة ينيفر... أين نحن؟ لا أتذكر شيئاً...

أمسكتها الساحرة بسرعة من يدها.

- أنا معك، يا سيري.

- أين نحن؟ لماذا كل شيء يحترق؟ من هذا... هذا الذي هنا؟

- قلت لك منذ زمن بعيد إن الفوضى تمتد يدها نحوك. هل تذكرين؟ لا،

بالتأكيد لا تتذكرين. فهذا الإلفي مد يده نحوك. كان علي أن أقتله بالسكين، لأن مُستخدميه لا ينتظرون إلا أن تظهر إحدانا مستعملة السحر. وسيؤتي

انتظارهم أكله، لكن ليس الآن... هل استعدت وعيك تماماً؟

همست سيري: «أولئك السحرة... أولئك الذين في القاعة الكبيرة... ماذا

قلت لهم؟ ولماذا قلت ذلك؟ لم أريد ذلك بتاتاً... لكن كان علي أن أتكلم! لماذا؟ لماذا، يا سيدة ينيفر؟».

- اهدئي، يا دميمة. لقد ارتكبت خطأ. لا أحد معصوم عن الخطأ.

انطلق من الأسفل دويٌّ وصراخٌ مخيفٌ.

- هيا. بسرعة. لا وقت لدينا.

ركضتا في الممر. ازداد الدخان كثافةً، فسبب الاختناق والإعماء. اهتزت

الجدران جرّاء الانفجارات.

توقفت ينيفر عند تقاطع الممرات، وشدت بقوة على يد الفتاة: «سيري!

استمعي لي الآن، أصغي بانتباه. يجب أن أبقى هنا. هل ترين ذاك الدرع؟ ستنزلين منه...».

- لا! لا تتركيني وحدي!

- يجب أن أفعل ذلك. أكرر، ستنزلين من ذاك الدَّرَج. إلى أسفله تمامًا. هناك ستجدين بابًا، خلفه ممر طويل. في نهاية الممر إصطبل، فيه حصان مُسَرَّج. حصان واحد فقط. ستخرجينه وتركيبه. إنه حصان مدرَّب، يخدم المراسلين الذين يمتطونه قاصدين لوكسيا. إنه يعرف الطريق، يكفي أن تحثيه على السير. عندما تصلين إلى لوكسيا، ستبحثين عن مارجريت وتضعين نفسك تحت رعايتها. لا تفارقيها خطوة واحدة...

- سيدة ينيفر! لا! لا أريد أن أكون وحدي!

همستِ الساحرة: «سيري، قد قلتُ لك من قبل إن كل ما أفعل، أفعله لمصلحتك. ثقي بي. أرجوك، ثقي بي. اجري».

كانت سيري قد وصلت إلى الدرج، عندما سمعت صوت ينيفر مرة أخرى. كانت الساحرة تقف عند العمود، مسندةً جبينها إليه.

قالت بصوت غير واضح: «أحبك يا بُنتي. اجري».



حاصروها في منتصف الدرج. من الأسفل، هناك اثنان من الإلفيين يرتديان قبعات مزينة بذبول سناجيب، ومن الأعلى رجل في زيٍّ أسود. قفزت سيري دون تفكير من فوق مُتَّكَأ الدرج، وهربت إلى ممر جانبي. لحقوا بها. كانت أسرع منهم، وكانت ستتمكن من الإفلات منهم دون صعوبة لولا أن الممر انتهى بفتحة نافذة.

نظرتُ إلى الخارج. ثمة نتوء حجري يمتدُّ على طول السور، عرضه قد يقارب الشبرين. نقلتُ سيري قدميها من خلال حافة النافذة وخرجتُ. ابتعدتُ عن النافذة، ضاغطةً ظهرها إلى الجدار. تلاًل البحر في البعيد.

أطلَّ إلفي من النافذة. كان شعره أشقر وعيناه خضراوين، على عنقه وشاح حريري. ابتعدت سيري بسرعة، متحركة نحو النافذة الثانية. لكن عند النافذة الأخرى. لكن من هذه النافذة أطلَّ الرجل ذو الزي الأسود. كانت عيناه داكنتين وقبيحتين، وعلى خده لخرة حمراء.

- لقد أمسكنا بك، يا عاهرة!

نظرتُ إلى الأسفل. تحتها، بعيدًا جدًّا، رأتُ فناءً. وفوق الفناء، على بعد عشر أقدام تحت النتوء الذي كانت تقف عليه، ثمة جُسُير يربط بين رواقين معمدين. لكنه لم يكن جُسُيرًا؛ كان بقايا جُسُير. ممرًا حجريًا ضيقًا مع أنقاض متكأ مهدم.

صرخ الرجل ذو الندبة: «ماذا تنتظرون؟ أخرجوها واقبضوا عليها!». خرج الإلفي ذو الشعر الأشقر إلى النتوء بحذر، ضاعطًا ظهره إلى الجدار. مد يده. كان قريبًا.

ابتلعتُ سيري ريقها. لم يكن الممر الحجري، وهو بقايا الجُسُير، أضيق من الأرجوحة في كاير مورمين، وهي كانت تقفز على الأرجوحة عشرات المرات، وتعرف كيف تمتص القفزة وتحافظ على توازنها. لكنَّ الأرجوحة الويتشرية كانت ترتفع أربع أقدام عن الأرض، فيما تراءت تحت الممر الحجري هوة عميقة لدرجة أن بلاط الفناء يبدو فيها أصغر من الكف.

قفزتُ فهبطتُ فتمايلتُ وحافظتُ على توازنها، ممسكةً بالمتكأ المهشم. وبلغتُ الرواق المعمدَ بخطى ثابتة. لم تستطعُ أن تمنع نفسها من أن تلتفت خلفها وتُري مطارديها إيماءةً من مرفقها الذي ثنته أمامهم، وهي حركة قد تعلمتها من القزم ياربن زيجرين. أطلق ذو الندبة شتيمة بصوت عالٍ.

صرخ على الإلفي الأشقر الشعر الواقف على النتوء: «اقفز! اقفز خلفها!». قال الإلفي ببرود: «يبدو أنك قد جننت، يا رينس. اقفز أنت إن شئت».



لم يحالفها الحظ، كما يحدث عادة، ولم يرافقها طويلًا. عندما نزلت من الرواق المعمد وهربتُ خلف الجدار، إلى شجيرات برقوق السياج، قُبِضَ عليها. أمسك بها رجل قصير، سمين قليلًا، ذو أنف منتفخ وشفة مشقوقة، وثبتها بضغطة مذهلة القوة. هسهس: «أنتِ هنا. أنتِ هنا، أيتها الدمية الصغيرة!».

حاولتُ سيري الإفلات، وراحتُ تننُّ لأن الكفين المطبقتين على ذراعيها صعقتها فجأة بنوبة ألم يشل الحركة. ضحك الرجل ضحكة خشنة الصوت.

- لا تفر في بجناحيك، أيتها العصفورة الرمادية، وإلا حرقته ريشك. دعيني أتفحصك. هيا دعيني أنظر إلى الفرخة التي قيمتها تساوي الكثير عند إمهير فار إمريس، إمبراطور نيلفجارد. وعند فيلجفورتز.

توقفت سيري عن المقاومة. لعق الرجل القصير شفته المشقوقة.

هسهس مجددًا، مائلًا نحوها: «أتساءل. أنت ثمينة جدًا، لكنني، كما ترين، ما كنت سأعطي من أجلك حتى فلسًا واحدًا. يا للمظاهر ما أكثر خداعها. ها! يا كنزي! ماذا لو قدمك هدية لإمهير، ليس فيلجفورتز، وليس رينس، وليس ذاك اللبق ذا الخوذة المزيّنة بالريش، بل تيرانوفا المُسن؟ هل سيكون إمهير كريمًا مع تيرانوفا المسن؟ ما رأيك، أيتها العرّافة؟ أليس بإمكانك التنبؤ؟». فاحت من أنفاسه رائحة كريهة لا تطاق. أدارت سيري رأسها عابسة. فأساء فهمها.

- لا تتجرئي عليّ، أيتها العصفورة! أنا لا أخاف العصافير. أم ينبغي لي أن أخاف؟ ماذا، أيتها العرّافة المزيفة؟ أيتها المتنبئة الدعية؟ هل ينبغي لي أن أخاف العصافير؟

همست سيري، وقد شعرت بدوار في رأسها وببرودة تجتاحها فجأة: «ينبغي لك».

ضحك تيرانوفا، قاذفًا رأسه إلى الخلف. تحول ضحكه إلى صراخ ألم. فقد انقضت عليه من عل، ودون ضجيج، بومة رمادية ضخمة وغرست مخالبها في عينيه.

أطلق الساحر سيري، وبحركة سريعة دفع البومة عنه، وبعد ذلك مباشرة هوى على ركبتيه ممسكًا بوجهه. تدفق الدم من بين أصابعه. صرخت سيري وتراجعت. أزاح تيرانوفا عن وجهه يديه الملطختين بالدم، والمغطاتين بالمخاط، وبدأ يهتف بتعويذة، بصوت وحشي ومتقطع. لكنه لم يتمكن من أن يكملها. فقد ظهر خلفه شكل غير واضح، وصفرت الشفرة الويتشرية في الهواء وقطعت عنقه تحت قذاله تمامًا.



- جيرالت!

- سيرى.

قالت البومة من قمة السور، متحوّلةً إلى امرأة ذات شعر داكن: «لا وقت للعواطف. اهربا! السناجيب سيهرعون إلى هنا!».

تحرّرت سيرى من ذراعي جيرالت ونظرتُ بدهشة. بدتِ المرأة-البومة الجالسةُ على قمة السور بهيئةً مروّعة. كانت متفحمة، وممزّقة، وملطّخة بالرماد والدماء.

قالت المرأة-البومة، وهي تنظر إليها من الأعلى: «أيتها الوحش الصغير، مقابل نبوءتك المبكرة تلك، يتعين عليّ أن... لكنني وعدتُ ويتشرك بشيء، وأنا دائماً أفى بوعودي. لم أستطعُ أن أعطيك رينس، يا جيرالت. و عوضاً عن ذلك، أعطيك إياها. حيّة. هيا اهربا!».



كان كاهير ماور ديفرين أيب كيالاش غاضباً. لم يرَ الفتاة التي أُمِرَ بالقبض عليها إلا لحظةً واحدةً، لكنّ قبل أن يتمكن من اتخاذ أي إجراء، أعدّ السحرة الضالون جحيماً في جارستانج، جعل القيام بأي فعل مستحيلًا. فقد كاهير وجهته وسط الدخان والحريق، وراح يدور في الممرات كيَقِما اتفاق، جاريًا على الدرج والأروقة المعقدة، لاعتناً فيلجفورتز، ورينس، ونفسه، والعالم بأسره.



علم من إلفي التقاه أن الفتاة شوهدت خارج القصر وهي تهرب تجاه أريتوزا. وعندئذٍ، ابتسم الحظ لكاهير. فقد وجدتُ جماعة من السكوياتيليين حصاناً مسرّجاً في الإصطبل.

- اركضي أمامي، يا سيرى. إنهم قريبون. أنا سأوقفهم، وأنتِ اركضي.

اركضي بكل ما أوتيت من قوة! كما في موردوفنيا!

- هل أنت أيضاً ستتركني وحدي؟

- سأكون خلفك مباشرة. لكنّ لا تلتفتي وراءك!

- جيرالت، أعطني سيفي.

نظر إليها. تراجعت سيرى لا إرادياً. لم ترَ لديه مثل هاتين العينين قطُ.

- إذا كان لديك السيف، فقد تُضطرَّين إلى القتل. هل تستطيعين؟

- لا أدري. أعطني السيف.

- اركضي. ولا تلتفتي ورائك.



طقطقتِ الحوافر على الطريق. تلفتتُ نظرتُ سيرى ورائها. وجمدت في مكانها وقد شلها الخوف.

كان يطاردها فارس أسود مرتدياً خوذة مزينة بجناحي طائر جارح. الجناحان يخفقان، والمعطف الأسود يرفرف. الحدوات تبرق شرراً على حجارة الطريق.

لم تكن قادرة على الحركة.

اخترق الحصان الأسود الشجيرات على جانبي الطريق، وصاح الفارس بصوت عالٍ. في صرخته هذه كانت سينترا. كان فيها الليل، والقتل، والدم، والحريق. تغلبتُ سيرى على الخوف الذي شلَّ حركتها، وانطلقتُ ناشدة الهرب.

وثبتُ فوق السياج النباتي باندفاع كبير، وسقطتُ في فناء صغير، فيه حوض ماء ونافورة. لم يكن للفناء مخرج، وكان محاطاً بأسوار عالية وملساء. شخر الحصان خلفها مباشرةً. تراجعتُ، فتعثرتُ وارتعدتُ، إذ اصطدم ظهرها بجدار صلب عنيد. وقعتُ في فخ.

رفرف الطائر الجارح بجناحيه لينطلق محلّقاً. جذب الفارس الأسود حصانه، وقفز فوق السياج النباتي الذي كان يحول بينه وبين الفناء. طقطقتِ الحوافر على بلاط الأرضية. انزلق الحصان، وسقط مقعياً على مؤخرته. ترنح الفارس على السرج، ومال عنه. انتفض الحصان، فسقط الفارس صادمًا درعه بحجر. لكنه نهض على الفور، محاصرًا سيرى بسرعة، وقد كانت محشورة في الزاوية.

صاحت، وهي تستل سيفها: «لن تلمسني! لن تلمسني بعد الآن أبدًا!!».

اقترب الفارس ببطء، متناميًا فوقها مثل برج أسود ضخيم. كان الجناحان على خوذته يتمايلان ويخفقان.

كانت عيناه تشتعلان دون رحمة من خلال شق الخوذة: «لن تهربي مني بعد الآن، يا شبله سينترا. ليس هذه المرة».

كررت بصوت مخنوق من الرعب، ضاغطةً بظهرها الجدارَ الحجريّ: «لن تلمسني».

- يجب أن أفعل ذلك. أنفذ الأوامر.

عندما مد يده نحوها، تلاشى الخوف فجأة وحلّ مكانه احتياج وحشي. عضلاتها المشدودة والمتصلبة من شدة الرعب، عملت كالنوابض المعدنية، وقد طاعت لها كل الحركات التي تعلمتها في كاير مورهين بسلاسة وانسيابية. قفزت سيرى، فانقض عليها الفارس، لكنه لم يكن مستعدًا لدورانها على أصابع قدمها الذي به أفلتت من مجال يديه بيسر. هوى السيف وانغرس بين صفائح الدرع، وقد أصاب هدفه يقينًا. ترنح الفارس وسقط على إحدى ركبتيه، واندفق من تحت واقية كتفه سيل من الدم الأحمر الزاهي.

صرخت سيرى باحتياج وهي تدور مجددًا حوله على رؤوس أصابعها، وضربته من جديد على خوذته مباشرة، هذه المرة، مسقطة الفارس على ركبته الأخرى. لقد أعماها الغضب والجنون تمامًا، فلم تر شيئاً سوى الجناحين البغيضين. تساقطت الريشات السود، انفك أحد الجناحين، وتدلّى الآخر على واقية كتفه الملطخة بالدماء. حاول الفارس عبثاً النهوض على ركبتيه، وجرب أن يوقف شفرة سيفها بقبضته المصفحة في قفاز مدرع، لكنه تأوّه ألماً عندما شطر نصلها الويتشري شبكة زرده وكفه. وسقطتْ خوذته تحت ضربة أخرى.. ارتدت سيرى قافزةً لتكتسب قوة للضربة القاتلة الأخيرة. ولم تضرب.

لم تكن الخوذة السوداء موجودة، ولا جناحا الطائر الجارح، اللذان كان هديرهما يطاردها في كوابيسها. لم يعد الفارس الأسود من سينترا موجودًا. كان فتى شاحبًا، جاثيًا في بركة دم، ذا شعر داكن، وعينين زرقاوين مذهولتين، ووجه معوج تعلوه تعايبير الخوف. سقط الفارس الأسود من سينترا من جراء ضربات سيفها، لم يعد موجودًا، ولم يتبق من الجناحين المرعبين سوى ريش

ممزق. والفتى المنكمش المذعور، الذي ينزف دمًا، لم يكن أحدًا. لم تعرفه قط، ولم تره من قبل. لم يكن يهماها. لم تحشه ولم تكرهه. ولم تُردِّ قتله. أَلَقَتِ السيف على الأرضية الحجرية.

استدارت وهي تسمع صرخات السكويائتيليين الآتية من جهة جارستانج. أدركت أنهم بعد لحظات سيحاصرونها في الفناء. وأدركت أنهم سيلحقون بها على الطريق. كان عليها أن تكون أسرع منهم. ركضت نحو الحصان الأسود الذي كان يخطب بحدواته على بلاط الأرضية، وحثته بصرخة ليجري بسرعة، قافزةً إلى السرج وكان الحصان مندفعًا.



تأوه كاهير ماور ديفرين أيب كيالاش، دافعًا بيده السليمة الإلفيين الذين كانوا يحاولون رفعه: «دعوني... لا أشكو شيئًا! إنه جرح طفيف... أدركوها. أدركوا الفتاة...».

صرخ أحد الإلفيين، وتناثر الدم على وجه كاهير. ترنح سكويائتيلي آخر وهوى على ركبتيه، غارسًا يديه في بطنه المشقوق. ارتدَّ الآخرون قافزين، وتفرقوا في الفناء وسيوفهم تبرق وامضة.

هاجمهم الوحش ذو الشعر الأبيض. قفز عليهم من السور. من ارتفاع يستحيل القفز منه دون أن تُكسر الساقان. كان من المستحيل الهبوط بخفة، والدوران على أصابع القدم بسرعة لا تلمحها العين، والقتل في جزء من ثانية. لكنَّ الوحش ذو الشعر الأبيض فعل ذلك. وشرع يقتل.

قاتل السكويائتيليون بشراسة. كان لديهم التفوق العددي. لكن لم تكن لديهم أيُّ فرصة. وحدثت المذبحة أمام عيني كاهير اللتين جحظتا من شدة الرعب. كانت الفتاة ذات الشعر الرمادي، التي جرحته قبل قليل، سريعة ورشيقة رشاقة لا تصدق، وكانت كقطعة تدافع عن صغارها. لكنَّ الوحش ذا الشعر الأبيض، الذي هبط بين السكويائتيليين، كان مثل نمر زريكاني. البنت ذات الشعر الرمادي، التي من سينترا، والتي لم تقتله لأسباب مجهولة، خلقت انطباعًا بأنها مجنونة. أما الوحش ذو الشعر الأبيض فلم يكن مجنونًا. بل كان هادئًا وباردًا. يقتل بهدوء وبرودة.

لم يكن لدى السكوياتيليين أي فرصة. تساقطت جثثهم واحدة تلو الأخرى على بلاط الفناء. لكنهم لم يستسلموا. حتى عندما بقي اثنان منهم فقط، لم يهربا. هاجما الوحش الأبيض مرة أخرى. وأمام عيني كاهير، قطع الوحش ذراع أحدهما من فوق المرفق، وضرب الآخر ضربة خفيفة مہمة ظاهرياً، ولكنها قذفت بالإلفي إلى الخلف، وأوقعته خلال قميص النافورة وجعلته يهوي في الماء. فاضت المياه على حافة الحوض موجة قرمزية.

جثا الإلفي مع يده المقطوعة بجانب النافورة، ناظرًا بعينين زائغتين إلى ما تبقى من يده المبتورة النازفة دمًا.

أمسك به الوحش الأبيض الشعر من شعره، وبحركة سريعة من سيفه ذبحه.

عندما فتح كاهير عينيه، كان الوحش بجانبه تمامًا.

همس متوقفًا عن محاولة النهوض من الأرضية اللزجة بسبب الدماء: «لا تقتلني...».

لم تعد كفه التي قطعها الفتاة ذات الشعر الرمادي تؤلمه، فقد همدت.

ركل الوحش ذو الشعر الأبيض الخوذة ذات الجناحين الممزقين: «أعلم من تكون، أيها النيلفجاردي. لقد طاردتها طويلًا وبإصرار. لكنك لن تتمكن من إيذاها بعد الآن».

- لا تقتلني...

- أعطني سببًا واحدًا. واحدًا فقط. أسرع.

همس كاهير: «أنا... أنا من أخرجتها من سينترا حينئذ. من الحريق... خلصتها... أنقذت حياتها...».

عندما فتح عينيه، لم يكن الوحش موجودًا. كان وحده مع جثث الإلفيين في الفناء. كانت المياه تفيض بخيرها من حافة النافورة، وتطمس الدماء على الأرضية. أغمى على كاهير.

عند أسفل البرج، ينتصب مبنى بمنزلة قاعة كبيرة، أو ربما بالأحرى هو نوع من الأبهاء المعمدة. السقف فوق البهو، وربما كان وهمياً، يضيء بالثقوب. يستند إلى أعمدة وعُمدٍ منحوتة على شكل تماثيل العذارى شبه العاريات وذات النهود الفاتنة. كانت هذه التماثيل نفسها تسند قوس البوابة التي اختفت فيها سيرى. خلف البوابة، لمح جيرالت الدرج المؤدي إلى أعلى. إلى البرج.

شتم بهمس خفيف. لم يفهم لماذا ركضت إلى هناك. في أثناء اندفاعه خلفها في أعالي الأسوار رأى حصانها يكبو، شاهد كيف سقط حصانها. رآها تنهض بمهارة، لكنها بدلاً من متابعة الجري على الدرب المتعرج حول القمة، أسرع فجأة صاعدة نحو البرج الوحيد. لم يلاحظ إلا في وقت لاحق وجود الإلفيين على الطريق. لم يرَ الإلفيون سيرى، ولم يروها، كانوا مشغولين بإطلاق السهام على الناس الذين كانوا يركضون صاعدين المرتفع. وتوالت قوات الدعم قادمة من أريتوزا.

كان يعتزم صعود الدّرج متتبّعاً سيرى، عندما سمع جساً. من الأعلى. استدار بسرعة. لم يكن ذلك طيراً.

نفذ فيلجفورتز، وهو يرف بكمي ردائه الواسعين، من خلال ثقب في السقف، وهبط ببطء على الأرضية.

توقف جيرالت أمام مدخل البرج، واستل سيفه ثم تنهد. كان يأمل بصدق أن القتال المثير النهائي سيحدث بين فيلجفورتز وفيليبا إيلهارت. لم تكن لديه، هو نفسه، أي رغبة في هذا النوع من الإثارة.

نفذ فيلجفورتز رداءه، وضبط كفتي كُميّه، ثم نظر إلى الويتشر وقرأ أفكاره.

تنهد: «إثارة لعينة».

لم يعلق جيرالت.

- هل دخلت إلى البرج؟

لم يُجب. هز الساحر رأسه.

قال ببرود: «إذن، وصلنا إلى الخاتمة. النهاية التي تتوج العمل. أم ربما هو القدر؟ هل تعلم إلى أين يؤدي هذا الدرج؟ إلى تور لارا، إلى برج النورس. لا مخرج من هناك. لقد انتهى كل شيء».

تراجع جيرالت قليلاً بطريقة تحمي فيها جنبه تماثيل العذارى الساندة للبوابة.

قال بامتعاض وهو يراقب يدي الساحر: «طبعًا. لقد انتهى كل شيء. نصف شركائك موتى. جثث الإلفيين الذين جلبوا إلى ثانيد ملقاةً واحدةً تلو الأخرى، من هنا حتى جارستانج. وما تبقى منهم هرب. السحرة ورجال ديكسترا قادمون من أريتوزا. ولعل النيلفجاردي الذي أراد أخذ سيرى قد نزف دمه. وسيرى هناك، في البرج. لا مخرج من هناك؟ سررتُ بسماع ذلك. فهو يعني أن مدخلًا واحدًا فقط يفضي إلى هناك. المدخل الذي أحرسه».

استاء فيلجفورتز.

- أنت عَصِي على الإصلاح. لا تزال غير قادر على تقييم الوضع على نحو صحيح. مجلس التشريف والمجلس زالا من الوجود. جيوش القيصر إمهير تتجه شمالًا؛ وبات الملوك، الذين حُرِّموا من نصح السحرة ودعمهم، عاجزين كالأطفال. ممالكهم ستنهار تحت ضغط نيلفجاردي كقلاع من رمل. البارحة عرضتُ عليك هذا الأمر، واليوم أكرره: انضم إلى الفائزين. وابصق على الخاسرين لعابًا غزيرًا.

- أنت الخاسر. لم تكن بالنسبة إلى إمهير إلا أداة. كان يريد سيرى، لذلك أرسل هذا الشخص ذا الخوذة المجنحة. ترى ما الذي سيفعله بك إمهير عندما تبلغه بإخفاق المهمة.

- تطلق سهامك على نحو أعمى، وتخطئ، وطبعًا. وماذا لو قلت لك إن إمهير هو أداتي؟

- لن أصدق.

- جيرالت، كن عاقلًا. هل حقًا تريد اللعب في مسرحية، في قتال نهائي مبتذل بين الخير والشر؟ أكرر عرض الأمر. لم يفِ الأوان بعد. لا يزال بإمكانك الاختيار، يمكنك أن تقف إلى الجانب الصحيح...

- إلى الجانب الذي صَغَرْتُهُ اليوم بعض الشيء؟
- لا تبتسم، فابتساماتك الشيطانية لا تأثير لها فيّ. العدد القليل من هؤلاء الإلفيين المقتولين؟ أرتود تيرانوفا؟ تفاصيل صغيرة، وقائع لا أهمية لها. ويمكن التغاضي عنها.
- طبعًا. أعرف نظرتك إلى العالم. الموت لا يهم، أليس كذلك؟ خصوصًا موت الآخرين؟
- لا تكن مبتذلًا. أشعر بالأسى على حال أرتود، لكن ماذا في وسعنا أن نعمل؟ فلنسمّ ذلك تسوية حسابات. وفي المجمل، حاولتُ قتلَك مرتين. فقدُ فقدَ إمهير صبره، لذا أمرتُ بإرسال القتلة إليك. في كل مرة، فعلتُ ذلك مكرهاً حقًا. وأنا، كما ترى، لا يزال يحدوني أمل أن يرسمونا يومًا ما على لوحة واحدة.
- تخلّ عن هذا الأمل، يا فيلجفورتز.
- أخف سيفك. سنصعد معًا إلى تور لارا. سنهدئ طفلة الدم الأقدم، التي من المؤكد أنها تموت رعبًا هناك في مكان ما. وسنغادر من هنا معًا. ستكون بجانبها. سترى كيف يتحقق مصيرها. والقيصر إمهير؟ إمهير سيحصل على ما يريده. فقد نسيْتُ أن أخبرك أن كودرينغر وفين، مع أنهما قد ماتا، فإن عملهما ونظريتهما لا تزالان حيّتين، وبخير.
- أنت تكذب. اذهب من هنا قبل أن أبصق عليك لعابًا غزيرًا.
- حقًا، لا أرغب في قتلَك. أنا أقتل مكرهاً.
- حقًا؟ وماذا عن ليديا فان بريدفورت؟
- عوج الساحر فمه.
- لا تذكر هذا الاسم، يا ويتشر.
- ضغط جيرالت بقبضته على مقبض سيفه بقوة أكبر، وابتسم بسخرية.
- لماذا كان يجب أن تموت ليديا، يا فيلجفورتز؟ لماذا أمرتُ بموتها؟ كان عليها أن تشتت الانتباه عنك، أليس كذلك؟ كان عليها أن تمنحك الوقت لتفعيل المناعة ضد الديميريت، ولإرسال إشارة تخاطرية إلى رينس؟

ليديا المسكينة، الفنانة ذات الوجه البائس. كان الجميع يعلمون أنها شخص لا أهمية لها. الجميع... باستثناءها.

- اصمت.

- قتلتَ ليديا، أيها الساحر. استغللتها. والآن تريد أن تستغل سيرى؟ بمساعدتي؟ لا. لن تدخل إلى تور لارا.

تراجع الساحر خطوةً إلى الخلف. شدَّ جيرالت نفسه، متحفزاً للقفز والضرب. لكنَّ فيلجفورتز لم يرفع يده، بل مدها قليلاً جانباً. وإذ بعصا ثخينه، طولها ست أقدام، تجسدت فجأة في يده.

قال: «أعلم ما يعوقك في تقييم الوضع على نحو متعقل. أعلم ما يعسر عليك التنبؤ الصحيح بالمستقبل. إنها غطرستك، يا جيرالت. سأُنسيك الغطرسة. سأُنسيك إياها بمساعدة هذه العصا».

ضيَّق الويتشر عينيه، شاهراً نصل سيفه قليلاً.

- إنني أرتجف من قلة صبري.

بعد بضعة أسابيع، بعدما شَفِيَ بفضل مساعي حوريات الغاب وماء بروكلون، راح جيرالت يفكر في الخطأ الذي ارتكبه في أثناء القتال. وخلص إلى أنه لم يرتكب أي خطأ خلال القتال. الخطأ الوحيد الذي ارتكبه كان قبل القتال. كان عليه الهرب قبل أن يبدأ القتال.

كان الساحر سريعاً، والعصا تومض كالبرق في يديه. كانت دهشة جيرالت أكبر عندما رنَّ القضيب والسيف بصوت معدني لحظة صد الضربة. لكنَّ لم يكن ثمة وقت للدهشة. هجم فيلجفورتز، وكان على الويتشر أن يلوذ بتحاشي الضربات وحركات الدوران على أصابع القدم. وقد خشي صد الهجوم بالسيف. كان القضيب اللعين من الحديد، وأيضاً سحرياً.

وجد نفسه في وضعية الهجوم المضاد أربع مرات. وقد ضرب أربع مرات. على الصدغ، وعلى العنق، وتحت الإبط، وعلى الفخذ. كل واحدة من هذه الضربات كانت ستكون قاتلة. لكنها صُدَّت واحدة تلو الأخرى.

ما كان لأي إنسان القدرة على رد مثل هذه الطعنات. بدأ جيرالت يدرك ذلك ببطء. لكنَّ الأوان كان قد فات.

لم يرَ الضربة التي أصابه بها الساحر. ولقد ضغطته إلى الحائط. ارتدَّ بظهره، ولم يتمكن من القفز جانبًا أو المراوغة، فالضربة كتمتْ نَفْسَه. تلقى ضربةً ثانيةً على كتفه، فطار مرة أخرى إلى الخلف، مرتطمًا قذالُه بالعماد ونهود تماثيل العذارى الناتئة. وثب فيلجفورتز بمهارة، أدار القضيب وخبط بطنه تحت أضلاعه. بقوة. انثنى جيرالت نصف ثنية، وعندئذٍ تلقى ضربة في جانب رأسه. تراخت ركبته فجأة، وسقط عليها. وبهذا انتهت المعركة. مبدئيًا.

حاول واهنًا أن يحمي نفسه بالسيف. فانكسر النصل المحشورُ بين الجدار والعماد، تحت ضربة أحدثت أنينًا زجاجيًا متذبذبًا. حمى رأسه بيده اليسرى، لكنَّ القضيب هوى بقوة وكسر عظم ساعده. فأعماه الألم كليًا.

قال فيلجفورتز من مكان بعيد جدًا: «كان بإمكانني أن أستخرج مخك من خلال أذنيك. لكنَّ كان من المفترض أن يكون ذلك درسًا. أخطأت يا ويتشر. لقد خلطت بين السماء والنجوم المنعكسة ليلاً على سطح بركة. آها، تتقيأ؟ جيد. ارتجاج في الدماغ. تنزف من أنفك؟ ممتاز. حسنًا، إلى اللقاء. في يوم ما. ربما».

لم يعد يرى أو يسمع شيئًا. كان يغرق وينغمس في شيء دافئ. ظن أن فيلجفورتز قد غادر. لذا استغرب عندما هوى القضيب الحديدي بضربة قوية على ساقه، مهشمًا صلبَ عظم فخذه. لم يتذكر أي ضربات حامية أخرى، حتى إن كانت قد حدثت.



كانت تريس ميريجولد تُردّد دون توقف: «اصمّد، جيرالت، لا تستسلم. اصمّد، لا تمت... أرجوك، لا تمت...

- سيري...

- لا تتكلم. سأخرجك من هنا بعد قليل. اصمّد... أيتها الآلهة، خارت قواي...

- ينيفر... يجب أن...

- لا عليك شيء! لا يمكنك فعل أي شيء! اصمّد، لا تستسلم... لا تفقد وعيك... لا تمت، أرجوك...

جرجرته على الأرضية المغطاة بالجلث. رأى صدره وبطنه تغطيهما حتى آخرهما الدماء النازفة من أنفه. رأى ساقه. كانت معوجة بزاوية غريبة، وبدت أقصر بكثير من الساق السليمة. لم يشعر بالألم. بل بالبرد، كان جسده كله باردًا وخدرًا وغريبًا. كان يريد أن يتقيأ.

- اصمّد، جيرالت. المساعدة آتية من أريتوزا. قريبًا...

- ديكسترا... إذا أمسك بي ديكسترا... فهي نهايتي...

راحت تريس تلعن. بيأس. جرجرته على الدرج. ساقه المكسورة ويده كانتا تتمايلان على الدرجات. عاد الألم، تغلغل في أحشائه وفي صدغه، وانتشر حتى عينيه وأذنيه وقمة رأسه. لم يصرخ. كان يعلم أن الصراخ سيخفف عنه، لكنه لم يصرخ. كان فقط يفتح فمه، وهذا أيضًا ما منحه بعض الارتياح.

سمع دويًا. مكتبة سر من قرأ

في أعلى الدرج وقفت تيسايا دي فريس. كان شعرها غير مرتب، ووجهها مغطى بالغبار. رفعت يديها، فاشتعلت كفيها. صرخت بتعويذة، وتساقطت النار المتراقصة من أصابعها إلى الأسفل في هيئة كرة هادرة باللهب تخطف الأبصار. سمع الويتشر من الأسفل دوي الجدران المتهاوية، وصراخ الذين احترقوا المرعب.

صرخت تريس بيأس: «تيسايا، لا! لا تفعل هذا».

قالت الساحرة الكبرى دون أن تدير رأسها: «لن يدخلوا هنا. هنا جارستانج في جزيرة ثانيد. لم يدعُ أحدٌ إلى هنا هؤلاء خدم الملوك الذين ينفذون أوامر حكامهم القصار النظر!».

- إنكِ تقتلينهم!

- اصمتي، يا تريس ميريجولد! قد أخفق الاعتداء على وَحْدَةِ الأخوة، ولا يزال مجلس التشريف يحكم الجزيرة! فليبتعد الملوك عن شؤون مجلس التشريف! هذا صراعنا ونحن أنفسنا سنحله! سنحل أمورنا، ثم

نضع حدًا لهذه الحرب الغبية! لأننا، نحن السحرة، من يتحمل مسؤولية
مصير العالم!

انطلقتُ من كفها صاعقة كروية أخرى، وتردد صدى الانفجار المتكرر
بين الأعمدة والجدران الحجرية.

صرختُ مجددًا: «ابتعدوا! لن تدخلوا هنا! ابتعدوا!».

خفتُ الصخب المنبعث من الأسفل. أدرك جيرالت أن المحاصرين تراجعوا
عن الدرج، وانسحبوا. أخذت صورة تيسايا تتلاشى أمام عينيهِ. لم يكن ذلك
سحرًا. بل هو من فقد وعيه.

سَمِع كلمات الساحرة تأتي من بعيد، كما لو كانت من وراء جدار: «اهربي
من هنا، يا تريس ميريجولد. لقد هربتُ فيليبيا إيلهارت، طارتُ بجناحيها
الخاصين. كنتُ شريكها في هذه المؤامرة الشائنة، وينبغي لي أن أعاقبك.
لكن كفى دمًا، وموتًا، ومآسي! اخرجي من هنا! اذهبي إلى أريتوزا، إلى
حلفائك! انتقلي انتقالًا آنيًا. بوابة برج النورس لم تعد موجودة. لقد انهارتُ
هي والبرج. يمكنك الانتقال آنيًا دون خوف. إلى حيث تشائين. حتى إلى ملكك
فولتيسست الذي خنتِ الأخوة من أجله!».

تأوهتُ تريس: «لن أترك جيرالت... ممنوع أن يقع في أيدي الريدانينيين...
إنه مصاب بجروح بليغة... ينزف نزيفًا داخليًا... وأنا قد خارتُ قواي! لا أملك
القوة لفتح بوابة الانتقال الآن! تيسايا! ساعديني، أرجوك!».

ظلام. برد شديد. من بعيد، من وراء الجدار الحجري، صوت تيسايا دي
فريس:

- سأساعدك.

إفريتسين بيتز، وُلِدَ * 1220، أحد المؤتمنين المقربين من القيصر إمهير ديثفين، وواحد من البانين الفعليين لقوة الإمبراطورية. المشرف العام على الجيش خلال **الحروب الشمالية** (أوب)، ومنذ عام 1290 الخازن الملكي الكبير. في المدة الأخيرة من حكم إمهير، رُقِّع إلى مقام مساعد الإمبراطورية. في عهد القيصر مورفران فورهيس، اتُّهم زورًا بسوء الإدارة، وحُكِمَ عليه بالسجن، وتوفي † 1301، في قلعة فينيبورج. في عام 1328 أعاد القيصر يان كالفيت الاعتبار إليه بعد مماته.

إفينيرج وتالبوت، موسوعة ماكسيما موندي،

المجلد الخامس.

ارتعدوا، فها هو **مدمر الأمم** قادم. سيدوسون أرضكم وبخيط سيقسمونها. ستهدم مدنكم وتُفَرِّغ من سكانها. وسيعيش في منازلكم الخفاش، والبوم، والغراب. وسوف يعشش الثعبان فيها.

آين إيثلينسبيث.

الفصل الخامس

أوقف قائدُ الفصيلِ حصانَه، ثم خلع خوذته ومَرَّ أصابعه في شعره المتفرق والملتصق بالعرق.

كرر، وهو يرى نظرة التروبادور المتسائلة: «انتهتِ الرحلة».
استغرب ياسكير: «ها؟ كيف ذلك؟ لماذا؟».

- لن نذهب أبعد. هل ترون؟ ذلك النهر الذي يلمع في الأسفل اسمه الشريط. علينا أن نرافقكم حتى الشريط فحسب. يعني أن وقت الفراق قد حان.

توقف باقي الفصيل خلفهم، لكن لم ينزلُ أي جندي عن حصانه. جميعهم راحوا يتلفَّتُون حولهم بقلق. حجب ياسكير عينيه بكفه ووقف على الركابين.
- أين ترى هذا النهر؟

- قلتُ، في الأسفل. انزلوا خلال الوادي، وستجدونه في غمضة عين.
اعترض ياسكير: «أوصلوني على الأقل إلى الضفة. أرشدوني إلى مخاضة النهر...».

- حسنًا، بالتأكيد ثمة ما يمكنني إرشادك إليه. منذ مايو، لا شيء سوى الحر، فانخفض مستوى المياه وغار الشريط. بالحصان يمكن عبور أي مكان...

قال التروبادور نافخًا نفسه: «أريتُ أمركم رسالة من الملك فينزلاف. اطلع أمركم على الرسالة، وسمعتُه أنا نفسي وهو يأمركم بإيصالي حتى بروكلون

ذاتها. وأنتم تريدون تركي هنا، في هذه الديسة؟ ماذا سيحدث إن ضللت الطريق؟».

هدر جندي آخر بكآبة، وقد اقترب منهم ولكنه ظلَّ صامتًا حتى الآن: «لن تضلوا الطريق. لن يتاح لكم الوقت لتضلوا. فستجدكم نصال شيطانات المستنقعات قبل ذلك».

تهكم ياسكير: «يا لكم من حمقى مرعوبين. أتخافون حوريات الغاب. إن بروكلون تقع على الضفة الأخرى للشريط. والشريط هو الحد الفاصل. ولم نعبره بعد!».

أوضح القائد وهو يجول ببصره: «حدودهم تمتد إلى المدى الذي تصل إليه سهامهم. السهم الذي يُطلق من الضفة الأخرى يمكن أن يطير بعزم ليصل إلى حافة الغابة، وإذا كان سريعًا بما يكفي، تمكّن من اختراق الزرد. أنتم مصريون على الذّهاب، هذا شأنكم، هذه حياتكم. لكنّ حياتي عزيزة عليّ. لن أذهب أبعد. أفضّل أن أدسّ رأسي في عش دبابير!».

أزاح ياسكير قبعته إلى مؤخرة رأسه واستقام على السرج: «لقد أوضحت لكم أنني ذاهب إلى بروكلون في مهمة. يمكن القول إنني سفير. لا أخشى حوريات الغاب. لكني أرجوكم أن توصلوني حتى ضفة الشريط. ماذا سيحدث إن هاجمني بعض قطاع الطرق في هذه الأدغال؟».

ضحك ذاك الجندي الآخر، الكئيب، مكرهاً.

- قُطَاع طرق؟ هنا؟ في وضح النهار؟ أيها السيد، هنا في النهار لن تجدوا روحًا حيةً. في الآونة الأخيرة، كانت شيطانات المستنقعات يصوِّبن سهامهنّ نحو كل مَنْ يظهر على ضفة الشريط، وفي وسعهنّ أحياناً التوغل بعيداً إلى جانبنا. لا، لا تخشوا اللصوص.

أكد القائد: «هذا صحيح. حتماً سيكون قاطع الطريق شديد الغباء ليتربص عند ضفة الشريط في النهار. لذلك نحن لسنا مجانين أيضاً. أنتم ستمضون بمفردكم، دون درع ودون سلاح، وأنتم، اعذروني، لا تبدون إطلاقاً كمحارب، وهذا واضح من مسافة ميل. وقد يبتسم لكم الحظ. لكنّ إذا أبصرتنا شيطانات المستنقعات مسلحين على ظهور الخيول، فلن نرى الشمس من خلف سهامهن الطائرة».

رَبَّتْ يَاسْكِرِ عُنُقَ حِصَانِهِ، وَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلَ الْخَانِقِ: «هَآ، حَسَنًا، لَا مَفْرَإِذَن. سَاسِيرٌ وَحْدِي. وَدَاعَا أَيُّهَا الْجُنُودُ. شَكَرَا لَكُمْ عَلَى مُرَافَقَتِكُمْ إِيَّايَ».

نَظَرَ الْجَنْدِي الْكَئِيبَ إِلَى السَّمَاءِ: «لَا تَسْتَعْجِلُوا هَكَذَا. الْمَسَاءُ يَقْتَرِبُ. حِينَمَا يَرْتَفِعُ رِذَاذُ الضُّبَابِ مِنَ الْجَدَاوِلِ، امْضُوا فِي الطَّرِيقِ. لِأَنَّكَ، كَمَا تَعْلَمُونَ...».

- مَاذَا؟

- السَّهْمُ فِي الضُّبَابِ أَقْلَ دَقَّةٍ. إِذَا حَالَفَكَ الْحَظُّ، سَتَخْطُوكَ شَيْطَانَةُ الْمُسْتَنْقَعَاتِ. لَكِنَّهِنَّ، أَيُّهَا السَّيِّدُ، نَادِرًا مَا يَخْطُئْنَ...

- قَدْ قَلَّتْ لَكُمْ...

- نَعَمْ، لَقَدْ قَلَّتُمْ، وَقَدْ خَمَنْتُ أَنْكُمْ تَذْهَبُونَ إِلَيْهِنَّ بِمَا يَشْبَهُ الْمَهْمَةَ. لَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ شَيْئًا آخَرَ: سَوَاءٌ أَكَانَتْ مَهْمَةٌ أَمْ مُوَكَّبًا، فَلَا فَرْقَ لَدَيْهِنَّ. سَيُطْلَقَنَّ السَّهْمُ، وَهَذَا كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ.

نَفَخَ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ مَجْدَدًا: «هَلْ أَنْتُمْ مَصْرُونَ عَلَى تَخْوِيفِي؟ مَنْ تَظُنُّونَنِي، أَدِيبًا مُخَفِّقًا مِنَ الْمَدِينَةِ؟ أَيُّهَا السَّادَةُ الْجُنُودِ، إِنِّي رَأَيْتُ مِيَادِينَ مُعَارِكٍ أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْتُمْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعِينَ. وَأَعْلَمُ عَنْ حَوْرِيَّاتِ الْغَابِ أَكْثَرَ مِمَّا تَعْلَمُونَ. عَلَى الْأَقْلَى، أَعْلَمُ أَنَّهُنَّ لَا يُطْلَقَنَّ السَّهَامُ دُونَ تَحْذِيرٍ».

قَالَ الْقَائِدُ بِصَوْتٍ مُنْخَفَضٍ: «أَنْتُمْ مُحَقَّقُونَ، كَانَ هَذَا فِي الْمَاضِي. فِي الْمَاضِي، كُنَّ يَحْذَرْنَ. يُطْلَقَنَّ سَهْمًا عَلَى جَذْعِ شَجَرَةٍ أَوْ عَلَى الدَّرْبِ، مَا يَعْنِي: هُنَا، حَيْثُ يَنْغَرِزُ هَذَا النِّصْلُ، هُوَ الْحَدُّ، فَلَا تَتَقَدَّمُ خَطْوَةً وَاحِدَةً. إِذَا عَادَ الشَّخْصُ أَدْرَاجَهُ بِسُرْعَةٍ، فَرُبَّمَا سَلِمَ. لَكِنْ الْآنَ الْأَمْرُ مُخْتَلِفٌ. الْآنَ يَصُوبُونَ لِيَقْتُلُنَّ عَلَى الْفُورِ».

- مِنْ أَيْنَ كُلُّ هَذَا الْإِصْرَارِ؟

تَمَّتِ الْجَنْدِي: «حَسَنًا. تَرُونَ، الْأَمْرُ عَلَى هَذَا النِّحْوِ. عِنْدَمَا أُبْرِمَ الْمُلُوكُ الْهَدَنَةَ مَعَ نِيلَفْجَارِدَ، رَاحُوا يَلَاحِقُونَ عَصَابَاتِ الْإِلْفِيِّينَ دُونَ هَوَادَةٍ. وَيَبْدُو أَنَّهُمْ ضَغَطُوهُمْ بِشِدَّةٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَلَا تَمُرُّ لَيْلَةٌ إِلَّا وَتَفَرُّ فِيهَا فُلُولُ النَّاجِينَ مِنْهُمْ خِلَالِ مَنْطَقَةِ بَرُوجِي، بَحْثًا عَنْ مَلْجَأٍ فِي بَرُوكْلُونِ. وَعِنْدَمَا يَطَارِدُ رِجَالُنَا الْإِلْفِيِّينَ، يَحْدُثُ أحيانًا صِرَاعٌ مَعَ شَيْطَانَاتِ الْمُسْتَنْقَعَاتِ اللَّوَاتِي يَأْتِينَ بِالدَّعْمِ

لهم من وراء الشريط. وقد حدث أن قواتنا أيضًا انطلقت مسرعةً قليلًا في المطاردة... هل تفهمون؟».

نظر ياسكير إلى الجندي بانتباه، ثم هز رأسه: «أفهم. في أثناء مطاردتكم السكوياتيليين، تجاوزتم الشريط. وقتلتم حوريات الغاب. والآن حوريات الغاب يثأرن بالطريقة ذاتها. إنها الحرب».

- أي نعم، أيها السيد، كأنكم تكلمتم بلساني. إنها الحرب. كانت دائمًا حربًا حتى الموت، لا من أجل الحياة بتاتًا، لكنها الآن أسوأ بكثير. الكراهية شديدة جدًا بيننا وبينهم. وأقول لكم مرة أخرى، إذا لم تكن مضطرًا، فلا تذهب إلى هناك.

بلع ياسكير ريقه.

استقام على سرجه، محاولًا بجهد كبير أن تبدو تعابير وجهه صارمة، وبنيته ملأى بالحيوية: «الأمر هو أنني مُضطر. وسأذهب. الآن. سواء كان الوقت مساءً أم لا، سواء كان الضباب أم لا، لا بدُّ لي أن أنطلق عندما يناديني الواجب».

فعلتُ سنين التدريب فعلها. صدح صوت التروبادور جميلًا ومخيّفًا، صارمًا وباردًا، يرنُّ بالحديد والرجولة. نظر الجنود إليه بإعجاب صادق.

فكَّ القائد من الرُّحل قارورةً خشبيةً مسطحة: «قبل أن تنطلقوا، خذوا رشفة من الحمى، أيها السيد المغني. اجترعوا جُرعة كبيرة...».

أضاف الجندي الآخر، ذاك القليل الكلام، بنبرة كئيبة: «ستلقى الموت أخف وطأً».

ارتشف الشاعر رشفة من المزايدة.

وحالما توقف عن السعال والتقط أنفاسه، قال بإباء: «الجبان يموت مئة مرة. والشجاع يموت مرة واحدة فقط. لكنَّ ربة الحظ تتعهد الجريئين بنعمها وتحقق الجبناء».

نظر الجنود إليه بإعجاب أكبر. لم يعلموا ولم يكن بإمكانهم أن يعلموا أن ياسكير كان يقتبس الكلمات من ملحمة بطولية. وهي إلى ذلك من تأليف شخص آخر.

أخرج الشاعر من جيب سترته كيسًا جلدًا أحدث رنينًا: «وبهذا دعوني أعوضكم عن مرافقتي. قبل أن تعودوا إلى الحصن، وقبل أن تضمكم إلى صدرها الخدمة- الأم القاسية من جديد، توقفوا في حانة واشربوا نخب صحتي».

احمرَّ وجه القائد قليلًا: «شكرًا، سيدي. أنتم كريمون، وإننا... اعذرونا، لأننا نترككم وحدكم، ولكنَّ...».

- لا بأس. الوداع.

أزاح الشاعر قبعته إلى أذنه اليسرى بخيلاء، وركز حصانه بعقبه وانطلق إلى الأسفل خلال الإفجيج، مصفّرًا لحن «العرس في بوليرلين»، وهي أغنية فرسان مشهورة وغاية في الفحش.

استطاع أن يسمع كلمات ذاك الكئيب: «لكنَّ الملازم قال في القلعة إنه طفيلي وجبان وصفيق. لكنه رجل حرب ومقدام، مع أنه شويعر».

أجاب القائد: «الحقيقة عينها. لا، ليس خوفًا، لا يمكن قول ذلك. حتى إنه لم يرفَّ له جفن، كما استنتجتُ. ولا يزال يصفر، هل تسمع؟ هاه، هاه... هل انتبهتَ إلى ما قاله؟ قال إنه فسير⁽¹⁾. لا تخف، ليس أي شخص يُعيَّن في منصب فسير. يجب أن يكون للمرء مخ في رأسه ليصبح فسيرًا...».

زاد ياسكير من سرعة حصانه، راغبًا في الابتعاد بأسرع ما يمكن. لم يردُّ أن يفسد السُّمعة التي كان قد بدأ في بنائها منذ وقت قصير. وكان يعلم أن الرطوبة على شفثيه الأخذتين بالجفاف بسبب الرعب، لن تكفيه ليستمر في تصفيره وقتًا أطول.

كان الإفجيج مظلماً ورطبًا، والطين المبلل والبساط العالق به من الأوراق المتعفنة كان تكتم طقطقة حوافر الحصان الخصي، ذي اللون الأسود البني، الذي أطلق عليه الشاعر اسم بيجاسوس. سار بيجاسوس ببطء، مطأطئ الرأس. كان من تلك الخيول القليلة التي لا تهتم بشيء أبدًا.

(1) يقصد: سفير.

انتهت الغابة، ولكنَّ مرجًا واسعًا مغطى بالبوص حال بين ياسكير وسرير النهر، الذي حدَّده صف من أشجار النغت. أوقفَ الشاعر حصانه وأجال النظر بحذر، لكنه لم يلاحظ شيئًا. أصاخ سمعه، لكنه لم يسمع سوى نقيق الضفادع. تنحنح: «هيا، يا حصاني. مرةً واحدةً إلى الموت دون رجعة. إلى الأمام». رفع بيجاسوس رأسه قليلًا، على نحو تساؤلي، ونصب أذنيه المتدليتين كالعادة.

- لقد سمعتني جيدًا. إلى الأمام.

تحرك الخصي متوانيًا، وبطبق المستنقع تحت حوافره. فرَّت الضفادع من تحت قوائم الحصان بقفزات طويلة. بضع خطوات أمامهما، انتفضت بطة صحبتها بطبطة وفرفرة، وهذا ما جعل قلب التروبادور يتوقف عن الخفقان لحظةً، ثم بدأ ينبض بسرعة كبيرة وبشدة. لكنَّ بيجاسوس لم يكثرث للبطة بتاتًا.

تمتم ياسكير، ماسحًا عنقه المبتل بالعرق البارد بمنديل أخرجه من جيب سترته: «سار البطل... سار غير هياب خلال الغيضة، غير مبالٍ بالزواحف القافزة والتنانين الطائرة... سار وسار... حتى وصل إلى فضاء المياه الذي لا حدَّ له...».

شخر بيجاسوس وتوقف. كانا عند النهر، وسط البوص وأعشاب الجولان التي تجاوزت بطولها ارتفاع الركابين. مسح ياسكير جفنيه المتعرقين وربط منديله حول عنقه. ظلَّ يحدق طويلًا، حتى دمعَت عيناه، إلى ديسة أشجار النغت على الضفة المقابلة، لكنه لم يلاحظ شيئًا ولم ير أحدًا. جعد سطح الماء النباتات المائية بحركة التيار، وفوقها تمامًا حلقَت طيور القرلى ذات اللون الفيروزي والبرتقالي. كان الهواء يلعب بأسراب من الحشرات، والأسماك تلتهم الذباب المائي، مخلفًا حلقات كبيرة على سطح الماء.

في كل مكان، على مد البصر، أمكن على نحو جيد رؤية سدود القنادس، وأكوام الأغصان المقطوعة، والجذوع الساقطة والمقروضة، التي كان يجرفها التيار المتكاسل. ما أكثر القنادس هنا، فكَّر الشاعر، ثروة لا تصدق. ولا غرابة في ذلك. ما من أحد يقلق قوارض الأشجار اللعينة. لا قطاع الطرق ولا الصيادون ولا النحالون يتوغلون هنا، وحتى متعقبو الطرائد الحاضرون

في كل مكان لا ينصبون فخاخهم هنا. أولئك الذين حاولوا ذلك، تلقوا سهمًا في الحلق أو قرصتهم السرطانات في الطين الشاطئ الخشن. وأنا، الأحمق، حشرت نفسي هنا بمحض إرادتي، هنا على ضفة الشريط، النهر الذي تتصاعد منه روائح الجثث، التي لا تزيلها حتى رائحة عود الوج والنعناع. تنهد عميقًا.

تقدم بيجاسوس ببطء إلى الماء بقائمتيه الأماميتين، وخفض خطمه نحو سطح الماء وشرب طويلًا، ثم أدار رأسه ونظر إلى ياسكير. سال الماء من فمه ومنخريه. أوما الشاعر برأسه وتنهد مجددًا، ثم تنشق بأنفه بصوت عالٍ. رتل بصوت خفيض، محاولًا ألا تصطك أسنانه: «نظر البطل إلى لجة الماء الهائج.... نظر وسار قُدُمًا، فقلبه لا يعرف الخوف».

نكس بيجاسوس رأسه وأذنيه.

- يقول إن قلبه لا يعرف الخوف.

هز بيجاسوس رأسه مجلجلًا بدسر اللجام والشكيمة. لكزه ياسكير بعقبه على جنبه. خطأ الخصي في الماء باستسلام مبالغ فيه.

كان الشريط ضحلًا، لكنه مغطى بالنباتات بكثافة. قبل أن يصل إلى منتصف مجرى التيار، تشابكت صفائر الأعشاب الطويلة خلف قوائم بيجاسوس. مشى الحصان ببطء وبجهد شديد، محاولًا في كل خطوة أن يدفع عنه الأعشاب المائية التي كانت تُقيّد حركته.

أصبحت أجسام القصب وغابات النغت الممتدة على الضفة اليمنى قريبة قريبة لدرجة أن ياسكير شعر بمعدته تقلت منه إلى الأسفل، أخفض فأخفض حتى تبلغ السرج تمامًا. أدرك جيدًا أنه، وهو عالق بين الأعشاب في وسط النهر، يشكل هدفًا ممتازًا لا يمكن أن يخيب اقتناصه. قد رأى بعيني مخيلته أظفار القسي تُثنى، والأوتار تشدُّ، والسهام وأسنتها الحادة توجه نحوه.

ضغط جنبي الحصان برِبلتيه، لكنَّ بيجاسوس لم يكثرث لذلك. وبدلًا من أن يسرع، توقف ورفع ذيله. فسقطت كرات السماد وبقبق الماء. تأوّه ياسكير تأوُّهاً مديدًا.

تمتم وهو يغمض عينيه: «لم يتمكن البطل من التغلب على منحدرات النهر الهادرة. مات مَيِّتة المقاتلين الأشاوس، مثقوبًا بسهام كثيرة. أخفته الأعماق الشديدة الزرقة، واحتضنته الطحالب الخضراء خضرةً حمر اليشب. اختفى أثره، ولم يبقَ خلفه سوى روث الحصان، يحمله التيار نحو البحر البعيد...».

انطلق بيجاسوس، الذي بدا عليه الارتياح، بخفة ودونما رغبة، نحو الضفة، وعند مَسْرَعِ النهر الخالي من الحشائش المائية سمح لنفسه بقفزة، بلل خلالها حذاء ياسكير وسرواله كليًا. لكنَّ الشاعر لم يلاحظ ذلك، فالرؤى عن السهام الموجهة إلى بطنه لا تفارقه ولا حتى لحظة واحدة، وكان الرعب يزحف على ظهره ورقبته كعلقة كبيرة، باردة وزلقة. فخلف أشجار النغت، على بعد أقل من مئة خطوة من الشريط الأخضر النضر لحشائش ضفة النهر، شمع على البراح جدار غابة عمودي أسود مخيف.

بروكلون.

على الضفة، على بعد بضع خطوات من مجرى النهر، لاح هيكل عظمي أبيض لحصان. اخترقته نباتات القرّاص والجولان من بين أضلاعه. وارتمت هناك أيضًا عظام أخرى أصغر حجمًا، لا تبدو كعظام الخيل. ارتعد ياسكير وأدار نظره جانبًا.

اندفع الخصي، مصحوبًا ببقبقة وطقطقة، خارجًا من المستنقع المحاذي لضفة النهر، فانبعثت من الطين الخشن رائحة كريهة. توقفت الضفادع عن حفلها الموسيقي لحظة. ساد الصمت. أغمض ياسكير عينيه. لم يعد يتلو شيئًا، ولم يعد يرتجل. تبخّر الإلهام والخيال متلاشيين في مكان بعيد مجهول. لم يبقَ سوى الخوف البارد الشنيع، وشعور قوي لكنه مجرد تمامًا من البواعث الإبداعية.

حرّك بيجاسوس أذنيه المتدليتين، ومشى متثاقلاً ودون حماسة نحو غابة الحوريات التي يسميها كثير من الناس غابة الموت.

فكّر الشاعر: لقد عبرت الحدود، والآن ستحسم الأمور كلها. عندما كنت لا أزال عند النهر وفي مائه، كان من الممكن أن يكونوا أريحيين. لكنَّ الأمر الآن لم يعد كذلك. الآن أنا متطفل، مثل ذاك الذي جاء قبلي... قد لا يبقى مني أيضًا

سوى الهيكل العظمي... ليكون تحذيرًا للقادمين الآخرين... إذا كانت حوريات الغاب هنا... وإذا كنَّ يراقبنني...

تذكّر مسابقات الرماية من القسي التي شهدتها، ومنافسات الأسواق الموسمية وعروض التباهي برمي السهام، والدرايا المصنوعة من القش والدمى الممزقة والمحشوة برؤوس السهام. ماذا يشعر الإنسان الذي يُصاب بسهم؟ بضربة؟ بألم؟ أم ربما... لا يشعر بشيء؟

لم تكن حوريات الغاب في الجوار، أو لم يقررنَ بعد ما سيفعلنَ بخصوص الخيال المنفرد، فالشاعر وصل إلى حافة الغابة، وقد جمدت أحاسيسه من الرعب، لكنه حيٌّ وسالم وبصحة جيدة. إن مصيدة الجذوع التي اقتلعتها الرياح، والمغطاة بالشجيرات والجذور والأغصان، حالت دون الوصول إلى الأشجار، لكنَّ ياسكير لم يكن ينوي، على أي حال، بلوغ الحافة ذاتها، ولا حتى التوغل في الغابة. كان يمكنه أن يرغم نفسه على المخاطرة، لكنَّ ليس على الانتحار.

ترجّل ببطء، ثم عقلَ الرسنَ بجذر بارز إلى الأعلى. لم يكن يفعل هذا عادةً، فليس من عادة بيجاسوس أن يبتعد عن صاحبه. لكنَّ ياسكير لم يكن واثقًا من ردة فعل الحصان عند سماع صفير السهام وهديرها. وإلى الآن لم يعرض نفسه ولا بيجاسوس لهذا النوع من الأصوات.

نزع من قربوس السرج عودَه الفريدَ من نوعه ذا الرقبة الرفيعة، وهو آلة موسيقية من أفخر الأنواع. فكر وهو يلمس الخشب المرصّع: هدية من إلفية. قد يحدث أن تعود إلى الشعب الأقدم... إلا إذا تركتها حوريات الغاب بجانب جثتي...

ارتمت غير بعيد منه شجرة عتيقة، أسقطتها الرياح العاتية. قعد الشاعر على أحد الجذوع، وأسند العود إلى ركبته، لعق شفّتيه، ومسح كفيه المتعرقتين بسرواله.

مالت الشمس مقتربةً نحو الغرب. وتصاعد الرذاذ من الشريط، مغطيًا المروج بكفنٍ أبيض رمادي. ازداد الجو برودة، وسُمِعَ زعيق طيور الكركي واختفى، ولم يتبقَّ سوى عزف الضفادع.

ضرب الشاعر على أوتار العود مرة، ثم مرة ثانية، وبعدها ثالثة. ضبط المفاتيح، ودَوَّزن آله، ثم بدأ العزف، وبعد قليل الغناء.

Yviss, m'evolienn vente ca'elm en tell

Elaine Ettariel

Aep cor me lode deith ess'viell

Yn blath que me darienn

Aen minne vain tegen a me

Yn toin av muirea'nn que dis eveigh e aep llea...

اختفتِ الشمس خلف الغابة. وفي ظل الأشجار الضخمة في بروكلون، حلَّ
الظلام على الفور.

L'eassan Lamm feainne renn, ess'ell,

Elaine Ettariel,

Aep cor...

لم يسمع شيئاً. شعر بحضور أحد ما.

– *N'te mire daetre. Sh'aente vort.*

همس مطيعاً دون أن يلتفت: «لا تطلقِي السهامN'aen aespar a me
قد جئتُ مسالماً...».

– *N'ess a tearth. Sh'aente.*

استجاب، مع أن أصابعه جمدت وخدرت على الأوتار، وصار غناؤه يخرج من حنجرتِه بمشقة. لكنَّ صوت حورية الغاب لم يكن فيه شيء من العداء، أما هو، فتبًّا، كان محترفاً.

L'eassan Lamm feainne renn, ess'ell,

Elaine Ettariel,

Aep cor aen tedd teviel e gwen

Yn blath que me darienn

Ess yn e evellien a me

Que shaent te ca'elm a'vean minne me striscea...

هذه المرة، سمح لنفسه بإلقاء نظرة سريعة خلفه. كان الشيء الجاثم قريباً جداً، عند جذع الشجرة، يشبه شجيرة التفّ عليها اللبلاب. لكنه لم يكن شجيرة. فالشجيرات ليست لها عيانان كبيرتان لامعتان.

شجر بيجاسوس بصوت خافت، أما ياسكير، فعلم أن أحداً ما، خلفه في الظلام، كان يمسح على منخري حصانه.

طلبت مجدداً تلك الجاثمة خلفه: «*Sh'aente vort*».

كان صوتها يشبه حفيف الأوراق التي يضربها المطر.

بدأ: «أنا... أنا صديق الويتشر جيرالت... أعلم أن جيرالت... أن جوينبليد موجود بينكم في بروكلون. لقد جئتُ...».

– *N'te dice'en. Sh'aente, va.*

طلبت حورية الغاب الثانية بوداعة، وقد كانت من خلفه، وكاد صوتها يتزامن مع صوت الثالثة. وربما الرابعة. لم يكن متأكداً: «*Sh'aent*»

بصوت صبية صاف، قالت تلك التي خُيِّلَ إلى الشاعر قبل لحظات أنها
شجيرة قضبان تنمو على بعد بضع خطوات أمامه: «Yea, sh'aente,
taedh. Ess'laine... Taedh ... أنت غنٌ... مرةً أخرى عن إيتاريل... نعم؟».

أطاعهنَّ.

حبكِ هو غاية حياتي

أيتها الفاتنة إيتاريل

فاسمحي لي بحفظ كنز الذكريات

والزهرة السحرية

رهان حبكِ وعلامته

بقطرات الندى كأنها دموع فضية...

هذه المرة سمع خطوات.

- ياسكير.

- جيرالت!

- نعم، أنا. يمكنكِ الكفُّ عن إثارة الضجيج الآن.



- كيف اهتديتِ إليّ؟ ممن علمتَ أنني في بروكلون؟

- من تريس ميريجولد... اللعنة...

تعثر ياسكير مرة أخرى وكاد يقع، لكنَّ حورية الغاب التي كانت تسير
بجانبه أمسكت به بحركة بارعة وقوية على نحو مذهل، مع أنها صغيرة
الجسم.

حذَّرتُ بصوت صاف: Va ca'elm Gar'ean, ta'edh

- شكرًا. الظلام هنا حالك... جيرالت؟ أين أنت؟

- هنا. لا تبقي في الخلف.

سرَّع ياسكير خطاه، فتعثَّر مجدِّداً وكاد يقع على الويتشر الذي توقف أمامه وسط الظلام. تجاوزتهما حوريات الغاب دونما صوت.

- يا له من ظلام جهنمي... هل ما زال المكان بعيداً؟

- ليس بعيداً. سنكون في المعسكر بعد قليل. مَنْ غير تريس يعلم أنني أختبئ هنا؟ هل أخبرت أحداً؟

- كان عليّ أن أخبر الملك فينزلاف. كنتُ في حاجة إلى إذن للمرور من بروجي. الأمور هذه الأيام سيئة إلى درجة الإحباط... وكان لا بدّ لي من أحصل على موافقة للسفر إلى بروكلون. لكنّ فينزلاف يعرفك ويحبك... لقد عيَّنني، تخيّل، مبعوثاً. أنا على يقين من أنه سيحافظ على السر، لقد طلبتُ منه ذلك. لا تغضبْ يا جيرالت...

اقتربَ الويتشر أكثر. لم يرَ ياسكير تعابير وجهه، رأى فقط شعره الأبيض ولحيته التي يمكن أن تلاحظ حتى في الظلام، ولم تُحلق منذ أيام كثيرة. أحسَّ بكف على كتفه، وخيّل إليه أن صوته الذي كان بارداً حتى هذه اللحظة قد تغيّر قليلاً: «أنا لا أشعر بالغضب. سررتُ لأنك جئت، يا بن العاهرة».



ارتجف ياسكير وهو يقصف الأغصان التي جلسا عليها: «الجو بارد هنا. يمكن أن نشعل...».

تمتم الويتشر: «لا تحاول حتى التفكير في ذلك. هل نسيتَ أين أنت؟». أجال التروبادور النظر متوجساً: «هنا إلى هذه الدرجة... النار ممنوعة مطلقاً، أليس كذلك؟».

- الأشجار تكره النار. وهنَّ كذلك.

- تبّاً لدم الكلاب. سنجلس في البرد؟ وفي هذا الظلام اللعين؟ لا أستطيع حتى رؤية أصابعي عندما أمد يدي.

- إذن، لا تمدّها.

تنهّد ياسكير، انحنى وفرك مرفقيه. سمع الويتشر الجالس بجانبه يكسر العيدان الرقيقة بين أصابعه.

فجأة، شُع في الظلام ضوء أخضر، في البداية كان يظهر خافتًا وغير واضح، لكنه يزداد سطوعًا بسرعة. بعده، لمعت في أماكن عدّة أضواء أخرى، متحركة وراقصة كالْحُبَّاحب أو كالوهج المستنقي فوق المستنقع. انتعشت الغابة فجأة باهتزاز الظلال، وبدأ ياسكير يرى أطياف حوريات الغاب اللاتي أحطنَ بهما. اقتربت إحداهنّ، وضعتُ أمامهما شيئًا بدا كأنه كرة ملتهبة من النبات. مد الشاعر يده بحذر وأدنى كفه. كان الجمر الأخضر باردًا تمامًا.

- جيرالت، ما هذا؟

- خشب متعفنّ وأحد أنواع الحزازيات. لا ينمو إلا هنا في بروكلون. ولا يعلم أحد غيرهم كيف يُضفُّرون كل هذا معًا ليضيء. شكرًا لك، يا فاوف.

لم تجبُ حورية الغاب، لكنها لم تنصرف. جثت بجانبهما. كانت جبهتها مطوّقة بإكليل زهور، وشعرها الطويل يتدلى على كتفها. بدا شعرها في الضوء أخضر، وربما كان كذلك حقًا. كان ياسكير يعلم أن شعر حوريات الغاب يمكن أن يكون له أغرب الألوان.

قالت بصوت موسيقي، رافعةً نحو التروبادور عينيها اللامعتين في وجهها الصغير المقسوم على نحو مائل بخطين داكنين من طلاء التمويه:

Taeth. Ess've vort shaente aen Ettariel? Shaente a'vean

?vort

أجاب بتأدب، مختارًا كلمات من لغة القدماء بعناية: «لا... ربما لاحقًا». تنهدت حورية الغاب، وانحنت، ثم مسحّت على رقبة العود الملقى بجانبه، ووقفتُ بمرونة. نظر ياسكير إليها حين انصرفتُ ماضيةً إلى الغابة، نحو الآخرين الذين كانت ظلالهم تلوح متمائلة في الوميض الشاحب للفوانيس الخضراء الصغيرة.

سأل بصوت خافت: «أظن أنني لم أهنأ، أليس كذلك؟ إنهنّ يتكلمن بلهجتهم الخاصة. أنا لا أعرف أساليب كلامهم اللبقة...».

- تفحص نفسك إذا ما كانت سكين في بطنك (لم تكن في صوت الويتشر سخرية أو دعاة). إن حوريات الغاب يردن على الإهانة بطعنة سكين في البطن. لا تقلق، يا ياسكير. يبدو أنهم مستعدون ليغفروا لك ما هو أكثر بكثير من الهنات اللغوية. الحفل الغنائي الذي قدمته عند حدود الغابة قد راق لهم على ما يبدو. الآن أنت *ard ta'edh*، الشاعر الغنائي العظيم. إنهم ينتظرون الجزء التالي من «زهرة إيتاريل». هل تعرف الجزء التالي؟ فهو ليس أغنيتك البالادا.

- الترجمة لي. وقد أغنيته أيضاً بعض الشيء بالموسيقى الإلفية، أما لاحظت ذلك؟

- لا.

- هكذا توقعت. من حسن الحظ أن حوريات الغاب لديهن ذوق فني أفضل. قرأت مرة أنهم يتمتعون بحس موسيقي غير عادي. لهذا وضعت خطتي الفطنة التي، للمناسبة، لم تمتدحني عليها بعد.

قال الويتشر بعد لحظة صمت: «أمتدحك. كانت فطنة فعلاً. وقد حالفك الحظ أيضاً، كالعادة. إن قسيهن تضرب فتصيب الهدف من بُعد مثني خطوة. عادة لا ينتظرن حتى يصل الشخص إلى ضفتهم من النهر ويبدأ بالغناء. إنهم حساسات جداً إزاء الروائح الكريهة. وعندما يحمل تيار الشريط الجثة بعيداً، لن تنتن عند الغابة».

تنحني الشاعر وابتلع ريقه: «وما لنا وهذا. أهم شيء أنني نجحت، وأنني وجدتكَ. جيرالت، كيف أنت هنا...».

- هل لديك مَوْسَى حلاقة؟

- ها؟ طبعاً، لدي.

- ستعيرني إياها في الصباح. هذه اللحية ستجعلني أفقد صوابي.

- حوريات الغاب ليس لديهن... هممم... نعم، هذا صحيح، لا حاجة إليهن إلى أمواس الحلاقة في الأساس. سأعيرك إياها طبعاً.

- جيرالت؟

- ماذا؟

- ليس لديّ ما أكله. هل *ard ta'edh*، الشاعر الغنائي العظيم، يمكنه أن يحصل على عشاء في ضيافة حوريات الغاب؟
- إنهنّ لا يتناولن العشاء. أبداً. وحارسات حدود بروكلون لا يتناولن وجبة الفطور. سيتعيّن عليك أن تصبر حتى الظهيرة. أنا اعتدت ذلك.
- لكنّ عندما نصل إلى عاصمتهنّ، إلى ذلك المكان المشهور، المخفي في قلب الغابة دوين كانيل...
- لن نصلَ إلى هناك أبداً، يا ياسكير.
- كيف ذلك؟ ظننتُ أن... فأنت... إنهنّ قد قدّمن لك الملجأ، إنهنّ يقبلن بك...
- لقد استخدمتَ الكلمة الصحيحة.
- صمتاً طويلاً.
- وأخيراً قال الشاعر: «الحرب. الحرب، والكراهية، والهوان. في كل مكان. في كل القلوب».
- أنت تُشعرُ شعراً.
- ولكنّ الأمر هكذا فعلاً.
- هكذا بالضبط. حسناً، قل بماذا جئتَ. هاتِ احكِ ماذا حدث في العالم فيما كنت هنا أتلقي العلاج.
- تنحنح ياسكير بصوت خافت: «أولاً، احكِ أنت ماذا حصل حقاً في جارستانج».
- ألم تخبركَ تريس؟
- أخبرتني. لكنني أودُّ الاطلاع على روايتك.
- إذا كنت تعرف رواية تريس، فإنك تعرف الرواية الأدقّ، وعلى الأرجح الرواية الوثقى. حدّثني بما حدث لاحقاً، بعد وصولي إلى بروكلون.
- همس ياسكير: «جيرالت. أنا حقاً لا أعلم ماذا حدث لينيفر وسيري... لا أحد يعلم ذلك. وتريس أيضاً...».
- تحرك الويتشر بسرعة، وأحدثت الأغصان هزيراً.

قال بصوت متغير: «وهل أنا سألتك عن سيرى أو ينيفر؟ حدثني عن الحرب».

- لا تعرف شيئاً؟ ألم تصل إليك أي أخبار؟

- وصلت إليّ. لكنني أريد سماع كل شيء منك. تفضل، قلّ.

بدأ الشاعر بعد لحظة صمت: «هاجم النيلفجارديون ليريا وأيديرن، دون إعلان الحرب. كان السبب، كما زعم، هجوم قوات ديمافيند على حصن حدودي في دول أنجرا، وقد وقع خلال اجتماع السحرة في ثانيد. قيل إنه كان استفزازاً. وإن النيلفجارديين كانوا متنكرين بهيئة جنود ديمافيند. وكيف كانت حقيقة الأمر، فعلى ما يبدو لن نعلمها أبداً. على أي حال، كان رد فعل نيلفجاردي فوراً ومرکزاً: عبّر الحدود جيش ضخم لا بدّ أنه كان متمركزاً في دول أنجرا منذ أسابيع، إن لم يكن منذ شهور».

استولى الجيش على سبالا وسكالا، الحصنين الحدوديين في ليريا، بمسير خلال ثلاثة أيام فقط.

كانت ريفيا مستعدة لحصار تصمد فيه شهوراً عدّة، لكنها استسلمت بعد يومين بسبب ضغوط النقابات والتجار الذين وُعدوا بأن المدينة لن تُنهب إذا فتحت أبوابها ودفعت الفدية...

- هل وفوا بالعهد؟

- نعم.

تغيّر قليلاً صوت الويتشر من جديد: «مثير للاهتمام. الوفاء بالوعود في هذه الأيام؟ لا أتحدث عن أن الناس قديماً ما كانوا يفكرون حتى في تقديم مثل هذه الوعود، لأن أحداً لم يكن يتوقعها. كان الحرفيون والتجار لا يفتحون بوابات الحصون، بل يحمونها، كل نقابة تحمي برجها أو روشنها».

- المال لا وطن له، يا جيرالت. الأمر سواء للتجار، تحت أي حكم يكسبون المال. والأمر سواء للوالي النيلفجاردي ممن يُحصّل الضرائب. التجار الموتى لا يكسبون المال ولا يدفعون الضرائب.

- أكمل.

- بعد استسلام ريفيا، سار جيش نيلفجارد إلى الشمال بسرعة غير مسبوقة، دون أن يواجه مقاومة تذكر. انسحبت جيوش ديمافيند وميفي، غير قادرة على تشكيل جبهة لخوض معركة حاسمة. وصل النيلفجارديون إلى ألدربيرج. ولتجنب حصار الحصن، قرر ديمافيند وميفي خوض المعركة. لم يكن موقع جيشهما في أفضل حال... تبأ لدم الكلاب، لو كان الضوء أكثر لرسمت لك...
- لا ترسم. واختصر. من الذي انتصر؟



شَقَّ أحدُ الكتبة، لاهئًا ومتعرقًا، طريقه خلال مجموعة تحيط بالمنضدة: «هل سمعتم، يا سيدي؟ لقد وصل مراسل من الميدان! انتصرونا! ربحتنا المعركة! النصر! لنا، هذا اليوم لنا! دحرنا العدو، دحرناه تمامًا!».

عبس إيفرتسين: «اخفض صوتك. رأسي سينفجر من صراخكم هذا. نعم، لقد سمعتُ، سمعتُ. دحرنا العدو. اليوم لنا، الميدان لنا، والنصر أيضًا لنا. يا له من خبر شديد الإثارة لي».

صمت مأمورو التنفيذ والكتبة وراحوا يحدقون بدهشة إلى رئيسهم.

- ألا تفرحون، سيدي المدبر؟

- أفرح، لكنني أستطيع أن أفعل ذلك بهدوء.

صمَّتْ الكتبةُ، وراحوا يتبادلون النظرات. فكر إيفرتسين: إنهم جِراء. صبيان متهيجون. هو في النهاية لا يستغرب تصرفاتهم، لكن هناك، على التلِّ حتى مينو كويهورن وإيلان تراهي، بل حتى الجنرال شائب اللحية، برايبانت، يصرخون ويتراقصون فرحًا، ويربَّت كل منهم ظهرَ الآخر مُهنئين. النصر! هذا اليوم لنا! ولمن غيرنا كان سيكون؟ تمكنت مملكتنا أيديرن وليريا من حشد ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف جندي مشاة، خمس هذه القوات عُزِلَتْ في الأيام الأولى من الغزو، وحوصرت في الحصون والقلاع. كان عليهم سحب جزء من الجيش لحماية الأجنحة التي كانت تحت تهديد الغارات البعيدة لمجموعات الفرسان الخفيفة، وضربات وحدات سكويانتيل التخريبية. أما الخمسة أو الستة آلاف جندي الباقين، ومنهم ألف ومئتا فارس لا أكثر، فقد

خاضوا المعركة في ميادين قرب ألدرسبيرج. أرسل كويهورن عليهم جيشًا من ثلاثة عشر ألف جندي، من ضمنهم عشر سرايا من الفرسان المدرَّعين، نخبة فرسان نيلفجارد. والآن هو سعيد، يُزَعِّق، ويضرب فخذَه بالهراوة وينادي طالبًا الجعة... النصر! يا لها من خبر شديد الإثارة لي.

بحركة سريعة لملم الخرائط والمدونات المتكدسة على المنضدة، ورفع رأسه، ثم تَلَفَّت ناظرًا حوله.

قال للكتبة بحدة: «أنصتوا جيدًا. سأصدر بعض التكاليفات».

جمد مرؤوسوه منتظرين.

بدأ: «كل واحد منكم استمع لخطاب الأمس الذي ألقاه المشير كويهورن أمام صف الضباط والضباط. لذا ألفت انتباهكم إلى أن ما قاله المشير للعسكريين لا يخصكم. لديكم مهمات وأوامر أخرى لتنفذوها. هي أوامري». فكر إيفرتسين، وحكَّ جبينه.

الحرب على القلاع، والسلم للأكواخ، هذا ما قاله كويهورن للقادة أمس. وأضاف مباشرة: تعرفون مثل هذا المبدأ، فقد تعلمتموه في الأكاديمية العسكرية. هذا المبدأ كان ملزمًا حتى اليوم، وعليكم نسيانه ابتداءً من الغد. من يوم غد، سيكون ملزمًا مبدأً آخر، وسيكون الآن شعار الحرب التي نشنها. هذا الشعار وأمرى هما: الحرب على كل شيء حي. الحرب على كل شيء يمكن أن تحرقه النار. عليكم ترك الأرض محروقة خلفكم. من الغد، سننقل الحرب إلى ما خلف الخطوط، التي سننسحب خلفها بعد توقيع المعاهدة. سننسحب، لكن هناك، خلف الخطوط، يجب أن تبقى الأرض محروقة. مملكتا ريفيا وأيديرن يجب أن تتحولا إلى رماد! تذكروا سودن! اليوم جاء وقت الرد! تنحني إيفرتسين بصوت عالٍ.

قال للكتبة الصامتتين: «قبل أن يترك الجنود الأرض محروقة خلفهم، فستكون مهمتكم استخراج كل ما يمكن استخراجه، وما يمكن أن يزيد من ثروة وطننا، من هذه الأرض وهذا البلد. أنت، أوديجاست، ستتولى شحن ونقل المحاصيل الزراعية التي جُمِعَتْ وَخُزِّنَتْ. ما تبقى في الحقول، والذي لن يخبره فرسان كويهورن الشجعان، يجب أن يُجمع».

- ليس لديّ الكثير من الرجال، سيدي مأمور التنفيذ...

- سيكون الكثير من العبيد. سترغمهم على العمل.

- ماردر، وأنت... نسيت اسمك...

- هيلفيت. إيفان هيلفيت، سيدي مأمور التنفيذ.

- ستوليان أمر الماشية، تجميعها في قطعان وسوقها إلى النقاط

المحددة للحجر الصحي. احذرا من الحمى القلاعية والأمراض المعدية

الأخرى. الحيوانات المريضة أو المشكوك فيها تُقتل، والجيف تُحرق.

والبقية تُساق إلى الجنوب خلال الطرق المحددة.

- أمركم مطاع.

فكّر إيفرتسين متفحصًا بنظره مرؤوسيه: الآن المهمات الخاصة... إلى

من أعهد بها؟ جميعهم فتية صغار، لا يزال الحليب تحت أنوفهم، لمّا يروا

الكثير ولم يجربوا شيئاً... إيه، كم أفتقد أولئك المأمورين القدامى، ذوي

الخبرة... الحروب، الحروب، الحروب دون انقطاع... الجنود يموتون بأعداد

كبيرة وفي أغلب الأوقات، لكنّ مأموري التنفيذ، مع مراعاة نسبة عددهم،

يموتون أقل بقليل. لكنك لا تلاحظ الخسارة في صفوف الجند، فدائماً ما

يأتي محاربون جدد، لأن الجميع يريد أن يكون جندياً. ومن يريد أن يكون

مأمور تنفيذ أو كاتباً؟ من يريد أن يُحدّث أبنائه، الذين سيسألونه بعد عودته

إلى البيت عن أفعاله في الحرب، بأنه قدّر وزن الحبوب بالكيل، وعد الجلود

المنتنة، ووزن الشمع، وكيف قاد قافلة العربات المحملة بالغنائم، على الطرق

الوعرة المغطاة بروث الثيران، وكيف كان يحث القطعان لتسرع وهي تجأر

وتنغو، مبتلعاً الغبار والروائح الكريهة والذباب...

المهام الخاصة. مصنع الصهر في جوليت بأفرانه الكبيرة. أفران

تنقية الحديد، وفرن صهر الكالامين، وورشة حدادة كبيرة في إيسنلان،

بإنتاج سنوي قدره خمسمئة قنطار. مشاغل القصدير ومعامل الصوف في

ألدربيرج. مطاحن الحبوب النابتة، معامل تقطير الكحول، مصانع النسيج

والصبغة في فينجيربرج...

تُفَكِّك وتُنْقَل. هكذا أمر القيصر إِمهير، اللهب الأبيض الراقص على جثوات
الأعداء. كلمتان. تُفَكِّك وتُنْقَل، يا إيفرتسين.
الأمر هو الأمر. ويجب أن ينفَّذ.

ويبقى الأهم. مناجم السباك واستخراجها. العملة المعدنية. الجواهر.
الأعمال الفنية. لكني سأهتم بذلك أنا نفسي. شخصيًا.

بجانب أعمدة الدخان السود، التي تبدو واضحة في الأفق، تصاعدت أعمدة
أخرى. وتلتها أخرى. كان الجيش يُدْخِل أوامر كويهورن حيَّز التنفيذ. أخذت
مملكة أيديرن تتحول إلى بلاد الحرائق.

في الطريق، مضتْ قافلة طويلة من آلات الحصار سائرة تصحبها قرقرة
ودوائر غبار تتصاعد. إلى ألدرسبيرج التي لا تزال تدافع عن نفسها. وإلى
فينجربيرج، عاصمة الملك ديمافيند.

كان بيتر إيفرتسين ينظر ويعدُّ. كان يحسب. ويعيد الحساب. كان بيتر
إيفرتسين مأمور التنفيذ الكبير في الإمبراطورية، وأول محصل مالي للجيش
في زمن الحرب. شغل هذا المنصب خمسةً وعشرين عامًا وكانت الأرقام
والحسابات كل حياته.

المنجنيق يكلف خمسمئة فلورين، والمقذاف مئتين، والقذائف على الأقل
مئة وخمسين، وأبسط عرَّادة ثمانين فلورين. والطاقم المدرب يحصل على
تسعة فلورينات ونصف أجرًا شهريًا. كانت القافلة التي تتجه نحو فينجربيرج
تساوي، إذا حسبنا الخيول والثيران والمُعَدَّات الصغيرة، ثلاثمئة جريفة، على
أقل تقدير. ومن الجريفة، أو ما يعرف بالمارك المسبوك من معدن ثمين
ويزن نصفَ رطل، تُسَكُّ ستون قطعة فلورين. إن الإنتاج السنوي لمنجم كبير
يبلغ خمسةً أو ستةً آلاف جريفة...

سبقتْ قوات الفرسان الخفيفة قافلة الحصار. من العلامات الموضوعة
على الرايات، تعرَّف إيفرتسين كتيبة الأمير فينبورج التكتيكية، وهي إحدى
الكتائب التي نقلتْ من سينترا. فكَر: نعم، لدى هؤلاء أسباب للفرح. كُسِبَتِ
المعركة، وجيش أيديرن في حالة انهيار. الوحدات الاحتياطية لن تُزَجَّ في
القتال الشاق ضد الجيش النظامي. سلاحقون المنسحبين، ويدحرون
المجموعات المشتتة التي فقدتْ قاداتها، سيقتلون، وينهبون، ويحرقون. إنهم

فرحون، فمن المتوقع أن الحرب ستكون مائة وخفيفة الظل. ولن تكون مرهقة. ولا تقتل.

كان إيفرتسين يحسب.

الكتيبة التكتيكية تضم عشر سرايا عادية، وعددها ألفا فارس. مع أن الفينبورجيين لن يدخلوا على الأرجح في أي معركة كبيرة أخرى، وسيسقط في المعارك الصغيرة ليس أقل من سدس قوامهم. ثم تأتي المعسكرات، واستراحات التخيم، والطعام الفاسد، والقذارة، والقمل، والبعوض، والماء الملوث. ثم، كالعادة، يأتي ما لا مفر منه: التيفوئيد، والزحار، والملاريا، التي ستقتل ربع العدد على الأقل. إضافة إلى ذلك، يجب احتساب الأحداث غير المتوقعة، والتي عادة ما تشكل خمس القوام. سيعود إلى الوطن ثمانمئة. فقط. لا أكثر. وربما أقل.

مرّت سرايا أخرى من الطريق، بعد قوات الفرسان ظهرت فيالق المشاة. سار رماة السهام المرتدين سترات صفراء وخوذ مستديرة، ورماة الأقواس المستعرضة وخوذهم المسطحة، والجنود المسلحون بالتروس والرماح الطويلة. وخلفهم حملة التروس، والمحاربون القدامى المتدرون كالسرطانات من فيكوفارو وإيتوليا، وتلاههم خليط متنوع من جنود مأجورين من ميتينا، ومرتزقة من ثورن ومايخت وجيسو وإيبينج...

سارت الوحدات العسكرية بنشاط وحيوية، رغم الحرارة اللاهبة. تصاعد الغبار المتطاير من أحذية الجنود فوق الطريق. دقت الطبول، ورفرفت الرايات، وتمايلت لامعة أسنة الرماح والقني الحراب والمطارد. كان مسير الجنود مفعماً بالنشاط والسرور. مسير جيش منتصر. جيش لا يُهزم. هيا أيها الرجال، إلى الأمام، إلى ساح القتال! إلى فينجريرج! للقضاء على العدو، للانتقام من سودن! استمتعوا بخدمتكم العسكرية، املأوا محافظكم بالغنائم، وعودوا إلى الوطن، إلى الوطن!

كان إيفرتسين يشاهد. ويحسب.

أكمل ياسكير: «سقطت فينجر بيرج بعد أسبوع من الحصار. سيدهشك أن النقباب هناك دافعت ببسالة حتى النهاية عن الأبراج وأجزاء السور المخصصة لها. لذا ذُبِحَ الطاقم المدافع بأكمله وكذلك سكان المدينة، بما يقارب ستة آلاف شخص. وعند سماع هذه الأنباء، بدأت موجة هروب كبيرة. بدأت الأفواج العسكرية المدمرة والمدنيون في الفرار الجماعي نحو تيميريا وريدانيا. وتدفقت جموع الهاربين خلال وادي بونتار وشعاب ماهاكام. لكن، لم ينجح الجميع في الهروب. فسرايا الفرسان النيلفجارديين المغيرة لاحقتهم، وقطعت طريق الهروب... هل تعرف سبب ذلك؟».

- لا أعلم. لا معرفة لي بـ... بأمور الحرب، يا ياسكير.

- كان الأمر يتعلق بالأسرى. بالعبيد. كانوا يريدون أسرَ أكبر عدد ممكن من الناس. وهذا ما يعني أرخص يد عاملة لنيليفجار. لذا كانوا يلاحقون الهاربين بمثل هذا الإصرار. لقد كانت مطاردة ضخمة للبشر، يا جيرالت. مطاردة سهلة. لأن الجيش هرب، ولم يدافع عن الهاربين من الناس أحد.

- لا أحد؟

- لا أحد، على وجه التقريب.



قال فيليس بصوت أجش، متلفتًا من حوله: «لن يسعفنا الوقت... لن نتمكن من الهرب... تبًا لدم الكلاب، الحدود أصبحت قريبة... قريبة جدًا...».

وقفت رايلا على الركابين، ونظرت إلى الطريق المتعرجة وسط التلال المغطاة بغابات الصنوبر. كان الدرب، على مد النظر، مليئًا بالمتعلقات المتروكة، وجثث الخيول، والعربات والمركبات المنزاحة على الجانبين. خلفهم، من وراء الغابات، ارتفعت أعمدة دخان سوداء في السماء. وكان الصخب وأصوات القتال المتصاعدة تقترب أكثر فأكثر.

مسح فيليس وجهه من السخام والعرق: «إنهم يقضون على مؤخرة الجيش... هل تسمعين، يا رايلا؟ لقد لحقوا بالمؤخرة وها هم يجتثونهم اجتثاثًا! لن يسعفنا الوقت!«.

قالت المرأة المرتزقة بجفاف: «الآن نحن مؤخرة الجيش. الآن دورنا».

شحب وجه فيليس، تنهد أحد الجنود المستمعين بصوت عالٍ. شدت رايلا اللجام وأدارت رأس الحصان المرفوع بصعوبة، وهو يشخر بمشقة.

قالت بهدوء: «لن نفلح في الهروب على أي حال».

- الخيول ستتساقط قريبًا. سيلحقون بنا قبل أن نصل إلى الممر الجبلي، ويذبحوننا.

قال فيليس دون أن ينظر إليها: «لنلق كل شيء ونختبئ في الغابات. كل واحد بمفرده خلف الآخر. ربما نفلح... وننجو».

لم تجب رايلا، وأشارت بناظريها وبحركة من رأسها إلى الممر الجبلي، وإلى الدرب، وإلى الصفوف الأخيرة من الطوابير الطويلة للهاربين الذين كانوا يسيرون نحو الحدود. فهم فيليس. راح يلعن بفضاعة. قفز من سرجه، تمايل قليلًا، ثم استند إلى سيفه.

صرخ بصوت أجش على الجنود: «ترجلوا! سدوا الطريق بما يمكن! لماذا تبذلون؟ أمك تلك مرة ومرة أخرى تموت! نحن جيش! نحن مؤخرة الجيش! علينا إيقاف المطاردة، تأخيرها...».

سكت.

أكملت رايلا نازلة من حصانها أيضًا: «إذا أخرنا المطاردة، سيتمكن الناس من القدوم إلى تيميريا، إلى ذلك الجانب من الجبال. يوجد نساء وأطفال هناك. لماذا تفنجرون أعينكم هكذا؟ هذا هو عملنا. نحن نحصل على أجر لقاء ذلك، هل نسيتم؟».

نظر الجنود بعضهم إلى بعض. ظنت رايلا خلال وهلة أنهم سيفلتون، وأنهم سيحثون خيولهم المبتلة والمنهكة على بذل جهد أخير مستحيل، وأنهم سيلحقون بقافلة الفارين نحو الممر الجبلي الذي سيكون طوق النجاة لهم. وقد أخطأت. وأساءت تقديرهم.

قلبوا عربة على الطريق. بنوا بسرعة حاجزًا مؤقتًا. منخفضًا. غير كافٍ بتاتًا.

لم ينتظروا طويلاً. دخل الأخدود حصانان، يشخران ويتعثران، ويتطاير
منهما الزبد. واحد منهما فقط كان يحمل خيلاً.

- بليز!

انزلق المرتزق من سرجه إلى أذرع الجنود: «استعدوا... استعدوا، اللعنة...
إنهم خلفي تمامًا...».

شخر الحصان، خطأ جانباً بضع خطوات متراقصة، ثم سقط على مؤخرته،
وتهاوى على جانبه بثقل، وأخذ يرفس، ثم مد رقبته، وصهل صهيلاً طويلاً.
قال بليز بصوت أجش، وهو يحرف نظره جانباً: «رايلا... أعطوني...
أعطوني شيئاً. لقد فقدتُ سيفي...».

أشارت المحاربة بحركة من رأسها إلى فأس مسندة إلى العربة المقلوبة،
ناظرة إلى دخان الحرائق المتصاعد في السماء. تناول بليز السلاح، وتمايل.
كانت ساق سرواله اليسرى غارقة بالدم.

- ماذا عن الآخرين، يا بليز؟

تأوّه المرتزق: «ذبّحوهم. جميعهم. الوَحْدَة العسكرية كاملة... يا رايلا،
هذه ليست نيلفجارد... إنها السناجيب... إن الإلفيين هم من لحقوا بنا.
السكويائتيليون في المقدمة يسبقون النيلفجارديين».

أنَّ أحد الجنود أتيناَ مفاجئاً، وجلس آخر على الأرض، مُغَطِّياً وجهه بكفيه.
شتم فيليس شاداً حزام درعه الخفيفة.

صرخت رايلا: «إلى مواقعكم! خلف الحاجز! لن يأخذونا أحياء! أعدكم
بذلك!».

بصق فيليس، ثم نزع بسرعة عن كتفه الشريط الثلاثي الألوان، الأسود-
الذهبي-الأحمر، لشارة القوات الخاصة التابعة للملك ديمافيند، وألقى بها
إلى الأيكة. ابتسمت رايلا ابتسامة معوجة وهي تنظر إلى شارتها الخاصة
وتنظفها.

- لا أعلم أكان هذا سيفيدك، يا فيليس. لا أعلم.

- وعدتني، يا رايلا.

- وعدتُ. وسأُفي بوعدِي. إلى مواقعكم، يا رجال! أمسكوا القسيّ والأقواس المستعرضة!

لم ينتظروا طويلاً.

عندما صدّوا الموجة الأولى، لم يتبقّ منهم سوى ستة. كانت المعركة قصيرة لكنها ضارية. لقد قاتل جنود فينجربيرج النظاميون كالشياطين، بعزيمة لا تقل عن عزيمة المحاربين المأجورين. لم يُردّ أحد منهم أن يقع حيّاً في يد السكويائتيل. فضلوا الموتَ في القتال. وماتوا مخترقين بالسهم، أو مطعونين بالرماح والسيوف. مات بليز وهو مستلق، مطعوناً بالخناجر على يد إلفيئ ارتميا عليه وراحا يسحبانه من الحاجر. لم ينهض أي من الإلفيئ. فقد كان لدى بليز خنجر أيضاً.

لم يترك السكويائيليون لهم فرصة لالتقاط الأنفاس. انقضت عليهم وُحدة مغاوير ثانية. سقط فيليس وقد طُعنَ بالرمح ثلاث مرات. صرخ بكلام غير واضح: «رايلا! لقد وعدت!».

استدارت المرتزقة بسرعة بعدما جندلت إلفياً آخر.

رگزت سنّ سيفها في أسفل عظم القص للشخص المطروح أرضاً، وطعنته بقوة: «وداعاً، فيليس. أراك في الجحيم!».

بعد لحظات، كانت وحدها. أحاط السكويائيليون بها من كل جانب. المحاربة الملوخة بالدماء من رأسها حتى أخمص قدميها، رفعت سيفها ثم أخذت تدور، وهزت جديلتها السوداء. كانت تقف وسط الجثث، مرعبة ومتجهمّة مثل شيطان. تراجع الإلفيون.

صرخت بتوحش: «هيا تعالوا! ماذا تنتظرون؟ لن تأخذوني حية! أنا رايلا السوداء!».

بهدوء، قال الإلفي الوسيم ذو الشعر الأشقر والوجه الملائكي والعينين الزرقاوين الكبيرتين كعيني طفل: «Gla'eddyv vort, beanna».

خرج من خلف السكويائيليين المطوقين المحاربة والذين لا يزالون مترددين. كان حصانه الأبيض كالثلج يشخر، ويهز رأسه بعنف إلى الأسفل وإلى الأعلى، وبنشاط ينبش بحافره رمل الطريق المشبع بالدم.

كرر الخيال: «Gla'eddyv vort, beanna. ألقى سيفك، أيتها المرأة».
ضحكت المرتزقة ضحكة مروعة، ومسحت وجهها بكف كُم قفازها، مزيلة
العرق المختلط بالغبار والدم.
صرخت: «سيفي أثمن بكثير من أن أرميه، يا إلفي! ولكي تتمكن من أخذه،
عليك كسر أصابعي! أنا رايلا السوداء! هيا تعالوا!».
لم تنتظر طويلاً.



سأل الويتشر بعد لحظة مطولة: «ألم يأت أحد لنجدة أيديرن؟ إن التحالفات
على ما بدا كانت قائمة. اتفاقات للمساعدة المتبادلة... معاهدات...».
تنحنح ياسكير: «ريدانيا في حالة من الفوضى بعد وفاة الملك فيزيمير.
هل تعلم أن الملك فيزيمير قُتِلَ؟».
- أعلم.

- تولت الملكة هيدفيج الحكم، ولكنَّ البلاد عمَّتها الفوضى. والإرهاب.
ومطاردة السكوياتيليين وجواسيس نيلفجارد. ديكسترا بلغ جنونه
كل أنحاء البلد، والمقاصل سالت منها بالدماء. لا يزال ديكسترا غير
قادر على المشي. يحملونه على محفة.
- أخمن ذلك. هل كان يلاحقك؟

- لا. كان يمكنه فعل ذلك، لكنه لم يلاحقني. آه، هذا ليس مهمًا. في كل
الأحوال، ريدانيا الغارقة في الفوضى لم تكن قادرةً على حشد جيش
لدعم أيديرن.

- وتيميريا؟ لماذا لم يساند الملك فولتيس التيميري ديمافيند؟
قال ياسكير بصوت خافت: «حالما بدأ العدوان في دول أنجرا أرسل إمهير
فار إمريس بعثة إلى فيزيما...».



قال برونيبور كازًا أسنانه، وهو ينظر إلى الباب المغلق: «إلى الجحيم. ما الذي يتناقشون فيه طوال هذا الوقت؟ لماذا اتضع فولتيسست كليًا أمام التفاوض، لماذا أعطى ذاك الكلب النيلفجاردى جلسة استماع؟ كان يجب أن يُقطع رأسه ويرسل إلى إمهير! وفي كيس!».

غُصَّ الكاهن ويلمير: «بحق الآلهة، أيها الوالي. إنه رسول! الرسول شخص مقدس ولا يجوز المساس به! لا يصح...».

- لا يصح؟ سأقول لكم ما الذي لا يصح! لا يصح أن نقف مكتوفي الأيدي ونشاهد الغازي وهو يدمر البلدان التي نتحالف معها! ليريا قد سقطت، وأيديرن على وشك السقوط! ديمافيند لا يستطيع إيقاف نيلفجارد وحده! يجب أن نرسل فيلق الاستطلاع إلى أيديرن على الفور، يجب أن نخفف عن ديمافيند بضربة على الضفة اليسرى لنهر ياروجا! هناك قوات قليلة، لقد نقلوا معظم السرايا إلى دول أنغرا! ونحن هنا جالسون نتناقش! نثرثر بدلاً من أن نقاتل! وفضلاً عن ذلك، نستضيف مبعوث نيلفجارد!

نَبَّهَ الأمير هيريفارد من إيلاندر المحارب القديم بنظرة باردة: «اصمتوا، أيها الوالي! هذه سياسة. يجب إتقان تصويب النظر أبعد قليلاً من طرف رأس الحصان والرمح. يجب الاستماع إلى الرسول. إن القيصر إمهير لم يرسله إلينا دون سبب!».

شخر برونيبور: «بالتأكيد أنه لم يرسله من دون سبب. إمهير يسحق الآن أيديرن، ويعلم أنه إذا دخلنا حدوده، ومعنا ريدانيا وكايدفين، سندحره وندفعه إلى ما وراء دول أنجرا، إلى إيبينج. إنه يعلم أننا إذا هجمنا على سينترا، طعناه في خاصرته الرخوة وأرغمناه على القتال على جبهتين! وهذا ما يخشاه! لذا يحاول ترهيبنا كي لا نتدخل. وبهذه المهمة، لا غيرها، جاءنا رسول نيلفجارد!».

كرر الأمير: «علينا إذن أن نستمع إلى الرسول. ونتخذ قرارًا يتماشى مع مصالح مملكتنا. لقد تصرف ديمافيند تصرفاً غير متعقل واستفز نيلفجارد، والآن يتحمل العواقب. ولست في عجلة من أمري إطلاقاً لأموت من أجل فنجربيرج. ما يحدث في أيديرن ليس من شأننا».

- ليس من شأننا؟ ماذا بكم، بحق الشياطين، بماذا تهذون؟ هل ترى أن وجود النيلفجارديين في أيديرن وليريا، على الضفة اليمنى ليأروجا، وأن ما يفصل بيننا وبينهم ليس سوى ماهاكام، أمر لا يعنيننا؟ هذا يعني فقدان العقل حتى آخر ذرة منه...

حدّر فيليمير: «كفى، كفّوا عن هذه النزاعات. ولا كلمة أخرى. الملك قادم». انفتح باب القاعة. نهض أعضاء الديوان الملكي، مجرّرين كراسيهم. كان العديد من الكراسي شاغرة. فالقائد العام ومعظم القادة كانوا مع وحداتهم العسكرية في وادي بونتار، وفي ماهاكام، وعلى ضفة ياروجا. ثم إن الكراسي التي يشغلها السحرة عادة كانت فارغة. السحرة... نعم، فكّر الكاهن فيليمير، الأماكن التي كان يشغلها السحرة هنا، في بلاط الملك في فيزيما، ستظل فارغة فترةً طويلةً. من يدري، ربما إلى الأبد.

دخل الملك فولتيسست القاعة بسرعة، ووقف بجانب العرش، لكنه لم يقعد، بل مال مسندًا قبضتيه إلى المنضدة. كان شديد الشحوب.

قال ملك تيميريا بصوت منخفض: «فينجربرج مطوقة وستسقط في أي لحظة. قوات نيلفجاردي تتقدم دون توقف نحو الشمال. القوات المحاصرة لا تزال تقاتل، لكنّ ذلك لن يغير شيئًا. فقدنا أيديرن. لقد هرب الملك ديمافيند إلى ريدانيا. مصير الملكة ميفي مجهول».

ظل المجلس صامتًا.

تابع فولتيسست بصوت منخفض جدًا كمان من قبل: «حدودنا الشرقية، أعني حلق وادي بونتار، سيصل النيلفجارديون إليه بعد بضعة أيام. وحصن هاجي، آخر حصون أيديرن، لن يصمد طويلًا، وهاجي هي حدودنا الشرقية. أما على حدودنا الجنوبية... فقد حدث أمر سيئ جدًا. لقد أقسم الملك إرفيل من فيردين على الولاء للقيصر إمهير. سلّم وفتح الحصون عند مصب ياروجا. في ناستروج، وروزروج وبودروح، التي كانت ستحمي جناحنا، تتمركز الآن الوحدات النيلفجاردية».

ظل المجلس صامتًا.

تابع فولتيسست: «بفضل ذلك احتفظ إرفيل بلقبه الملكي، ولكنَّ سيده الأعلى هو إمهير. فيردن لا تزال رسمياً مملكة، ولكنها عملياً أصبحت مقاطعة نيلفجاردية. هل تفهمون ما يعنيه ذلك؟ لقد انقلبت الأوضاع. حصون فيردن ومصب ياروجا الآن في قبضة نيلفجارد. لا أستطيع عبور النهر. ولا يمكنني إضعاف الجيش المتمركز هناك بتشكيل فيلق يفترض أن يدخل أيديرن ويدعم قوات ديمافيند. لا أستطيع فعل ذلك. تثقل عليَّ مسؤولية بلدي ورعيتي».

ظل المجلس صامتاً.

واصل الملك حديثه: «قدَّم لي القيصر إمهير فار إمريس، إمبراطور نيلفجارد، عرضاً... اتفاقية. قبلت هذا العرض. سأشرح لكم الآن علامَ يقوم هذا الاتفاق. وعندما تسمعونني، ستفهمون... ستقرون بأن... ستقولون...».

ظل المجلس صامتاً.

أكمل فولتيسست: «ستقولون... ستقولون إنني سأجلب لكم السلام».



تمتم الويتشر، وهو يكسر عُويذاً آخر بين أصابعه: «إذن، أخفى فولتيسست ذيله بين رجله. واتفق مع نيلفجارد. وترك أيديرن تحت رحمة القدر...».

أكد الشاعر: «نعم. لكنه أدخل قواته إلى وادي بونتار، واستولى على قلعة هاجي وحصنها. ولم يدخل النيلفجارديون شِخاب ماهاكام، ولم يعبروا ياروجا في سودن، ولم يهاجموا بروجي التي أصبحت محاصرة بعد استسلام إرفيل وإعلانه الولاء. كان هذا دون شك ثمن حياد تيميريا».

همس الويتشر: «كانت سيري محقة. الحياد... الحياد عادة ما يكون حقيراً».

- ماذا؟

- لا شيء. وماذا عن كايدفين، يا ياسكير؟ لماذا لم يساند هينسلت من كايدفين ديمافيند وميفي؟ لقد كان بينهم اتفاق وجمعهما تحالف. وحتى إذا كان هينسلت، حاذياً حذو فولتيسست، يبول على الإماءات والأختام في الوثائق ولا يبالي بكلمة الملك، فهو على ما أظن ليس غيبياً؟ ألا يفهم أنه بعد سقوط أيديرن والاتفاق مع تيميريا، سيكون التالي

في الدور، وأنه الهدف التالي في قائمة نيلفجارد؟ على كايدين أن يدعم ديمافيند من باب الحكمة. لم يعد في العالم إيمان ولا حق، ولكن الحكمة ربما لا تزال موجودة في العالم؟ ماذا يا ياسكير؟ هل الحكمة لا تزال موجودة في العالم؟ أم لم يتبق فيه سوى العهر والهوان؟

أدار ياسكير رأسه. كانت المصابيح الخضر قريبة، تحيطهم بدائرة مغلقة. لم يلاحظ ذلك من قبل، لكنه أدركه الآن. لقد أصغت جميع حوريات الغاب إلى حكاياته.

قال جيرالت: «لذت بالصمت. هذا يعني أن سيرتي كانت محقة. وأن كودرينغر كان محقًا. الجميع كانوا محقين. إلا أنا، الويتشر السانج والمتقدم والأحمق، لم أكن محقًا».



أزاح قائد المئة ديجود، المعروف بلقب نصف المكيال، طرف الخيمة ودخل لاهثًا بمشقة وشاخراً بغضب. هبَّ قادة الضباط العشرة من أماكنهم، واتخذوا أوضاعًا عسكرية وتغيرت ملامحهم. ألقى زيفيك بحركة بارعة معطف فرو على دن فودكا صغير كان موضوعًا بين السروج، قبل أن تتمكن عينا قائد المئة من التكيف مع شبه الظلام. لم يكن الأمر متعلقًا بأن ديجود كان معارضًا شرسًا لشرب الخمر في أثناء الخدمة وفي المعسكر، بل بالأحرى بإنقاذ الدن. لم يأت لقب قائد المئة من فراغ، فقد قالت الأخبار إنه كان في الظروف المواتية، قادرًا على كرع نصف مكيال من الفودكا المكرملة بشراهة وفي وقت يثير الدهشة. كان قائد المئة يعبُّ الكوب العسكري الرسمي، الذي تبلغ سعته ربع مكيال، كأنه ثمن مكيال، مرة واحدة، ونادرًا ما كان يبذل أذنيه في أثناء ذلك.

سأل بوديه، قائد عشرة من الرماة الفرقة: «إذا، ما العمل، سيدي قائد المئة؟ ما الذي قرره القادة الأفاضل؟ ما الأوامر؟ هل سنعبّر الحدود؟ فلتتكلّموا!!».

تأوّه نصف المكيال: «لحظة. يا له من جولاهب، تبًا له... لحظة وسأشرح لكم كل شيء. لكن أعطوني شيئًا أشربه أولًا، فقد جفّ حلقى تمامًا. ولا تقولوا

إنه لا يوجد ما يُشرب، فرائحة الحمى تنبعث من الخيمة إلى مسافة فرستا. وأعلم من أين تنبعث. من هنا، من تحت معطف الفرو».

أخرج زيفيك الدن وهو يتمتم لاعتناً. تراص قادة العشرة في حلقة ضيقة، وقرعت الطاسات والأكواب القصديرية.

مسح قائد المئة شاربه وعينه: «آآآخ. أووووخ، يا له من رجس فظيع. صب المزيد، يا زيفيك».

بوديه لم يصبر: «هيا، تكلموا على الفور. ما الأوامر؟ هل سنسير إلى النيلفجارديين أم سنبقى واقفين على الحدود كالعضو الذكري في يوم الزفاف؟».

قال نصف المكيال بصوت مديد أجش، وبصق، ثم قعد متثاقلاً على السرج: «تتوقون إلى القتال؟ تستعجلون الذَّهاب وراء الحدود، إلى أيديرن؟ شيء ما يدفعكم، ها؟ إنكم ذئاب شرسة، لا تفعلون شيئاً سوى إظهار أنيابكم».

قال ستاهلر الصغير ببرود، ناقلاً ثقله من رجلٍ إلى أخرى. وكفارس عتيق كانت ساقاه معوجتين كقوسين: «أي نعم. أي نعم، سيدي قائد المئة. هذه الليلة الخامسة التي ننام فيها مرتدين أحذيتنا، وفي حالة استعداد. لذا نريد أن نعرف ما سيكون. إما القتال، وإما الرجوع إلى الحصن».

أعلن نصف المكيال باقتضاب: «سنسير إلى الحدود. غداً عند الفجر. خمس سرايا، الرمادية في المقدمة. والآن انتبهوا، فسأخبركم الآن بما أمرنا، نحن قادة المئة وحملة الرايات، والوالي وسعادة جناب المارجراف مانسفيلد من أرد كاريج، الذي أتانا من طرف الملك مباشرة. أرهفوا آذانكم، فلن أكرر الكلام مرتين. وهذه الأوامر غير عادية».

ساد الصمت في الخيمة.

قال قائد المئة: «لقد عَبَرَ النيلفجارديون دول أنجرا. سحقوا ليريا، ووصلوا إلى ألدربيرج في أربعة أيام، حيث قضوا على جيش ديمافيند قضاءً مبرماً في معركة حاسمة. وبعد ستة أيام من الحصار، لا أكثر، استولوا على الفور على فينجريرج بالخيانة. الآن يسرون بسرعة نحو الشمال، ويدفعون الجيوش من أيديرن تجاه وادي بونتار وادي بلاثانا. إنهم في طريقهم إلينا،

نحو كايدفين. إذن، فالأمر الموجه إلى سرية الراية الرمادية كما يلي: عبور الحدود والسير باندفاع نحو الجنوب، مباشرةً نحو وادي الزهور. يجب أن نقف على ضفة نهر ديفني في غضون ثلاثة أيام. أكرر، في غضون ثلاثة أيام، هذا يعني أننا سنسير سير الوشق. ولن نخطو خطوة واحدة إلى ما وراء نهر ديفني. ولا خطوة، أكرر. قريبًا، سيظهر النيلفجارديون على الضفة الأخرى. فاحذروا الآن وانتبهوا، لا تبدأوا القتال معهم. ولا بأي حال، هل فهتم؟ حتى لو حاولوا عبور النهر، أظهروا لهم إشارات فقط كي يعلموا أننا هنا، نحن، جيش كايدفين».

تعمق الصمت في الخيمة، مع أن الصمت، كما بدا، لا يمكن أن يكون أكثر عمقًا.

وأخيرًا غمغم بوديه: «كيف هذا؟ لن نقاتل النيلفجارديين؟ نحن سائرون إلى الحرب، أم لا؟ كيف هذا، يا سيدي قائد المئة؟».

حكَّ نصف المكيال عنقه: «هذا هو الأمر. نحن لا نسير إلى الحرب، بل... بل نقدم المساعدة الأخوية فحسب. سنعبّر الحدود لحماية شعب أيديرن العليا... أوه، ماذا أقول، ليس شعب أيديرن، بل مارخيا السفلى. هكذا قال جناب المارجريف الفاضل مانسفيلد. واستطرد محدثًا أن ديمافيند، على أي حال، قد هُزِمَ، ووقع، وخرَّ هامدًا لأنه حكم حكمًا سيئًا ووضع السياسة في مؤخرته. على أي حال، لقد انتهى أمره وأمر أيديرن بأكملها. إن ملكنا قد أقرض ديمافيند مالا كثيرًا، فقد قدم له العون، فلا يمكن أن ندع تلك الثروة تذهب سدى، والآن حان الوقت لاستردادها، مع الفائدة. ولا يمكننا أيضًا ترك إخواننا وأبناء بلدنا في مارخيا السفلى يقعون أسرى في قبضة النيلفجارديين. يجب، أعني، علينا تحريرهم؛ فهذه أراضيها منذ الأزل. هذه الأرض، مارخيا السفلى، كانت قديمًا تحت حكم كايدفين، وتحت هذا الحكم ستعود الآن. وحتى نهر ديفني. وهذا هو الاتفاق الذي أبرمه ملكنا الرحيم هينسلت مع إمهير من نيلفجارديين. بيد أن الاتفاق يبقى اتفاقًا، ويتعين على سرية الراية الرمادية أن تقف على ضفة النهر. هل فهتم؟».

لم يرد أحد. تجهم نصف المكيال، ولوّح بيده: «آه، فَلَيْطَأْكُم الكلب، لم تفهموا شيئًا سوى البراز، كما أرى. لكن لا تقلقوا، فأنا أيضًا لم أفهم الكثير.

أمر الفهم متروك لجلالة الملك، والقوامس، والولادة، والسادة النبلاء. أما نحن فجيئش! مهمتنا أن نطيع الأوامر: الوصول إلى نهر ديفني في غضون ثلاثة أيام، التوقف هناك والوقوف كجدار. وهذا كل شيء. صُبَّ لي، يا زيفيك».

تأتأ زيفيك: «سيدي قائد المئة... وماذا سيحدث... ماذا سيحدث إذا قاومنا جيش أيدير؟ إذا أُغلق الطريق علينا؟ إننا سنسير خلال بلادهم مسلحين. ماذا عندئذ؟».

عقَّب ستاهلر بخبث: «وماذا لو بدأ أبناء وطننا وإخوتنا، أولئك الذين من المفترض أننا سنحررهم... ماذا لو بدأوا بإطلاق السهام ورمي الحجارة؟ ها؟».

هتف نصف المكيال بحزم: «يجب أن نكون واقفين على ضفة ديفني في غضون ثلاثة أيام، لا أكثر. ومن أراد تأخيرنا أو إيقافنا فواضح أنه عدو. والعدو يجب أن يمزق بالسيوف. لكن عليكم بالحيلة والحذر! والامتثال للأوامر! لا تحرقوا المنازل والقرى، ولا تلمسوا الناس، ولا تسلبوا وتنهبوا، ولا تغتصبوا النساء! واحفظوا ذلك في ذاكرتكم أنتم وذاكرة جنودكم، لأن من يخالف هذا الأمر، سيكون مصيره المشنقة. لقد كرر الوالي ذلك عشر مرات: نحن لا نذهب للغزو، يا عاهرة، بل لتقديم المساعدة الأخوية! لماذا تظهر أسنانك، يا ستاهلر؟ هذا أمر، تَبًّا لأم الكلاب! والآن هيا جرياً إلى وحداتكم العشرية، اجعلوا الجميع على أهبة الاستعداد؛ الخيول والمُعَدَّات يجب أن تلمع كالبدر في تمامه! قبل غروب الشمس، ستقف جميع السرايا للتدريب، والوالي نفسه سيتدرب مع حملة الرايات. إذا شعرت بالخزي بسبب إحدى وحداتكم العشرية، فسيذكركني جيداً قائد العشرة، أجل سيذكركني. هيا نَفِّدوا».

كان زيفيك آخر من خرج من الخيمة. راقب الفوضى التي عمَّت المعسكر، مضيقاً عينيه اللتين أبهرتهما الشمس. أسرع قادة العشرة إلى وحداتهم، وهُرِعَ قادة المئة وأطلقوا الشتائم، واختلطَ النبلاء والملازمون وغللمان النبلاء متعثرين تحت الأرجل. وكان الفرسان المدرعون من بان أرد يخبئون في الميدان مثيرين سحباً من الغبار. كان الجو لاهباً على نحو رهيب.

حتَّ زيفيك خطاه. تجاوز أربعة شعراء قدموا البارحة من أرد كارايغ، جالسين في ظل خيمة المارجريف المزينة بثراء. كان الشعراء ينظمون بالادا

عن النصر في عملية عسكرية، وعن ملك عبقرى، وعن حكمة القادة وشجاعة الجندي العادي. وكالعادة، فعلوا ذلك قبل العملية، كي لا يخسروا الوقت.

غنى أحد الشعراء في محاولة للتجريب: «إخواننا رحبوا بنا، حييونا بالخبزرز والمالح... رحبوا بمحرريهم ومنقذهم، حييهم بالخبزرز والمالح... هيه، يا هرافنير، هات قافية غير مبتذلة لكلمة ملح!». .

الشاعر الثاني مده بالقافية. لكن زيفيك لم يسمعها.

عند رؤيته، هبّت مجموعة العشرة المعسكرة بين أشجار الصفصاف عند البركة.

صاح زيفيك، واقفاً بعيداً بما يكفي كي لا يؤثر نفسه على معنويات مرؤوسيه: «استعدادا! قبل أن ترتفع الشمس بمقدار أربع أصابع، يجب أن يذهب الجميع إلى التفتيش! كل شيء، وبالتحديد السلاح، والمعدات، وزينة الخيول، والخيول نفسها أيضاً، يجب أن يلمع كالشمس! وسيجري تدريب عسكري، وإذا شعرت بالخزي أمام قائد المئة بسبب أحدكم، فسأقطع ساقيه ابن... هذا! هيا بسرعة!». .

خَمَّنَ الخيَّال شقراق، وهو يدسُ قميصه بسرعة داخل سرواله: «سائرون إلى المعركة؟ سائرون إلى المعركة، سيدي قائد العشرة؟».

- وماذا كنتَ تظن؟ أننا ناهبون لنرقص، أم إلى حفل الحصاد؟ سنعبّر الحدود. غداً عند الفجر ستتحرك سرية الراية الرمادية كلها. لم يخبرنا قائد المئة ما هو تشكيلها، ولكنَّ وحدتنا ستسير في المقدمة كالمعتاد. هيا، أسرعوا، حركوا مؤخراتكم! لحظة، عودوا. سأخبركم على الفور، لأن الوقت بعدئذٍ لن يكون متوفراً. هذه لن تكون حرباً عادية، يا رجال. لقد اخترع السادة المشرفون حماقات عصرية، شيء يسمى التحرير أو من هذا القبيل. لا نذهب لمحاربة العدو، بل إلى هذه، ما اسمها، أراضي الأزلية، لنقدم هذه، كيف تقال، نعم، المساعدة الأخوية. لذا، الانتباه لما سأقول: لا تلمسوا الأقوام في أيدين، لا تنهبوا... .

فغر شقراق فاه: «وكيف ذلك؟ كيف لا نذهب؟ وكيف سنطعم الخيل، سيدي قائد العشرة؟».

- انهبوا العلفَ للخيول، ولا شيءَ غير ذلك. لكنَّ لا تقتلوا الناس، لا تحرقوا المنازل، لا تخربوا المحاصيل... أغلق فمك، يا شقراق! هذا ليس اجتماعاً عاماً، بل جيش، يا أبناء أمهاتكم! فأطيعوا الأوامر، وإلا فإلى المشنقة! قلت لا تقتلوا، لا تحرقوا، والنسوان...

توقف زيفيك، وشرد في تفكيره.

أكمل بعد لحظات: «النسوان، اغتصبوهنَّ دون ضجيج، ودون أن يراكم أحد».



أكمل ياسكير: «عند الجسر على نهر ديفني تصافحا. المارجريف مانسفيلد من أرد كارايغ ومينو كويهورن، القائد العام للجيش النيلفجاردية من دول أنجرا. تصافحا فوق مملكة أيديرن الدامية المحتضرة، مُدشَّنين تقسيم الغنائم بطريقة قطاع الطرق. إنه أقبح تصرف عرفته التاريخ». ظل جيرالت صامتاً.

قال بعد لحظات بهدوء غير متوقع: «ولما كنا نتحدث عن القبح، فماذا عن السحرة، يا ياسكير؟ أقصد أولئك الذين ينتمون إلى المجلس الأعلى ومجلس التشريف».

تكلم الشاعر بعد لحظات: «لم يبقَ أحد بجانب ديمافيند. أما فولتيست فقد طرد من تيميريا كل الذين خدموه. فيليبيا في تريتوجور تساعد الملكة هيدفيج في السيطرة على الفوضى التي لا تزال تعمُ ريدانيا. ومعها تريس وثلاثة آخرون، لا أتذكر أسماءهم. وبضعة أشخاص في كايدفين. وقد فرَّ الكثيرون إلى كوفير وهنجفورس. اختاروا الحياد، كما تعلم، لأنَّ إستراد ثيسين ونيدامير، كما تعلم، كانا ولا يزالان محايدين».

- أعلم. وفيلجفورتز؟ ومَن وقف معه؟

- فيلجفورتز اختفى. كان متوقعاً أن يظهر في أيديرن المحتلة ويكون نائباً لإمهير... لكنَّ كل أثر منه اختفى. واختفى أثر كل شركائه. ما عدا...

- تكلم، ياسكير.

- ما عدا ساحرة واحدة، أصبحت ملكة.



انتظر فيلافاندريل أيب فيدهايل الرد بصمت. ظلت الملكة صامته أيضًا، تحقق إلى النافذة. والنافذة تطل على الحدائق، التي كانت لا تزال حتى وقت قريب مصدرَ اعتزاز وفخر حاكم دول بلاثانا السالف، نائب الطاغية من فينجريرج. تمكن النائب الإنساني، هاربًا من الإلفيين الأحرار، السائرين في طليعة جيوش القيصر إمهير، من إخراج معظم الأشياء الثمينة، وحتى بعض الأثاث، من القصر الإلفي العريق. لكن لم يفلح في أخذ الحدائق. فخربها.

وأخيرًا قالت الملكة: «لا، يا فيلافاندريل. ما زال الوقت مبكرًا جدًا لذلك، مبكرًا جدًا. دعنا لا نفكر في توسيع حدودنا، لأننا لا نزال في الوقت الراهن غير متيقنين حتى من الخط الدقيق لسيورها. إن هينسلت من كايدفين لا يفكر أبدًا في التزام الاتفاق والانسحاب من ضفة ديفني. تقارير الجواسيس تفيد أنه لم يتخلَّ عن فكرة الاعتداء علينا. قد يهاجمنا في أي يوم من الأيام القليلة المقبلة».

- إذن، فإننا لم نحقق شيئًا.

مدت الملكة يدها ببطء. فراشة الهدّاب التي دخلت خلال النافذة، حطت على كف كُمها المخرمة، وضمت جناحيها الحادّي الطرفين ونشرتتهما. قالت الملكة بصوت خفيض كي لا تنفّر الفراشة: «حققنا أكثر مما كنا نتوقع. بعد مئة عام استعدنا أخيرًا وادي الزهور...».

ابتسم فيلافاندريل ابتسامة حزينة: «لن أطلق عليه الاسم. الآن، بعد دخول الجيوش، صار بالأحرى يسمى وادي الرماد».

أكملت الملكة، متأملة الفراشة: «صار لدينا من جديد وطننا الخاص بنا. صرنا من جديد شعبًا، لا منفيين. الرماد يعطي الخصوبة. وفي الربيع سيزهر الوادي من جديد».

- هذا قليل جدًا، يا زهرة اللؤلؤ. ما زال قليلًا جدًا. تخلينا عن الكثير. لم يمضِ وقت طويل منذ أن كنا نتفاخر بأننا سنلقي بالبشر في البحر الذي جاءوا من ورائه. والآن ضيقنا حدودنا وطموحاتنا إلى دول بلاثانا...

- لقد أهدانا إمهير ديثقين أرضَ دول بلاثانا. ماذا تتوقع مني، يا فيلافاندريل؟ أن أطلب المزيد؟ لا تنسَ، حتى في قبول الهبات يجب أن نكون معتدلين. خصوصًا عندما يتعلق الأمر بهدايا إمهير، لأن إمهير لا يقدم شيئًا مجانيًا. الأرض التي منحنا إياها يجب أن نحافظ عليها. والقوى التي في حوزتنا تكاد لا تكفي من أجل الحفاظ على دول بلاثانا. اقترح الإلفي ذو الشعر الأبيض: «فلنسحب المغاوير من تيميريا، وريدانيا وكايدفين. لنسحب جميع السكوياتيليين الذين يحاربون البشر. أنتِ الآن ملكة، يا إينيد، سيطيعون أمرك. الآن وقد حصلنا على قطعة الأرض الخاصة بنا، لم يعد لقتالهم أي معنى. إن واجبهم الآن هو العودة إلى هنا والدفاع عن وادي الزهور. فليقاتلوا كشعب حر دفاعًا عن حدودهم. أما الآن، فهم يموتون كقطاع طرق في الغابات!».

نكستِ الإلفية رأسها.

همست: «إمهير لا يوافق على ذلك. على وحدات المغاوير أن تواصل القتال».

استقام فيلافاندريل أيب فيدهايل بسرعة: «لماذا؟ لأي هدف؟».

- سأخبرك بالمزيد. لا يُسمَح لنا بدعمهم أو مساعدتهم. كان هذا شرط فولتيسْت وهينسلت. ستحترم تيميريا وكايدفين سلطتنا على دول بلاثانا، لكن فقط عندما ندين رسميًا قتال السناجيب ونتبرأ منهم.

- هؤلاء الأطفال يموتون، يا زهرة اللؤلؤ. يموتون كل يوم، في قتال غير متكافئ. سينقض الناس على المغاوير، بعد الاتفاقات السرية مع إمهير ويسحقونهم. إنهم أطفالنا، مستقبلنا! دمنّا! وأنتِ تصرحين لي أن علينا التبرؤ منهم؟

?Que'ss aen me dicette, Enid? Vorsaeke'llan? Aen vaine

ارتفعت فراشة لتطير، خفقت بجناحيها وطارَتْ نحو النافذة، حائمة تحت تيارات الهواء اللاهب. رفعت فرانسيْسكا فينداباير رأسها، وهي المعروفة باسم إنيْد أن جليانا، وقديمًا كانت ساحرة، وحاليًا ملكة أيين سيدهي، الإلفيين الأحرار. التمتعِ الدموع في عينيها الزرقاوين الجميلتين.

كررتُ بصوت أجوف: «يجب أن يواصل المغاوير القتال. عليهم تعطيل ممالك البشر، وإعاقة استعداداتهم للحرب. هذا كان أمر إمهير، وأنا لا أستطيع أن أعارض إمهير. سامحني، يا فيلافاندريل».

نظر إليها فيلافاندريل أيب فيدهايل، وانحنى بعمق.
- أسامحك، يا إنيد. لكن لا أعلم أكانوا هم سيسامحونك.



- ألم يفكر أي ساحر في الأمر مجددًا؟ حتى عندما كان نيلفجار্দ يقتل في أيديرن ويحرق، لم يتخلَّ أي منهم عن فيلجفورتز، ولم ينضمَّ إلى فيليبيا؟
- لا أحد.

صمت جيرالت طويلاً.

وأخيراً قال بصوت خفيض جداً: «لا أصدق. لا أصدق أن أحداً لم يتخلَّ عن فيلجفورتز عندما خرجت أسباب خيانتة الحقيقية وعواقبها إلى العلن. وكما أصبح معروفاً للجميع، فإنني ویتشري ساذج ومعدوم الفهم ومتخلف عن العصر. لكنني ما زلتُ لا أصدق أن أيًا من السحرة لم يستيقظ ضميره».



وضعتُ تيسايا دي فريس توقيعها الزخرفي والمكتوب بعناية، تحت الجملة الأخيرة من الرسالة. بعد طول تفكير، أضافتُ بجانبه رسماً رمزياً يشير إلى اسمها الحقيقي. الاسم الذي لم يعرفه أحد. الاسم الذي لم تستخدمه منذ زمن بعيد جداً، منذ أن أصبحت ساحرة.
قبرة السماء.

وضعتُ الريشة، بعناية شديدة، وعلى نحو مستقيم بعرض الرق تماماً. جلست لحظات طويلة دون حراك، تتأمل كرة الشمس الغاربة الحمراء. ثم نهضت. اقتربتُ من النافذة. نظرتُ بعض الوقت إلى أسطح المنازل. المنازل التي كان الناس العاديون يخلدون فيها إلى النوم، منهكين من حياتهم الاعتيادية وجهدهم المفعم بالقلق الإنساني العادي مما سيكون عليه مصيرهم

وغدهم. نظرتِ الساحرة إلى الرسالة الموضوعة على الخوان. الرسالة الموجهة إلى الناس العاديين. لم يكن مهمًّا أن جلَّ الناس العاديين لا يجيدون القراءة. وقفتُ أمام المرأة. رتبتُ شعرها، وعدلتُ ثوبها. نفضتُ عن كمها المنتفخ الغبارَ الذي لم يكن موجودًا أصلًا، وضبطتُ موضعَ قلادتها، المرصعة بالياقوت الرماني، على صدرها.

اصطفَّتِ الشموع أسفل المرأة غير مرتبة. لا بدُّ أن الخادمة حرَّكتها وغيّرت مواضعها في أثناء التنظيف. الخادمة. امرأة عادية، إنسان عادي ذو عَيْنين مليئتين بالخوف مما دنا منه، إنسان عادي ضائع في زمن الازدراء، إنسان عادي باحث عن الأمل وغدٍ آمن عندها، عند الساحرة... إنسان عادي، خاب أمله.

انبعث من الشارع صوت خطوات، خبط أحذية جنود ثقيلة. لكنَّ تيسايا دي فريس لم تحرك ساكنًا، ولم تدرُ رأسها نحو النافذة. لم تكثرُ بالخطوات ومن يخطوها. أُم جنود الملك؟ أمين الناحية يحمل أمر اعتقال الخائنة؟ قتلة مأجورون؟ مرتزقة فيلجفورتز؟ لم يكن يهمها ذلك. هدأتِ الخطوات في البعيد.

اصطفَّتِ الشموع أسفل المرأة غير مرتبة. صفَّتها الساحرة باتساق، ثم عدلتُ وضعية منديل الخوان ليكون طرفه في المنتصف تمامًا ومتناسقًا مع القواعد المربعة لحوامل الشموع. فكَّتِ الأساور الذهبية من معصمها ووضعتها على نحو متسق على المنديل الممسد. نظرتُ إلى المشهد بعين ناقدة، لكنها لم تجدْ أي خطأ يذكر، كان كل شيء متسقًا تمامًا كما ينبغي. فتحت دُرَج خزانة صغيرة، وأخرجتُ سكينًا قصيرة ذات مقبض عظمي. كان وجهها معترًّا وجامدًا. ميّتا.

ساد الصمت المنزل. صمت شديد إلى حد أنه كان يمكن سماع صوت سقوط ورقة من زهرة خزامى ذابلة على سطح الخوان. توارتِ الشمس، حمراء كالدم، ببطءٍ خلف أسطح المنازل.

جلست تيسايا دي فريس على مقعد بجانب الخوان، نفختُ على الشمعة، وعدلتُ مرةً أخرى وضعيّة الريشة الملقاة على الرسالة على نحو عرضي، وقطعت شرايين معصمي يديها.



بدأ الإرهاق من السفر طَوَالَ اليوم، ومن الانطباعات المصاحبة، يظهر نفسه. استيقظ ياسكير وأدرك أنه نام على الأرجح في أثناء حكيه، وأنه قد بدأ يشخر عند منتصف الكلمة. تحرك وكاد ينزلق من فوق كومة الأغصان؛ أما جيرالت فلم يعد مستلقيًا بجواره ولم يسوّ مفرشه.

سعل وجلس: «أين...؟ أين أنا توقفت؟ آه، عند الحديث عن السحرة... جيرالت؟ أين أنت؟».

أجاب الويتشر، وهو يكاد لا يرى في الظلام: «هنا. تابع، من فضلك. كنت على وشك أن تحدثني عن ينيفر».

كان الشاعر يعلم جيدًا أنه لم تكن لديه أي نية للتطرق إلى الشخص المذكور: «اسمعني. أنا حقًا لا...».

- لا تكذب. أنا أعرفك.

توتر التروبادور: «إذا كنت تعرفني جيدًا على هذا النحو، فلماذا، بحق الجحيم، تلح عليّ أن أتكلم؟ إذا كنت تعرفني جيدًا بكل حسناتي وسيئاتي، ينبغي لك أن تعلم لماذا ألتزم الصمت، ولماذا لا أردد الشائعات التي سمعتها! يجب أن تخمن أيضًا ما هي هذه الشائعات ولماذا أريد تجنيبك إياها!».

هبتُ إحدى حوريات الغاب النائمت بجانبهما، منتصبّة وقد أيقظها صوته المرتفع:

«Que suecc's?»

قال الويتشر بصوت خافت: «أعتذر. وأعتذر منك أيضًا».

أُطْفِئَتِ المصابيح الخضر في بروكلون، ولم يتبقَّ سوى بعضها يكاد يخبو ضوءها.

كسر ياسكير الصمت: «جيرالت. كنت دائماً تقول إنك تقف جانباً، وإنك لا تهتم بشيء... ولعلها كانت تصدق ذلك. صدقه عندما بدأت تلك اللعبة مع فيلجفورتز...».

قال جيرالت: «كفى. ولا كلمة أخرى. حين أسمع كلمة «لعبة»، أشعر برغبة في قتل شخص ما. هيا، أعطني تلك المؤسَى. أريد أن أحلق أخيراً».

- الآن؟ لا يزال الظلام...

- بالنسبة إليّ، لا يوجد ظلام أبداً. أنا كائن غريب الأطوار.

عندما انتزع الويتشر محفظة أدوات النظافة من يده وتوجه نحو جدول الماء، أدرك ياسكير أن النعاس قد فارقه تماماً.

أشرقت السماء بتباشير الفجر. نهض ودخل إلى الغابة، متجنباً بحذر حوريات الغاب النائمت وهنّ متعانقات.

- هل كنتَ من بين أولئك الذين أسهموا في ذلك؟

استدار بسرعة. كان شعر الحورية المستندة إلى شجرة صنوبر، بلون الفضة، وبدا هذا واضحاً حتى في ضوء الفجر الشاحب.

قالت وهي تعقد يديها على صدرها: «منظر شديد القبح. شخص ما خسر كل شيء. تعلم، أيها المغني، هذا مثير للاهتمام. خُيِّلَ إليّ في وقت ما أن المرء لا يمكنه أن يخسر كل شيء، وأن دائماً ما يبقى شيء ما. دائماً. وحتى في زمن الهوان، عندما يمكن للسذاجة أن تنتقم بأقسى الطرق، لا يمكن خسارة كل شيء. أما هو... فقد قليلاً من دمه، والقدرة على المشي السليم، والتحكم الجزئي في يده اليسرى، وسيفه الويتشري، والمرأة التي أحبها، والابنة التي حصل عليها بمعجزة، والإيمان... حسناً، فكرتُ، لكنَّ شيئاً، شيئاً ما، لا بُدَّ أن يبقى لديه؟ أخطأتُ. لم يبقَ لديه شيء. حتى مؤسَى الحلاقة».

ظل ياسكير صامتاً. ولم تتحرك حورية الغاب.

استأنفتُ بعد لحظة: «سألتك، هل أسهمت في ذلك؟ يبدو أن سؤالي غير ضروري كما أظن. طبعاً أنك أسهمت. ومن الواضح أنك صديقه. وإذا كان للمرء أصدقاء، ومع ذلك يخسر كل شيء، فالأصدقاء طبعاً يتحملون الذنب. عما فعلوه، أو عما لم يفعلوه. عن عدم معرفتهم بما يجب فعله».

همس: «وماذا كان بإمكانني؟ ماذا كان بإمكانني أن أفعل؟».

أجابت حورية الغاب: «لا أعلم».

- لم أخبره بكل شيء...

- أعلم ذلك.

- لست مذنبًا في شيء.

- بل مذنب.

- لا! لست مذنبًا...

هَبَّ واقفًا فأحدثت أعواد مفرشه أصوات تقصف. كان جيرالت جالسًا بجواره، يمسح وجهه. فاحت منه رائحة الصابون.

سأل ببرود: «لست مذنبًا؟ هذا مثير للفضول، بَمَ حلمت أيضًا؟ بأنك ضفدع؟ اهدأ. أنت لست ضفدعًا. بأنك أحمق؟ إذن، في هذه الحال قد يكون الحلم نبوءيًا».

تلَفَّت ياسكير حوله. كانا وحدهما تمامًا في فسحة الغابة.

- أين هي... أين هنَّ.

- عند طرف الغابة. استعدَّ، إنه وقتك الآن.

- جيرالت، لقد تحدثت قبل لحظات مع إحدى حوريات الغاب. كانت تتحدث باللغة المشتركة دون لكنة وقالت لي...

- ولا واحدة من هذا الفصيل تتكلم اللغة المشتركة دون لكنة. لقد كنت تحلم، يا ياسكير. هذه بروكلون. هنا يمكن للمرء أن يحلم بأشياء كثيرة.



عند طرف الغابة كانت تنتظرهم حورية غاب وحيدة. عرفها ياسكير على الفور؛ إنها ذات الشعر الأخضر، تلك التي جلبت لهم الضوء ليلاً، وحاولت إقناعه ليتابع الغناء. رفعت الحورية كفها، أمرة إياهما بالتوقف. وفي اليد الأخرى كانت تحمل قوسًا وسهمًا مشدودًا على الوتر. وضع الويتشر راحته على كتف التروبادور وضغط بقوة.

همس ياسكير: «هل يحدث شيء هنا؟».

- نعم. اصمت ولا تتحرك.

كتم الضباب الكثيف الجاثم على وادي الشريط الأصوات جميعها، لكن ليس إلى الحد الذي يمكن أن يمنع ياسكير من سماع بقبقة الماء وشخير الخيل. عَبَرَ خِيَالَةَ النهر.

خمن: «الإلفيون. السكويانثيليون؟ يهربون إلى بروكلون، أليس كذلك؟ وَحْدَةَ مِغَاوِيرِ كَامِلَةٍ...».

تمتم جيرالت وهو يحدق إلى الضباب: «لا. (كان الشاعر يعلم أن بصر الويتشر وسمعه فريدان في حديثهما وحساسيتهما، لكنه لم يكن في وسعه أن يعرف كيف يقيّمهما، بالبصر أم بالسمع). إنها ليست وَحْدَةَ مِغَاوِيرِ. هذا ما تبقى منها. خمسة خِيَالَةَ أو ستة، وثلاثة خيول غير محملة. ياسكير، ابْقَ هنا. أنا ذاهب إلى هناك».

قالت حورية الغاب خضراء الشعر محذرة وهي ترفع قوسها:

!Gar'ean. N'te va, Gwynbleidd! Ki'rin

أجاب الويتشر بحدة غير متوقعة: *Thaess aep, Fauve. M'aespar* «*que va'en, ell'ea*؟»، تفضلي، أطلقني السهم. إن لم تفعلني فاخرسي ولا تحاولي تخويفي، فلن يخيفني أي شيء بعد الآن. يجب أن أتحدث إلى ميلفا بارينج وسأفعل، سواء أعجبك ذلك أم لا. ياسكير، ابْقَ هنا».

خفضتِ الحورية رأسها والقوس أيضًا. بزغت من بين الضباب تسعة خيول، ورأى ياسكير أن ستة فقط منها كانت تحمل خِيَالَةَ على صهواتها. ولمح أجساد حوريات يخرجن من الأجسام ويسرن لملاقاته. لاحظ أن ثلاثة من الخيالة احتاجوا إلى المساعدة للنزول عن جيادهم، وكان يجب مساندتهم ليتمكنوا من السير نحو الأشجار المخلّصة في بروكلون. مرت حوريات أخريات كالأشباح خلال حطام الشجر الساقط والمنحدرات، واختفين في الضباب عند نهر الشريط. انبعث صراخ من الضفة المقابلة، وصهيل خيول، وبقبقة ماء. بدا للشاعر أيضًا أنه يسمع صفير سهام، لكنه لم يكن متأكدًا.

همس: «كانوا يلاحقونهم...».

استدارت فاوف ضاغطةً كفها على القوس.

شخرت: «أنت غنّ لنا هذه الأغنية *N'te shaent a'minne taedh* ليس عن إيتاريل، حبيبي، لا. ليس الوقت مناسبًا. الآن وقت القتال، نعم. هذه الأغنية، نعم!».

همهم: «أنا... ليس لي ذنب في ما يحدث...».

صمتت الحورية لحظة، ناظرة جانبًا.

قالت ثم انصرفت إلى الأجمة بسرعة: «أنا أيضًا كذلك».

عاد الويتشر قبل أن تمر ساعة على غيابه. كان يقود حصانين مسرجين: بيجاسوس وفرسًا كستنائية. كان على بطانية الفرس آثار دماء.

- هذه فرس للإلفيين، صحيح؟ أولئك الذين عبروا النهر؟

أجاب جيرالت، وكان صوته ووجهه غريبين ومتغيرين: «نعم. إنها فرس للإلفيين. لكنها ستخدمني مؤقتًا. وعندما تتاح لي الفرصة، سأستبدل بها حصانًا يستطيع حمل الجريح، وحين يسقط الجريح يبقى بجانبه. من الواضح أن هذه الفرس لم تُدرّب على ذلك».

- هل ستغادر هذا المكان؟

ألقي الويتشر برسن بيجاسوس إلى الشاعر: «أنت ستغادر. وداعًا، يا ياسكير. سترافقك حوريات الغاب ما يقرب من ميلين إلى أعلى النهر، حتى لا تلقى جنود بروجي الذين على الأرجح لا يزالون يتجولون على الضفة الأخرى».

- وأنت؟ هل ستبقى هنا؟

- لا، لن أبقى.

- علمتَ شيئًا... من السناجيب. علمتَ شيئًا عن سيرى، صحيح؟

- وداعًا، ياسكير.

- جيرالت... اسمعني...

صرخ الويتشر وتلعثم فجأة: «ماذا عليّ أن أسمع؟ أنا لا أستطيع... لا أستطيع أن أتركها لمصيرها. إنها وحيدة تمامًا... لا يمكنها أن تكون وحدها، يا ياسكير. لن تفهم هذا. لن يفهمه أحد، لكنني أعلم ذلك. إذا بقيت وحيدة، سيحدث لها ما حدث في ما مضى... ما حدث لي ذات مرة... لن تفهم ذلك...»

- أفهم ذلك. ولهذا سأذهب معك.

- هل جئنت. أتعلم إلى أين أنا ذاهب؟

- أعلم. جيرالت، أنا... أنا لم أخبرك بكل شيء. أنا... أشعر بالذنب. لم أفعل شيئاً، ولم أعرف ماذا عليّ أن أفعل... لكنني الآن أعرف. أريد أن أذهب معك. أريد مرافقتك. لم أخبرك... عن سيرتي، عن الشائعات المتداولة. التقيتُ بعض مَنْ أعرفهم من كوفير، وهم بدورهم سمعوا روايات المبعوثين الذين عادوا من نيلفجارد... خمنت أن هذه الإشاعات كان من الممكن أن تصل حتى إلى السناجيب. وأنت أصبحت تعرف الآن كل شيء من هؤلاء الإلفيين الذين عبروا الشريط. لكن اسمح لي... لي أنا... بأن أخبرك...

ظل الويتشر صامتاً لحظات طويلة، مسبلاً يديه، لا حيلة له.

قال أخيراً بصوت متغير: «اقفز إلى السرج، ستقص عليّ في الطريق ما

سمعت».



ذلك الصباح، في قصر لوك جريم، مقر الإمبراطور الصيفي، عمّ حراك غير عادي. والأمر غير العادي الأشد غرابة أن أي نوع من أنواع الحراك والانفعال والحماسة لم يكن من ضمن أعراف النبلاء النيلفجارديين، وأن إظهار شعور القلق أو الإثارة يعد عارضاً من عوارض عدم النضج. عومل مثل هذا السلوك في أوساط المشرفين النيلفجارديين بتوجيه التوبيخ والازدراء إلى درجة أن إظهار الحماسة أو الإثارة كانت تشعر بالخجل حتى الشبان غير الناضجين، الذين توقع منهم قلة من الناس سلوكاً لائقاً.

بيد أن الشباب لم يكونوا في لوك جريم ذلك الصباح. فلم يكن ما يبحث الشباب عنه متوفراً في لوك جريم. كانت قاعة العرش الضخمة في القصر مليئة بالارستقراطيين والفرسان ورجال البلاط الجادين والصارمين، وجميعهم من أولهم إلى آخرهم يرتدون زيّاً رسمياً احتفالياً أسود، ولا يوشيه إلا بياض ياقاتهم وكفف أكمامهم. وقد رافق الرجال عددٌ قليلٌ من السيدات، وهنّ على القدر نفسه من الجدية والصرامة، وقد سمح لهنّ العُرف بإضفاء ألوان زاهية

- على ملابسهنّ السوداء بقليل من الجواهر المتواضعة. تظاهر الجميع بأنهم كرام وجادون وصارمون. وكانوا يبدون إثارة على نحو لا يصدق.
- يقولون إنها قبيحة. نحيفة وقبيحة.
 - لكنها، كما يقال، من سلالة ملكية.
 - ابنة من زواج غير شرعي؟
 - لا شيء من ذلك. إنها شرعية.
 - إذن ستعتلي العرش؟
 - إذا قرر الإمبراطور ذلك...
 - اللعنة، فقط انظروا إلى أردال أيب داهي وإلى الأمير دي ويت... يا لتعابير وجهيهما... كأنهما شربا خلًا...
 - اهدأوا أيها الكونت... أتستغرب من تعابير وجهيهما؟ إذا تأكدت صحة الشائعات، فسيوجه إمهير صفقة إلى الأسر القديمة. سيذلها...
 - لن تتأكد الشائعات. لن يتزوج الإمبراطور من هذه اللقيطة! لا يستطيع أن يفعل هذا...
 - إمهير يستطيع فعل كل شيء. زينوا كلماتكم، يا بارون. انتبهوا إلى ما تقولون. كان ثمة من ادعوا أن إمهير لا يستطيع أن يفعل هذا الشيء أو ذاك. وانتهى بهم الأمر إلى المشنقة.
 - يقولون إنه قد وقع على مرسوم المنح موجه إليها. ينص على منحها مرتبًا قدره ثلاثمئة جريفنة، هل تتخيلون ذلك؟
 - ولقب أميرة. هل رآها أحدكم من قبل؟
 - وُضعتُ حال وصولها تحت رعاية الكونتيسة ليدرتال، وأحيط المنزل بالحراس.
 - لقد عُهد إلى الكونتيسة بأن تزرع في عقل هذه البُنية قليلًا من مفاهيم الأخلاق. يقولون إن أميرتكم هذه تتصرف مثل بنت آتية من حظيرة...
 - وما الغريب في ذلك؟ إنها تنحدر من الشمال، من سننرا الهمجية...

- وهذا ما يجعل صحة الشائعات عن زواج إمهير أقل احتمالاً. لا، لا، هذا مستحيل تماماً. سيتخذ الإمبراطور من ابنة دي ويت الصغرى زوجاً له، كما هو مخطط له. لن يتزوج من هذه الدّعيّة.
- لقد حان الوقت ليتزوج أخيراً إحداهن. من أجل السلالة... لقد حان الوقت ليكون لدينا أرشيدوق صغير...
- فليتزوج إذن، لكن ليس بهذه الشريفة!
- اخفض صوتك، ودون مبالغات. أؤكد لكم أيها السادة الكرام أن هذا الارتباط لن يتم. ما الغاية المرجوة من مثل هذا الزواج؟
- إنها السياسة، أيتها الكونتيسة. نحن في حرب. سيكون لهذا الارتباط أهمية سياسية واستراتيجية... السلالة التي تنحدر منها الأميرة لها ألقاب قانونية وحقوق إقطاعية راسخة في الأراضي الواقعة في يارا السفلى. لو أصبحت زوجة للإمبراطور... ها، كان الأمر بمنزلة خطوة ممتازة. انظروا فقط هناك، إلى مبعوثي الملك إستراد، كيف يتهامسون...
- إذن أنتم، يا سمو الأمير، تؤيدون هذا الارتباط الغريب؟ بل لعلكم نصحتم إمهير بذلك، أليس كذلك؟
- هذا شأني ماذا أؤيد وما لا أؤيد، يا مارجريف. ولا أنصحكم بالتشكيك في قرار الإمبراطور.
- إذن فقد اتخذ قراراً؟
- لا أظن ذلك.
- إذن أنتم مخطئون في عدم ظنكم.
- ما الذين تريدون قوله بكلامك هذا، أيتها السيدة؟
- أبعد إمهير الكونتيسة بروين من البلاط. أمر أن تعود إلى زوجها.
- انفصل عن ديرفلا ترفين بروين؟ لا يمكن لهذا أن يكون! كانت ديرفلا المفضلة لديه منذ ثلاث سنوات...
- أكرر، لقد أبعدتها من البلاط.

- هذا صحيح. يقولون إن ديرفلا ذات الشعر الذهبي أثارت صخبًا مخيفًا. وقد أرغمها بطريقة عنيفة أربعة حراس على ركوب العربة...
- سيفرح زوجها...
- أشك في ذلك.
- بحق الشمس العظيمة! انفصل إمهير عن ديرفلا؟ انفصل عنها من أجل هذه اللقيطة؟ من أجل هذه المتوحشة الآتية من الشمال؟
- اخفضوا صوتكم... اخفضوا صوتكم، إلى الشيطان...
- ومن يؤيد ذلك؟ أي حزب يدعم ذلك؟
- اخفضوا صوتكم، من فضلكم. إنهم ينظرون إلينا...
- تلك البنت... أردتُ أن أقول الأميرة... هي، على ما يحكى، قبيحة... عندما يراها الإمبراطور...
- تريدون أن تقولوا إنه لم يرها بعد؟
- لم يكن لديه الوقت. قد وصل من دارن رواتش قبل ساعة من الآن.
- لم يستمرئُ إمهير القبيحات قط. أين ديرموط... كلارا أيب جفيدولين جور... أما ديرفلا ترفين بروين فهي الجمال الحقيقي...
- ربما ستصير هذه اللقيطة أجمل مع مرور الوقت...
- عندما تُغسل جيدًا؟ يقال إن أميرات الشمال نادرًا ما يغتسلن...
- انتبهوا إلى كلماتكم. إنكم تتحدثون، ربما، عن زوجة الإمبراطور...
- إنها لا تزال طفلة. لا يتجاوز عمرها أربعة عشر عامًا.
- أكرر، سيكون هذا الارتباط سياسيًا... شكليًا خالصًا...
- لو كان كذلك، لبقيت ذات الشعر الذهبي، ديرفلا، في القصر. ولجلست اللقيطة من سينترا بجانب إمهير على العرش سياسيًا ورسميًا... أما في المساء، فكان إمهير سيمنحها التاج والجواهر لتتسلى، فيما سيتوجه هو إلى غرفة نوم ديرفلا... على الأقل إلى حين تصل تلك الطفلة إلى العمر الذي يكون فيه الإنجاب آمنًا.

- هممم... نعم... ربما في هذا شيء من الحقيقة. ما اسم تلك... الأميرة؟
- كسيريلًا، أو شيء من هذا القبيل.
- كلا، هذا غير صحيح. اسمها... زيريلًا. نعم، على ما أظن زيريلًا.
- اسم همجي.
- اخفضوا صوتكم، بحق الشياطين...
- ومزيدًا من الاحترام. أنتم تتصرفون كالصبيان!
- انتبهوا إلى كلماتكم! حذارٍ فقد أرى فيها إهانة!
- إذا كنتم تطلبون التحدي، فأنتم تعلمون أين يمكنكم البحث عني، أيها المارجريرف!
- اسكتوا، اهدؤوا! الإمبراطور...

لم يكن المنادي مُضطربًا إلى أن يبذل جهدًا خاصًا. ضربة واحدة من عصاه على الأرضية كانت كافية لتجعل رؤوس الأرستقراطيين والفرسان المزينة بالقبعات السوداء تنحني كأنها سنابل ضربتها ريح عاتية. ساد الصمت المطبق في القاعة الملكية لدرجة أن المنادي لم يحتج إلى رفع وتيرة صوته كثيرًا.

- إمهير فار إمريس، ديثفين أدان ين كارن أيب مورفود!

دخل اللهب الأبيض الراقص على جثوات الأعداء إلى القاعة. سار وعلى جانبيه صفان من النبلاء، بخطواته الحثيثة المعتادة، ملوحًا بيده اليمنى بحيوية. لم يختلف زيه الأسود في شيء عن زي حاشيته، هذا إذا ما استثنى غياب الياقة المكشكشة.

كان شعر الإمبراطور الداكن، غير المسرَّح كالمعتاد، مثبتًا باتساق مناسب بطوق ذهبي ضيق، وعلى عنقه لمعت القلادة القيصرية. اعتلى إمهير العرش المرتفع دون مبالاة، أسند مرفقه إلى المتكأ، وذقنه إلى راحة يده. لم يضع ساقه على المتكأ الآخر للعرش، وهذا ما يعني أن المراسم لا تزال ملزمة. لم ترتفع أي من الرؤوس المنحنية حتى بوصة واحدة.

تنحني الإمبراطور بصوت عالٍ دون أن يغير وضعيته جلسته. تنفست حاشية البلاط الصُّعداء واستقاموا. ضرب المنادي الأرضية بالعصا مرة أخرى.

- سيرىلا فيونا إيلين ريانون، ملكة سينترا، أميرة بروجي، ودوقة سودن،

وارثة إينيس أرد اسكيليج وإينيس أن اسكيليج، والية أترى وآب يارا!

التفتت جميع الأعين نحو الباب، حيث وقفت ستىلا كونجريف فارعة الطول ومهيبة، إنها كونتيسة ليدرتال، وبجانب الكونتيسة سارت صاحبة كل هذه الألقاب المبهجة التي ذكرت قبل لحظة. كانت نحيلة، شقراء الشعر، شاحبة على نحو غير عادي، محدودة الظهر قليلاً، ترتدي ثوباً أزرق طويلاً. ثوباً كان واضحاً أنها تشعر فيه بالسوء وعدم الارتياح.

استقام إمهير ديثفين على العرش، فانحنت الحاشية على الفور انحناءات احترام. دفعت ستىلا كونجريف الفتاة ذات الشعر الأشقر برفق، وبدأتا تسيران باعتداد بين صفّي الأرستقراطيين المنحنيين، ممثلي الأسر الأولى في نيلفجارد.

خطت الفتاة بتصلب وارتباك. فكرت الكونتيسة: ستتعثّر.

سيرىلا فيونا إيلين ريانون تعثرت.

فكرت الكونتيسة وهي تقترب من العرش: ليست جميلة، وضعيفة. وغير رشيقة، زد على ذلك كله أنها قليلة الفهم. لكنني سأجعل منها رائعة الجمال. سأجعلها ملكة، كما أمرت يا إمهير.

كان لهب نيلفجارد الأبيض ينظر إليهم من عرشه العالي. كانت عيناه، كالعادة، مغمضتين قليلاً، وعلى شفثيه يتراقص ظل ابتسامة ساخرة.

تعثرت ملكة سينترا مرة أخرى. أسند الإمبراطور مرفقه إلى متكأ العرش، ولمس خده بكفه. ابتسم. كانت ستىلا كونجريف قريبة بما يكفي لتمييز تلك الابتسامة. جمدت من الرعب. ثمة شيء غير طبيعي، فكّرت بذعر، شيء غير طبيعي. ستتطاير الرؤوس. وحق الشمس العظيمة، ستتطاير الرؤوس...

استعادت صفو ذهنها، وانحنت، مُرغمة الفتاة أيضاً على الانحناء قليلاً.

لم ينهض إمهير فار إمريس من عرشه، لكنه حنى رأسه قليلاً. حبست الحاشية أنفاسهم.

قال إمهير: «أيتها الملكة».

انكشمت الفتاة. لم ينظر الإمبراطور إليها، بل إلى النبلاء المجتمعين في القاعة.

كرر: «أيتها الملكة. إنني سعيد بإمكانية الترحيب بك في قصري ودولتي. أعطيك كلمتي القيصرية واعدًا بأن اليوم قريب، اليوم الذي ستعود فيه إليك جميع الألقاب التي تستحقينها مع الأراضي التي هي إرثك الشرعي، والتي هي ملك لك قانونيًا ولا يمكن إنكارها. الأعداء الذين يغتصبون ممتلكاتك أعلنوا الحرب عليّ. هاجموني معلنين خلال ذلك أنهم يدافعون عن حقوقك وقضاياك العادلة. لذا فليعلم العالم أجمعه أنك توجهت إليّ، وليس إليهم، طالبة العون. فليعلم العالم أجمعه أنك هنا في مملكتي تحظين بالاحترام والولاية المستحقة والاسم الملكي، بينما كنتِ عند أعدائي منفية فحسب. فليعلم العالم أجمعه أنك في دولتي آمنة، بينما لم يكتفِ أعدائي بحرمانك من التاج، بل حاولوا أيضًا الاعتداء على حياتك.»

ثبت بصر قيصر نيلفجارد على مبعوثي إستراد ثيسين، حاكم كوفير، وسفير نيدامير، ملك رابطة هنجفورس.

- فليعرف العالم أجمعه الحقيقة، من بينهم الملوك الذين بدؤوا كأنهم لا يعلمون أي طرف يملك الحق والعدالة. وليعلم العالم أجمعه أن يد العون ستقدم لك. أعداؤك وأعدائي سيُهزمون. وسيسود السلام من جديد في سينترا، وسودن وبروجي، وأتري، وجزر اسكيليج، وعند مصب يارا، وستجلسين على العرش يصحبك فرح مواطنيك وكل محبي العدالة من الناس.

خفضت الفتاة ذات الثوب الأزرق رأسها أكثر.

تابع إمهير: «وقبل أن يحدث ذلك، ستُعاملين في مملكتي بما يليق من الاحترام بمكانتك، من قبلي ومن قبل جميع رعاياي. ولأن لهيب الحرب لا يزال مشتعلًا في مملكتك، فإنني إثباتًا للإجلال والاحترام والصدقة، أمنحك لقب أميرة روفان ويملاك، وسيدة قلعة دارن روفان، وإلى هناك ستمضين الآن لتنتظري حلول أوقات أكثر هدوءًا وسعادة.»

حفظت ستिला كونجراف رباطة جأشها، ولم تسمح بظهور أي أثر للدهشة على وجهها. فكرت: لن يبقئها بجانبه، يرسلها إلى دارن روفان، إلى

نهاية العالم، المكان الذي لا يتردد عليه هو نفسه أبدًا. من الواضح أنه لا ينوي خطب ود هذه الفتاة، ولا يفكر في الزواج بها سريعًا. ومن الواضح أنه لا يريد حتى رؤيتها. فلماذا إذن أبعد ديرفلا؟ فما المقصود من ذلك؟

استعادتُ صحوها، وأمسكتُ بيد الأميرة بسرعة. انتهت جلسة الاستماع. عندما خرجتا من القاعة، لم ينظر القيصر إليهما. انحنت الحاشية احترامًا. حين غادرتا، أسند إمهير فار إمريس ساقه إلى متكأ العرش. قال: «سيالاح، إليّ».

توقف القهرمان عند المسافة التي تنص عليها المراسيم للوقوف أمام الحاكم، وانحنى.

قال إمهير: «ادنُ، اقتربْ أكثر يا سيالاح، سأحدثك بصوت منخفض، وما سأقوله موجه إلى أذنك حصراً».

- جلالتك...

- ما الذي تبقى على جدول اليوم؟

تلا القهرمان بسرعة: «قبول أوراق اعتماد سفير ملك كوفير إستراد ومنحه التصريح الرسمي بالموافقة»، أجاب المسؤول بسرعة. تعيين الولاة، وأمري الشرطة، وأمناء البلاط في المقاطعات الأقاليم الجديدة. إقرار لقب الكونت والإقطاعة لـ....».

- سنمنح السفير تصريحاً رسمياً وسنستقبله في مقابلة خاصة. أما باقي الأمور فتؤجل إلى الغد.

- كما تأمرون، جلالتكم.

- أبلغ الفيكونت إيدون وسكيلين أن يمثل في المكتبة فور انتهاء جاستي مع السفير، سريعاً. أنت أيضاً ستكون هناك، وأحضر ساحركم الصاحب، ذاك العراف... ما اسمه؟

- كسارثيسوس، يا صاحب الجلالة. إنه يقيم في برج خارج المدينة...

- لا يهمني مكان إقامته. ترسل بعض الرجال لإحضاره، عليهم جلبه إلى إحدى حجراتي. دون ضجيج، ودون لفت الانتباه، وبسرية. تامة.

- صاحب الجلالة... هل من الحكمة استدعاء هذا المنجم...

- إنني أصدرت أمراً، سيالاح.

- أمركم مطاع.

لم تمضِ ثلاث ساعات حتى اجتمع كل من استدعي في المكتبة القيصرية. هذا الاستدعاء لم يثر استغراب فيكونت إيدون، فاتيير دي ريدو؛ فلقد كان فاتيير رئيس الاستخبارات العسكرية، وقد دأب إمهير على استدعائه مرات كثيرة جداً، وفي النهاية لا تزال الحرب مستمرة. ولم يفاجئ الاستدعاء أيضاً ستيفان سكيلين، الملقب بطائر الخبل، الذي كان يتولى عند الإمبراطور وظيفة القاضي الشرعي، المحقق في الوفيات، ووظيفة خبير في الخدمات والمهمات الخاصة. وما كان لشيء أن يفاجئ الخبل أبداً.

بيد أن الشخص الثالث المستدعى فتفاجأ بشدة بأمر استدعائه، وخصوصاً أنه كان أول من توجه للإمبراطور بمخاطبته.

- أيها المعلم كسارثيسوس.

- جلالة القيصر...

- عليّ تحديد مكان وجود أحد الأشخاص. شخص مفقود أو ربما مختبئ. وربما محتجز. لقد أخفق السحرة الذين قد عهدت إليهم بذلك في وقت مضى سابقاً. هل ستقبل المهمة؟

- كم يبعد المكان الذي يوجد... يمكن أن يوجد فيه هذا الشخص؟

- لو كنت أعلم، لما احتجتُ إلى طقوسك السحرية.

تلعثم المنجم: «أرجو المَعذرة، جلالة القيصر... المسألة هي أن المسافة الكبيرة تُصعّب التنجيم، وعملياً تقصيه تماماً... هم، هم... وإذا كان الشخص تحت حماية السحر... يمكنني أن أحاول، لكن...».

- باختصار، أيها المعلم.

- أحتاج إلى وقت... ومكونات للتعاويذ... إذا كان اقتران النجوم في وضع مناسب... هم، هم... فما تطلبونه، جلالة القيصر، ليس أمراً سهلاً... أحتاج إلى وقت...

فكّر الخبل: لن تمرّ لحظة حتى يأمر إمهير بوضع الساحر على الخازوق،
إذا استمر في المهمة...

قاطع الإمبراطور بطريقة مهذبة، بل لينة غير متوقعة: «معلم
كسارثيسوس، سيقدم إليك كل ما تحتاج. والوقت أيضًا. ضمن حدود
المعقول».

صرح المنجم: «سأبذل قُصارى جهدي. لكنني قد أتمكن من تحديد
الموقع على نحو تقريبي فقط... هذا يعني بحدود المنطقة أو نطاق نصف
القطر...».

- ماذا؟

تلثم كسارثيسوس: «التنجيم... في المسافات الكبيرة، لا يتيح التنجيم
تحديد الموقع إلا على نحو تقريبي... تقريبي جدًا، وبهامش كبير... بهامش
كبير جدًا. في الحقيقة، لست أدري إن كنت سأفلح...».

قال الإمبراطور بحدة، وقد التمعت عيناه السوداوان منذرتين بالشر
والوعيد: «ستفلج، أيها المعلم. لدي ثقة كاملة بقدراتك. وفي ما يتعلق
بالحامش، فإذا هامشك أقل، زاد هامش تسامحي».

انكمش كسارثيسوس.

غمغم: «من الضروري أن أعرف تاريخ ولادة هذا الشخص بدقة. وحتى
ساعة الولادة، إن أمكن ذلك... وسيكون مفيدًا جدًا إيجاد أي شيء يمت إلى
هذا الشخص بصلة...».

قال إمهير بصوت خفيض: «الشعر. هل الشعر يمكن أن يفيد؟».

تهلل المنجم فرحًا: «أوووه! الشعر! هذا سيسهل الأمر كثيرًا... آخ، لو
توفرت لي عينة من البراز أو البول...».

ضاقت عينا إمهير على نحو يندّر بالخطر، فانكمش الساحر وانحنى
بشدة.

راح يتأوه: «أعتذر شديد الاعتذار من جلالتك، جلالة القيصر... أرجو
العفو... فهمت... أجل، الشعر يكفي... يكفي تمامًا... متى أستطيع الحصول
عليه؟».

- سيسلم إليك اليوم مع تاريخ الميلاد وساعته. معلم كسارثيسوس، لن أستبقيك أكثر من ذلك. عد إلى برجك وابدأ مراقبة الكواكب.
- لتحفظ الشمس العظيمة جلالكم...
- حسنًا، حسنًا. يمكنك الانصراف.
- فكر الخبل: «الآن نحن. ترى ما الذي ينتظرنا».
- قال الإمبراطور ببطء: «كل من ينبس بكلمة عن أي شيء سيُقال هنا، سينتظره التمزيق. يا فاتيير!».
- أمركم، صاحب الجلالة.
- ما الطريق التي وصلت منها هنا... هذه الأميرة؟ من كان منخرطًا في ذلك؟
- قطب رئيس الاستخبارات وجهه: «من حصن ناستروج، رافق سُمُوها حراس بقيادة...».
- لا أسأل عن هذا، تبا! كيف وصلت الفتاة إلى ناستروج، إلى فيردن؟ من أوصلها إلى الحصن؟ من هو الأمر حاليًا هناك؟ هل هو من أرسل البلاغ؟ هل يدعى جوديفرون أو ما شابه؟
- أجاب فاتيير دو ريدو بسرعة: «جوديفرون بيتكايرن. طبعًا كان قد أعلم بمهمة رينس والقومس كاهير أيب سيالاخ. بعد ثلاثة أيام من أحداث جزيرة ثانيد، ظهر في ناستروج شخصان. وبكلمات أدق: رجل من البشر وآخر نصف إلفي من حيث رابطة الدم. وهما، بناء على توصيات رينس والقومس كاهير، سلما الأميرة لجوديفرون».
- ابتسم الإمبراطور، وشعر الخبل بقشعريرة سرت في ظهره: «أها. فيلجفورتز تعهد بالإمساك بسيريلا في ثانيد. رينس قدّم لي الضمان نفسه، وكاهير مافر ديفرين أيب سيالاخ تلقى أوامر واضحة بهذا الشأن. ومع ذلك، بعد ثلاثة أيام من الفضيحة في الجزيرة، تُنقل سيريلا إلى ناستروج إلى ضفاف نهر يارًا، ليس بواسطة فيلجفورتز، ولا رينس، ولا كاهير، بل بواسطة رجل من البشر ونصف إلفي. وجوديفرون، بطبيعة الحال، لم يخطر له أن يعتقل هذين الشخصين؟».

- لا. هل أعاقبه على ذلك، يا صاحب الجلالة؟

- لا.

ابتلع الخبل ريقه. ظل إمهير صامتًا، وهو يحك جبينه، بينما كانت ألماسة ضخمة في خاتمه تلمع كنجمة. بعد لحظات، رفع القيصر رأسه.

- فاتيير.

- جلالتكُم؟

- ضع كل مرؤوسيك على أهبة الاستعداد. أمرُ بالقبض على رينس والقومس كاهير. افترض أنهما يقيمان في مناطق لم تسيطر عليها جيوشنا بعد. استخدم من أجل هذا الهدف السكوياتيل أو إلفي الملكة إينيد. يُسلم المقبوض عليهما إلى دارن رواش ويُخضعان للتعذيب.

ضيق فاتيير دو ريدو عينيه، متظاهرًا أنه لا يرى الشحوب الذي اعترى وجه القهرمان سيالاخ: «عم سنسأل، يا صاحب الجلالة؟».

- لا شيء. لاحقًا، عندما يلينون قليلًا، سأستجوبهما أنا شخصيًا. سكيلين!
- كلي أذن مُصغية.

- حاليًا بعد أن يتمكن هذا الهرم كسارثيسيوس... إن استطاع هذا المشعوذ المهمهم تحديد ما أمرته بتحديد... عندئذ ستُنظَّم عملية بحث عن أحد الأشخاص في المنطقة التي سيشير إليها. ستتلقى رسمة وصفية. لا أستبعد أن يشير المنجم إلى منطقة تقع تحت سلطتنا، وحينئذ ستستنفر كل المسؤولين عن هذا البقعة. كل الجهاز المدني والعسكري. هذه المسألة ذات أولوية قصوى. هل فهمت؟

- نعم. هل يمكنني...

- لا، لا يمكنك. اقعذ واستمع، أيها الخبل. على الأرجح، كسارثيسيوس لن يحدد شيئًا. الشخص الذي أمرته بالبحث عنه قد يكون في أرض أجنبية وتحت حماية سحرية. أراهن برأسي أن الشخص المطلوب يوجد في المكان نفسه الذي يقيم فيه صديقنا الساحر فيلجفورتز من روجيفين، المفقود بطريقة غامضة. ولهذا السبب، يا سكيلين، ستشكل وتجهز وَحْدَةً خاصة ستقودها أنت شخصيًا. ستختار من بين الرجال أفضلهم.

يجب أن يكونوا مستعدين لكل شيء... وغير مؤمنين بالخرافات. هذا يعني لا يهابون السحر.

رفع الخبل حاجبيه.

أكمل إمهير: «ستكون مهمة وحدتك مهاجمة مخبأ فيلجفورتز والسيطرة عليه، ذاك المخبأ الذي أجهله حالياً، والذي على الأرجح مخفي جيداً ومحمي تماماً. مخبأ فيلجفورتز، صديقنا السالف وحليفنا».

قال الخبل ببرود: «فهمت. إن الشخص المطلوب، الذي من المرجح أن نجده هناك، لا يمكن أن تمس شعرة من رأسه بسوء، كما أخمن؟».

- تخمينك صائب.

- وفيلجفورتز؟

ابتسم القيصر ابتسامة رهيبة: «يمكن أن يُمس. بل يجب أن يسقط شعره، وإلى الأبد. ومع رأسه. كذلك الأمر ينطبق على السحرة الآخرين الذين تجدهم في مخبئه. دون استثناء».

- فهمت. من سيتولى العثور على مخبأ فيلجفورتز؟

- أنت، أيها الخبل.

تبادل ستيفان سكيلين وفاتير دو ريدو النظرات. مال إمهير على مسند كرسيه.

- كل شيء واضح؟ إذن... ما الأمر، يا سيالاح؟

تأوّه القهرمان، الذي بدا أن أحداً، حتى هذه اللحظة، لم يلتفت إليه: «صاحب الجلالة... أطلب العفو...».

- لا عفو عن الخونة. لا رحمة لمن يتحدثون إرادتي.

- كاهير... ابني...

ضيق إمهير عينيه: «ابنك... لم أعلم بعد أي ذنب اقترف ابنك. أودُّ أن أصدق أن ذنبه لم يتأتَّ إلا من حماقة أو عدم كفاءة، لا من خيانة. إن كان الأمر كذلك، فسيُقطع رأسه، ولن تسحق عظامه بالعجلة».

- صاحب الجلالة! كاهير ليس خائناً... كاهير لم يستطع...

- كفى، يا سيالاح، لا تنبس حتى بكلمة أخرى. المذنبون سيُعاقبون. لقد حاولوا خداعي، ولن أغفر لهم ذلك. فاتير، سكيلين، ستأتين لتسلم الأوامر والتعليمات والتفويضات الموقعة بعد ساعة، بعد ذلك على الفور ستباشران تنفيذ المهام. أمر آخر: لا أعتقد أن عليّ أن أضيف أن الفتاة التي رأيتموها قبل وقت قريب في قاعة العرش يجب أن تظل بالنسبة إلى الجميع سيرىلا، ملكة سينترا وأميرة روفان. للجميع. أمر بأن يُعامل ذلك كسرّ دولة وكمسألة ذات أهمية وطنية قصوى.

نظر المجتمعون إلى الإمبراطور باستغراب.

ابتسم ديثفين أدان ين كارن أيب مورفود ابتسامة خفيفة.

- ألم تفهموا؟ لقد أرسلوا إليّ لقيطة بدلاً من سيرىلا الحقيقية من سينترا. لعلّ هؤلاء الخونة توهموا أنني لن أعرفها. لكنني سأعرف سيرى الحقيقية. سأعرفها حتى لو كانت في أقاصي الأرض وفي ظلمات الجحيم.

مكتبة

t.me/soramnqraa

من الأمور المحيرة جدًّا أن أحاديَّ القرن، مع أنه شديد الفزع ويخاف البشر، يُقبل غير مبطئ نحو أي عذراء يلقاها ولم تكن قد ممسَّ جسدها رجل من قبل، يدنو منها، ويركع، ويضع رأسه في حِجرها دون أي خوف. ويقال إنه في الأزمنة الغابرة، كانت بعض العذارى يتخذن من هذا الأمر عملًا حقيقيًّا لهنَّ. وعشن سنوات طويلة ممتنعات عن الزواج، محافظات على عفتهم، حتى يمكنهن أن يكن طُعمًا لأحادي القرن في يد الصيادين. بيد أنه سرعان ما تكشَّف أن أحادي القرن لا ينجذب إلا إلى العذارى الفتيات، ولا يلتفت البتة إلى الأكبر سنًّا منهنَّ. وبقينا أن أحادي القرن، كونه حيوانًا ذكِّيًّا، يدرك أن التمسك بالعذرية فوق الحدِّ المعقول أمرٌ مشكوك فيه ومخالف للطبيعة.

فيسيولوجوس

الفصل السادس

أيقظها الحر. أعادها اللهب الذي حرق جلدها كأنه حديدة حامية. لم تكن قادرة على تحريك رأسها، ثمة شيء كان يمسكها. انتفضت وأنت من الألم، شاعرة بأن جلد صدغها يتمزق ويتشقق. فتحت عينيها. كان الحجر الذي أسندت رأسها إليه بنياً من جراء الدم المتجمد والجاف. تلمست صدغها فأحست بوجود قشرة صلبة متشققة تحت أصابعها. كانت القشرة ملتصقة بالحجر، وانفصلت عنه عندما حركت رأسها، وها هو الآن يقطر دماً وبلازما. سعلت سيري، وتنحنحت، وبصقت رملاً ولعاباً سميكا ولزجا. نهضت مستندة إلى مرفقيها، ثم جلست ونظرت حولها في كل اتجاه.

كانت محاطة من كل جانب بسهل صخري رمادي-أحمر تقطعه الأفاجيج والصدوع، وترتفع هنا وهناك أكوام من الحجارة أو صخور ضخمة ذات أشكال غريبة. ارتفعت فوق السهل شمس عظيمة، ذهبية، لاهبة، أسبغت على السماء أجمعها صفرة، مشوهة الرؤية بوهجها الذي يعمي البصر، وباهتزاز الهواء.

أين أنا؟

لمست بحذر صدغها المهشّم والمنتفخ. ألمها. ألمها كثيرا. خمنت: لا بد أنني قد تشقبت شقبة قوية. لا بد أنني انزلقت على الأرض بشدة. فجأة لاحظت ملابس ممزقة ومقطعة واكتشفت نقاط ألم جديدة، في عجزها، وفي ظهرها، وفي ذراعها، وعلى وركيها. عندما وقعت، نفذ الغبار والرمل الحاد والحصى إلى كل مكان في جسمي، إلى شعري وأذني، وفمي، وكذلك إلى

عينيَّ اللتين كانتا تدمعان وتسبان الحرقان. واحترقت راحتيَّ ومرفقيَّ،
وتأكلتا حتى انكشف اللحم الحي منهما.

أين أنا؟

مددتُ ساقِيها بلطف وبطء، وتأوهتُ من جديد، بعد أن ردتُ ركبتيها
اليسرى على الحركة بألم موجه عميق. تلمستُ ركبتيها من خلال جلد سروالها
غير التالف، لكنها لم تحسَّ بوجود أي تورم. عندما استنشقت، أحست شعرت
بوخزة مشؤومة في جنبها، أما محاولتيها ثني جذعها جعلتها توشك أن تصرخ،
فقد انتابها تشنج حاد انبعث من أسفل ظهرها. فكرتُ: لقد تهشمتُ كلياً.
لكنني، أغلب الظن، لم أكسرُ شيئاً في جسدي. لو كسرتُ عظمًا من عظامي،
لكان الألم أكبر بكثير. أنا سليمة الجسم، لا شيء سوى كدمات قليلة. سأتمكن
من النهوض. وسأقوم.

ببطء، وبحركات معتدلة، غيّرت وضعيتها وجثتُ بتثاقل، محاولة حماية
ركبتيها الموجوعة. ثم نهضتُ على أطرافها الأربعة، وهي تتنُّ وتتأوه وتهسهس.
أخيراً، وبعد لحظات طويلة بدت لها كأنها أبدية، قامت. لتهوي من فورها على
الحجارة بشدة، لأن الدوار في رأسها الذي غشي عينيها، سحب ساقِيها في
لحظة. ارتمتُ على جنبها، شاعرة بنوبة غثيان مفاجئة. أحسَّت بحرقان سببته
الصخور الساخنة كالجمر.

انتحبتُ: «لن أستطيع النهوض... لا أستطيع... سأحترق في هذه
الشمس...».

خفق في رأسها ألم عميق، لا يُحتمل، لا يتحزح. كل حركة كانت تزيد من
الألم، لذا توقفتُ سيري عن التحرك. غطتُ رأسها بذراعها، لكنَّ الحر سرعان
ما صار جحيماً لا تُحتمل. وأدركتُ وجوب الهرب منها. بعد أن تغلبت على
مقاومة جسدها المتوجع، مغمضة عينيها من جراء الألم الشديد في صدغيها،
زحفت على أطرافها الأربعة نحو صخرة كبرى، نحتتها الرياح جاعلة شكلها
كشكل فطر غريب، وفرت قبعته غير المتناسقة قليلاً من الظل عند منبته.
انكمشت وتكورت، وهي تسعل وتتنشق.

ظلتُ مستلقية مدةً طويلةً، حتى لحقتها الشمس التي تجوب السماء،
وصبَّت النارَ مجدداً من عليّ. تحركت إلى الجانب الآخر من الصخرة، لتكتشف

أنها فعلت ذلك عبثًا. صارت الشمس في وضعها الرأسي، فما عاد الفطر الحجري يوفر ظلًا حقيقيًا. ضغطت بكفيها على صدغيها المصدوعين من شدة الألم.

أيقظتها الرعشات التي هزت جسدها. فقدت كرة شمس النارية وهجها الذهبي الباهر. والآن، وقد غدت في موقع أدنى، معلقة الصخور المسننة المتآكلة، صار لونها برتقاليًا. وخفَّ الحر قليلًا.

جلست سيرى بصعوبة، ونظرت حولها في كل اتجاه. خفت حدة صداها، وتوقف عن إعمائها. تلمست رأسها واكتشفت أن الحر قد حرق الجرح المتيبس على صدغها وجفَّفه محولًا إياه إلى قشرة صلبة زلقة. لكنَّ جسدها بأكمله كان لا يزال يؤلمها، وبدا أنه خلا من أي بقعة سليمة. تنحنحت، وطحنيت الرمل بين أسنانها، وحاولت أن تبصق. لكنَّ دون جدوى. أسندت ظهرها إلى الصخرة ذات الشكل الفطري، التي لا تزال ساخنة من حرارة الشمس. فكرت: أخيرًا، توقف للهبب الحارق. الآن، حين تميل الشمس إلى الغروب، يمكن تحمُّل الحرارة، لكن بعد قليل...

بعد قليل سيحل الليل.

ارتعشت. أين أنا بحق الشيطان؟ كيف أخرج من هنا؟ من أين؟ وإلى أين أذهب؟ أم أبقى في مكاني لا أبرحه، ربما أنتظر حتى يعثرا عليّ؟ لسوف يبحثان عني. جيرالت. ينيفر. لن يتركاني هنا وحدي...

حاولت البصق من جديد، ولم تفلح مرة أخرى. وعندئذ فهمت.

العطش.

تذكرت. منذ ذلك الوقت، في أثناء هربها، أنهكها العطش. تذكرت بدقة المزادة الخشبية التي كانت عند قربوس سرج الحصان الأسود الذي امتطته هاربة إلى برج النورس. لكنها لم تستطع آنذاك فكها أو رفعها، فلم يكن لديها الوقت. والآن، لم تكن المزادة موجودة. الآن لا يوجد شيء. لا شيء سوى الصخور الحارقة الحادة، والقشرة التي على صدغها تسلخ جلدها، وألم جسدها وحلقها المنكمش الذي لا تستطيع تخفيفه حتى بابتلاع ريقها.

لا يمكنني البقاء هنا. يجب أن أذهب وأجد الماء. إن لم أجد الماء، سقطت ميتة.

حاولت القيام، فجرحت أصابعها بالفطر الحجري. قامت. خطت خطوة. وهاوت على أطرافها الأربعة مطلقة أنيناً، وشدت عضلاتها في تشنج جاف يثير التقيؤ. انتابها ودوار وتشنجات شديدة لدرجة أنها اضطرت إلى الاستلقاء من جديد.

أنا عاجزة. ووحيدي. مرة أخرى. خانني الجميع، تركوني، أبقوني وحيدة. تماماً كما في وقت مضى...

أحست سيرى بكماشة غير مرئية تطبق على حلقتها، وبألم تنكمش منه عضلات فكّيها، وبشفتيها المتشققتين وقد بدأتاً تتمزقان. لا يوجد مشهد أقطع من ساحرة تبكي، تذكرت كلمات ينيفر. لكن... لكن لن يراني أحد هنا... لا أحد...

متكورة تحت الفطر الحجري، انتحبت سيرى، وتساعد عويلها جافاً ومروّعاً. دون دموع.

عندما رفعت جفنيها المتورمين المعاندين، لاحظت أن الحر قد خف أكثر، وأن السماء التي كانت تبدو قبل قليل صفراء، عادت إلى لونها الطبيعي، الأزرق الرمادي، والعجيب أنها توشّحت بخطوط رفيعة من السحب البيض. احمرّ قرص الشمس، وانخفض أكثر، لكنه لا يزال ينفث على الصحراء الوهج الحار المتماوج والخافق. ولربما كان هذا الحر ينبعث من الصخور الساخنة؟ جلست، وقد أقرت أن الألم في جمجمتها وجسدها المتكسر قد توقف عن مضايقتها. وأنه أصبح الآن شيئاً لا يُذكر مقارنةً بالمعاناة التي تمتصّ معدتها وتزداد حدة، وبالتخديش الفظيع في حلقتها الجاف الذي يجبرها على السعال. فكرت: يجب ألا أستسلم. ممنوع الاستسلام. كما في كاير مورهين، يجب أن أقوم، يجب أن أهزم الألم والضعف في داخلي وأقضي عليهما وأخمدهما. يجب أن أنهض وأمضي. الآن على الأقل أعرف بأي اتجاه أسير. هناك، حيث تكون الشمس الآن، الغرب. يجب أن أسير، يجب أن أجد ماءً شيئاً يؤكل. يجب أن أفعل، وإلا مت. هذه صحراء. لقد حططت في الصحراء. الشيء الذي دخلته

في برج النورس كان بوابة سحرية، جهازًا سحريًا يمكن من خلاله الانتقال خلال مسافات شاسعة...

كانت البوابة في تور لارا بوابة غريبة. عندما هُرِعتْ إلى الطابق الأخير، لم يكن شيء فيه، ولا حتى نوافذ، لا شيء سوى جدران عارية مغطاة بالفطور. وعلى أحد هذه الجدران، ظهر فجأة شكل بيضاوي على نحو غير منتظم، يشع بوهج متموج. ترددتُ، لكنَّ البوابة أخذتُ تجذبها، وتناديها، بل ترجوها. ولم يكن ثمة مخرج آخر سوى هذا الشكل البيضاوي المضيء. أغمضتُ عينيها ودخلتُ فيه.

ثم كان السطوع الخانق والدُّوامة الهائجة والهبة التي تحبس الأنفاس وتمحق الأضلاع. تذكرت طيرانها وسط الصمت والبرد والفراغ، ويتبعه من جديد وميض والتقاط للنفس بعد اختناق. في الأعلى كان اللون أزرق، وفي الأسفل رماديًا شاحبًا...

قذفها في أثناء الطيران، كما تلقي العقاب الصغيرة سمكة ثقيلة عليها. عندما ارتطمت بالحجارة، فقدتُ وعيها. ولم تعلم كم من الوقت استمرَّ ذلك الوضع.

تذكرتُ وهي تنفض الرمال عن شعرها: لقد قرأتُ في المعبد عن البوابات. ذُكرتُ في الكتب بوابات فاسدة أو فوضوية، تنقل الشخص إلى مكان مجهول وتُلقيه في مكان غير محدد. وعلى الأرجح أن بوابة برج النورس من هذا الصنف. لقد أُلقت بي إلى مكان ما في أقصى العالم. لا أحد يعرف مكاني هنا. لن يبحث عني أحد، ولن يجдени أحد. إذا بقيت هنا، سأموت.

نهضت. مستجمعة كل قواها، وخطتُ خطواتي الأولى، ممسكة بالصخرة. ثم الثانية. والثالثة. كانت هذه الخطوات الأولى كفيلة بجعلها تدرك أن مشبك الحذاء الأيمن ممزق، وأن عنق الحذاء المتدلي يمنعها من السير. جلست، هذه المرة قصدًا وبطريقة غير قسرية، وأجرتُ فحصًا لملابسها وعدتها. وقد أنساها انكبابها على هذا العمل، الإرهاق والألم.

كان الخنجر أول شيء اكتشفته. كانت قد نسيتَه، فالجرب انزاح إلى الخلف. إلى جانب الخنجر، كالمعتاد، كانت الصرة الصغيرة على الحزام. هي هدية من ينيفر، تحتوي على ما «يجب أن يكون لدى السيدة دائمًا». حُلَّتْ

سيرى الصرة. لكن يا للأسف، فمُعَدَّات السيدة الأساسية الخاصة بالسفر، لم تأخذُ بعين الاعتبار الوضع الذي وُجِدَتْ فيه. كانت الصرة تحتوي على مشط صغير من عظم السلحفاة، وقَلَامَةٌ للأظفار، وضمادة مغلّفة من النسيج الكتاني المعقم، وعلبة صغيرة من اليشميت فيها مرهم لليدين.

مسحتُ سيرى على الفور وجهها المتيبس وفمها بالمرهم، وعلى الفور لعقت بنهم المرهم لتزيله عن شفثيها. ودون أن تفكر طويلاً، لحستِ العلبة أكملها، متلذذةً بالدهن وبقليل من الرطوبة المهدئة. كان لخليط البابونج والعنبر والكافور المستخدم لتعطير المرهم طعم مقزز، لكن فعله كان محفّزاً. ربطت عنق الحذاء المتدلي بالحزام الذي استخرجته من الكم بصعوبة، قامت، وخبطتُ بضع مرات لتجرب الحذاء. فتحت الضمادة ونشرتها، وجعلتُ منها رباطاً عريضاً لحماية صدغها المشجوج وجبهتها التي حرقتها الشمس. نهضت، وعدلتُ حزامها، وأدنت الخنجر من وركها اليسرى، ثم أخرجته من جرابه تلقائياً، وتفحصتُ شفرته بإبهامها. كانت حادة، وهي تعرف ذلك. فكرت: لديّ سلاح. أنا ويتشرية. لا، لن أموت هنا. لا يهمني الجوع، سأتحمله؛ في معبد مليتيلي كان علينا أن نصوم أحياناً يومين متتابعين. أما الماء... يجب أن أجد الماء. سأمشي حتى أجده. لا بُدَّ أن تنتهي هذه الصحراء اللعينة في مكان ما. لو كانت هذه الصحراء كبيرة، لعلمت شيئاً عنها، ولكنّني تبينتها على الخرائط التي شاهدتها مع جاري. جاري... ماذا يفعل الآن يا ترى...

قررت: سأنتلق. سأمضي نحو الغرب، إنني أرى أين تغرب الشمس، وهذا هو الاتجاه الوحيد المؤكد. وأنا لا أضل الطريق أبداً، أعرف دائماً الاتجاه الذي يجب أن أسير فيه. وإذا لزم الأمر، سأمشي طوال الليل. إنني ويتشرية. فور استعادة قواي، سأركض كما كنت أفعل في المسلك. حينئذٍ سأصل بسرعة إلى نهاية هذا القفر. سأتحمل. يجب أن أتحمل... ها، ربما كان جيرالت في مثل هذه الصحاري مرات، من يدري، قد يكون قد خبر ما هو أسوأ منها... سأمضي.

لم يتغير المشهد بعد ساعة من سيرها. كل ما حولها كان خاوياً ولا شيء إلا الحجارة الحادة الرمادية-الحمراء التي تتدحرج من تحت أقدامها،

وترغمها على الحذر. شجيرات جافة شائكة متناثرة تمد من الصدوع إليها فروعًا ملتفة. توقفت سيري عند أول شجيرة لقيتها، آملة أن تعثر على أوراق أو غصينات غضة يمكنها مصّها أو مضغّها. لكنّ الشجيرة لم يكن فيها غير الشوك الذي يجرح الأصابع. ولم تكن صالحة حتى لانتزاع قضيب منها. والشجيرتان الثانية والثالثة كانتا على الشاكلة نفسها، وتجاهلت الشجيرات الأخرى، وتجاوزتها دون أن تتوقف.

حل الغروب سريعًا، وانخفضت الشمس فوق الأفق المسنن الممزق، وتوهجت السماء بالحمرة والأرجوان. وجاء البرد بحلول الظلام. في البداية، رحبت به بفرح، فقد خفف البرد على بشرتها المتقرحة، ولكنّ الجو سرعان ما برد أكثر، وبدأت أسنان سيري تصطك. حثت الخطى معولة على أن السير السريع سيمنحها الدفء، لكنّ هذا الجهد أيقظ من جديد الألم في خصرها وركبتها. وبدأت تعرج.

ولزيادة الطين بلة، اختفت الشمس كليًا وراء الأفق، وساد الظلام في لحظات. كان القمر محاقًا، والنجوم التي تغطت السماء بها لم تمنح ما يكفي من الضوء. وسرعان ما فقدت سيري القدرة على رؤية الطريق أمامها. وتعثرت مرات عدّة، فانسلخ جلدها عن معصمها مسببًا ألمًا كبيرًا. وقد حدث أن عثرت قدمها في شقوق بين الحجارة، ولم ينقذها من الإصابة بالتواء في كعبها أو بكسر في رجلها سوى المناورة الويتشرية عند التعثر التي تعلمتها جيدًا. أدركت عدم جدوى المسير. فالسير في وسط الظلمة كان مستحيلًا.

جلست على كتلة مسطحة من البازلت، وقد اجتاح اليأس القاهر شعورها. لم تكن تعرف أكانت تسير في الاتجاه الصحيح. مرّ وقت طويل منذ أن فقدت المكان الذي اختفت فيه الشمس وراء الأفق، وتلاشى تمامًا من عينيها الضوء الضئيل الذي كان يوجهها في الساعات الأولى بعد المغيب. ولم يعدّ حولها سوى السواد المخملي الحالك. والبرد الخارق. البرد شلها ونهش عظامها، وأرغمها على انحناء ظهرها وطأطأة رأسها إلى أسفل كتفيها المتألمتين من شدة التشنج. بدأت سيري تشاق إلى الشمس، مع أنها تعلم أن عودتها ستجلب معها لهيبًا ينصبّ على الصخور، لن تستطيع تحمله، ولن تستطيع مواصلة السير تحته. من جديد، أحست بأن الرغبة في البكاء تخنق حلقها،

وأن موجة اليأس والخيبة تغمرها. لكنَّ اليأس والخيبة هذه المرة تحولاً إلى غضب عارم.

صرخت وسط الظلام: «لن أبكي! أنا ویتشرية! أنا...».
ساحرة.

رفعت سيري يديها، وضغطت براحتيها على صدغيها. القوة موجودة في كل مكان. في الماء، والهواء، والأرض...

نهضت بسرعة، ومدت يديها، خطت بضع خطوات، ببطء، ودون ثقة، باحثة بشغف عن مصدر للطاقة. كانت محظوظة. في لحظة أو أكثر قليلاً، أحست بهدير مألوف ونبض في أذنيها، أحست بنبض الطاقة المنبعث من عرق مائي مخفي في أعماق الأرض. استمدت القوة بالتزامن مع حبس نفسها بحذر، كانت تعلم أنها منهكة، وفي مثل هذه الحالة، يمكن أن يؤدي نقص الأكسجين المفاجئ في المخ إلى فقدانها الوعي على الفور، وهذا ما سيحبط جهودها أكمله. راحت الطاقة تملأها ببطء، فمحتها نشوة مؤقتة مألوفة. بدأت رثائها تعلان على نحو أقوى وأسرع. سيُطرت سيري على تنفسها المتسارع، فضخ الأكسجين المفرط قد يؤدي أيضاً إلى عواقب وخيمة.
ونجحت العملية.

فكرت: أولاً، التعب، أولاً، ذاك الألم الشديد الذي يشل حركة ذراعيها وفخذيها. ثم البرد. يجب أن أرفع درجة حرارة جسدي...

تدريجياً، بدأت تتذكر الحركات والتعاويذ. كانت تؤدي بعضها وتلقيها بتسرع كبير، فجأة انتابتها تشنجات ونوبات ارتجاف، ثم تشنج مفاجئ ودوار وأهن ركبتها. جلست على صفيحة بازلتية، وهذأت يديها المرتجفتين، وتحكمت في تنفسها المتقطع وغير المنتظم.

كررت التعاويذ فارضة على نفسها الهدوء والدقة، والانتباه وتركيز الإرادة الكامل. وفي هذه المرة أيضاً كانت الفعالية فورية. نشرت الدفء الذي غمرها في فخذيها وعنقها. نهضت شاعرة بأن التعب يتلاشى، وبأن عضلاتها المثقلة بالألم تسترخي.

صاحت صيحة انتصار، رافعة يدها عاليًا: «إنني ساحرة. تعال، أيها الضوء الخالد! إني أ استدعيك!

.«!Aen'drean va, eveigh Aine

طارَتْ من كفها كرة ضوء صغيرة دافئة، مثل الفراشة وطبعت على الحجارة ظلال فسيفساء متحركة. وازنت الكرة يد متحركة ببطء، وثبتتها بطريقة جعلتها معلقة أمامها. لم تكن هذه أسعد فكرة، فالضوء أعماها. حاولت وضع الكرة خلفها، لكن ذلك كانت أيضًا نتيجته سيئة، إذ استلقى ظلها على الطريق وجعل الرؤية أسوأ. ببطء أزاحت سيرى الكرة الضوئية جانبًا، وعلقتها أعلى قليلًا من كتفها اليمنى. ومع أن الكرة بديهيًا لا يمكن أن تصل إلى مرتبة الكرة السحرية لإلهة الصيف، أين، كانت البنت فخورة بشدة بإنجازها.

قالت بكبرياء: «يا للخسارة، لأن ينيفر لا ترى هذا!».

واصلت مسيرها بحيوية وثقة، تخطو خطى سريعة وثابتة، منتقية طريقها على هدي ضوء غير ثابت ومتذبذب بين الجلاء والقتامة تلقيه الكرة. حاولت، وهي تسير، تذكر تعاويذ أخرى، لكن لم يبدُ لها أن أيًا منها ستكون صالحة ومناسبة للوضع الحالي، وإضافة إلى ذلك فإن بعضها كانت مرهقة جدًا، وكانت تخافها قليلًا، فلم ترغب في استخدامها إذا لم تكن الحاجة إليها ملحة على نحو واضح. ويا للأسف، لم تكن تعرف أي تعويذة يمكن أن تنتج الماء أو الطعام. وتعلم أن مثل هذه التعاويذ موجودة، ولكنها لا تجيد استخدام أي واحدة منها.

فجأة، بدأت الصحراء التي كانت ميتة حتى الآن تنبض فيها الحياة تحت ضوء الكرة السحرية. فرّت الجعلان البشعة اللامعة والعناكب المشعرة من تحت قدمي سيرى. عقرب صغيرة صفراء محمرة تجر خلفها ذيلًا مقسمًا بحلقات، عبرت راكضة بسرعة الدرب أمامها واختبأت في شق بين الحجارة. سحلية خضراء طويلة الذيل ولّت هاربة في الظلام، محدثة خشخشة على الحصى. وفرّت من أمامها أيضًا قوارض تشبه الفئران الكبيرة، قافزة على أرجلها الخلفية برشاقة وعلى ارتفاع عال. أبصرت وسط الظلام بريق أعين، ومرة سمعت فحيحًا يحبس الدم في العروق، منبعثًا من بين شظايا الصخور

المتراكمة. إذا كانت في البداية قد عقدت النية على صيد شيء يصلح للأكل، فإن الفحيح رغبها عن التنقيب بين الحجارة. بدأت تنظر بحذر إلى أسفل قدميها، وشخصت أمام عينيها رسومها من الكتب التي شاهدتها في كايير مورهيّن: العقرب العملاقة. سكارليتيا. الخيمر. وحش المقابر. لاميا. عنكبوت السلطعون. الوحوش التي تعيش في الصحاري. واصلت السير، متلفتة حولها بخوف وتيقظ، مصغية إلى الأصوات، وضاعطة على مقبض خنجرها بيدها المبللة بالعرق.

بعد ساعات معدودات، بدأت الكرة المضيفة تخبو، وتقلصت الدائرة الضوئية التي كانت تلقيها، وأخذت تسود وتتلاشى. أَلقت سيري تعويذة من جديد، مركزة بصعوبة شديدة. نبضت الكرة بضع ثوان بوهج أسطع، لكنها احمرّت على الفور وخبثٌ مجدداً. هزّها الشعور بالتعب، خطت فاقدة توازنها، تراقصت بقع سود وحمراء أمام عينيها. قعدت بتثاقل، محدثة قرقرة بالحصى والحجارة المنفردة.

انطفأت الكرة تماماً. لم تحاول سيري إلقاء تعويذة مرة أخرى؛ فالإرهاق، والفراغ، وانعدام الطاقة الذي أحسّت به في داخلها، أحبطت كلها سابقاً فرصها في النجاح.

أمامها، بعيداً في الأفق، انبثقت بقعة ضوء خافتة وغير واضحة. أقرّت مذعورة: لقد ضللت الطريق. أخطأت في كل شيء... منذ البداية وأنا أسير باتجاه الغرب، والآن تطلع الشمس أمامي مباشرة، وهذا يعني...

أحسّت بتعبٍ قاهرٍ ونُعاسٍ لم يذهبها عنها حتى البرد الذي من شدته ترتجف. قررت: لن أنام. ممنوع أن أنعس... ممنوع...

أيقظها بردٌ قارسٍ وسطوعٌ متزايد، وأعاد وعيها الألم الذي يعتصر أحشاءها ومعدتها، والحرقة الجافة والمزعجة في حلقها. حاولت النهوض، لكنها لم تستطع. لم تستجب أعضاؤها المتألّمة والمتصلبة. أحسّت برطوبة تحت أصابعها وهي تتلمس براحتها ما كان حولها.

نطقت بصوت مبجوح: «ماء... ماء!».

رفعت نفسها على أطرافها الأربعة، مرتجفةً بأكملها، وأدنت فمها من الكتل البازلتية، وبينهم راحت تجمع بلسانها القطرات المتشكلة على السطح

الناعم، وتمتص الرطوبة من الشقوق على سطح الصخر غير المستوي. في أحدها، تجمّع ما يقارب نصف حفنة من الندى، لعقتها مع ما فيها من رمل وحُصَيّات، دون أن تجرؤ على البصق. تلفتت حولها.

بحذر شديد، حتى لا تفقد ولو نقطة واحدة، جمعت بلسانها القطرات اللامعة العالقة على أشواك شجيرة قزمة، تمكنت بطريقة عجيبة من النمو بين الحجارة. كان خنجرها ملقى على الأرض. لم تتذكر متى أخرجته من غمده. كان نصله غير لامع بسبب طبقة صغيرة من الندى. فلعلقت المعدن البارد بدقة وتأن.

تحركت على يديها وركبتيها إلى الأمام متغلبة على الألم المسبب لتشنج جسدها، متتبعة الرطوبة على الأحجار التالية. لكن قرص الشمس الذهبي قد بزغ الآن فوق الأفق الحجري، وغمر الصحراء بوهج ضوء أصفّر باهر، جفف الصخور على الفور. استقبلت سيري الدفء المتزايد بفرح، لكنها كانت مدركة بأنها ستشتاق إلى برودة الليل قريباً، حين تحرقها الشمس دون رحمة. أدارت ظهرها للكرة الساطعة. كان المكان الذي أضاءت فيه هو الشرق، أما هي فكان يجب أن تسير نحو الغرب. كان عليها ذلك.

ازداد الحر، واشتدّ بسرعة، وفي وقت قصير أصبح لا يُطاق. وقد أنهكها في الظهيرة لدرجة أنها اضطرت، مجبرة لا مخررة، إلى تغيير مسارها بحثاً عن الظل. أخيراً، وجدت ستاراً: صخرة كبيرة على شكل فطر. فزحفت تحتها. وحينئذ، رأت شيئاً ملقى بين الحجارة. كان علبة صغيرة من اليشميت، قد لحست حتى نُظِّفَتْ تماماً من مرهم الأيدي. لم تجد في نفسها ما يكفي من القوة لتبكي.



الجوع والعطش غلبا الإرهاق والاستسلام. بدأت سيرها مترنحة. الشمس حارقة.

بعيداً، في الأفق، خلف ستار متمایل من الحر، رأت شيئاً قد يكون سلسلة جبلية، سلسلة جبلية بعيدة جداً.

عندما حلَّ الليل استمدتْ، بجهدٍ جهيدٍ، قوةً سحريةً، لكنَّ استحضار الكرة السحرية لم تنجح فيه إلا بعد محاولاتٍ عدة، حتى إنها استنفدت قواها لدرجة أنها لم تستطع مواصلة المشي. فقدتْ كل طاقتها، ولم تفلح في تفعيل التعويذات الباعثة للدفع والاسترخاء، رغم المحاولات الكثيرة. مدها الضوء المستحضر سحرياً بالشجاعة، ورفع من معنوياتها، لكنَّ البرد كان يسحقها. وجعلها الزمهرير الخارق النافذ ترتجف حتى مطلع الفجر. كانت ترتعش، منتظرة شروق الشمس بصبرٍ كاد ينفد. أخرجتْ خنجرها من غمده، ووضعتْه على حجرٍ بتيقظ، ليغطي معدنَه الندى. كانت منهكة إنهاكاً فظيماً، لكنَّ الجوع والعطش أبعدا النوم عنها. صمدت حتى الفجر، وكان لا يزال الظلام مخيماً، حين بدأت بلعق الندى من النصل بنهم. عندما أشرق النهار، انطلقتْ على الفور على أطرافها الأربعة، باحثة عن الرطوبة في الحفر والشقوق. سمعت فحيحاً.

فغرَّت سحلية ملونةً كبيرةً، كانت على كتلة صخرية قريبة، فمها الخالي من الأسنان، فغرته تجاهها ناصبةً عرفها الرائع، ونفختْ نفسها وساطتِ الحجر بذيلها. أمام السحلية، بان شق صغير مليء بالماء.

تراجعتْ سيرى في البداية مذعورةً، لكنها على الفور اعتراها اليأس والهياج المروع. أمسكت بقطعة من الصخر حادة، متحسسة بيديها المرتجفتين كل ما حولها.

زعقتْ: «هذا مائي! مائي!».

رمت الحجر. لم تُصب. قفزتِ السحلية برشاقة على أطرافها ذات المخالب الطويلة، واندفعتْ هاربةً بمرونة إلى المتاهة الصخرية. انقضتْ سيرى على الحجر، وامتصتْ بقايا الماء من الصدع. وحينئذ رأت.

وراء الحجر، في تجويف مستدير، برزت سبع بيضات، على نحو جزئي، من رمل أحمر. ودون أي لحظة تفكير، سارعت البنت زاحفةً على ركبتيها نحو العش، التقطتْ إحدى البيضات وغرزت أسنانها فيها. انبعجت القشرة الشبيهة بالجلد وانزلقتْ في راحتها، وانساب زلازلها اللزج إلى كمِّها. امتصت البيضة، ولعقت يدها. راحتْ تبتلعها بصعوبة، ولم تشعر بأي طعم بتاتاً.

امتصّت جميع البيضات، وبقيت على أربع، لزجة، متسخة، مغطاة بالرمل، وقد تدلّى من أسنانها زلال لزج، وهي تنقّب في الرمل بنهم، وتصدر أصواتاً غير بشرية أشبه بالنحيب. سكّنت هامة.

(استوي، أيتها الأميرة! لا تسندي مرفقيك إلى المائدة. انتبهي حين تمدين يدك إلى الطبق، ستلوّثين الكفات المخرمة على أكاماك! امسحي فمك بالمنديل وكُفّي عن التمتع عند الأكل! أيتها الآلهة، ألم يعلم أحد هذه الطفلة كيف تتصرف عند جلوسها إلى المائدة؟ سيريل!)
بكت سيرى، مسندة رأسها إلى ركبتيها.



صمدت في مواصلة السير حتى الظهيرة، ثم أنهكها الحر وأجبرها على التوقف لتستريح. غفّت طويلاً، مختبئة تحت نتوء حجري. الظل لم يمنحها البرد، لكنه كان أفضل من الشمس الحارقة. العطش والجوع أبعدا النوم عنها.

خيّل إليها أن سلسلة الجبال البعيدة كانت تتوهج وتلتمع تحت أشعة الشمس. فكرت: على قمم تلك الجبال يمكن أن تتراكم الثلوج وربما الجليد، وربما ستجري هناك جداول ماء. يجب أن أصل إلى هناك، يجب أن أصل بسرعة.

سارت الليل جُلّه، وقررت أن تهتدي بالنجوم، التي امتلأت بها السماء. لقد ندمت سيرى على أنها لم تهتمّ بالدروس، ولم ترغب في دراسة الأطالس التي تصور السماء وكانت في مكتبة المعبد. طبعاً كانت تعرف أهم الكوكبات: العنزات السبع، الإبريق، المنجل، التتين، وعذراء الشتاء. لكنّ هذه الكوكبات تحديداً عالية مواقعها في خط السماء، ومن الصعب الاهتداء بها في أثناء المسير. أخيراً، تمكنت من أن تختار من بين ذاك الفضاء اللامع نجماً ساطعاً يرشدها، كما حسبت، إلى الاتجاه الصحيح. ما كانت تعلم ما هذا النجم، لذا أطلقت عليه اسماً. سمّته: العين.



سارت. لكنَّ السلسلة الجبلية التي كانت تسعى إليها، لم تقتربْ ولو قليلاً. بقيتْ بعيدة قَدْرَ البعد التي كانت عليه في اليوم الفائت. ومع ذلك كانت تريها الطريق. كانت في أثناء سيرها تجيل النظر بانتباه. وجدت جحر سحلية آخر، وفيه أربع بيضات. أبصرتْ نبتةً خضراء صغيرةً، لا يتجاوز طولها طول خنصرها، تمكنت بما يشبه المعجزة من النمو بين الصخر. ورصدتْ خنفساءَ بنية كبيرة وعنكبوتًا دقيقة الأرجل. ازدردتْ كل شيء.

•

عند الظهيرة، تقيأتْ ما أكلته، ثم أغمى عليها. عندما استعادت وعيها، بحثتْ عن قليل من الظل، واستلقَتْ متكورة، ضاغطةً براحتيها بطنها المتألم. عند غروب الشمس، استأنفتِ السير. مضتْ متصلةً، كأنها آلة ذاتية الحركة. وقعتْ عدة مرات، لكنها نهضتْ ومضتْ قُدماً. سارت. كان لزاماً عليها أن تسير.

•

المساء. الاستراحة. الليل. العين تشير إلى الطريق. المسير حتى الإنهاك التام، الذي حلَّ قبل طلوع الشمس بوقت طويل. الاستراحة. والنوم المضطرب. والجوع. والبرد. وانعدام الطاقة السحرية، والإخفاق في استحضار الضوء والدفع بالسحر. والعطش الذي يشتدُّ مع قطرات الندى التي كانت تلحقها أول الصباح من شفرة الخنجر ومن الحجارة. عندما أشرقتِ الشمس، غلبها النعاس في الدفع المتزايد. أيقظها الحر الحارق. نهضتْ لتواصل السير.

أغمى عليها بعد أقل من ساعة من المسير. وحينما استعادت وعيها، كانت الشمس رأسيةً وحارقةً بشدة. لم تكنْ لديها القوة للبحث عن الظل. لم تكنْ لديها القوة كي تقوم. لكنها قامت.

سارت. لم تستسلمْ. سارت جلَّ يومها التالي. وجزءاً من الليل.

من جديد استغرقتُ في النوم في أشد ساعات الحر، متكورَةً تحت صخرة مائلة متعمقة في الرمال. كان نومها مضطرباً ومضنياً. حلمتُ بالماء، بالماء الصالح للشرب. بشلالات ضخمة بيضاء محاطة بسديم وقوس قزح. بجداول تغني. بينابيع صغيرة في الغاب مظلمة بالسرخس المغمور بالماء. بنوافير قصور تفوح منها رائحة الرخام الرطب. بآبار تغطيها الطحالب، ودلاء تفيض بالماء... بقطرات تسيل من قناديل جليد متدلّية وهي تذوب... ماء. ماء بارد منعش، يلدغ الأسنان بالألم، لكنه ذو طعم مذهل، منقطع النظير...

استيقظتُ، هبتُ منتصبَةً بسرعة، وبدأتُ تسير في الاتجاه الذي جاءت منه. عادتُ متدحرجةً ومتعثرةً. كان عليها أن تعود! في أثناء سيرها مرت بالماء وتخطته! مرّت دون أن تتوقف عند جدول كان يخرخر بين الصخور! كيف يمكن أن تكون بهذا القدر من الطيش!

استعادتُ وعيها.

خفّ، واقترب المساء. الشمس تشير إلى جهة الغرب. الجبال. الشمس لا يمكن للشمس أن تكون وراءها، ولا يحق لها ذلك. طردتُ سيرى الأوهام، وكبحت نفسها عن البكاء. استدارتُ واستأنفتُ المسير.



سارت طَوال الليل، لكنّ ببطء شديد. لم تبتعدُ كثيراً. كانت تغفو في أثناء السير، تحلم بالماء. وعندما أشرقت الشمس، وجدتُها جالسةً على جلمود صخر، تحديق إلى شفرة خنجرها وساعدها العاري. إن الدم سائل. يمكن شربه.

طردتُ الأوهام والكوابيس. ولعقتُ خنجرها المغطى بالندى، واستأنفتُ المسير.



أغمى عليها. واستعادت وعيها، كانت الشمس والأحجار اللاهبة تحرقها. أمامها، وراء ستار يهتز من شدة الحر، رأّت سلسلة الجبال المسننة المتآكلة.

صارَتْ أَقْرَب. أَقْرَبَ بِكَثِيرٍ.

لكنها استنفدت كل قواها. فقعدت.

كان الخنجر في يدها يعكس أشعة الشمس ويتوهج. كان حادًا. كانت تعلم ذلك.

لماذا تعذبين نفسك، سأله الخنجر بصوت هادئ ومتزن، بصوت ساحرة شديدة الدقة، تدعى تيسايا دي فريس. لماذا تحكمين على نفسك بالعذاب؟ انهي الأمر، بعد كل هذا!
لا. لن أستسلم.

لن تتحملي هذا. هل تعلمين كيف يموت المرء من العطش؟ بعد قليل ستفقدين عقلك، وحينئذ سيكون الأوان قد فات. عندئذ لن تعودى قادرة على إنهاء الأمر.

لا، لن أستسلم؛ سأتحمل.

أعادت الخنجر إلى غمده. قامت، ترنحت وسقطت. قامت، ترنحت، واستأنفت المسير.

فوقها، عاليًا في السماء الصفراء، رأت نسرًا.



عندما استعادت وعيها من جديد، لم تتذكر متى سقطت. لم تتذكر كم مضى من الوقت وهي ملقاة. نظرت إلى الأعلى. لقد انضم إلى النسر الذي يحوم فوقها، اثنان آخران. لم تكن لديها القوة الكافية كي تنهض. أدركت أنها النهاية. تقبلت الأمر بهدوء. بل بشيء من الراحة.



شيء ما لمسها. شيء نكز كتفها برفق وحذر. بعد فترة طويلة من الوَحْدَة، حيث كانت محاطة بالحجارة الميتة الجامدة، ولا شيء غيرها، جعلها هذا اللمس تنتفض بسرعة رغم إرهاقها الشديد، أو جعلها على الأقل تحاول أن تنتفض. ذاك الشيء الذي لمسها، نفخ وقفز مبتعدًا وهو يخطب الأرض خبطًا عالي الصوت.

جلستُ سيري بصعوبة تمسح زوايا عينيها التي ملأهما القذى، بمشط يدها.

فكرتُ: «لقد جُننتُ».

على بعد بضع خطوات منها، وقف حصان أمامها. رمشتُ. لم يكن وهماً. كان حصاناً حقاً. حُصيناً. حصاناً فتياً، يكاد يكون مهرًا.

استعادتُ وعيها. لعقتُ شفتيها المتشققتين وتنحنت لاإرادياً. قفز الحصان الصغير ونكص، محدثاً بحوافره طقطقة على الحصى. كان يتحرك بطريقة غريبة، وبدا لونه أيضاً غير مألوف؛ لا هو كميت ولا هو أشهب. ربما بدا كذلك فقط لأنه كان يقف في خلفية الشمس.

نفخ الحصان وخطا بضع خطوات نحوها. الآن رأتَه على نحو أفضل. بما يكفي لتلاحظ على الفور، إضافة إلى لونه غير المألوف فعلياً، عدم التكامل الغريب في بنيته: رأسه الصغير، عنقه النحيل جدًّا، أرسغه الرقيقة، ذيله الكثيف. توقف الحُصين ونظر إليها، وهو يدير رأسه جانباً. تنهَّدت سيري دون صوت.

برز من جبهة الحُصين المفلطحة قرنٌ طويلٌ، لا يقل طوله عن شبرين. مستحيل مطلق، فكرتُ سيري، وهي تستعيد وعيها وتجمع أفكارها. إن أحادييات القرن لم تعد موجودة في العالم، لقد انقرضت. حتى في سِفَر الويتشريين في كاير مورهين لا ذكر لأحادي القرن! لم أقرأ عنهم إلا في سِفَر الأساطير في المعبد... أها، وفي كتاب الفيسيولوجيا الذي تصفحته في بنك السيد جيانكاردي، كانت صورة تمثيلية لأحادي القرن... لكنَّ أحادي القرن كان في هذه الرسمة أقرب إلى معزاة منه إلى حصان، وله أرسغ مُشعرة وذقن معزاة، وقرنه بطول ذراعين، ربما...

ما أدهشها أنها تتذكر كل شيء بمثل هذه الدقة، وهي أحداث وقعت منذ مئات السنين. دهمها دوارٌ مفاجئٌ في الرأس، وألم لوى أحشاءها. تأوهت وتكوَّرت. حمحم أحادي القرن شاخراً، وخطا نحوها خطوة، ثم توقف ورفع رأسه عاليًا.

تذكرت سيري فجأة ما تقوله الأسفار عن أحادييات القرن.

قالت بصوت مبجوح، محاولةً الجلوس: «يمكنك الاقتراب دون خوف... يمكنك ذلك، فأنا...».

شجر أحادي القرن وارتدَّ قافزًا، وجرى ملوحًا بذيله بحيوية. لكنه توقف بعد لحظة، نتر رأسه، ونبش الأرض بحافره، وصهل صهيلاً قويًا. أنتَ بيأس: «ليس صحيحًا! جاري لم يقبلني إلا مرة واحدة، وهذا لا يُحسب! عُد!».

أغمضَ الجهد المضني عينيها، وتهاوت على الحجارة هامدة. وعندما استطاعت أخيرًا رفع رأسها، كان أحادي القرن مرة أخرى قريبًا. ينظر إليها متفحصًا، ومال برأسه ونفخ بصوت خفيض.

همست: «لا تخف مني... لا داعي إلى ذلك، فأنا... أنا أحتضر...».

صهل أحادي القرن، هازًا رأسه. وأغمى على سيرى.



عندما صحتُ، كانت وحيدةً. متألِّمةً، ومتيبسةً، وعطشى، وجائعةً، ووحيدةً كظللها. كان أحادي القرن وهمًا، حلمًا. واختفى كما يختفي الحلم. فهمتُ ذلك، قبلته، لكنها شعرت بالأسف واليأس، وكأن الكائن كان موجودًا فعلًا، وكان بجوارها وهجرها. كما هجرها الجميع.

أرادت النهوض، لكنها لم تستطع. أسندت وجهها إلى الحجارة. مدت يدها إلى جنبها ببطء، وتحسست مقبض الخنجر.

الدم سائل. يجب أن أشرب.

سمعت طقطقة حوافر ونفخًا.

همست، رافعةً رأسها: «عُدت... أحقًا عُدت؟».

شجر أحادي القرن بقوة. رأْتُ حوافره قريبة، بالقرب منها تمامًا. كانت الحوافرُ مبللةً، بل تقطر ماءً.



زادها الأمل قوةً وملأها بالنشوة. تولى أحادي القرن القيادة، وتبعته سيري، غير متيقنة أكان هذا كله حلمًا. وعندما نال منها الإرهاق، مشّت على أربع. ثم راحت تزحف.

قادها أحادي القرن بين الصخور إلى إفجيج مستوٍ، قاعه مفروش بالرمل. زحفت سيري بأخر ما تبقى لها من قوة. لكنها زحفت، لأن الزمل كان مبللاً. توقف أحادي القرن فوق فجوة بينة في الرمل، صهل ونبش بحافره، مرة، ثم مرة ثانية، ثم ثالثة. فهمت الأمر. اقتربت إليه زاحفة، وساعدته. نقبت وكسرت أظفارها، حفرت وأزاحت الرمل. ولعلها انتحبت في أثناء ذلك، لكنها لم تكن متأكدة. وعندما ظهرت سائل موجل في قاع الحفرة، ألقت شفتيها على الفور عليه وأخذت تجترع الماء العكر مع الرمل بنهم شديد، لدرجة أن السائل اختفى. سيطرت سيري على نفسها بجهد بالغ. عمقت الحفرة بمساعدة خنجرها، ثم جلست وانتظرت. طحنت الرمل بأسنانها، وكانت ترتجف من نفاد الصبر، لكنها انتظرت حتى تمتلئ الحفرة من جديد بالماء. ثم شربت. طويلاً.

في المرة الثالثة، أتاحت للماء أن يصفو قليلاً، وارتشفت أربع رشفات دون رمل، لكن مع الطين فقط. وتذكرت حينئذ أحادي القرن. قالت: «لا بد أنك عطشان أيضاً، يا حُصين. لكنك طبعاً لن تشرب الطين. لا يوجد حُصين يشرب الطين».

صهل أحادي القرن.

عمقت سيري الحفرة، وعززت حافاتها بالحجارة.

- انتظر، يا حُصين. دعه يصفو قليلاً...

نفخ «الحُصين»، ودق الأرض، وأدار رأسه.

- لا تنفر. اشرب.

قرّب أحادي القرن خطمه بحذر نحو الماء.

- اشرب، يا حُصين. هذا ليس حلمًا. هذا ماء حقيقي.

في البداية، ترددتُ سيري، ولم ترغب في الابتعاد عن النبع. كانت قد ابتكرت طريقة جديدة للشرب اعتمدت على عصر منديل مبلل في الحفرة المعمقة على فمها، ما سمح بترسيب الرمل والطين على نحو كبير. لكن أحادي القرن أصر، كان يسهل، يدق الأرض، يبتعد راکضاً ثم يعود من جديد. كان يستحثها على المسير ويشير إلى الطريق. بعد تفكير عميق، استجابتُ سيري. فقد كان الحيوان محقاً، يجب أن تواصل السير نحو الجبال، وتخرج من الصحراء. انطلقت خلف أحادي القرن، وهي تتلفت وتدون في ذاكرتها موقع النبع بدقة. لم ترد أن تضل الطريق، في حال اضطرت هنا إلى الرجوع. سارا معاً طوال اليوم. كان أحادي القرن، الذي أسمته «حُصينا»، يقودها. كان حُصينا غريباً. يقضم ويمضغ سوق النباتات الجافة التي لن يقربها، ليس الجواد فحسب، بل حتى المعزاة الجائعة. وعندما وجد رتلاً من النمل الكبير المتجول بين الصخور، راح يأكله أيضاً. في البداية، راقبت سيري ذلك بدهشة، ثم انضمت إلى الوليمة. كانت جائعة.

كان النمل حامضاً بشدة، لكن بفضل ذلك، لم يعد ينتابها الشعور بضرورة التقيؤ. إلى جانب ذلك، كان عدد النمل كبيراً، وكان من الممكن العمل قليلاً على تنشيط فكّيها المتصلبين. وكان أحادي القرن يأكل الحشرة كاملة، فيما تكتفي هي بمؤخر الجسم منها، وتبصق الأجزاء الصلبة من القشور الكيتينية. واصلتُ المشي. رأى أحادي القرن بضغ نباتات من الضُهياء المصفرة، وأكلها بشهية كبيرة. هذه المرة، لم تنضم سيري إليه. لكن عندما وجد الحُصين في الرمل بضع بيضات سحلية، أكلتها هي، فيما ظل هو يراقبها. واصلتُ السير. وجدتُ سيري نباتات ضهياء، فأشارتُ إلى الحُصين ليأكلها. بعد مدة، نبّهها الحُصين إلى وجود عقرب سوداء ضخمة لها ذيل طويل، ربما يبلغ شبراً ونصف الشبر. داستُ سيري هذه المخلوق القميء. ولما رآها أحادي القرن لا تهتم بأكل العقرب، أكلها هو، وبعد ذلك بقليل أشار لها لتنتبه إلى جحر آخر للسحالي.

كان ذلك، كما تبين، تعاوناً مقبولاً جداً.

السلسلة الجبلية تقترب أكثر فأكثر.

عندما حلَّ الليل العميق، توقف أحادي القرن، ونام واقفاً. في البداية، حاولت سيرري، المتمرس في التعامل مع الخيول، إقناعه بأن يستلقي، فقد تتمكن من أن تجرب النوم عليه والاستفادة من دفئه، لكن محاولاتها لم يتمخض عنها شيء. ظلَّ أحادي القرن ينفر منها، محافظاً على مسافة بينهما. لم يشأ بتاتاً التصرف بطريقة تقليدية، كما هو موصوف في الكتب العلمية، وكان واضحاً أنه لا ينوي مطلقاً وضع رأسه في جِبرها. ساورت سيرري الشكوك. فلم تستبعد أن الكتب يمكن أن تكذب بشأن العلاقة بين أحادي القرن والعذاري، ولكنَّ احتمالاً آخر كان قائماً. أحادي القرن هذا هو في واقع الأمر مهر، وكونه مخلوقاً صغير السن فقد لا يعرف شيئاً بأمور العذاري. ولقد استبعدت إمكانية أن يكون الحُصين قادراً على الإحساس بتلك الأحلام الغريبة، التي راودتها ذات يوم، وأخذها على محمل الجد. فمن ذا الذي يأخذ الأحلام على محمل الجد؟

لقد خيَّب آمالها بعض الشيء. جالا معاً يومين وليلتين، ولكنه لم يجد ماءً مع أنه بحث عنه. توقف عدة مرات، وهز رأسه، ووجَّه قرنه، ثم مشى، واخترق الصدوع الصخرية، ونبش الرمل بحوافره. وجد النمل، وجد بيوض النمل واليرقات. وجد جحراً للسحالي. وجدَّ ثعباناً ملوناً سحقه بمهارة. لكنه لم يجد الماء.

لاحظت سيرري أن أحادي القرن يمشي بطرق ملتوية، ولا يلتزم خطَّ سير مستقيم. ساورتها شكوك مسوَّغة بأن هذا المخلوق لم يعيش في الصحراء، بل إنه، وبكل بساطة، تاه فيها. مثلها تماماً.

كان النمل الذي بدأ يعثران عليه بكثرة يحوي في داخله رطوبة حامضة، لكنَّ سيرى أخذت تفكر بجدية أكبر بالرجوع إلى النبع. لو واصل السير قُدماً ولم يعثرا على ماء، فقد لا تتوفر لديهما القوة الكافية للرجوع. كان الحر لا يزال رهيباً، والمسير أرهاقها.

قد اعتزمت البدء بشرح هذا الأمر للحصين، عندما سهل فجأة سهيلاً متواصلاً، ولوّح بذيله، ثم اندفع جرياً إلى الأسفل بين الصخور المسننة. لحقت به سيرى وهي تأكل الأجزاء الخلفية من النمل.

ملأ المساحة الواسعة بين الصخور، حاجز رسوبي رملي عريض، وفي وسطه بان تجويف بوضوح.

فرحت سيرى: «ها! أنت حصين ذكي حقاً. لقد وجدت نبعاً مرة أخرى. لا بد أن يكون ماء في تلك الحفرة!».

نفخ أحادي القرن نفخاً متواصلاً، وهو يدور حول الحفرة خبياً خفيفاً. اقتربت سيرى. كانت الحفرة كبيرة، قُطرها ليس أقل من عشرين قدماً. كانت مدورة على نحوٍ دقيق ومتساوٍ تماماً، أشبه بقمع، منتظم إلى درجة كبيرة، وكأن أحداً قد ضغط بيضةً عملاقةً في الرمل وظل أثرها. فجأة أدركت سيرى أن مثل هذا الشكل المنتظم لا يمكن أن يتشكل عفوياً. لكن الآن فات الأوان.

شيء ما تحرك في قاع الحفرة، ولطمت سيرى زوبعة مفاجئة من الرمال والحصى، فقفزت مرتدةً، وسقطت فأدركت أنها بدأت تنزلق إلى الأسفل. لم تضربها رشقات نوافير الحصى وحدها فحسب، بل ضربت حافة الحفرة، وانهارت الحافة موجةً تلو الأخرى، ساحبةً إياها نحو القاع. صرخت، وهي تلوّح بذراعيها كسباحة، محاولةً عبثاً العثور على موطنٍ لقدميها. وفهمت على الفور أن حركاتها المتسارعة تُفاقم المشكلة وتزيد من انهيار الرمال. انقلبت على ظهرها، ودفعت بعقبها، ونشرت يديها على اتساعهما. تحرك الرمل في قاع الحفرة وراح يتماوج، رأت كماشة بنية تبرز من تحته، تنتهي بخطافات، ويبلغ طولها نحو نصف قامة. صرخت مجدداً، وهذه المرة بصوت أعلى بكثير.

انقطع فجأة تدفق الحصى عن التساقط عليها، وارتطم بحافة الحفرة المقابلة. وقف أحادي القرن على قائميه الخلفيين، صاهلاً بجنون، فقد

انهارت الحافة تحته. حاول أن يخلص نفسه من الرمال الخوارة الزلقة، لكن دون جدوى، إذ كان ينزلق فيها أكثر فأكثر، ويهوي بسرعة متزايدة تجاه القاع. أطبقت الكماشة المروعة بغتة. سهل أحادي القرن بيأس، وراح يتخبط ضارباً بحافريه الأماميين الرمال المنهالة وقد ذهب قواه، بينما كانت قائمته الخلفيتان محبوستين تماماً. وعندما انزلق إلى قاع الحفرة، أطبقت عليه الكماشة الفظيعة للوحش المختبئ في الرمال.

وإذ سمعت سيري زعيق الألم الوحشي، صرخت بحق وألقت بنفسها إلى الأسفل، وقد استلّت خنجرها من غمده. لكنّ حالما وصلت إلى القاع حتى أدركت أنها ارتكبت خطأ. لقد اختبأ الوحش عميقاً، ولم تبلغه طعنات خنجرها بسبب طبقة الرمل. وما زاد الطين بلة، أن أحادي القرن الذي أمسكت به الكماشة الوحشية، وسحبه فخ الرمل، جُنّ من شدة الألم، وراح يزعق ويخبط بحوافره الأمامية خبط عشواء، معرضاً إياها لخطر سحق عظامها.

لم يكن للرقصات والحيل الويتشرية أي نفع في هذا الوضع. لكنّ ثمة تعويذة واحدة سهلة بما يكفي. استدعت سيري القوة وضربت بطريقة التحريك العقلي.

انطلقت غيمة من الرمل إلى الأعلى، كاشفة الوحش المتشبث بفخذ أحادي القرن الزاعق. صرخت سيري من الذعر؛ لم يسبق لها أن رأت شيئاً قميئاً إلى هذا الحد، لا في أي رسم توضيحي، ولا في أي سفر من الأسفار الويتشرية. شيئاً مقزراً كهذا لم يكن في وسعها حتى تخيله.

كان الوحش رمادياً متسخاً، أسطواناني الشكل ومفلطحاً كالبقعة المنتفخة دماً، وغطت شعيرات متناثرة المقاطع الضيقة من جسده الشبيه بالبرميل. وبدا كأنه لا أرجل له بتاتاً، لكنّ كماشته تكاد تكون بطوله تماماً.

تركّ الوحش على الفور أحادي القرن حينما زال عنه الغطاء الرملي، وبدأ يدفن جسمه المنتفخ بحركات غير متناسقة، عنيفة وسريعة. فعل ذلك ببراعة مدهشة، أما أحادي القرن الذي كان يحاول الإفلات من جوف الحفرة فقد ساعده بدفع كميات كبيرة من الرمال إلى الأسفل. جُنّ جنون سيري وانتابته الرغبة في الانتقام. انقضت على المسخ الكريه الذي يكاد لا يرى من تحت الرمال، وطعنت ظهره المحذب بخنجرها. هاجمته من الخلف بحذر، مبتعدة

عن كماشته التي ما برحت تطقطع، وكما تبين فإنها تستطيع الوصول إلى مسافة بعيدة خلفها. طعنْتُ من جديد، لكن الوحش راح يدفن نفسه بسرعة لا تصدق. وهو لا يدفن نفسه للهرب، بل يفعل ذلك لكي يهاجم. كانت تكفيه حركتان ليخفي نفسه تمامًا. دفع بسرعة، وهو مختبئ، برشقة من الحصى دافئاً سيرى حتى منتصف فخذيهما. انتفضت ونكصتُ إلى الخلف، لكنها لم تجد طريقاً للهروب؛ فلا تزال الحفرة ممتلئة بالرمل اللزق، وأي حركة تأتي بها كانت تسحبها إلى القاع. وتضخم الرمل في القاع وانطلقت نحوها موجة، ومن الموجة خرجت منها كماشة تطقطع وتنتهي بخطافات حادة.

أنقذها الحصين. وقد غاص منزلقاً إلى قاع الحفرة، وضرب بحوافره الانتفاخ الرملي المتضخم الذي فضح الوحش المختبئ بموضوع غير عميق. تحت سيل الركلات العنيفة انكشف ظهر الوحش الرمادي. خفض أحادي القرن رأسه ونطح المسخ بقرنه نطحةً أصابته في مكان التقاء رأسه المسلح بالكماشة مع جذعه المنتفخ. وحين رأت سيرى كماشة الوحش المضغوط على الأرض، العاجزة عن إزالة الرمال، وثبت وطعن الجسم المرتجف ضربة قوية بخنجرها، ثم سحبت النصل وطعنته مرة ثانية. وثالثة. أخرج أحادي قرنه، وانهال بقوة بحافريه الأماميين على جسم الوحش الشبيه بالبرميل. بعد هذا التعذيب لم يحاول الوحش أن يهيل الرمل مجدداً. وهمد دون حراك. تبلل الرمل حوله بسبب سائل مخضر. مكتبة سر من قرأ

خرجاً من الحفرة بصعوبة. تهاوت سيرى على الرمال بخمول، بعد أن ابتعدت بضع خطوات، لاهثةً بمشقة ومرتجفةً على وقع موجات الأدرينالين التي هاجمت حنجرتها وصدغيها. دار أحادي القرن حولها. دبّ بتناقل، وسال الدم من جرح في فخذه، نازلاً إلى رجليه ورسغه معلماً خطواته بأثر أحمر. نهضت سيرى على أطرافها الأربعة، وتقيأت فجأة. قامت بعد لحظات، تمايلت، واقتربت من أحادي القرن، لكن الحصين لم يسمح لها بلمسه، ابتعد ثم ارتمى على الرمل وتمرغ به. وبعد ذلك نظف قرنه ناطحاً به الرمل عدة مرات.

سيرى أيضاً نظفت نصل خنجرها ومسحته، وهي تلتفت في كل لحظة بقلق نحو الحفرة القريبة. قام أحادي القرن، وصهل، ثم اقترب منها مبطناً مشيه.

- أودُّ أن أعاين جرحك، يا حُصين.

سهل الحُصين وهز رأسه ذا القرن.

- إذا كنتَ لا تريد، فلا بأس. إذا كنت تستطيع السير، فلنمض. من الأفضل ألا نبقي هنا.



بعد ذلك بمدة قصيرة، ظهر في طريقهم حاجز رسوبي رملي آخر مترامي الأطراف من الرمال، مليء بأكمله، وحتى حافته المحاطة بالصخور، بحُفر مدفونة بالرمال. نظرت سيري مذعورةً، فبعض الحفر كانت أكبر بمرتين على الأقل من تلك التي قاتلا فيها من أجل حياتهما. لم يجرأ على عبور الحاجز الرسوبي، وهما يدوران سائرَيْن بين الحُفر بحذر. كانت سيري مقتنعة أن تلك الحفر ما هي إلا فخاخ لفرائس غير حذرة، وأن الوحوش المتربصة ذات الكماشات الطويلة ليست خطرة إلا على الضحايا الذين يسقطون في الحفر. مع أخذ الحيطة والابتعاد عن الفجوات، كان بالإمكان التغلب على الأرض الرملية بالسير مباشرةً، دون الخوف من أن يخرج أحد الوحوش من الحفر ويبدأ بمطاردتهم. كانت متأكدةً من خلو الأمر من المخاطرة، لكنها فضّلت ألا تختبر ذلك. بدا واضحاً أن أحادي القرن يشاركها الرأي؛ كان ينفخ شاخراً ويبتعد، ويبعدها عن البقعة الرسوبية الرملية. زادا من طول الطريق بانعطاف يتجنب المنطقة الخطرة، وهما لا يبرحان الصخور والأرض الحجرية التي لا يستطيع أي وحش أن يحفر فيها حفراً.

وهما سائران، ظلت سيري مثبتةً نظرها على الفجوات. لقد شاهدت عدة مرات كيف انطلقت نوافير من الرمال من الفخاخ القاتلة إلى الأعلى؛ كانت الوحوش تعمق حفرها وتجدها. وبعض الحفر كانت قريبة جداً من بعضها إلى درجة أن الحصى المتطاير من أحد المسوخ كان يسقط في الحفر الأخرى المجاورة، منبهاً بوجود وحوش مختبئة في القاع، وعندئذ يبدأ الرشق المدفعي المرعب، ويستمر أزيز وقصف الرمال المتساقطة كالبرد بضع لحظات.

تساءلت سيري عما تصطاد تلك الوحوش الرملية في هذه الصحراء الميتة التي لا ماء فيها. وأتاها الجواب من تلقاء نفسه: فقد طار من إحدى الحفر

القريبة شيءٌ مظلّم منعطفًا انعطافًا واسعًا، وسقط قربيهما محدثًا دويًا. نزلت سيرى من الصخور إلى الرمل بعد لحظة تردد قصيرة. ذاك الشيء الذي انقذف من الحفرة كان جثةً قارض يشبه الأرنب، في فروته على أقل تقدير. بدت الجثة منكمشةً تمامًا، صلبةً وجافةً كالنُحاتة، وخفيفة وخاوية كالبرثة. ولم تكن فيها نقطة دم. ارتجفت سيرى، فقد صارت تدري الآن ما الذي تصطاد تلك المسوخ وكيف تغذي نفسها.

سهل أحادي القرن صهيلاً تحذيرًا. رفعت سيرى رأسها. لم تكن في المنطقة الأقرب إليها أي حفرة، كان الرمل مستويًا أملسًا. وفجأة انتفخ أمام عينها هذا الرمل المستوي الأملس، وبدأ هذا الانتفاخ يتحرك نحوها بسرعة. ألقت الجثة الصغيرة الممصوص دمها وهربت إلى الصخور بسرعة. وتبين أن قرارها بتجنب الحاجز الرسوبي الرملّي كان صحيحًا جدًّا.

واصل السير، متجنبين رُقع الرمال حتى أصغرها، ولم يطأ إلا الأرض الصلبة. مشى أحادي القرن ببطء وكان يعرج، ولا يزال ينزف دمًا من فخذه. لكنه استمرّ في منع سيرى من الاقتراب منه ومعاينة جراحه.



ضاقت البقعة الرملية كثيرًا وبدأت تنطوي. حلّ الحصى الخشن، وبعده الحصى المستدير، محل الرمال الناعمة. لم يشاهد أي حفرة منذ وقت طويل، فقررا السير على المسار الذي تشكل جرّاء الحاجز الرسوبي. بدأت سيرى تتحرك حركة أسرع، مع أنها عادت من جديد تعاني العطش والجوع. ثمة أمل. لم يكن الحاجز الرسوبي الحجري أيّ حاجز رسوبي بالمعنى الدقيق، بل هو قاع نهر يجري من جهة الجبال. والنهر لم يكن فيه ماء، لكنه يقود إلى الينابيع، الشحيحة جدًّا والقليلة الغزارة إلى درجة لا تكفي لملء مجرى النهر بالماء، لكنها على الأرجح تكفي للشرب.

سارث سيرى بوتيرة أسرع، لكن كان عليها أن تبطئ؛ فقد أبطأ أحادي القرن خطوه. سار بصعوبة بينة، يعرج، ويجرر رجله، ويميل بحافره جانبًا. وعندما حلّ المساء، استلقى ولم ينهض عندما اقتربت منه. سمح لها بمعاينة جرحه.

ثمة جرحان على جانبي فخذة المتورمة والساخنة. كان الجرحان ملتهبين ولا يزالان ينزفان، ومع الدم يسيل من الجرحين قيح لزج كريح الرائحة. كان الوحش سامًا.



في اليوم التالي ساء الوضع. كان أحادي القرن يمشي بشق الأنفاس. وفي المساء ارتمى على الحجارة ولم يشأ النهوض. وعندما جثت بجانبه، مدّ منخرية وقرنه نحو فخذة المجروحة، وصهل. كان في هذا الصهيل ألم شديد. ازداد سيلان القيح غزارةً، وكانت رائحته مقززة. استلّت سيري خنجرها. صهل أحادي القرن صهيلًا حادًا، وحاول النهوض، لكنه سقط على مؤخرته فوق الحجارة.

نَشَجَتْ ناظرة إلى النصل: «لا أدري ماذا عليّ أن أفعل... صدقًا، لا أدري... لا بُدَّ من شق الجرح، وعصر القيح والسم... لكنني لا أجد فعل ذلك! قد أؤذيك أكثر!».

حاول أحادي القرن رفع رأسه وصهل. جلست سيري على الحجارة مُطَوِّقة رأسها براحتيها.

قالت بمرارة: «لم يُعلِّموني أن أعالج، بل علِّموني القتل، معللين ذلك بأنني بهذه الطريقة سأتمكن من أن أنقذ نفسي. كان ذلك كذبًا كبيرًا، يا حصين. لقد خدعوني».

حلَّ الليل، وساد الظلام بسرعة. ظل أحادي القرن مستلقيًا، فيما كانت سيري تفكر بقلق عارم. جمعت ما في وسعها من الضحايا وسوق النباتات اليابسة التي كانت تنمو بوفرة على ضفاف النهر الجاف، لكنَّ الحصين لم يرغب في أكلها. وأسند رأسه إلى الحجارة بفتور، ولم يحاول رفعه بعد ذلك. رمش فقط. ظهر زبد في فمه.

قالت بصوت مخنوق: «لا أستطيع مساعدتك، يا حصين. لا شيء لديّ...

سوى السحر.

أنا ساحرة».

نهضت ومدت يديها. لم يحدث شيء. كانت تحتاج إلى طاقة سحرية كبيرة، ولم يكن أي أثر لها هنا. لم تكن تتوقع ذلك، لقد تفاجأت. إن عروق الماء موجودة في كل مكان. خطت، بضع خطوات في اتجاه وبعض خطوات في اتجاه آخر. بدأت تسير على نحو دائري، ثم تراجعت. ولا شيء.

صرخت وهي تهز قبضتيها: «أيتها الصحراء الملعونة! لا شيء فيك! لا ماء ولا سحر! كان من المفروض أن يكون السحر في كل مكان! هذا كان كذباً أيضاً. لقد خدعني الجميع، الجميع!». سهل أحادي القرن.

السحر موجود في كل مكان. في الماء، والأرض، والهواء... وفي النار.

ضربت سيري جبهتها بقبضتها من شدة الغضب. لم يخطر ببالها هذا من قبل، ربما لأن في ذاك المكان، وسط الحجارة الجرداء لا يوجد شيء يُحرق. لكنها الآن تحت يديها ضهياء وسوق نباتات يابسة، ولتولد شرارة صغيرة ينبغي أن يكفيها هذا القدر القليل من الطاقة الذي لا تزال تشعر به في داخلها...

جمعت المزيد من الأعواد ورتبتها على شكل كومة، ثم وضعت الضهياء الجافة حولها. أدخلت يدها بحذر.

!Aenye –

سطعت الكومة، وومض اللهب والتمع، وتلقف الأوراق والتهمها وانطلق إلى الأعلى. ألقت سيري مزيداً من سوق النباتات اليابسة. فكرت ناظرة إلى اللهب الذي دبت فيه الحياة: وماذا الآن؟ أأستمد الطاقة؟ كيف؟ لقد منعني ينيفر من لمس طاقة النار... لكن لا خيار لدي! ولا وقت! عليّ أن أفعل شيئاً! العيدان والأوراق ستحترق بسرعة... ستنتفخ النار... النار... ما أجملها، ما أدفأها...

لم تعلم متى وكيف حدث ذلك. حدثت إلى اللهب وفجأة أحسّت بخبط في صدغيها. أمسكت صدرها، وشعرت كأن أضلاعها تنكسر. خفق في أسفل

بطنها، وفي عجانها وحلمتي ثدييها، ألم تحوّل في لحظة إلى لذة مخيفة.
نهضتُ. لا، لم تنهض. بل حلّقتُ.

ملأتها الطاقة كأنها رصاص مذاب. تراقصت النجوم في السماء كمثّل
انعكاساتها على صفحة ماء البركة. انفجر نجم العين المتوهج في الغرب
سطوعًا. أخذت ذلك السطوع ومعه القوة.

!Hael, Aenye -

سهل أحادي القرن صهيلاً وحشياً، وحاول النهوض، مستنداً إلى قائميه
الأمامين. ارتفعت يد سيرى تلقائياً، وكفها تشكّلت في إيماءة من تلقاء
نفسها، وصرختُ شفّتها بتعويذة. وانطلق من أصابعها وهج ساطع ومضيء
ومتماوج. أزّت النار بلهبها.

الأمواج المضيفة المنبعثة من يدها لمستُ فخذ أحادي القرن المجروحة،
ثم ركزتُ واخترقتها.

- أريدك أن تُشفّى! أريد ذلك!

!Vess'hael, Aenye

انفجرتِ القوة في داخلها، ملأتها بنشوة وحشية. انطلق اللهب عالياً،
وسطع الضوء في كل جانب من حولها. رفع وحيد القرن رأسه وسهل، ثم
نهض فجأة من الأرض وخطا بضع خطوات متعثرة. حنى عنقه، وجسّ بخطمه
فخذه، ثم تشمم محرّكاً منخريه، ونفخ كأنه غير مصدق. سهل صهيلاً شديداً
ومتتابعاً، وراح يرفس ويلوّح بذيله واندفع جرياً حول النار.

صرختُ سيرى باعتزاز: «لقد شفيتك! أنا شفيتك! إنني ساحرة! نجحت
في استخراج القوة من النار! والآن لديّ هذه القوة! أستطيع كل شيء!». .
التفتت. كانت النار المتأججة تؤزّ ويتطاير منها الشرر.

- لم نعد في حاجة إلى البحث عن مصادر المياه! لن نشرب الطين
الممزوج بالماء العكر بعد الآن! الآن لديّ القوة! أشعر بالقوة الكامنة في
هذه النار! سأسقط المطر على هذه الصحراء الملعونة! سأجعل الماء
يندفع من الصخور! وسأنبث الزهور هنا! والعشب! والكربن الفُجّلي!
الآن أستطيع كل شيء! كل شيء!

رفعتُ يديها بسرعة، وهي تصرخ بالتعاويز وتُرَدُّ ابتهالات لا تفهمها ولا تتذكر متى تعلمتها أو أكانت قد تعلمتها أصلاً. لكنَّ ذلك لم يكنْ مهماً. شعرت بالقوة، شعرتُ بعزم يشتعل ناراً. كانت ناراً. كانت ترتعد من القوة المتدفقة في داخلها.

فجأة، شقَّت السماء الليلية شرائطُ البرق، وعصفتِ الرياحُ الشديدةُ بين الصخورِ ونباتاتِ الضهياء. سهل أحادي القرن بشدة ووقف على قائمته الخلفيتين. اندلعت النيران عالياً، وانفجرت. سوق النباتات والأعواد التي جمعتها سيري تفحمت منذ وقت طويل، والآن الصخرة نفسها تحترق. لكنْ سيري لم تعرْ ذلك انتباهاً. شعرتُ بالقوة. لم ترَ إلا النار. ولم تسمع إلا النار. تستطيعين كل شيء، همس لها اللهب، لقد ملكتِ قوتنا، تستطيعين كل شيء. العالم تحت قدميك. أنتِ عظيمة. أنتِ جبارة.

وسط اللهب شخصية. امرأة شابة طويلة، ذات شعر فاحم السواد، طويل ومستقيم. المرأة تضحك بوحشية وقسوة، والنار تهيج من حولها.

أنتِ جبارة! أولئك الذين أضروك لم يعلموا مع من يتعاركون! انتقمي! اجعليهم يدفعون الثمن! اجعليهم جميعاً يدفعون الثمن! فليرتعدوا خوفاً تحت قدميك، ولتصطك أسنانهم، فلا يجرؤون على النظر إلى الأعلى، إلى وجهك! فليتوسلوا الرحمة! لكنكِ أنتِ دعي من الرحمة! اجعليهم يدفعون الثمن! اجعليهم جميعاً يدفعون الثمن مقابل كل شيء! الانتقام!

خلف المرأة ذات الشعر، نار ودخان، وفي الدخان صفوف من أعواد المشانق، وأنساق من الخوازيق، والمقاصل والسقالات، وتلال من الجثث. إنها جثث النيلفجارديين الذين استولوا على سينترا ونهبوها، الذين قتلوا الملك إيست وجدتها كالانثي، الذين قتلوا الناس في شوارع المدينة. على عمود المشنقة، يتأرجح فارس يرتدي درعاً سوداء، يُصدر الحبل صريراً فيما تحوم الغربان حول جثة المشنوق، محاولة نقر عينيه من بين فتحات خوذته المجنحة. تمتدُ المشانقُ الأخرى حتى خط الأفق، وعُلّق عليها السكويائيون، الذين قتلوا باولي داهلبرج في كايدفين، وأولئك الذين طاردوها في جزيرة ثانيد. على خازوق عالٍ يهتزُّ الساحر فيلجفورتز، ووجهه الجميل، النبيل على نحو مخادع، منكشٌ وداكنٌ مزرّق من شدة العذاب، وتبرز نهاية الخازوق

الحادة المملوطة بالدم من ترقوته... والسحرة الآخرون من ثانيد راكمون على الأرض، وأيديهم موثوقة إلى ظهورهم، في انتظار أوتاد الخوازيق الحادة... ترتفع الأعمدة المغطاة بحزم من الحطب إلى الأفق المتوهج، المتشع بدوائر من الدخان. بجانب أقرب الأعمدة، تقف تريس ميريجولد مقيدةً بالسلاسل... أبعد قليلاً مارجرىتا لوكس-أنتيل... الأم نينيكي... جاري... فابيو ساكس... لا، لا، لا.

نعم، تصرخ ذات الشعر الأسود: الموت للجميع، اجعليهم يدفعون الثمن جميعاً، أهنيهم! كلهم آذوك أو أرادوا إيذاءك! وقد يريدون إيذاءك يوماً ما! أهنيهم، فقد حان أخيراً زمن الهوان! الهوان، والانتقام، والموت! الموت للعالم بأسره! الموت، والإبادة، والدماء!

الدم على يديك، الدم على ثوبك...

لقد خانوك! خدعوك! آذوك! الآن تمتلكين القوة، فانتقمي!

فم ينفر متشقق ومكسور، ينزف دمًا، والأغلال تطوق يديها وساقها، وسلاسل ثقيلة مثبتة بجدران الزنزانة الرطبة والقذرة. تصرخ الجموع المتجمهرة حول المقصلة، ويضع الشاعر ياسكير رأسه على جذع شجرة، وفي الأعلى يلمع نصل فأس الجلاد. تحت المقصلة ينشر أولاد الشوارع منديلاً كبيراً ليلتقطوا به الدم... صخب الجموع يكتم الضربة التي تهز المنصة...

لقد خانوك! كذبوا عليك وخدعوك! جميعهم! كنت لهم دمية، مجرد لعبة على عود! استغلوك! وحكموا عليك بالجوع، تحت الشمس الحارقة، والعطش، والتشرد، والوحدة! لقد حلَّ زمن الازدراء والانتقام! لديك القوة! أنت جبارة! ليرتعد العالم كله أمامك! ليرتعد العالم كله أمام الدم الأقدم!

إلى المقصلة يقودون الويتشريين: فيسمير، وإسكيل، وكوئين، ولامبرت. وجيرالت... جيرالت يترنح على قدميه، مغطى بالدماء بأكمله...

- لا!!!

النار تحيط بها، وخلف جدار اللهب سهيل وحشي، أحاديات القرن تنتصب على قوائمها الخلفية، وتهز رؤوسها، وتخبط بحوافرها. أعرافها

مبعثرة كالرايات الحربية الممزقة، وقرونها طويلة وحادة كالسيوف. أحاديات القرن كبيرة الحجم، كبيرة مثل خيول الفرسان، أكبر بكثير من حُصينها. من أين جاءت إلى هنا؟ وكيف جاءت إلى هنا بهذه الكثرة؟ ينطلق اللهب عاليًا بأزيز صاخب. المرأة ذات الشعر الأسود ترفع يديها، ويذاها ملطختان بالدم. شعرها يتطاير مُبددًا الحرَّ.

احترقي، احترقي، يا فالكا!

- اغربي! ارحلي! لا أريدك! لا أريد قوتك!

احترقي، يا فالكا!

- لا أريد!

تريدين! ترغبين! الرغبة والشهوة في داخلك كاللهيب، اللذة تستلبك! هذه هي المنعة، هذه هي القوة، هذه هي السلطة! هي الذُّلُ ذات العالم! برق. رعد. رياح. طقطقة حوافر وصهيل أحاديات القرن الهائجة حول النار.

- لا أريد هذه القوة! لا أريدها! إنني أتخلّى عنها!

لم تعرف أكانت النار قد خبَّتْ، أم إن الظلام حلَّ في عينيها. هَوَتْ، وقد أحسَّتْ بأولى قطرات المطر تلامس وجهها.



يجب إنهاء وجود هذه الكائنة. لا يمكن السماح لها بالاستمرار في الوجود. هذه الكائنة خطيرة. تأكيد.

نفي. الكائنة لم تستدعِ القوة لتمتلكها. بل فعلت ذلك لإنقاذ إهواراقاكس. الكائنة تشفق عليه. ويفضل هذه الكائنة، فإن إهواراك بيننا من جديد.

لكنَّ الكائنة تمتلك قوة. وإذا أرادت استخدامها...

لن تتمكن من استخدامها. أبدًا. لقد تخلت عنها. تخلت عن القوة. كليًا. القوة ذهبت. هذا غريب جدًّا...

لن نفهم الكائنات أبدًا.

وليس علينا أن نفهمها! لننهِ وجود هذه الكائنة. قبل أن يفوت الأوان. تأكيد.
نفي. فلنغادر. لنتركِ الكائنة. لنتركها لمصيرها.



لم تعلم كم من الوقت ظلتْ مستلقيةً على الحجارة، مرتجفةً بالعرشات،
تحقق إلى السماء المتغيرة الألوان. كانت تتدرج بالتناوب بين الظلام والنور،
البرد والحر، أما هي فبقيتْ مستلقيةً، وعاجزةً، وجافةً وخاويةً كتلك الجثة،
كجثة ذاك القارض الذي مُصَّ دمه وقُذِفَ من الحفرة.

لم تفكرْ في شيء. كانت وحيدة، كانت خاويةً. لم يعدْ لديها شيء ولم
تشعر بشيء في داخلها. وذهب عنها العطش، والجوع، والتعب، والخوف.
مات كل شيء، حتى الرغبة في البقاء. لم يكنْ إلا الخواء الكبير، البارد،
المرعب. شعرت بهذا الخواء في كل جزء من كيائها، في كل خلية من جسمها.
أحسَّت بوجود دم على الجهة الداخلية من فخذها. لم تكثرْ بذلك. كانت
خاويةً. فقدتْ كل شيء.

غيرتِ السماء ألوانها. لم تتحرك. أليكون للحركة معنى في هذا الخواء، أي
معنى؟

لم تتحركْ حتى عندما طقطقتْ من حولها حوافر الخيول وقرقرعتْ
حدواتها. لم تستجبْ للصرخات والنداءات العالية، وللأصوات المتهيجّة،
ولشخير الخيول. لم تتحركْ عندما أمسكتْ بها أيادٌ قوية وصلبة. وحين رُفِعَتْ
تدلى جسدها على هواه. لم تستجبْ للشد والهز، للأسئلة الحادة السريعة. لم
تفهمها ولم تردْ أن تفهمها.

كانت خاويةً وغير مكترثة بما يجري حولها. قبلتْ شرب الماء من غير
اهتمام، وهي تُرشُّ على وجهها بالماء. عندما وُضِعَتِ المِزادة على فمها، لم
تختنق. شربتْ. دون اهتمام.

وبعد ذلك، ظلتْ لا تهتم ولا تكثرُ بشيء. شدوها إلى قربوس السرج. كان
عجانها حساسًا ومؤلمًا. كانت ترتجف، فلفوها ببطانية رثة. كانت متهاكة

ورخوة، تتهاوى من بين الأيدي، فربطوها بحزام إلى الخيال الجالس خلفها.
فاحت من الخيال رائحة عرق وبول نتنة. لكنها لم تكثر بذلك.
كان الخيالة في كل مكان حولها. خيالة كثيرون. نظرت سيري إليهم دون
مبالاة. كانت خاوية، فقدت كل شيء. لم يعد لأي شيء أهمية.
لا شيء.

حتى خوذة الفارس، أمر الخيالة، التي كان عليها جناحا طائر جارج.

مكتبة
t.me/soramnqraa

عندما أُشعلت النار تحت كومة الحطب لحرق المرأة المجرمة، وحينما أحاطتها ألسنةُ اللهب، بدأت بسب الفرسان، والبارونات، والسحرة، والسادة أعضاء مجلس المدينة، المجتمعين في الساحة، وشتمهم بأفظع الكلمات، التي من بشاعتها جعلتِ الخوف يعتريهم جميعًا. ومع أنه في البداية لم توضع إلا كومة قطع الجذوع الرطبة، كي لا تموت هذه الشيطانة بسرعة ولتذوق عذاب النار ببطء، فقد أتى الأمر بإضافة الحطب الجاف الآن لإتمام العقاب سريعًا. لكنّ الشيطان، لا ريب، كان يقبع في داخل هذه اللعينة، فمع أن جسدها كان يُشوى بهدوء، لم تطلق صرخة ألم، بل بدأت تقذف لعنات أخرى أُرهب من الأولى. صاحت بصوتٍ عالٍ: «سينبعثُ المنتقم من دمي. سيولد مدّمّر الشعوب والعوالم من الدم الأقدم المدنس! سيثار لعذابى! الموت، الموت لكم جميعًا، ولأجيالكم، والانتقام، الانتقام منكم جميعًا، ومن أجيالكم!».

هذا ما تمكنتُ من الصراخ به قبل أن تحترق بأكملها. هكذا لقيتُ فالكا حتفها، ونالتُ جزاءها على سفكها للدماء البريئة.

رودريك دي نوفمبر، تاريخ العالم، المجلد الأول

الفصل السابع

- انظروا إليها. إنها محروقة من الشمس، مجروحة، ومغبرة. لا تزال تشرب كالإسفنجة، وجائعة إلى حدٍ مخيف. أقول لكم، إنها جاءت من الشرق. مرّت خلال كوراث. خلال المقللة.
- خُرْعِبَلات! لا أحد ينجو في المقللة. جاءت من الغرب، من الجبال، خلال مجرى سوخاك. لم تكذّ تطأ أطراف كوراث، حتى خرّت منتهية. عندما عثرنا عليها، كانت ساقطة على الأرض، مرتميةً دون روح.
- في الغرب أيضًا مثل هذه المفازات تمتدُّ أميالًا. من أين إذن أتت ماشية؟
- لم تكن ماشيةً، بل راكبة. ومن يدري كم بعد المسافة. كانت آثار حوافر بالقرب منها. لا بُدَّ أن الحصان أسقطها في سوخاك، ولهذا هي مصابة ومليئة بالكدمات.
- لماذا هي مهمة لنيلفجارد إلى هذا الحد؟ عندما أرسلنا حاكم المديرية للبحث عنها، ظننّت أن سيدةً نبيلةً قد ضاعت. أما هذه؟ فليست سوى شيء نتن، خرقة ممزقة، وفضلًا عن ذلك غير حاضرة الذهن، وخرساء. في الحقيقة لا أدري، يا سكومليك، إذا ما كنّا وجدنا الشخص المطلوب...
- إنها هي. وهي ليست عادية. لو كانت عاديةً لوجدناها ميتة.
- كانت قاب قوسين أو أدنى من الهلاك. لقد أنقذها المطر، دون شك. تبًا، حتى أكبر الطاعنين في السن لا يتذكرون المطر في المقللة. دائمًا ما

تتجنب السحب كوراث... حتى عندما تُمطر في الأودية، لا تسقط هناك قطرة واحدة!

- حدِّقوا إليها، كيف تلتهم بشراسة. كأن فمها لم يدخله شيء منذ أسبوع...

هيه أنت، أيتها المتشردة، هل الشحم المقدّد لذيذ؟ والخبز الجاف؟

- أسألها بلغة الإلفيين أو باللغة النيلفجاردية. هي لا تفهم لغة البشر. ربما تكون من نسل الإلفيين...

- إنها بلهاء، بليدة. عندما وضعتها على متن الحصان في الصباح، شعرتُ كأنني وضعتُ دمية من خشب.

لمعتُ أسنانُ ذاك الذي يُسمَّى سكومليك، وكان عظيم البنية وأصلح: «ليست لكم أعين. أي نوع من مقتفي الأثر أنتم، إذا لم تتمكنوا من تعرّفها بعد؟ ليست بلهاء وليست غير عاقلة. إنها تتظاهر فحسب. هي مخادعة غريبة الأطوار ومأكرة».

- ولماذا هي مهمة لنيلفجاردي إلى هذا الحد؟ وعدوا بمكافأة، وأرسلوا الدوريات في كل مكان... لماذا؟

- لا أعلم ذلك. لكن لو سألتها بطريقة جيدة... أي بالسوط المقتول على ظهرها... ها! هل لاحظتم كيف نظرت إليّ؟ تفهم كل شيء، وتستمع بانتباه. هيه، يا بنت! أنا سكومليك، مقتفي أثر، يُطلق عليّ لقب اللقاط. وهذا، انظري هنا، هذا المقتول يسمى سوطاً! لعلك تودين تجريب الجلد على ظهرك؟ إذن تحدثي الآن...

- كفى! اصمتوا!

صدر أمر صارم، حاد، لا يقبل المعارضة، انطلق من عند النار الثانية، التي كان يجلس قريبا فارس مع خادمه.

سأل الفارس مهدداً: «تشعرون بالملل، أيها اللقاطون؟ إذن، هيا إلى العمل! جهّزوا الخيول! نظّفوا درعي وسلاحي! إلى الغابة لجمع الحطب! ولا تقتربوا من الفتاة! هل فهمتم، أيها الوقحون؟».

غمغم سكومليك، وهزّ رفاقه رؤوسهم: «نعم، سيدي النبيل سفيرس».

- إلى العمل! نفذوا الأوامر!

تحرك اللقاطون بسرعة.

تمتم أحدهم: «عاقبنا القدر بهذا الوغد. والحاكم لم يضعه إلا فوقنا تحديداً، هذا الفارس الموطأ...».

غمغم آخر بصوت منخفض، متلفتاً خلسة: «مهم. لكن نحن، اللقاطين، من وجدنا الفتاة... حدسنا قادننا إلى مجرى سوخاك».

- نعم. هذا إنجازنا، ولكن السيد المشرف سيأخذ المكافأة، ولن نحصل إلا على قروش معدودات... سيلقون إلينا بفلورين تحت أرجلنا، خذ، اشكر نعمة ربك، أيها اللقأط...

فحَّ سكومليك: «أغلقوا أفواهكم، فقد يسمعننا...».

بقيت سيري وحدها عند النار. كان الفارس وخادمه ينظران إليها نظرات فاحصة، دون أن يتكلما.

كان الفارس مسنأً، لكنه رجل قوي، ملامحه قاسية ومليفة بالندوب. في أثناء سفره، كان يرتدي خوذة عليها جناحا طير، لكنهما ليسا الجناحين اللذين كانت سيري تراهما في كوابيسها، وبعد ذلك في جزيرة ثانيد. إنه ليس الفارس الأسود من سينترا، بل هو فارس نيلفجاردي. عندما يصدر الأوامر، يتحدث بطلاقة باللغة المشتركة، لكن بلكنة واضحة تشبه لكنة الإلفيين. وكان يتكلم مع خادمه، الشاب الذي يكبر سيري بقليل، بلغة قريبة من اللغة الأقدم، غير أنها أقل موسيقية وأخشن. لا بدُّ أنها اللغة النيلفجاردية. سيري التي تجيد اللغة الأقدم، فهمت معظم الكلمات، لكنها لم تظهر ذلك. في أول توقف لهم، على حافة الصحراء المعروفة باسم المقلالة أو كوراث، أمطرها الفارس النيلفجاردي وخادمه بالأسئلة. وقتئذٍ لم تجبهم؛ كانت غير مبالية، مُشوَّشة وشبه فاقدة للوعي. بعد أيام من السفر، عندما غادروا الأخاديد الصخرية وهبطوا إلى الأودية الخضراء، استعادت سيري وعيها وبدأت أخيراً تدرك العالم من حولها وتستجيب ببطء. بيد أنها ظلت لا تجيب عن الأسئلة، فكفَّ الفارس عن مخاطبتها تماماً. وبدا أنه لا يوليها اهتماماً. ولم يهتم بها سوى أولئك الجنود الذين يطلبون أن يُطلق عليهم اللقاطون. وقد حاول هؤلاء استنطاقها، وكانوا عدوانيين. بيد أن النيلفجاردي، صاحب الخوذة ذات الجناحين، فرض عليهم النظام بسرعة. وبدا واضحاً وبديهيّاً من هو السيد ومن هو الخادم.

تظاهرتُ سيرى بأنها خرساء بلهاء، لكنها كانت تصغي إليهم بحرص. وبدأتُ تدرك وضعها ببطء. لقد وقعتُ في قبضة نيلفجارد. بحثت نيلفجارد عنها ووجدتها، ولا شك بعد تعقب خط سيرها الذي أرسلها من خلاله النقل الآتني العشوائي من تور لارا.

وهذا ما لم تفلحُ لينيفر من تحقيقه، ولم يفلحُ جيرالت، ونجح في ذلك الفارس المجنح ومتعقبو الأثر اللقاطون.

ماذا حدث لينيفر وجيرالت في ثانيد؟ أين كانت؟ ساورتها أسوأ الشكوك. كان اللقّاطون وزعيمهم سكومليك يتحدثون بلهجة فظة وغير متسقة من اللغة المشتركة، لكنّ دون اللكنة النيلفجاردية. إنهم أناس عاديون، لكنهم يخدمون فارسًا من نيلفجارد. ولقد فرحوا بفكرة المكافأة التي سيمنحهم إياها حاكم المديرية نظير العثور على سيرى. نقدًا بعملة الفلورين.

كانت المقاطعات القيصرية في أقصى الجنوب، التي يديرها حكام المديريات هي الأراضي الوحيدة التي كان الفلورين يستخدم فيها بمنزلة عملة متداولة، ويخدم أهلها النيلفجارديين.



في اليوم التالي، عند استراحتهم على ضفة جدول ماء، بدأتُ سيرى تفكر في إمكانية الهرب. يمكن للسحر أن يساعدها السحر في ذلك. جربتُ بحذر أبسط تعويذة، لتحريك الأشياء عن بُعد بخفة. لكنّ مخاوفها تأكدت. لم يكن في داخلها ذرة واحدة من الطاقة السحرية. بعد لعبها الطائش بالنار، نفدتُ منها قدراتها السحرية تمامًا.

عادتُ غير مبالية من جديد. بكل شيء. انطوتُ على نفسها وغرقتُ في حالة من التبلد، مدةً طويلةً.

إلى أن أتى اليوم الذي اعترض فيه فارس أزرق طريقهم وسط الأراضي الحراجية.



تمتم سكومليك ناظرًا إلى الخيالة الذين أغلقوا الطريق أمامهم: «أوه، أوه، ستحل مصيبة. إنهم آل فارنهاجن من حصن ساردا...».

اقترب الخيالة. تقدمهم عملاق يرتدي درعًا مذهبة ذات لون أزرق لامع، على صهوة جواد ضخم رمادي الشعر. خلفه مباشرة فارس آخر متدرع، وتبعهما خيالان يرتديان ملابس عادية بُنية، هما خادمان دون شك.

مضى النيلفجاردي ذو الخوذة المجنحة لملاقاة العملاق، مبقيا حصانه الكميت في خيب راقص. تلمس تابعه مقبض سيفه والتفت إلى السرج.

شخر مخاطبًا سكومليك وأتباعه اللقاطين: «ابقوا في الخلف، وراقبوا الفتاة. لا تتدخلوا!».

حالما ابتعد الخادم حتى قال سكومليك: «لسنا أغبياء. لسنا أغبياء لنتدخل في نزاعات السادة من نيلفجاردا...».

- هل ستحدث معركة، يا سكومليك؟

- لا شك في ذلك. بين آل سفيرس وآل فارنهاجن عداوة متأصلة وثأر. ترحلوا. احرسوا البنت، ففيها نفع لنا وكسب. إذا حالفنا الحظ، سنأخذ المكافأة كاملة مقابلها.

- آل فارنهاجن على اليقين يبحثون عن الفتاة أيضًا. إذا غلبونا، أخذوها منا... ونحن أربعة فقط.

لمعت أسنان سكومليك: «خمس. يبدو أن أحد الخدم من ساردا هو منا. سترون، من هذه العركة ستكون المنفعة لنا، لا للسادة الفرسان...».

شد الفارس الأزرق زمام حصانه الأشهب. وقف الفارس المجنح أولاً. اقترب رفيق الأزرق خبيًا، وتوقف خلفه. كانت خوذته العجيبة مزينة بشريطتين من الجلد متدليتين من واقية رأسه، وبدتا كشطري شارب كبير أو كناعي حيوان الفظ. عند جانب السرج كان ذو النابين ممسكًا بسلاح يبدو خطرًا، يشبه قليلًا المشقص الذي يحمله الحراس من سينترا، ولكن عصاه أقصر بكثير ونصله أطول.

تبادل الأزرق والمجنح بضع كلمات. لم تستطع سيرى سماع ما قالاه، لكن نبرة الفارسين لم تترك مجالًا للشك في أن تلك الكلمات لم تكن ودية. فجأة،

ارتفع الأزرق على سرجه مشيرًا بسرعة نحو سيرى، ونطق بصوت مرتفع وغاضب. رد المجنح صارخًا بغضب مماثل، وخبط بيده قفازه المدرّع، أمرًا الأزرق بالرحيل، كما يبدو واضحًا. وعندئذٍ بدأ القتال.

لكز الأزرق بمهمازيه حصانه الأشهب واندفع إلى الأمام، صاحبًا فأسه من ممسكها عند السرج. شد المجنح زمام فرسه الكमित مستلًا سيفه من غمده. لكنَّ قبل أن يتمكن الفارسان المدرعان من الاشتباك، هجم ذو النابين حائًا حصانه بعصا مشقصة ليجري بسرعة. فوثب عليه خادمُ المجنَّح، مستلًا سيفه، لكنَّ ذا النابين رفع نفسه على السرج وغرس مشقصه في صدره مباشرة. فاخرق النصل الطويل الرصيفة والزردَ محدثًا قرقرة، فأنَّ الخادم أنينًا يفطر القلبَ وسقط عن فرسه على الأرض ممسكًا بيديه عصا المشقص التي نفذت إلى صدره.

اصطدم الأزرقُ والمجنَّحُ محدثين دويًا وصخبًا. كانت الفأس أخطر، لكنَّ السيف أسرع. أصيب الأزرق في كتفه، وانقذف جزء من واقى يده المذهب جانبًا، وترنَّح الخيال على السرج وهو يدور ويلوُّح بالعنان، ولمعت خطوط قرمزية على الدرع الزرقاء. فصل جري الجوادين بين المتحاربين. استدار النيلفجاردي المجنَّح بجواده الكमित، لكنَّ ذا النابين انقضَّ عليه في تلك اللحظة رافعًا سيفه بكلتا يديه ليضرب به. شد المجنح الزمام، واندفع بجانبه ذو النابين بحصانه عدوًا، وهو يوجهه بساقيه فقط. بيدَ أن المجنح تمكن من إصابته بضربة عابرة. أمام عيني سيرى، انبعجت الصفيحة الواقية للكتف، واندفق الدم من تحتها. وعاد الأزرق يلوح بفأسه صارخًا. تبادل الفارسان المدرعان وهما مندفعان ضربات مدوية، ثم تفرقا. وانقضَّ ذو النابين مجددًا على المجنح، واصطدم حصاناهما وعلا صليل سيفيهما.

وجَّه ذو النابين ضربة إلى المجنح، محطَّمًا واقيتي الذراع والإبط، فاعتدل المجنح في وضعيته وهوى بضربة شديدة من اليمين على جنب واقية الصدر. تمايل ذو النابين على سرجه. وقف المجنح على الركابين وضرب مرة أخرى بكل عزم ما بين واقية الكتف المحطمة والخوذة. شقَّت شفرة السيف العريض الصفائح محدثة دويًا وانغرزت فيها. ارتعش ذو النابين وتصلَّب. اصطدم الحصانان، وراحا يخبطان بحوافرهما ويكزَّان بأسنانهما الشكيمة. ضغط

المجنحُ القربوسَ وانتزَعَ سيفَه. سقط ذو النابين عن السرج وهوى تحت الحوافر. دوى صوت ارتطام الحدوات بالدرع المحطمة.

استدار الأزرقُ بحصانه الأشهبَ وهاجم، رافعاً فأسَه. وبصعوبة قاد الحصان بيده المجروحة. أدرك المجنح ذلك، فالتفَّ عليه ببراعة من اليمين، وارتفع على الركابين موجهاً ضربة مروعة. صدَّ الأزرق الضربة بفأسه، فطرح السيف من قبضة المجنح. اصطدم الحصانان مجدداً. كان الأزرق ذا قوة جبارة، كانت الفأس الثقيلة ترتفع وتنزل كقطعة قصب. هوت ضربة مدوية على درع المجنح، أقعدت من شدتها الكمية على مؤخرته. ترنح المجنح لكنه تماسك على السرج. قبل أن تتمكن الفأس من أن تنزل مرة أخرى، أفلت المجنحُ العنانَ وأدار يده اليسرى، قابضاً على الهراوة الثقيلة الحادة، المعلقة على مربط الحزام، وخبط خوذة الأزرق بقوة من جهة اليسار. رنّت الخوذة كأنها جرس، وترنح الأزرق على السرج. صهل الحصانان وحاول كل منهما عضَّ الآخر، وتمنعا عن الانفصال.

بدا الأزرق، وعلى نحو بَيِّن، مذهولاً من ضربة الهراوة، لكنه مع ذلك تمكن من الضرب بفأسه، وأصاب خَصْمه على واقية صدره محدثاً دويّاً قوياً. إن بقاءهما على سرجي حصانيهما قد بدا معجزة حقّة، لكنَّ ذلك كان ببساطة بفضل علو قربوسي السرجين الداعمين. سالتِ الدماء من أجناب دابتيهما، وكان ذلك بيّناً على نحو خاص على شعر الأشهب الناصع اللون. راقبتهم سيرى بذعر. لقد تعلمت في كاير مورهيّن كيف نقاتل، لكنها لم يخطرُ بخيالها كيف يمكنها أن تواجه أيّاً من هؤلاء الأشداء، أو حتى أن تصدَّ ولو ضربة واحدة من ضرباتهم الهائلة القوة.

أمسك الأزرق بيديه كليهما عصا الفأس المغروسة بعمق في واقية صدر المجنح، انحنى وضغط، محاولاً إزاحة خَصْمه عن السرج. خبطه المجنح بهراوته بعزم مرة، ومرة ثانية، وثالثة. اندفق الدم من تحت غطاء خوذته، وتناثر على درعه الزرقاء وعلى عنق الأشهب. همز المجنح جواده الكمية بمهمازيه، فانتزع الحصان بقفزته الفأس من واقية صدره، فأفلت الأزرق عصا الفأس من يديه، وهو يترنح على سرجه. نقل المجنح الهراوة إلى يده اليمنى، وانقضَّ بضربة مروعة حانئاً رأس الأزرق على عنق الحصان. وبعد

أن أمسك النيلفجاردي بيده الطليقة عنان الأشهب، راح يضرب بهراوته، فرنّت الدرع الزرقاء كإناء من حديد، وسفح الدم من تحت الخوذة المنبعجة. وبعد ضربة أخرى، سقط الأزرق ورأسه إلى الأمام تحت حوافر الأشهب. ردّ الأشهب منطلقاً خبيّاً، لكنّ الكميت المُدرّب جيّداً، كما بدا واضحاً، داس بقوة الفارس المطروح أرضاً، محدثاً قرقعة. كان الأزرق لا يزال حيّاً، وهذا ما دل عليه زعيقه الفاجع لشدة تألمه. استمر الكميت في الدوس بقوة شديدة، لدرجة أن المجنح الجريح فقد توازنه على السرج وسقط بجواره محدثاً ضجيجاً.

تأوّه اللقاط الذي كان ممسكاً بسيري: «لقد قتلوا بعضهم، أبناء الكلاب». بصق الآخر: «أيها السادة الفرسان، الموت عليكم والوباء». وقف خدم الأزرق يراقبون من بعيد. استدار أحدهم بحصانه. صرخ سكومليك: «قف، يا ريميز! إلى أين؟ إلى ساردا؟ مستعجل إلى عمك؟».

توقف الخدم، وحدث أحدهم مغطياً عينيه بيده جزئياً.

- أهذا أنت، سكومليك؟

- نعم! اقترب، يا ريميز، لا تخف! إن نزاعات الفرسان ليست من شأننا! فجأة، ضجرت سيري من عدم المبالاة. وبمهارة تملصت من اللقاط الذي كان يمسك بها، واندفعت راکضة فبلغت الأشهب، حصان الأزرق، وبقفزة واحدة وجدت نفسها على السرج ذي القربوس العالي.

ربما كان سيكتب لها النجاح، لو أن الخدم من ساردا لم يكونوا على السروج، وعلى خيول مستريحة. أمسكوا بها دون عناء، وانتزعوا منها العنان. قفزت نازلة واندفعت راکضة نحو الغابة، لكنّ الخيالة لحقوا بها مجدداً. أمسك أحدهم بشعرها في أثناء الجري وسحبها ودحرجها. صرخت سيري وتشبّثت بيده. رمى بها الخيال تحت قدمي سكومليك مباشرة. أژ السوط، فأنت سيري وتكوّرت، مغطّية رأسها بيديها. أژ السوط مجدداً، ولسع يديها. تدحرجت بعيداً، لكنّ سكومليك وثب مقترباً منها وركلها، ثم داس بحذائه أسفل ظهرها.

- أردت الهرب، أيتها الأفعى؟

أژ السوط. أنت سيري. ركلها سكومليك مجدداً وراح يسوطها.

صرخت متلوية: «لا تضربني!».

- ها قد تحدثت، أيتها الوباء! انحلت عقدة فمك؟ الآن سأريك...

صاح أحد اللقاطين: «تعقّل، يا سكومليك! تريد القضاء على حياتها، أم ماذا؟ إنها ذات قيمة عالية جدًّا، لا يفرط بها!».

قال ريميز نازلاً عن حصانه: «تبًّا، أهى تلك التي تبحث عنها نيلفجارد منذ أسبوع؟».

- إنها هي.

- ها! الحاميات كلها تبحث عنها. إنها شخصية مهمة لنيلفجارد! يقال إن ساحرًا نبيلًا تنبأ أنها لا بُدَّ أن تكون في مكان ما من هذه المنطقة. هذا ما قالوه في ساردا. أين عثرتم عليها؟

- في المقلادة.

- لا يمكن ذلك!

قال سكومليك غاضبًا وعابسًا: «بل يمكن ذلك. هي لدينا، والجائزة لنا! لماذا تقفون كالأوتاد؟ اربطوا هذه العصفورة، وهيا إلى السرج! لنغادر هذا المكان، هيا يا رجال! بهمة!».

قال أحد اللقاطين: «السيد المكرم سفيرس، ربما لا يزال فيه نفس حياة...».

- لن يتنفس طويلاً. فليذهب إلى الجحيم! سنسير إلى أماريلو رأسًا، أيها الرجال، إلى الحاكم. سنسلّم الفتاة ونأخذ الجائزة.

حكّ ريميز قذاله ونظر إلى ساحة المعركة التي انتهت قبل قليل: «إلى أماريلو؟ هناك سيظهر لنا الجلاذ! ماذا ستقول للحاكم؟ الفرسان صرعى، وأنتم سالمون؟ حينما ينكشف الأمر برمته، سيأمر الحاكم بشنقنا، ثم يرسلنا تحت الحراسة إلى ساردا... وقتنّذ سيسلخ آل فارنهاجن جلودنا. ربما الطريق إلى أماريلو يناسبكم، أما أنا فأفضّل الاختفاء في قلب الغاب...».

قال سكومليك: «أنت صهري، يا ريميز. حتى لو كنت ابن كلب وضربت أختي، فأنت مني. لذا سأحفظ حياتك. أقول، سنذهب إلى أماريلو. الحاكم يعلم أن بين آل سفيرس وآل فارنهاجن عداوة. لقد التقيا، وهاجما بعضهما،

هذا أمر طبيعي بينهما. فماذا كان في وسعنا؟ والبنت، انتبهوا إلى كلامي، وجدناها بعد ذلك. نحن، اللقاطين. وأنت الآن لقاط أيضًا، يا ريميز. الحاكم لا يعلم شيئًا عن عدد الذين ذهبوا منا مع سفيرس، ولا يحسب....».

سأل ريميز ماطًا كلماته، وناظرًا إلى الخادم الثاني من ساردا: «ألم تنسَ شيئًا يا سكومليك؟».

استدار سكومليك ببطء، ثم أخرج سكينه بلمح البصر، وغرزها في حلق الخادم بقوة. شهق الخادم وسقط على الأرض.

قال اللقاط ببرود: «أنا لا أنسى شيئًا. حسنًا، الآن نحن أسرة واحدة. لا شهود، وأيضًا الرؤوس التي ستتقاسم الجائزة ليست كثيرة. أيها الرجال، على ظهور خيولكم، وإلى أماريلو! لا يزال بيننا وبين الجائزة طريق طويلة، ولا مجال للإبطاء!».



عندما غادروا أيكة الزان الرطبة والمظلمة، شاهدوا عند سفح الجبل قرية، بضعة عشر منزلًا داخل طوق من سياج وتدي منخفض يحوط انعطافة نهر صغير.

حملت الريح رائحة الدخان. حركت سيري الأصابع الخدرة في يديها المربوطتين بحزام إلى قربوس السرج. كانت متيبسةً بأكملها، وألمتها إلتاها ألمًا لا يُحتمل، وأزعجتها ماثنتها الممتلئة. لم تبرح السرج منذ شروق الشمس. لم تسترخ في الليل، فقد أُجبرت على النوم ويدها مقيدتان ومربوطتان بمعصمي رَجُلين من اللقاطين استلقيا حولها من الجانبين. كانا يلعنانها ويهددانها بالضرب كلما تحركت.

- قال أحدهما: «مستوطنة».

رد سكومليك: «أراها».

هبطوا من الجبل، كانت حوافر الخيول تُطقطق بين الأعشاب العالية التي حرقتها الشمس. وبعد وقت قصير وجدوا أنفسهم في طريق وعرة تفضي إلى القرية رأسًا، نحو جسر خشبي وبوابة في سياج من أوتاد مدققة. أوقف سكومليك حصانه ووقف على الركابين.

- ما هذه القرية؟ لم أتوقف هنا للاستراحة من قبل. ريميز، هل تعرف هذه المنطقة؟

قال ريميز: «قديمًا، كانت تُسمى النهر الأبيض. لكن حين بدأت الاضطرابات، انضم بعض أهلها إلى المتمردين، فأحرق آل فارنهاجن من ساردا الأخضر واليابس، وذبحوا الناس أو ساقوهم عبيدًا. الآن لا يسكن هنا سوى المستوطنين النيلفجارديين، الوافدين الجدد. وغيروا اسم القرية إلى جليسفين. هؤلاء المستوطنون أناس سيئون وعنيدون. أقول لكم: دعونا لا نتوقف للاستراحة هنا. لنكمل طريقنا».

اعترض أحد اللقاطين: «يجب أن نريح الخيول ونعلفها. وأنا أيضًا أمعائي تدق صاخبة مثل جوقة موسيقية. وما شأننا بالوافدين الجدد؟ ليسوا سوى حثالة، دواب. سنبرز لهم أمر الحاكم، وفي النهاية فإن الحاكم نيلفجاردي مثلهم. سترون، سينحنون لنا احترامًا».

همهم سكومليك: «هل رأى أحد من قبل نيلفجارديًا ينحني لأحد؟ ريميز، والحانة في جليسفين هذه، ما وضعها؟».

- لا تزال قائمة. لم يحرق آل فارنهاجن الحانة.

استدار سكومليك على السرج ونظر إلى سيري.

قال: «علينا فك وثاقها، ممنوع أن يتعرفها أحد... أعطوها معطفًا. وغطاء للرأس... هيه! إلى أين، أيتها الوضيعة؟».

- إلى الشجيرات يجب أن...

- سأريك الشجيرات، أيتها الساقطة! قرفصي بجانب الطريق! وتذكري:

لا تفتحي فمك في القرية ولو بكلمة. ولا تظني أنك فطنة! إن نبست بكلمة واحدة، قطعتُ رأسك. وإذا لم أحصل على الفلورينات مقابلك، فلن يحصل أحد.

تابعوا سيرهم بأبطأ مشي للخليل، وراحت الحوافر تطقطق على الجسر. ظهرت من خلف السياج الأوتاد أطيايف المستوطنين، مسلحين بالرماح.

تمتم ريميز: «إنهم يحرسون البوابة. أتساءل، لماذا يا ترى».

ردّ سكومليك متممًا وهو ينهض على الركابين: «وأنا كذلك. يحرسون البوابة، لكنّ السياج من جهة الطاحونة محطم، يمكن الدخول بالعربة...». اقتربوا أكثر، وأوقفوا الخيول.

نادى سكومليك، بشيء من المرح المصطنع قليلًا: «مرحبًا، يا مضيفين! جئناكم في الوقت المناسب!».

سأل باقتضاب أطول المستوطنين: «من أنتم؟».

كذب سكومليك نافسًا ريشه، جالسًا على السرج: «نحن، يا عزّاب معموديتي، جند من الجيش. في خدمة سعادة السيد الحاكم من أماريلو».

مرّر المستوطن يده على عصا رمحه، ونظر إلى سكومليك نظرة شريرة. لا شكّ أنه لم يتذكّر يومَ المعمودية الذي أصبح اللقاط عزّابه فيها.

واصل سكومليك الكذب: «أرسلنا سعادة الحاكم لنستعلم كيف تسير أحوال أبناء قومه، الناس الطيبين من جليسين. إن سعادته يُقرئكم السلام، ويسأل إذا كان أهل جليسين يحتاجون إلى مساعدة؟».

أجاب المستوطن: «إننا ندبرّ أمورنا قدر المستطاع. اعتدنا أن نتدبر أمورنا بأنفسنا».

لاحظتُ سيري أنه تكلم كما الفارس المجنح باللغة المشتركة واللكنة ذاتها، مع أنه حاول تقليد لهجة سكومليك في أسلوب كلامه.

- سيُسّرُ السيد الحاكم عندما نخبره بذلك. هل الحانة مفتوحة؟ لقد جفت حلوقنا...

- ردّ المستوطن بكآبة: «مفتوحة. مفتوحة مؤقتًا».

- مؤقتًا؟

- مؤقتًا. لأننا سنهدم هذه الحانة قريبًا، وسنستفيد من العوارض والألواح الخشبية لبناء مخزن حبوب. فلا فائدة من الحانة. نكدُّ ونكدح ونعرق ولا نذهب إلى الحانة. والحانة لا تجذب سوى الوافدين، ومعظمهم غير مرحّب بهم هنا. والآن يوجد مثل هؤلاء وهم يستريحون هناك.

شحب وجه ريميز: «من هم. أليسوا من قلعة ساردا؟ أهم السادة الأفاضل آل فارنهاجن؟».

تجهّم المستوطن، وحرك شفتيه كأنه يرغب في البصق.

- يا للأسف، لا. إنهم ميليشيا السادة البارونات. النيسيريون.

عبس سكومليك: «من أين هم؟ وتحت إمرة من؟».

- كبيرهم طويل القامة، ذو شارب أسود كشارب القرموط.

استدار سكومليك نحو رفاقه: «ها! هذا يُبشّر بالخير. لا نعرف إلا واحدًا بهذا الوصف، أليس كذلك؟ من المؤكد أنه صديقنا القديم فيركتا، الملقب بـ «صدقني»، أتذكرونه؟ لكن، يا عراب معموديتي، ماذا يفعل النيسيريون هنا عندكم؟».

أجاب المستوطن بكآبة: «السادة النيسيريون متجهون إلى تيفي. شرفونا بزيارتهم. يحملون أسيرًا. لقد أسروا أحد أفراد عصابة الجردان». نفخ ريميز متهمكًا: «حقًا. وقيصر نيلفجارد ألم يأسروه؟».

تجهّم المستوطن وضغط بكفه على عصا الرمح. همهم رفاقه بصوت خفيض.

انتفتحت أوداج المستوطن وبرزت عضلات فكيه بحدة: «اذهبوا إلى الحانة، أيها السادة المحاربون. وتحدثوا إلى أصدقائكم السادة النيسيريين. تقولون إنكم تخدمون عند الحاكم. اسألوا إذن النيسيريين لماذا يأخذون هذا المجرم إلى تيفي، بدلًا من وضعه على الخازوق هنا وبسرعة كما أمر الحاكم. وذكروا أصدقاءكم، السادة النيسيريين، أن السلطة هنا بيد الحاكم، وليست للبارون من تيفي. ونحن لدينا أيضًا ثيران مع أنيارها، ولدينا وتد مُستدق. إن لم يشأ السادة النيسيريون ذلك، فسنفعل نحن ما يلزم. قولوا لهم ذلك».

قال سكومليك، ناظرًا إلى رفاقه نظرة ذات معنى: «سأقول لهم، حتمًا. وداعًا، أيها الناس».

تحركت بهم خيولهم ماشيةً ببطء بين الأكواخ. بدت القرية مهجورة؛ لم يروا أحدًا من البشر. تحت أحد الأسوجة، كان خنزيرٌ هزيلٌ ينبش الأرض، وبطاطٌ قدرة تغوص في الوحل. قطع قط أسود كبير طريقهم.

انحنى ريميز في سرجه، ثم بصق وثنى أصابعه صانعاً علامة واقية من شيء ينذر بالشؤم: «تفًا، تفًا، يا قط الشؤم. قطع علينا الطريق، ابن العاهرة! فلتسد الفأرة حلقة وتعلق فيه».

التفت سكومليك: «ماذا؟».

- قط. أسود مثل القار. قطع طريقنا، تفًا، تفًا.

أجال سكومليك النظر في كل اتجاه: «فليأخذه الشيطان. فقط انظروا، يا له من فراغ. لكني رأيت من خلال الستائر الرقيقة أن الناس قاعدين في أكواخهم، ويراقبون بحذر. ونظرت بانتباه فإذا برمح يلمع من خلف تلك البوابة».

ضحك الرجل الذي تمنى للقط أن يصيبه سوء مع الفأرة وقال: «إنهم يحرسون النسوان، فالنيسيريون في القرية قاعدون! هل سمعتم ما قال ذاك العتل؟ كان واضحاً أنه لا يكن الود للنيسيريين».

- ولا غرابة في ذلك. إن «صدقني» ورفاقه لا يتركون أي تنورة من تنانير النسوان بسلام. إيه، هم سيقعون في شر أعمالهم، هؤلاء السادة النيسيريون. يُطلق عليهم البارونات لقب «حراس النظام»، ويدفعون لهم كي يسهروا على النظام وكي يحفظوا أمن الطرق. لكن إذا صرخت في أذن فلاح: «نيسير!» فستراه يفر متبرراً على عقبيه من الرعب. لكن هذا لن يدوم طويلاً. لن يدوم طويلاً. سيدبحون عاجلاً آخر أو يتحايلون على فتاة أخرى، وسيدور بهم الفلاحون على المذاري، وسترون. هل رأيتم هؤلاء الذين عند البوابة كيف كانت وجوههم صارمة؟ إنهم المستوطنون النيلفجارديون. لا مزاح معهم... ها هي الحانة...
حثوا الخيول لتسرع.

كان سقف الحانة منخسفاً قليلاً، وتغطيه الطحالب. كانت على مسافة بعيدة بعض الشيء من الأكواخ والمباني الزراعية، لكنها كانت تمثل مركز المنطقة بأكملها، التي يحيط بها سياج متهدم، عند تقاطع طريقين يمران بالقرية. في الظل الذي تلقيه الشجرة الكبيرة الوحيدة في المنطقة، كانت حظيرة للماشية، وإصطبل للخيول حوى خمسة أو ستة أحصنة غير مسرّجة.

جلس على الدرج أمام الباب شخصان يرتديان سترتين من الجلد وقبعيتين حادتين من الفرو. كانا يحتضنان كوبين خزفيين، وبينهما صحن مليء بعظام مقضومة.

صرخ أحدهما عند رؤيته سكومليك وصحبه وهم ينزلون عن خيولهم: «من أنتم؟ عمّ تبحثون هنا؟ اذهبوا من هنا! الحانة محجوزة باسم القانون!». قال سكومليك ساحباً سيرى من السرج: «لا تصرخ، يا نيسير. وافتح الباب واسعاً، فإننا نريد الدخول. أمرُك فيركتا من معارفنا».

- أنا لا أعرفكم!

- لأنك غرٌّ لم ينبتْ شاربك بعد! أنا و«صدقني» خدمنا معاً في الأيام الخوالي، قبل أن تأتي نيلفجاردي إلى هنا.

تردّد الشخص وهو يترك مقبض سيفه: «حسنًا، إذا كان الأمر كذلك... فادخلوا، الأمر عندي سيان...».

دفع سكومليك سيرى، وأمسك اللقاط الآخر بها من ياققتها. مضوا إلى الداخل. كان المكان مظلمًا وخائفًا، تعبق فيه رائحة الدخان والشيء. كانت الحانة شبه خالية؛ لم يكن فيها سوى منضدة واحدة مشغولة، قائمة تحت شعاع من الضوء يدخل من خلال شبّاك صغير لوحه من أغشية السمك. جلس إليها بضعة رجال. في العمق بجوار الموقد، كان صاحب الحانة يتنقّل بنشاط ويقرع القدور.

زمجر سكومليك: «أحييكم أيها السادة النيسيريون!».

هدر أحد أفراد المجموعة الجالسين عند الشباك، وهو يبصق على الأرضية: «ونحن لا نحبي أي ثور».

أوقفه آخر بإشارة.

قال: «تمهل. هؤلاء الرجال منّا، ألا تعرفهم؟ سكومليك واللقاطون. مرحبًا، مرحبًا!».

أشرق وجه سكومليك وتحرك نحو المنضدة، لكنه توقف عندما رأى رفاقه محدقين إلى العمود المسند لعارضة السقف.

تحت العمود، جلس على كرسي صبي له من العمر بضعة عشر عاماً، نحيف وأشقر الشعر، كان مشدوداً وممطوطاً على نجو غريب. شاهدتُ سيري أن وضعيته غير الطبيعية يعود سببها إلى أن يديه كانتا مثنيتين إلى الخلف ومقيدتين، ورقبته مثبتة بحزام جلدي إلى العمود.

تنهد قال أحد اللقاطين بصوت عالٍ، الذي كان يمسك سيري من ياقة ثوبها: «فلتملاً جسدي الحبوب. فقط انظر، يا سكومليك! إنه كايليغ!».

أمال سكومليك رأسه: «كايليغ؟ الجرذ كايليغ؟ هذا لا يمكن!».

انفجر أحد النيسيريين الجالسين إلى المنضدة ضاحكاً من حلقه، وكان بديناً وله شعر مقصوص بطريقة فنية على هيئة شوشة.

قال وهو يلحق الملعقة: «يمكن. إنه كايليغ بشحمه ولحمه وجربه. كان الأمر يستحق النهوض عند الفجر. ربما سنحصل مقابله على ثلاثين قرشاً من عملة الفلورين بقطع معدنية قيصرية جيدة».

عبس سكومليك: «قبضتم على كايليغ، حسناً، حسناً، هذا يعني أن القروي النيلفجاردي قال الحقيقة...».

تنهد ريميز: «ثلاثون فلورين، اللعنة. مبلغ لا يُستهان به... أسيدفعها البارون لوتز من تيفي؟».

أكد نيسيري آخر، شعره وشاربه أسودان: «نعم تماماً، البارون المشرف لوتز من تيفي، سيدنا وولي نعمتنا. نهب الجرذان راعي عقاراته في الطريق، فاستشاط غضباً وأعلن مكافأة. ونحن يا سكومليك، سنأخذ المكافأة، صدقني. ها، فقط انظروا يا رجال، كيف نفش نفسه كالبوم! لا يعجبه أننا نحن من قبض على الجرذ وليس هو، مع أن الحاكم أمره بملاحقة العصاة!».

أشار البدين ذو الشوشة إلى سيري بالملعقة: «اللقاط سكومليك اصطاد شيئاً أيضاً. هل ترى يا فيركتا؟ إنها فتاة ما».

أظهر ذو الشارب الأسود ضواحه: «أرى. ماذا يا سكومليك، ألهذا الحد أزرى بك العوز حتى دفعك إلى خطف الأطفال من أجل الفدية؟ من تكون هذه الوسخة؟».

- هذا ليس من شأنك!

ضحك ذو الشوشة: «ولم كل هذه الحدة منك؟ نريد التأكد فقط أهي ابنتك أم لا».

ضحك فيركتا، هذا الذي له شارب أسود: «ابنته؟ وكيف. لكي يستطيع أن ينجب، يجب أن تكون له خصيتان!». انفجر النيسيريون ضاحكين.

صرخ سكومليك وانتفخت أوداجه: «اثغوا أيها الخرفان الحمقى! وأنت يا فيركتا سأقول لك هذا: قبل أن ينقضي يوم الأحد، ستعجب بعد أن تسمع عن سيتحدث الجميع، عنك وعن جردك، أم عني وعن الذي حققته. وسنرى من سيكون أسخى: بارونكم أم الحاكم القيصري من أماريلو!».

صرح فيركتا بازدرء وعاد إلى شفت حسائه: «يمكنك تقبيل مؤخرتي أنت وحاكمك وقيصرك ونيلفجارد أكملها، صدقني. ولا تتكبر. إني أعلم أن نيلفجارد تطارد إحدى البنات منذ أسبوع، حتى إن الغبار يتصاعد على الطرق من شدة البحث عنها. وأعلم أن مكافأة ستعطى مقابلها. لكن هذا لا يهمني قدر بكرة. لم أعد أفكر في أن أخدم الحاكم والنيلفجارديين، أنا أتفل عليهم. أنا الآن في خدمة البارون لوتز، ولا أتبع أحدا سواه».

شخر سكومليك: «إن بارونك، بدلا منك، يلثم يد نيلفجارد ويلعق حذاء نيلفجارد، وأنت لست مضطرا إلى فعل ذلك، لذا يسهل لك الحديث».

قال نيسيري بنبرة تصالحية: «لا تنفش نفسك. لم أقل ذلك ضدك، صدقني. كونك عثرت على البنت التي تبحث عنها نيلفجارد، فهذا أمر جيد، وأراني فرحا بأنك ستحصل على المكافأة وليس أولئك النيلفجارديون القذرون. أما كونك تخدم الحاكم؟ فلا أحد يختار سادته، إنهم هم من يختاروننا، أليس كذلك؟ حسنا، اجلسوا معنا، دعونا نشرب لمناسبة اللقاء».

وافق سكومليك: «حسنا، لم لا. أولاً، أعطوني فقط قطعة حبل. سأربط الفتاة بالعمود بجوار جردكم، حسنا؟».

انفجر النيسيريون ضاحكين.

ضحك البدين ذو الشوشة: «انظروا إليه، مرعب الحدود! الذراع نيلفجارد المسلحة! اربطها يا سكومليك، اربطها وبقوة. لكن خذ جنزيرا من حديد، لأن

أسيرك المهم هذا مستعدٌ لقطع الحبال وتهشم وجهك قبل أن يهرب. إنه يبدو مخيفًا، لدرجة أن الجسد يقشعر منه!«.

حتى رفاق سكومليك ضحكوا ضحكًا مكتومًا. احمرَّ اللقاط وعدل حزامه وتقدم إلى المنضدة.

- سأربطها احتياطيًا كي لا تهرب...

قاطعها فيركتا وهو يكسر قطعة من الخبز: «لا تشغلني بسخافاتك، إن أردت الحديث، اجلس وضع قارورة من الشراب كما يليق. أما تلك الفتاة، إن شئت، فعلّقها من قدميها بالسقف، فهذا يهمني بقدر ما تهمني فضلات الخنازير. لكنّ الأمر مضحك بشدة، يا سكومليك. قد يكون هذا الأسير مهم لك ولحاكمك، لكنه بالنسبة إليّ مجرد طفل بائس ومفزع. تريد أن تقيدها؟ صدقني، هي تكاد لا تستطيع الوقوف على قدميها، فكيف لها أن تهرب؟ ممّ أنت خائف؟».

زَمَّ سكومليك شفّتيه: «سأقول لكم ماذا أخاف. هذه مستوطنة نيلفجاردية. لم يستقبلنا المستوطنون هنا بالخبز والملح، وقالوا إن لديهم خازونًا قد برؤه وجهّزوه لجرذكم. وهم مخوّلون لذلك، لأن الحاكم أصدر مرسومًا بإعدام قطاع الطرق المقبوض عليهم على الفور. وإن لم تُسلموهم الأسير، فهم مستعدون ليبروا الخوازيق لكم أيضًا».

قال البدين ذو الشوشة: «أواه. خوفوهم بالزيغان، يا صعاليك. من الأفضل ألا يقفوا في طريقنا، وإلا سنريق دماءهم».

أضاف فيركتا: «لن نسلمهم الجرذ. هو لنا وسيذهب إلى تيفي. وسيسوي البارون لوتز القضية كلها مع الحاكم. وما الفائدة من الحديث دون جدوى. اجلسوا».

جلس اللقاطون إلى منضدة النيسيريين راضين، وهم يديرون أحزمتهم مع سيوفهم، صارخين على صاحب الحانة، ويشيرون جميعهم إلى سكومليك على أنه هو الممول. حرك سكومليك بركة الكرسي نحو العمود، وشد سيري من كتفها، ودفعها بطريقة سقطت من جرائها صادمة بكتفها ركبتي الفتى المقيد.

زمجر: «اجلسي هنا. ولا تتحركي، وإلا جلدتكِ مثل كلبه».

هدر الفتى، ناظرًا إليه بعينين مضيقتين: «أيها الوغد! أيها الكلب...».

لم تفهم سيرى معظم الكلمات التي خرجت من فم الصبي السيئ المعوج، لكنها استنتجت من التغير الذي طرأ على ملامح وجه سكومليك أنها كلمات غاية في البذاءة والإساءة. شحب اللقطة من شدة الغضب، ولوّح بيده ولطم الفتى، ثم أمسك بشعره الطويل الأشقر، وجذبه ليضرب قذال الفتى بالعمود.

صاح فيركتا، وقد نهض من خلف المنضدة: «هيه، ما الذي يحدث هناك؟».

زمجر سكومليك: «سأحطّم أنياب هذا الجرذ الحقير! سأنتزع ساقيه من مؤخرته، كلتيهما!».

جلس أحد النيسيريين، وكرع كوب الجعة دفعةً واحدة، ثم مسح شاربه: «تعالِ إلى هنا وكفّ عن الزعيق المزعج. لك أن تهين أسيرك كما شئت، لكن لا تقرب أسيرنا. وأنت، يا كايليغ، لا تتظاهر بالشجاعة. اجلس صامتًا وابدأ بالتفكير العميق في المقصلة التي أمر البارون لوتز بإقامتها في البلدة. قد دُونت قائمة الأشياء التي سيحضرها لك الجلاّد، وصدقني طولها ثلاث أذرع. نصف البلدة تجري الرهانات على مدى تحملك لكل نقطة من نقاط القائمة. لذا، وفّر قواك، أيها الجرذ. وأنا نفسي سأراهن بمبلغ صغير وآمل ألا تُخيّب ظني وأن تصمد على الأقل حتى تبلغ نقطة الإخضاء».

بصق كايليغ، وقد أدار رأسه بقدر ما يسمح به الحزام المشدود على عنقه. شد سكومليك الحزام، ووجّه نظرةً تنذر بالشر إلى سيرى المنكمشة على الكرسي، ثم انضمّ إلى المجموعة حول المنضدة، لاعتنا شاتمًا، إذ لم يتبقّ في الإبريق سوى ما تبقى من أثر الرغوة.

سأل، معلنًا لصاحب الحانة عن رغبته في توسيع الطلب: «كيف أمسكتكم بكايليغ؟ وحيًا أيضًا؟ لأنني لن أصدق أنكم ذبحتم باقي الجرذان».

أجاب «فيركتا»، وهو ينظر نظرة سلبية إلى ما قد استخرج من أنفه: «في الحقيقة، كنا محظوظين فحسب. كان بمفرده. انفصل عن العصا بوجاء إلى كوزنيتسا الجديدة ليقضي ليلةً مع إحدى البنات. علم مختار القرية أننا

واقفون في مكان غير بعيد، فأخبرنا. وصلنا قبل الفجر، وأمسكنا به مضطجعا على التبن، ولم يخرج منه صوت».

قهقه البدين ذو الشوشة: «أما فتاته، فقد تسلينا معها معًا. وإن كان كايليغ لم يرضها في ليلته، فإنها لم تتضرر. فقد أرضيناها نحن في الصباح لدرجة أنها لم تستطع تحريك يدها أو قدمها بعد ذلك!».

أعلن سكومليك بتهكم وبصوت عالٍ: «أقول لكم، إن هذه الحماقات والتفاهات منكم. لقد أهدرتم، أيها الأغبياء، ثروة لا بأس بها. بدلًا من إضاعة الوقت على الفتاة، كان عليكم إحماء الحديد والتحقيق مع الجرد لمعرفة أين تقضي العصابة الليل. كان بإمكانكم الإمساك بهم جميعًا، جيسيلهير وريف... فقد عرضوا عشرين فلورين مقابل جيسيلهير فارنهاجن من سادرا قبل عام. أما مقابل هذه الغانية، ما اسمها... ميستل، على ما أظن... مقابلها عرض الحاكم أكثر من ذلك، بعد أن فعلت ما فعلته بابن أخيه قرب درويغ، حينما سلب الجردان القافلة».

تجهّم فيركتا: «أنت، يا سكومليك، إما أنك غبي بالفطرة، وإما أن الحياة الشاقة انتزعت عقلك من رأسك. نحن ستة. هل كان عليّ أن أهاجم بستة أفراد عصابة كاملة، أم ماذا؟ وعلى أي حال، فلن تفوتنا المكافأة. سيسخن البارون لوتز عُقبِي كايليغ في الزنزانة، ولن يبخل بالوقت اللازم، صدقني. سينطق كايليغ بكل شيء، وسيبوح عن مخابئهم ومقارّهم، ومن ثم سنذهب بقوة وجماعة، ونحاصر العصابة ولنلتقطهم كما يلتقط سرطان البحر من الشباك».

– طبعًا. سينتظرون هذا؟ سيعلمون أن كايليغ في قبضتكم وسيلوذون في مخابئ وأوكار أخرى. لا، يا فيركتا، لا بدّ من مواجهة الحقيقة: لقد عثّم فسادًا. تركتم المكافأة مقابل فروج النسوان. أنتم هكذا، يعرفكم الجميع... لا شيء في عقولكم سوى الفرّج...

هب فيركتا منتفضًا من خلف المنضدة: «أنت الفرّج وحدك. إن كنت في عجلة من أمرك، فاذهب أنت نفسك وراء الجردان ومعك أبطالك! لكنّ حذارٍ، فالذهاب وراء الجردان، يا حضرة خادم نيلفجارد المحترم، ليس كالإمساك بالفتيات القاصرات!».

بدأ النيسيريون واللقاطون في الصباح وتبادل الشتائم. أحضر صاحب الحانة الجعة بسرعة، وانتزع الإبريق الفارغ من يد البدين ذي الشوشة، الذي همَّ بضرب سكومليك بالإثناء. وسريعًا خففتِ الجعةُ النزاعَ وبردتِ الحناجر، وهدأت حرارة الانفجالات.

صرخ البدين على صاحب الحانة: «آتِنا بالطعام! بيض مقلي مع النقانق، وفاصوليا، وخبز، وجبن!».

– والجعة!

– ما بالك تحملق هكذا، يا سكومليك؟ نحن اليوم لدينا نقود! لقد جردنا كايليغ من حصانه، ومحفظته، وحُليهِ، وسيفه، وسرجه، ومعطف الفرو، وبعنا كل شيء للأقزام!

– والفتيات كذلك بعنَ حذاءه الأحمر. وقلادته المشكوكة بالخرز!

– أي، أي، إذن لدينا ما يمكّننا من الشرب، فعلًا! يا للفرح!

– ولم أنت سعيد إلى هذا الحد؟ نحن من لدينا ما يمكّننا من أن شرب، لا أنت. أنت من أسيرك المهم لن تستطيع سوى مسح المخاط من تحت أنفه، أو تخليصه من القمل! كما يكون الأسير، تكون الغنيمة، ها، ها!

– يا أولاد الكلب!

– ها، ها، اقعد، كنا نمزح، أغلق فمك!

– لنشربْ نخبَ الصلح! الضيافة علينا!

– أين ذاك البيض المقلي، يا صاحب الحانة، ليلتهمك الطاعون! أسرع!

– وهات الجعة!

رفعتْ سيري رأسها وهي منكمشة على الكرسي، فالتقت عيناها عيني كايليغ الخضراويّين المشتعلتين غضبًا والمحدقتين إليها، وقد ظهرتا من تحت ناصية شعره الأشقر الشعثاء. سرت في جسدها قُشْعْريرة. بدا وجه كايليغ شريرًا جدًّا، مع أنه لم يكن قبيحًا. أدركت سيري على الفور أن هذا الشاب، الذي لا يكبرها كثيرًا، قادر على فعل أي شيء.

همس الجرد، وهو يتفحصها بنظرات خضراء ثاقبة: «لعلَّ الآلهة أرسلتك إليّ. تخيلي، أنا لا أومن بها، ولكنها أرسلتك إليّ. لا تتلفتي، أيتها البلهاء الصغيرة. يجب أن تساعدني... افتحي أذنك، تَبًّا...».

انكملتُ سيري أكثر، ونكست رأسها.

صرَّ كايليغ بصوت خافت، وأسنانها تلمع على طريقة الجرذان: «اسمعي. عندما يمر صاحب الحانة من هنا بعد قليل، ستنادينه... استمعي لي، بحق الشيطان...».

همست: «لا. سيضربونني...».

اعوجَّ فم كايليغ، وسرعان ما أدركتُ سيري أن تعرضها للضرب على يد سكومليك ليس أسوأ، بأي شكل كان، وهذا ما قد يحدث لها. ومع أن سكومليك كان كبير الحجم، وكايليغ كان نحيفًا ومقيّدًا، فقد شعرت غريزياً من يجب أن تخافه أكثر.

همس الجرد: «إذا ساعدتني، فسأساعدك. أنا لست وحدي. لديّ رفاق لا يتركون رفيقهم في ضائقة... تفهمين؟ لكن عندما يصل رفاقي وتبدأ الأمور، لا يمكنني أن أبقى هنا مربوطًا، لأن هؤلاء الأوغاد سيقطعونني إربًا إربًا... افتحي أذنك، بحق دماء الكلاب. سأقول لك ما يتعين عليك فعله...».

نكست سيري رأسها أكثر. ورجفت شفتاها.

التهم اللقّاطون والنيسيريون البيضُ المقلّي، وهم يتمطقون كالخنازير البرية. خلط صاحب الحانة طعامًا في القدر وحمل إلى المنضدة إبريقًا آخر من الجعة ورغيفًا كبيرًا مخبوزًا من الدقيق المنخل.

صاحت بوداعة وقد شحب وجهها قليلًا: «أنا جائعة!».

توقف صاحب الحانة ونظر إليها بود، ثم التفت نحو المحتفلين.

– هل يمكن إعطاؤها شيئًا، سيدي؟

صرخ سكومليك صراخًا غير واضح، وقد احمرَّ وجهه وتطاير البيض المقلي: «انصرف! إياك أن تقترب منها، أنت أيها المراوغ، وإلا كسرت قائمتك! غير مسموح! وأنت، اجلسي ساكنة، أيتها المشردة، وإلا...».

تدخل فيركتا، مبتلعا بصعوبة قطعة خبز مغطاة بالبصل: «هيه، سكومليك، ما بك، فقدت عقلك أم ماذا؟ انظروا إليه، يا رجال، هذا الشقليان يأكل من مال غيره ويحرم الفتاة من الطعام. أعطاها طبقًا، يا مالك الحانة. أنا من سيدفع، وأنا من يقول من يعطى أكلاً ومن لا يعطى. ومن لا يعجبه ذلك، فيمكنه أن يتلقى لكمة على خطمه المليء بالهُلُب».

ازداد وجه سكومليك احمرارًا، لكنه لم ينطق بكلمة.

أضاف فركتا: «تذكرتُ شيئًا آخر. يجب إطعام الجرذ حتى لا ينفق في الطريق، فالبارون سيسلخ جلودنا إن حدث شيء له، صدقني. الفتاة ستطعمه. هيه، يا مالك الحانة! حضّر شيئًا من الطعام لهما! وأنت، يا سكومليك، بماذا تنبر؟ ما الذي لا يروق لك؟».

أشار اللقاط بحركة من رأسه نحو سيرى: «يجب مراقبتها بانتباه، فهي عصفورة غريبة. لو كانت فتاة عادية، لما كانت نيلفجارد تطاردها، ولما كان الحاكم قد وعد بمكافأة من أجلها...».

قهقه البدين ذو الشوشة: «سواء كانت عادية أم لم تكن، يمكننا حالًا تبين ذلك فيكفي النظر بين ساقيهما! ما رأيكم، يا رجال؟ هل نأخذها إلى الحظيرة وهلة؟».

زمجر سكومليك: «إياك وأن تتجرأ على لمسها! لن أسمح بذلك!».

- حقًا؟ وهل سنسألك أولًا؟

- هذه مهمتي، ورقبتي دون ذلك لإيصالها سالمة! إلى الحاكم في أماريلو...

- سنتغوط على حاكمك. لقد شربت بماننا، وتحرمنا من التمتع؟ إيه، لا تكن بخيلًا، يا سكومليك! لا تخف، لن تفقد رأسك، ولن تخسر مهمتك. ستوصلها سالمة. البنت ليست مثانة عوم سمكية، لن تنفجر من الضغط عليها.

انفجر النيسيريون بالضحك الشبيه بالصهيل، وتبعهم رفاق سكومليك. اهتزت سيرى، شاحبة، لكنها رفعت رأسها. ابتسم كايلينج ابتسامة تهكمية.

صرَّ بصوت خافت من بين شفّتيه المبتسمتين قليلاً: «أدركت الآن؟ عندما يشربون، سيتوجهون إليك. سيعذبونك. نسير على مَرَكَب واحد. فافعلي ما قلت لك. إن نجحتُ أنا، نجحتِ أنتِ أيضاً...».

نادى صاحب الحانة. لم تكن لكنته نيلفجاردية: «الطعام جاهز! اقتربي، يا آنستنا الصغيرة!».

همست سيري وهي تتناول الصحن منه: «سكين».

- ماذا؟

- السكين. بسرعة.

نادى صاحب الحانة بصوت غير طبيعي، مختلساً النظر نحو المحتفلين، وهو يضيف المزيد من البرغل إلى الصحن: «إذا لم يكف، خذي المزيد! ابتعدي الآن، أرجوك».

- السكين.

- لا. ابتعدي، وإلا ناديتهم... لا أستطيع... سيقرقون الحانة.

- السكين.

- لا. إنني أشفق عليك يا ابنتي، لكنني لا أستطيع. لا أستطيع، افهمي هذا. اذهبي...

تلت كلمات كايليغ بصوت مرتجف: «لن يخرج أحد حياً من هذه الحانة. السكين. بسرعة. وحين يبدأ الأمر، اهرب».

صرخ صاحب الحانة، وهو يستدير ليحجب سيري بجسده. كان شاحباً ويكز أسنانه قليلاً: «امسكي الصحن، يا بلهاء! قرب المقلاة!».

أحست بلمس سكين المطبخ الباردة، التي دسها خلف حزامها، حاجباً مقبضها بسترتها.

صر كايليغ بصوت خافت: «جيد جداً. اجلسي بحيث تحجبيني عن الأنظار. ضعي الصحن على ركبتني. خذي الملعقة بيدك اليسرى، وباليمنى السكين. وحزي الحبل. ليس هنا، يا حمقاء. تحت المرفق، على العمود. انتبهني، إنهم يراقبوننا».

أحست سيرى بجفاف في حلقها. حنت رأسها نحو الصحن.

كانت العينان الخضراوان تحدقان إليها من تحت الجفنين نصف المغلقين، تنومانها سحريًا: «أطعمني وكلي وحدك. وحزي الحبل، حزيه. تشجعي، يا صغيرة. إذا نَحَحْتُ أنا، نَحَحْتَ أنتِ أيضًا».

صحيح، فكرت سيري، وهي تقطع الحبل. وفاحت من السكين رائحة الحديد والبصل، وقد تجوَّف نصله من كثرة مرات الشحذ. كان محقًا. ما أدراني إلى أين سيأخذني هؤلاء السفلة؟ وما أدراني ما الذي يريده مني حاكم نيلفجارد؟ ربما ينتظرني في أماريلو ذاتها جلاّد معلّم، ربما تنتظرني العجلة والمثاقب والكماشة والحديد الأحمر... لن أسمح لهم بأن يأخذوني كنسجة للذبح في المجزرة. الأفضل أن أخاطر الآن...

تحطم الشباك ومعه إطاره، مصحوبًا بدويٍّ وبقطعة من جذع يقطع عليها الخشب، ضغطت بقوة ضاربة من الخارج، وسقط كل شيء على المنضدة، ما أحدث خرابًا وسط الصحن والأكواب. على إثر قطعة الجذع، قفزت فتاة شعرها أشقر مقصوص قصًا قصيرًا، ترتدي سترة حمراء وحذاءً عاليًا لامعًا يبلغ أعلى الركبتين. لوحت بسيفها وهي جاثية على المنضدة. أحد النيسيريين، الأبطأ بينهم، والذي لم يسعفه الوقت لينهض ويقفز جانبًا، هوى إلى الورا هو والمقعد، وقد تطاير الدم من حلقه المشقوق. تدرجت الفتاة برشاقة منزلة من المنضدة، مفسحة المجال للشاب الذي قفز من النافذة وكان يرتدي معطفًا قصيرًا مطرزا نصفه من الجلد.

صرخ فيركتا متخطبًا بسيفه المشبوك حول خصره: «الجرر زاننا!..»

شهر البدين ذو الشوشة سلاحه واندفع نحو الفتاة الجاثية على الأرضية، وضرب، لكن البنت صدّت الضربة بمهارة رغم أنها كانت راكعة على ركبتها، وتدحرجت بعيداً، ووثب ذاك المرتدي المعطف نصف الجلدي خلفها، وبحركة واسعة قوية طعن النيسيري في صدغه. فهوى البدين على الأرضية، وصار فحأة لننا كمرتبة قش مقلوبة.

فتح باب الحانة ببركة قوية، ودخل إلى الحجرة جردان آخران. كان أولهما طويل القامة وأسمر، يرتدي قفطاناً مزينة مزرراً بأزرار، وعلى جبهته عصاة قرمزية. وبضربتين سريعتين من سيفه، أرسل اثنين من اللقطين

إلى زاويتين متقابلتين، وطاعن فيركتا. وكان الثاني عريض المنكبين وأشقر الشعر، وقد شطر بضربة متسعة رأس ريميز، صهر سكومليك. فولى الباقون هاربين باتجاه باب المطبخ، لكنَّ الجراذين كانوا قد تسللوا إلى هناك أيضًا. وفجأة، قفزت من المستودع فتاة داكنة الشعر في زي ملون بديع. وبطعنة سريعة شقت أحد اللقاطين، ودفعت بعيدًا لقاطًا آخر بحركة طاحونية، ومن ثم هوت على صاحب الحانة قبل أن يتمكن من الصراخ ليفصح من يكون.

ملأ الحجرة الصراخ وصليل السيوف. اختبأت سيري خلف العمود.

صاح كايليغ بعد أن قطع الحبال المشققة، وكان يصارع الحزام الذي لا يزال شادًا عنقه على العمود: «ميستل! جيسيلهير! ريف! هنا إليّ!».

لكنَّ الجردان كانوا مشغولين بالقتال، فلم يسمع صراخ كايليغ سوى سكومليك. استدار اللقاط وهمَّ ليطعن، قاصدًا أن يسمر الجرد على العمود. ردت سيري تلقائيًا وبسرعة البرق؛ مثلما فعلت في أثناء القتال مع فيفرنا في جورس فيلين، ومثلما فعلت في ثانيد، جميع الحركات التي تعلمتها في كاير مورهين تحققت وحدها فجأة، دون تدخل منها في معظم الحالات. قفزت من خلف العمود، ودارت حول نفسها على أصابع قدمها، واندفعت نحو سكومليك وضربته بوركها بقوة. كانت صغيرة جدًا وضئيلة جدًا إلى حد لا يمكنها من دفع اللقاط الضخم بعيدًا، لكنها أفلحت في أن تزعزع إيقاع حركته. ولفت انتباهه إليها.

- يا للعاهرة!

رفع سكومليك سيفه، فصفر عاليًا في الهواء. أدى جسد سيري من تلقاء نفسه حركة لتفادي الضربة، وكاد اللقاط يسقط وهو يندفع وراء نصل سيفه المنطلق بسرعة، وضرب مرة أخرى واضعًا كل قوته في الضربة، وهو يلعن أقذع اللعنات. قفزت سيري برشاقة، وهبطت على قدمها اليسرى بثقة، ودارت على أصابع قدمها دورانًا عكسيًا. ضرب سكومليك مجددًا، ولكنه في هذه المرة أيضًا لم يستطع الوصول إليها.

بينهما سقط فجأة فيركتا، مغطيًا إياهما بالدماء. تراجع اللقاط، وأخذ يتلفت حوله. لا شيء إلا الجثث كانت تحيط به. والجردان المقتربون من جميع الاتجاهات، شاهرين سيوفهم.

قال الأسمر ذو العصابة القرمزية ببرود، وقد فك أخيرًا وثاق كايلىغ: «قفوا. يبدو أنه يريد حقًا أن يذبح هذه الفتاة. لا أدري لماذا. ولا أدري كيف أنه لم يتمكن من أن يفعل ذلك حتى الآن. لكن دعونا نمنحه فرصة، لما كان يريد ذلك بشدة».

قال عريض المنكبين: «ولنعطيها فرصة أيضًا، يا جيسيلهير. لتكن معركة نزيهة. أعطها حديدة، يا إيسكرا».

أحست سيرى بمقبض السيف في راحة يدها. كان ثقيلًا نوعًا ما. زفر سكومليك غاضبًا وانقض عليها، ملوحًا بشفرة سيفه اللامعة في حركة طاحونية. كان بطيئًا، فتجنبت سيرى طعناته بحركات خاطفة ودوران نصفي، دون حتى أن تحاول صد الضربات المتلاحقة. لم تستخدم السيف إلا في حفظ التوازن الذي يُسهل تفادي الهجمات.

ضحكت ذات الشعر القصير: «هذا مذهل. إنها بهلوان!».

قالت ذات الثياب الملونة، تلك التي أعطتها السيف: «إنها سريعة. سريعة كالغاية. هيه، أيها البدين! ربما تفضل مواجهة إحدانا؟ فأمورك لا تجري معها على نحو جيد!».

تراجع سكومليك، تلفت حواليه، وقفز بغتة، وعلى نحو غير متوقع، هاويًا على سيرى بطعنة، وقد مط نفسه كما لو كان مالك حزين ماذًا منقاره. تجنبت سيرى الضربة بمناورة قصيرة ودارت حوله. في لحظة رأت عرقًا نابضًا في عنق سكومليك. كانت تعلم أنه في الوضع الذي هو فيه لا يستطيع تفادي الضربة ولا صدها. كانت تعلم أين وكيف يجب أن تضرب. ولم تضرب.

أحست بيد على كتفها: «هذا يكفي».

دفعتها الفتاة ذات الزي الملون بعيدًا، وفي الوقت نفسه، حشر آخرون من الجرذان ومعهما اثنان، أحدهما ذو المعطف نصف الجلدي، وثانيهما تلك المقصوص شعرها على نحو قصير، حشروا سكومليك في زاوية الحجرة مهددين إياه بسيوفهم.

كررت الفتاة الملونة، وهي تدير سيرى نحوها: «يكفي هذا اللهو، لقد طال الأمر أكثر مما ينبغي. واللوم يقع عليك، أيتها الصبية. يمكنك القتل، ولكنك لا تفعلين. ويبدو لي أنك لن تعيشي طويلاً».

ارتجفت سيرى، نازرة إلى عيني الفتاة الكبيرتين الداكنتين، اللتين لهما شكل حبتي لوز، وقد رأت أسنانها التي كشفتها ابتسامتها، وكانت شديدة الصغر إلى حد أن هذه الابتسامة بدت مرعبة. لم تكن عيناها عيني إنسان، ولا أسنانها كانت أسنان بشر. كانت الفتاة ذات الثياب الملونة إلفية.

قال بحدة جيسيلهير، ذو العصاة القرمزية، الذي يبدو واضحاً إنه قائداهم: «حان وقت الهرب. إن الأمر حقاً قد طال أكثر مما ينبغي! ميستل، اقضي على هذا الوغد».

اقتربت ذات الشعر المقصوص على نحو قصير، رافعة سيفها. صرخ سكومليك، ساقطاً على ركبتيه: «الرحمة! لا تقتلونني! لدي أطفال صغار... صغار جداً...».

هوت الفتاة عليه بضربة حادة، وهي تستدير بوركيها. تدفق الدم على الجدار المبييض بخط عريض وغير منتظم من بقع قرمزية. قالت مقصوصة الشعر، وهي تمسح بأصابعها الدم عن حز النصل بحركة سريعة: «لا أطيق الأطفال الصغار».

حثها ذو العصاة القرمزية: «لا تقفي، يا ميستل! هيا، إلى الخيول! يجب أن نهرب! هذه مستوطنة نيلفجاردية، ولا أصدقاء لنا هنا!».

خرج الجرذان من الحانة راكضين. لم تكن سيرى تدري ما تفعل، لكنها لم يكن لديها وقت للتفكير. دفعتها ميستل، تلك المقصوص شعرها قصيراً، نحو الباب.

أمام الحانة، وبين بقايا الأكواب والعظام المقضومة، ارتمت جثث النيسيريين الذي كانوا يحرسون المدخل. كان المستوطنون المسلحون بالرماح يقتربون من جهة القرية، لكنهم على الفور اختفوا بين الأكواخ، حين رأوا الجرذان يخرجون إلى الفناء.

صاحت ميستل قائلة لسيرى: «هل تجيدين ركوب الخيل؟».

- نعم...

- انطلقى إذن، اختاري أحدها وثبي بسرعة! ثمة مكافأة مقابل رؤوسنا، وهذه قرية نيلفجاردية! الجميع هنا هبوا ممسكين بقسيهم ورماحهم! انطلقى خلف جيسيلهير! سيرى في منتصف الزقاق! ابقى بعيدة عن الأكواخ!

وثبت سيري من فوق عائق منخفض، وأمسكت بعنان أحد خيول اللقاطين، وقفزت إلى السرج، ثم انهالت على مؤخرة الفرس بسطح السيف، الذي لم تقلته من قبضتها. انطلقت في جري حاد، متجاوزة كايليغ والإلفية الملونة التي تسمى إيسكرا.

اندفعت خلف الجردان نحو الطاحونة. رأت رجلًا يقفز من وراء زاوية أحد الأكواخ، حاملاً قوسًا ويصوبها إلى ظهر جيسيلهير.

سمعت من الخلف: «اقضي عليه! اقضي عليه، يا فتاة!».

مالت سيري إلى الخلف في السرج، ولوحت بسيفها وأجبرت الحصان الجاري سريعًا على تغيير الاتجاه، بشدها اللجام وبضغطة من قدمها. استدار الرجل الحامل القوس في اللحظة الأخيرة، فرأت وجهه المعوج من الرعب. ترددت لحظة اليد المرفوعة لتوجيه ضربة، وهذا ما كان كافيًا لأن ينقلها جري الحصان جانبًا. سمعت طنين الوتر الذي ارتخى، شخر الحصان وتمايل بمؤخرته، ووقف على قائمته الخلفيتين. قفزت سيري، منتزعة قدميها من الركابين، ونزلت برشاقة، راحة على ركبة واحدة. تدلت إيسكرا من السرج وقد اقتربت من حامل القوس، وبضربة شديدة متسعة شقت قذاله. سقط حامل القوس على ركبتيه، انحنى إلى الأمام، فغاص بجبهته في بركة ماء ناثراً الطين حوله. كان الحصان المجروح يسهل، ويتخبط هائجًا، وأخيرًا اندفع بين الأكواخ، وهو يرفس بشدة.

صرخت الإلفية، وهي تتجاوز سيري مسرعة: «أيتها البلهاء! أيتها البلهاء اللعينة!».

صاح كايليغ، مقترباً منها: «اركبي!».

ركضت سيرى وأمسكت باليد الممدودة. جذبها الاندفاع إلى أعلى، حتى إن مفصل كتفها طقطع، لكنها تمكنت من الوثوب على ظهر الحصان، ملتصقةً بظهر الجرد، الأشقر الشعر. انطلقا عدوًا، متجاوزين إيسكرا. التفت الإلفية عائدةً، تطارد حامل قوس آخر، كان قد ألقى سلاحه وفرَّ تجاه بوابة الحظيرة. لحقت به إيسكرا وبلغته دونما صعوبة تذكر. أدارت سيرى رأسها جانبًا. سمعت حامل القوس المطعون كيف عوى لحظة قصيرة وبوحشية كحيوان متألم.

لحقت بهما ميستل وهي تجر حصانًا حرًا مسرجًا. صرخت بشيء ما. لم تفهم سيرى الكلمات، لكنها استوعبت المعنى فورًا. أطلقت ظهر كايلىغ، وقفزت إلى الأرض في أثناء الاندفاع الكامل، وركضت نحو الحصان الحر، مقتربة على نحو خطير من الأبنية. رمت ميستل العنان إليها، ثم تلفت خلفها وصاحت محذرةً. استدارت سيرى في اللحظة المناسبة لتتفادى، بدوران نصفى، طعنة رمح غادرة من مستوطن ممتلى الجسم، بزغ من الحظيرة.

ما حدث بعد ذلك، ظل يلاحقها في أحلامها فترة طويلة. تذكرت كل شيء، كل حركة. لقد أنقذها الدوران النصفى من سن الرمح، ووضعها في وضعية مثالية. أما الرَّمَّاح، الذي كان منحنيًا بشدة إلى الأمام، فلم يكن قادرًا على القفز جانبًا أو حتى أن يقي نفسه بعصا التي كان ممسكًا بها بيديه. طعنته سيرى طعنة أفقية، مغيرةً وضعيتها في نصف دوران عكسي. في لحظة، رأت الفم المفتوح المتهىء للصراخ، في وجه مغطى بشعر خشن، لم يخلق منذ عدة أيام. ورأت الجبهة التي استطالت بالصلعة بوضوح إلى ما فوق الخط الذي كانت تغطيه قبعة أو قلنسوة تحميانه من لفح الشمس. وبعد ذلك، فإن كل ما رآته حجبته نافورة الدم.

كانت لا تزال ممسكةً باللجام، لكنَّ الحصان أفزعه عويل مرعب، فاندفع مسقطًا إياها على ركبتيها. لم تترك سيرى الزمام. كان الجريح يشهق ويئن، وألقى بنفسه متسنجًا وسط القش والروث، والدم يتدفق منه، كخنزير مذبوح. أحست بأن معدتها كانت تصعد نحو حلقها.

بالقرب منها تمامًا، كانت إيسكرا تدفع الحصان ليسرع. وإذا أمسكت لجام الحصان الحر المتخبط، شدت رافعة سيرى، التي لا تزال متشبثة بالزمام، لتقف على قدميها.

صرخت: «إلى السرج! بسرعة الوشق!».

كبحْتُ سيرى شعورها بالغثيان، ووثبتُ إلى السرج. لا يزال الدم على السيف الذي كانت لا تزال تمسكه بيدها. وبصعوبة قمعتُ رغبتها في رمي قطعة الحديد هذه إلى أبعد ما يمكن عنها.

ظهرت ميستل من بين الأكواخ، وهي تطارد شخصين. تمكن أحدهما من الهروب قافزًا من فوق السياج، بينما الآخر، الذي كان شعره قصيرًا، سقط على ركبتيه، ممسكًا برأسه بيديه.

حُثَّ كلتاهما ومعهما الإلفية الخيول لتندفع جريًا، ولكن بعد لحظة توقفت الخيول مقاومة ضغط الركائب، فقد عاد جيسيلهير من جهة الطاحونة ومعه جردان آخرون. واندفع خلفهم لفيف من المستوطنين المسلحين صارخين لزيادة الجراءة في نفوسهم.

صرخ جيسيلهير خلال اندفاعه على متن فرسه: «هيا وراءنا! وراءنا، يا ميستل! إلى النُّهير!».

شدتُ ميستل الزمام، وقد مالت جانبًا، وأدارت الحصان وانطلقت به عدوًا وراءه، متخطية الحواجز الصغيرة. ألصقت سيرى وجهها على عرف الحصان، وتبعتها.

إلى جانبها تمامًا كانت إيسكرا تجري على حصانها. لقد طير الاندفاع السريع شعرها الداكن الجميل، كاشفًا أذنها الصغيرة الحادة عند طرفها، والمزينة بقرط دقيق متقن الصنع.

ظل الجريح الذي أصابته ميستل جاثيًا في منتصف الطريق، يتمايل ممسكًا بيديه رأسه الملطخ بالدم. استدارت إيسكرا بحصانها، واندفعت نحوه جريًا سريعًا، وضربته بالسيف من الأعلى بعزم، وبكل ما أوتيت من قوة. أنَّ الجريح. شاهدت سيرى أصابعه المقطوعة تتناثر على جانبيه مثل شظايا من الخشب الذي يقطع، وتتساقط على الأرض كديدان بيضاء غليظة.

كبحث نفسها بمشقة بالغة كي لا تتقيأ.

عند الفجوة في السياج الخشبي، كانت ميستل وكايليغ في انتظارهما، فيما كان باقي الجرذان قد أصبحوا بعيدين. بدأ الأربعة في السير عدوًا حادًا ممتدًا، ثم اندفعوا جريًا خلال النهر، والماء يتناثر من حولهم، ويتطاير إلى ما فوق رؤوس خيولهم. دخلوا الجرف الرملي، حانبي الظهر وخدودهم ملاصقة لأعراف الخيول، واندفعوا خلال مرج بنفسجي من كثرة زهور الترمس. اندفعت إيسكرا، التي كانت تمتلك أفضل جواد، إلى الأمام لتولي المقدمة.

دخلوا إلى الغابة، إلى الظل الرطب بين جذوع الزان. تجاوزوا جيسيلهير والآخرين، لكنهم خفضوا سرعتهم لحظة فقط. عندما جابوا الغابة وخرجوا إلى الأراضي الحراجية، حثوا الخيول على العدو من جديد. وسرعان ما بدأت سيرى وكايليغ يتخلفان عن الركب، فأحصنة اللقاطين لم تكن قادرة على مواكبة جياد الجرذان الأصيلة والجميلة والسريعة. واجهت سيرى مشكلة إضافية: لم تستطع الوصول بقدميها إلى الركابين إلا بشق الأنفس، لكبر حجم الحصان، وكان من الصعب عليها ضبط سَيْرِي الركابين ليناسبها في أثناء العدو السريع. لكنها كانت تعلم أنها لا تستطيع الاستمرار في هذا الوضع لفترة طويلة. كانت تجيد قيادة الفرس من دون الركابين بطريقة ليست أسوأ من الطريقة التي تستخدم فيها الركابين، لكنها كانت تعلم أنها في هذه الوضعية لن تتحمل السير السريع جريًا مدةً طويلةً.

بعد بضع دقائق، ومن حسن الحظ، خفف جيسيلهير من سرعته وأوقف طليعة الخيالة، ما سمح لها ولكايليغ أن يلحقا به. وخففت سيرى سرعة الحصان وسارت خبيًا، وإلى الآن لم تتمكن من تقصير سير الركاب، فلم تكن في الحزام فتحات. ودون أن تخفف السرعة، وضعت ساقها اليمنى فوق القربوس كما تجلس السيدات المتأنقات.

انفجرت ميستل ضاحكة بعد أن رأت وضعية جلوس البنت على صهوة الحصان.

- أترى، يا جيسيلهير؟ هي ليست بهلوانًا فقط، بل فنانة فروسية أيضًا!
إيه، كايليغ، من أين جلبت هذه الشيطانة؟

إيسكرا التي كانت توقف فرسها الكستنائية الجميلة التي لا تزال جافة ومندفعة لمواصلة خبيبها، اقتربت أكثر، مضيقاً على حصان سيرى الأشهب الرمادي. شخر الحصان وتراجع خاطفاً رأسه إلى أعلى. شدّت سيرى اللجام، مائلة على السرج.

زمجرت الإلفية، وهي تزيح شعرها عن جبهتها: «هل تعلمين، أيتها الغبية، لماذا لا تزالين حيّة؟ الفتى الذي رحمته، أطلق وتر القوس قبل الأوان، فأصاب الحصان بدلاً من أن يصيبك. لولا ذلك لكان السهم استقر في ظهرك حتى ريشته! فلمَ تحملين هذا السيف؟».

قالت ميستل، وهي تمسح عنق حصانها المبتل من شدة العرق: «أتركها، يا إيسكرا. جيسيلهير، يجب أن نبطئ، وإلا سنهلك الخيول! ولا أحد يطاردنا». قال جيسيلهير: «أريد عبور فيلدا بأسرع ما يمكن. سنستريح بعد النهر. كايلىغ، كيف حال حصانك؟».

- سيتحمل. هو ليس من الخيل الزناتية الأصيلة، ولا يصلح للسباق، لكنه وحش قوي.
- لننطلق إذن.

قالت إيسكرا: «لحظة. وماذا عن هذه البُنْيّة؟».

التفت جيسيلهير إلى الورا، ثم ضبط العصابة القرمزية على جبينه، وأوقف نظره على سيرى. كان وجهه وتعابيره تشبه قليلاً وجه وتعابير كايلىغ، كشرة الشفتين الغاضبة هي نفسها، العينان المغمضتان هما أنفسهما، والفق السفلي الرفيع البارز هو نفسه. لكنه كان أكبر سنّاً من الجرد ذي الشعر الأشقر، فالظل المزرق على خديه دلّ على أنه قد كان يحلق ذقنه بانتظام. قال بخشونة: «فعلاً. ماذا عنك، أيتها البنت؟».

نكست سيرى رأسها.

نطق كايلىغ: «لقد ساعدتني. لولها، لكان ذاك اللقاط الحقيق سمرني على العمود...».

أضافت ميستل: «في القرية، رأوها وهي تهرب معنا. ضربت أحدهم، وأنا أشك في أنه قد نجا. إنهم مستوطنون من نيلفجارد. إن وقعت البنت في مخالبهم، سيقتلونها. لا يمكننا تركها».

همهمت إيسكرا غاضبة، لكن جيسيلهير أوماً بيده.

قرر: «إلى فيلدا، دعوها تأتي معنا. وسنرى بعد ذلك. اركبي على الحصان كما ينبغي، يا بنت. إذا تأخرت في اللحاق بنا، فلن نلتفت إليك. هل تفهمين؟». أومات سيرى برأسها موافقة.



- تكلمي، أيتها البنت. من تكونين؟ من أين أنت؟ ما اسمك؟ ولماذا كنت ضمن الموكب المحروس؟

حنت سيرى رأسها. كان لديها في أثناء الرحلة ما يكفي من الوقت لتفكر في اختلاق قصة ما. وقد اختلقت عدة قصص، لكن زعيم الجرذان لم يكن يبدو من النوع الذي يصدق أياً منها.

حثها جيسيلهير: «هيا. سرت معنا بضع ساعات، والآن تتناولين الطعام معنا، وأنا حتى الآن لم تسنح لي الفرصة لأعرف نبذة صوتك. هل أنت خرساء؟».

قذفت النار إلى الأعلى لهباً وحزاماً من الشرر، غامرة أطلال كوخ الراعي بموجة وهج ذهبي. وكأن النار امتثلت لأمر جيسيلهير، فأضاءت وجه سيرى التي كانت تُستجوب، لكي تسهل إمكانية اكتشاف الكذب أو الخداع في ملامحها. فكرت سيرى بياس: إنني لا أستطيع أن أخبرهم بالحقيقة. إنهم قطاع طرق. لصوص. إذا علموا عن أمر النيلفجارديين، عن أن اللقاطين قد أسروني للحصول على مكافأة، فقد يرغبون هم أنفسهم في كسب تلك المكافأة. فضلاً عن ذلك، فإن حقيقتي أمر غير معقول ولن يصدقوه.

تابع زعيم العصابة ببطء: «لقد أخذناك من المستوطنة وأحضرناك إلى هنا، إلى أحد مخابئنا. أطعمناك. وتجلسين الآن بجوار نارنا، لذا تكلمي، من أنت!».

فجأة نطقت ميستل: «دعها وشأنها. عندما أنظر إليك، يا جيسيلهير، أرى فجأة اللقاط النيسيري، أو واحدًا من هؤلاء، أبناء العاهرات النيلفجارديين. وأشعر أنني في استجواب، مربوطة في زنزانة على أريكة التعذيب!».

تكلم ذاك الشاب الأشقر المرتدي معطفًا نصف جلدي، فارتعشت سيري حين سمعت لكنته: «ميستل محقة. من الواضح أن الفتاة لا تريد قول من تكون، ولها الحق في ذلك. وأنا، عندما انضممتُ إليكم، كنتُ أيضًا قليل الكلام. لم أرغب في الكشف عن أنني كنت واحدًا من أولئك، من أبناء العاهرات النيلفجارديين...».

لوّح جيسيلهير بيده: «كفّ عن الهراء، يا ريف. كان الأمر معك مختلفًا. وأنت يا ميستل، أيضًا تبالغين. هذا ليس استجوابًا بتاتًا، أريد فقط أن نخبرنا من تكون ومن أين أتت. وحين أعلم ذلك، سأرشدنا إلى الطريق إلى بيتها، هذا كل ما في الأمر. كيف أفعل ذلك إذا كنت لا أعلم...».

حولت ميستل نظرها عنه: «لا تعلم شيئًا. حتى لا تعلم أكان لديها بيت أصلاً. أما أنا فأظن أن لا بيت لها. لقد أخذها اللقاطون من الطريق لأنها كانت وحدها، وهذا يتوافق مع جبنهم. إذا طلبتُ منها الذهاب أينما قادتها عينها، فلن تتمكن من النجاة بمفردها في الجبال. ستمزقها الذئاب أو تموت جوعًا». قال عريض المنكبين بصوتٍ شابٍّ أجشٍّ، وهو ينكر الجمرات الملتهبة في النار بعضا: «ماذا نفعل بها إذن؟ هل نتركها في قرية قريبة؟».

سخرت ميستل: «فكرة رائعة، ألا تعرف الفلاحين؟ هم الآن بحاجة إلى الأيدي العاملة. سيدفعون البنت لرعي الماشية، وسيكسرون ساقها أولاً حتى لا تتمكن من الهرب. وفي الليالي ستصبح مشاعًا وملكًا للجميع، ستدفع مقابل قُوتها والسقف الذي فوق رأسها، وأنت تعلم، بأي طريقة ستدفع. وفي الربيع ستُصاب بحمى النفاس، بعد ولادة ابن حرام في زريبة قذرة».

قال جيسيلهير ببطء وامتعاض، وكان لا يزال ينظر إلى سيري: «إذا تركنا لها حصانها وسيفها، فلا أودُّ أن أكون محل الفلاح الذي يريد كسر ساقها، أو إنجاب ابن حرام منها. لقد رأيتم قفزها الراقص في الحانة مع ذلك اللقاط الذي قتلته ميستل لاحقًا. كان يطعن الهواء، وهي ترقص كأن شيئًا لم يكن...».

ها، في الواقع لا يهمني اسمها أو أسرتها كثيرًا، لكنني مهتم بمعرفة أين تعلمت تلك الحيل، وسأسر إن عرف ذلك....».

فجأة تكلمت إيسكرا التي كانت إلى الآن مشغولة بشحذ سيفها: «الحيل لن تنقذها. هي تجيد الرقص فقط، لكن من أجل البقاء، يجب أن تجيد القتل، وهي لا تقدر على ذلك».

كشف كايليغ عن ضواحه: «أظن أنها قادرة على ذلك، عندما طعنت في القرية ذاك الفتى على رقبته، تطاير الدم إلى الأعلى بارتفاع نصف قامة....».

نبرت الإلفية بخشونة: «لكنها كادت تفقد الوعي من هذا المشهد».

تدخلت ميستل: «لأنها لا تزال طفلة. أنا قد خمنت من تكون، وأين تعلمت هذه الحيل. لقد رأيت فتيات مثلها من قبل. إنها راقصة أو بهلوان من إحدى الفرق الجواله».

نبرت إيسكرا مرة أخرى: «ومنذ متى تهمنا الراقصات والبهلوانات؟ تبًا لدم الكلاب، منتصف الليل يقترب، والنعاس يغلبني. فلننته أخيرًا من هذه الثرثرة الفارغة. يجب أن ننام ونستريح تمامًا لنكون في كوزنيتسا بحلول الغسق غدًا. وأظنكم لم تنسوا أن مختار هذه القرية هو من سلم كايليغ للنيسيريين. لذا فعلى القرية كلها أن ترى كيف يصير الليل وجد أحمر. أما البنت؟ فليديها حسان ولديها سيف. كلاهما حصلت عليهما بحق، فلنعطها بعض الطعام والنقود. لقاء إنقاذها كايليغ. ولتذهب حيثما تشاء، ولتعتني وحدها بنفسها....».

قالت سيرى، وهي تضغط على شفيتها وتنهض: «حسنًا».

ساد الصمت، ولم يكسرْه إلا فرقة النار. نظر الجرذان إليها بفضول، وانتظروا.

كررت، مدهوشة من غرابة صوتها: «حسنًا. لا أحتاج إليكم، لم أطلب شيئًا منكم... ولا أرغب في البقاء معكم بتاتًا! سأرحل حاليًا....».

قال جيسيلهير مغتمًا: «لست خرساء إذن. تستطيعين الكلام، بل وتحدثين بجرأة».

نبرت إيسكرا: «انظروا إلى عينيها، انظروا كيف ترفع رأسها. طوير جارح. صقرة صغيرة!».

قال كايليج: «تريدين الرحيل. ولكن إلى أين، إذا كان ممكناً أن نعرف؟». صرخت سيري، وعيناها توهجتا ببريق أخضر: «وما شأنكم أنتم؟ وهل أسألكم أنا أين أنتم ذاهبون؟ لا يهمني ذلك! وأنتم أيضاً لا تهمونني! لا أحتاج إليكم في شيء! أستطيع... سأتدبر أمري! وحدي!». كررت ميستل بابتسامة غريبة: «وحدك؟».

صمتت سيري وخفضت رأسها. وصمت الجرذان أيضاً.

أخيراً قال جيسيلهير: «الآن ليل، وفي الليل لا يسافر المرء وحده. لا يسافر بمفرده. ومن يكون وحده، حتماً سيهلك. هناك، بجوار الخيول، توجد بطانيات وفراء. اختاري لنفسك شيئاً منها. الليالي باردة في الجبال. لماذا تنفرسينني هكذا بعينيك الخضراوين كمصباحين؟ جهّزي فراشاً لك ونامي. عليك أن ترتاحي».

أطاعتها بعد لحظة تفكير. وعندما عادت تحمل بطانية وفروة، لم يكن الجرذان جالسين حول النار بعد أن عادت. وقفوا في نصف دائرة، وانعكس وهج اللهب الأحمر في أعينهم.

قال جيسيلهير باعتزاز: «نحن جرذان الحدود. نشم رائحة الغنائم من مسافة ميل. لا نخشى الفخاخ، ولا يوجد شيء لا نستطيع تمزيقه بأسناننا. نحن الجرذان. اقتربي هنا، يا فتاة». أطاعته.

أضاف جيسيلهير، وهو يقدم لها حزاماً مرصعاً بالفضة: «لا تملكين شيئاً، خذي إذن هذا، على الأقل».

قالت ميستل مبتسمة، وهي تلقي على كتفها سترة خضراء من نسيج أطلس، وتضع على يديها قميصاً مطرزاً: «لا تملكين شيئاً، ولا أحد لديك».

قال كايليج، وكانت هديته خنجراً في غمد يلمع بالأحجار الكريمة: «لا تملكين شيئاً. أنت وحدك».

كرر خلفه آسي. تلقت سيرى منه حمالة مزخرفة توضع على الكتف: «لا أحد لديك».

قال ريف بلهجة نيلفجاردية، وهو يسلمها زوجًا من القفازات الجلدية الناعمة: «لا أقرباء لك. لا أقرباء لك بتاتًا و...».

أكملت إيسكرا دون مبالاة ظاهرًا، وهي تضع بحركة سريعة وفظة على رأس سيرى قبعة مزينة بريش من طائر التدرج: «ستكونين غريبة في كل مكان. غريبة في كل مكان ومختلفة دائمًا. فكيف نسيمك، أيتها الصقرة الصغيرة؟».

نظرت سيرى إلى عينيها.

- جفالخكا.

أخذت الإلفية تضحك.

- عندما رحّت تتكلمين، تحدثت بلغات متعددة، أيتها الصقرة الصغيرة! حسنًا إذن. ستحملين اسم الشعب الأقدم، الاسم الذي اخترته أنت لنفسك. ستكونين فالكا.



فالكا.

لم تستطع النوم. كانت الخيول تخط بأقدامها وتشخر في الظلام، والريح تهب بهزيز بين رؤوس أشجار التنوب. تلاًأت السماء بالنجوم. كانت العين تضئ ساطعة، إنها النجمة التي كانت مرشدًا مخلصًا لها خلال الصحراء الصخرية خلال أيام طويلة جدًا. كان العين يشير إلى الغرب، لكن سيرى لم تعد متيقنة من أن هذا الاتجاه هو الاتجاه الصحيح. لم تعد الآن متيقنة من شيء.

لم تستطع النوم، مع أنها أول مرة شعرت بالأمان منذ أيام كثيرة. لم تعد وحيدة. صنعت لنفسها فراشًا من الأغصان في مكان جانبي، بعيدًا عن الجرذان، الذين كانوا نائمين على الأرضية الطينية للكوخ المتهاالك التي دفأتها النار. كانت بعيدة عنهم، لكنها أحست بقربهم وحضورهم. لم تكن وحيدة.

سمعتُ خطوات خفيفة.

- لا تخافي.

كايليغ.

همس الجرد ذو الشعر الزاهي، وهو يجثو مائلاً فوقها: «لن أخبرهم بأن نيلفجارد تبحث عنك. لن أخبرهم بالمكافأة التي وعد بها حاكم أماريلو لقاءك. لقد أنقذت حياتي هناك، في الحانة، وسأرد لك الجميل. بشيء لطيف. الآن». استلقى بجانبها ببطء وحذر. حاولت سيرى أن تنهض، لكنه ضغطها إلى الفراش بحركة غير عنيفة، لكنها قوية وحازمة. وضع أصابعه برفق على شفتيها. لم يكن ذلك ضروريًا. فقد شل الذعر سيرى، ولم تكن قادرة على الصراخ من حلقها المضغوط، الجاف إلى حد الألم، حتى لو أرادت أن تفعل. لكنها لم ترد ذلك. كان الصمت والظلام أفضل. وآمن. وليسا غريبين عنها. كانا يخفيان زعرها وخجلها.

تأوهت.

همس كايليغ وهو يفكُ رباط قميصها ببطء. ببطء وبحركات ناعمة، أزاح النسيج عن كتفيها، ورفع طرف القميص الأسفل إلى ما فوق وركيها: «اصمتي، يا صغيرة. ولا تخافي. سترين كم ستكون المتعة كبيرة».

ارتجفت سيرى تحت لمسة راحة يده الصلبة والخشنة. استلقت دون حراك، مشدودةً ومنقبضةً، يغمرها خوف يشلها ويسلب إرادتها، واشمئزاز مهيمن وموجات من اللهب تهاجم صدغيها وخديها. وضع كايليغ ذراعه اليسرى تحت رأسها، وجذبها أقرب إليه، جاهداً أن يبعد يدها التي كانت تضغط على طرف القميص السفلي بشدة، ولكنها عبثاً تحاول شده إلى الأسفل. بدأت ترتعد.

في الظلام المحيط، أحست بحركة مفاجئة، شعرت بصدمة، وسمعت صوت ركلة.

زمجر كايليغ، رافعا رأسه قليلاً: «هل جُننتِ، ميستل؟».

- اتركها، أيها الخنزير.

- دعيني، اذهبي ونامي.

- اتركها وشأنها، قلت لك.

- أأنا أزعجها، أم ماذا؟ أهي تصرخ أم تحاول الهرب؟ أريد فقط أن أحضنها لتنام. لا تضايقيني.

- اخرج من هنا، وإلا مزقتك.

سمعت سيري صليل خنجر في غمد معدني.

كررتُ ميستل كلامًا غير واضح، مغممة فوقهما في الظلام: «أنا لا أمزح. أغرب إلى الشبان. هيا على الفور».

جلس كايليغ، ولعن بصوت منخفض. نهض دون أن ينبس بكلمة واحد، وغادر بسرعة.

أحست سيري بالدموع تسيل على وجنتيها بسرعة تزداد شيئًا فشيئًا، زاحفة مثل ديدان صغيرة مفعمة بالحركة، في الشعر عند أذنيها. استلقت ميستل بجانبها، وغطتها بفروة بلمسة من حنان. بدأت سيري ترتجف من جديد.

- اهدئي، يا فالكا. الأمور على ما يرام الآن.

كانت ميستل دافئة، وكانت تفوح منها رائحة الراتينج والدخان. كانت كفها أصغر من كف كايليغ، وأنعم، وألين. وألطف... أحست سيري كأن ملاقط الاشمنزاز الحديدية تنفرج وتتراخي مقابضها، وشعرت بأنها تفلت من قبضتها وتهوي إلى الأسفل، إلى الأسفل، عميقًا، أعمق أكثر فأكثر، في مستنقع دافئ من الاستسلام والخضوع العاجز. الخضوع المقزز على نحو مهين.

همست ميستل وهي تضع ذراعها تحت رأس سيري برفق: «اصمتي، يا صُغيرة. لن تكوني وحيدة بعد الآن. لن تكوني».



باكرًا، عند الفجر، استيقظت سيري. انسلتُ ببطء وحذر من تحت الفرو، دون أن توقظ ميستل، التي كانت نائمة فاعرةً الفم وساعدها على عينيها. كان الساعد مغطًى بقشعريرة. غطتُ سيري الفتاة بعناية. بعد لحظة تردد،

انحنُتْ وقبِلْتُ بنعومة شعرها المقصوص والمنتصب مثل فرشاة. تمتمت
ميسُتل في أثناء نومها. مسحتُ سيري دمة عن خدها.
لم تعدْ وحدها.

كان سائر الجرذان نائمين أيضًا، أحدهم يشخر بصوت عالٍ، وآخر ضُطر
بصوت عالٍ أيضًا. كانت إيسكرا مستلقية ويدها على صدر جيسيلهير، وشعرها
الغزير كان متناثرًا دون انتظام. كانت الخيول تشخر وتخبط بحوافرها، فيما
كان نقار الخشب راح ينقر جذع صنوبرة نقرات متقطعة متتالية.

انطلقت سيري نحو الجدول. اغتسلت طويلاً، وهي ترتجف من البرد.
اغتسلت بحركات سريعة من يديها المرتجفتين، محاولةً غسل ما لا يمكن
غسله من جسدها. سالت الدموع على خديها.

فالكا.

كان الماء يخرخر على الحجارة، وينساب بعيدًا في الضباب.

كل شيء ينساب بعيدًا. في الضباب.

كل شيء.



كانوا منبوذين. كانوا تجمّعًا غريبًا شكلته الحرب والبؤس والهوان.
جمعتهم الحرب، والبؤس، والهوان وقذفت بهم إلى شاطئ واحد، مثلما يقذف
النهر الفائض ويحط على ضفافه قطع الخشب السوداء الطافية التي صقلتها
الحجارة.

استفاق كايليغ وسط الدخان والحرائق والدم في القلعة المنهوب، ممددًا
بين جثث والديه بالتبني وإخوته. صادف ريف وهو يجرجر قدميه في الفناء
المليء بالجثث. كان ريف جنديًا في الحملة التأديبية التي أرسلها القيصر
إمهير فار إمريس لقمع التمرد في إبينج. وهو أحد أولئك الذين استولوا على
القلعة ونهبوها بعد حصار دام يومين.

كان ريف جنديًا من الحملة العقابية التي أرسلها الإمبراطور إمهير فار
إيمريس لقمع تمرد في إبينج. كان واحدًا من الذين استولوا على القلعة

ونهبوها بعد حصار استمرَّ يومين. وبعد أن أخذ رفاق ريف القلعة تركوه مرميًا، مع أنه كان لا يزال حيًّا. وإن الاعتناء بالجرحى لم يكن من عادة القتلة من الوحدات النيلفجاردية الخاصة.

في البداية، أراد كايلينغ القضاء على ريف. لكن كايلينغ لم يكن يريد أن يكون وحيدًا. وريف، مثل كايلينغ تمامًا، كان في السادسة عشرة من عمره.

معًا ضمداً جروحهما. معًا قتلًا جبابة الضرائب وسلباهم ما معهم. معًا شربا الجعة في الحانة، وفي ما بعد، عند سيرهما خلال القرية على ظهري الحصانين اللذين غنماهما، راحا ينثران حولهم بقية الأموال المنهوبة، وهما يقهقهان حتى كادا ينفجران من شدة الضحك.

معًا هربا من وحدات المطاردة النيلفجاردية والنيسيرية.

فر جيسيلهير من الجيش. وعلى الأرجح كان ذلك جيش حاكم جيسو، الذي تحالف مع المنتفضين من إيينج. على الأرجح. جيسيلهير لم يكن يعلم تمامًا إلى أين جره العملاء المجنون. كان وقتئذ ثملًا تمامًا. وعندما أفاق من سُكره وتلقى السياط الأولى من الرقيب في أثناء التدريب، هرب. في البداية كان يتسكع وحده، لكن عندما سحق النيلفجارديون اتحاد المنتفضين، امتلأت الغابات بالمنشقين والفارين الآخرين. وسرعان ما تجمع الفارون في عصابات، وانضم جيسيلهير إلى إحداها.

كانت العصابة تنهب وتحرق القرى، تهاجم القوافل وحمولات النقل، وتختفي هاربة إلى مناطق وعرة أمام سرايا الفرسان النيلفجارديين. في إحدى المرات التي هربت فيها العصابة، اصطدمت في ديسة واسعة بالإلفيين الغائبين، وواجهت هلاكًا محققًا، وموتًا لا يرى تؤذ به الأرياش الرمادية للسهام المنطلقة من كل جانب. أحد السهام اخترق كتف جيسيلهير وثبتته إلى شجرة. وتلك التي في الصباح أخرجت السهم من جسده وضمدت جرحه كانت أينيفيدين.

لم يتسنَّ لجيسيلهير بتاتًا معرفة سبب حكم الإلفيين على أينيفيدين بالنفي، أو ما الذنب الذي اقترفته ليحكموا عليها بالموت. فبالنسبة إلى الإلفية الحرة، كانت العزلة في نطاق شريط ضيق من أرض مشاع، يفصل بين الشعب الحرِّ الأقدم وبين البشر، بمنزلة الحكم بالموت. الإلفية المعزولة

يجب أن تموت. إن لم تجد رفيقًا لها. أينيفيدين وجدت رفيقًا. كان اسمها، الذي يعني «طفلة النار»، إذا ترجم ترجمة فضفاضة، مرگبًا وصعبًا وشاعريًا أكثر مما ينبغي بالنسبة إلى جيسيلهير. فكان يناديها بـ«إيسكرا»، ومعناها «الشرارة».

تنحدر ميستل من أسرة نبيلة ثرية من مدينة ثورن في ماixت الشمالية. والدها، الذي كان من أتباع الأمير روديجير، انضم إلى الجيش المتمرد، ثم هُزم واختفى دون أن يعرف مصيره. عند هروب أهالي ثورن من المدينة بسبب الأخبار عن الحملة العسكرية التأديبية القادمة، وعن وَحْدَة مخمدي التمرد سيئة السمعة من جيميري، هربت أسرة ميستل أيضًا، وضاعت ميستل وسط الحشود المذعورة. تلك الفتاة الرقيقة والأنيقة، التي كانت تحمل منذ نعومة أظفارها على محفّة، لم تكن قادرة على مجاراة سائر الهاربين. بعد ثلاثة أيام من التشرد وحيدة، وقعت في قبضة صائدي البشر الذين كانوا يسرون خلف النيلفجارديين. كانت الصبايا اللاتي لم يتجاوزن السابعة عشرة يُبعن بثمن باهظ. إن لم يمسسهن رجل من قبل. لم يمس صائدو البشر ميستل، وفحصوها أولاً أكانت عذراء. بعد هذا الفحص، قضت ميستل الليل كله تبكي. في منخفض نهر فيلدا، سحقت عصاة من الجنود النيلفجارديين المنشقين قافلة صائدي البشر وقتلت من فيها عن آخرهم. قتلت جميع الصيادين والعبيد الذكور. تُرِكَت الفتيات فقط، ولم يعلمنَ لَمَ تُرِكَنَ. لم يستمر جهلهن للسبب طويلاً.

كانت ميستل هي الوحيدة التي نجت. فمن الحفرة التي أُلقيت فيها، عارية، مغطاة بالكدمات والقذارات، والوحل، والدم المتيبس، أخرجها آسي، ابن حداد القرية، الذي كان يتبع النيلفجارديين منذ ثلاثة أيام، وقد فقد صوابه من شدة رغبته في الانتقام مما فعله الجنود المنشقين بأبيه وأمه وأخواته، وكان مرغما على مشاهدة هذا كله مختبئًا بين نباتات القنب.

التقوا جميعًا في يوم واحد في أثناء الاحتفالات بعيد الحصاد، لاماس، في إحدى القرى في جيسو. لم تؤثر الحرب والبؤس كثيرًا في ذلك الوقت على البلاد في فيلدا العليا، ولقد احتفل القرويون، كالمعتاد، احتفالات صاخبة لهوا ورقصًا، بحلول شهر أغسطس.

لم يبحث أحدهم عن الآخر كثيرًا وسط الحشد المرح. أشياء كثيرة كانت تميزهم. وأشياء كثيرة تجمعهم. جمعهم حبهم للأزياء الصاخبة الألوان، والمزركشة، والفاخرة، وحبهم للحلي البراقة المسلوقة، والخيول الجميلة، والسيوف التي لم يفكوا أغمدتها حتى في أثناء الرقص. ميّزتهم العُنْجُهيَّة والغرور، والثقة بالنفس، والمشاكسة الساخرة، والهيّاج السريع. والهوان.

كانوا أطفال زمن الهوان. ولم ينل الآخرون منهم إلا الهوان. لا يعولون إلا على القوة. المهارة في استخدام السلاح، التي اكتسبوها بسرعة في الطرق البرية. والحزم. والجواد السريع، والسيف القاطع.

والرفاق. الأصحاب. الأصدقاء. لأن الشخص الذي يكون وحيدًا يجب أن يموت: من الجوع، بالسيف، بالسهم، بقضيب فلاح، على حبل بالمشنقة، في حريق. من كان وحيدًا هلك: طعنًا، ضربًا مبرحًا، ركلاً، مُهانًا، كأنه لعبة تتقاذفها الأيدي.

التقوا في عيد الحصاد. جيسيلهير الكئيب، ذو الملامح السوداء والطول الفارع. كايليغ النحيل ذو الشعر الطويل والعينين الشريرتين والشففتين المترسمتين في كثرة شنيعة. ريف الذي لا يزال يتكلم بلكنة نيلفجاردية. ميستل الطويلة الساقين، ذات الشعر، الذي لونه كلون القش، المقصوص، المنتصب كفرشاة. إيسكرا ذات العين الكبيرة والملابس الملونة، المرنة والرشيقة في الرقص، والسريعة القاتلة في القتال، ذات الشفتين الضيقتين والأسنان الإلفية الدقيقة. آسي العريض المنكبين صاحب اللحية ذات الزغب الملتف الأشقر.

أصبح جيسيلهير زعيمهم. ولقبوا أنفسهم بالجرذان. أطلق عليهم أحد الأشخاص هذا الاسم مرة، وقد أعجبهم.

نهبوا وقتلوا حتى أصبحت قسوتهم مضرب المثل.

في البداية، تجاهلهم حكام المقاطعات النيلفجارديين. كانوا واثقين بأنهم، كسائر العصابات، سيسقطون سريعًا ضحية العمل المنظم للفلاحين المشتتين، أو يدمرون بعضهم ويفنون، فإن عدد الغنائم المكسدة ستجعل الجشع يغلب التضامن بين العصابات. كانت توقعات حكام المقاطعات

بخصوص العصابات الأخرى صحيحة، لكنهم أخطأوا في توقعاتهم بشأن الجرزان. فالجرزان، أطفال الهوان، كانوا يحتقرون الغنائم. كانوا يهاجمون ويسلبون ويقتلون للتسلية، وكل ما ينهب من القوافل العسكرية من خيول، وماشية، وحبوب، وعلف، وملح، وقطران، وأنسجة صوفية، كانوا يوزعونه على القرى. ويدفعون حفنات من الذهب والفضة للخياطين والحرفيين لشراء أحب الأشياء إلى نفوسهم: السلاح، والأزياء، والزينة. كان أولئك الذين تلقوا الهدايا منهم يُطعمونهم ويسقونهم ويستضيفونهم ويخفونهم، وحتى عندما كان النيلفجارديون والنيسيريون يجلدونهم حتى يسيل دمهم، لم يكشفوا عن مخابئ الجرزان ومساراتهم. وقد حدد حكام المقاطعات مكافأة، وفي البداية، وُجِدَ من طمع بالذهب النيلفجاردي. لكن حين يحل الليل، كانت منازل الوشاة تحترق، وكان الذين يفرون من الحريق يلقون حتفهم بشفرات السيوف اللامعة لخيالة أشباح يجولون وسط الدخان. الجرزان كانوا يهاجمون على طريقة الجرزان: بصمت، وغدر، ووحشية. كان الجرزان يعشقون القتل.

لجأ حكام المقاطعات إلى أساليب مجربة استخدموها ضد عصابات أخرى، فحاولوا مرات عدّة زرع خائن بين الجرزان. لم ينجح الأمر. الجرزان لم يقبلوا أحداً من خارجهم. لقد تشكلت مجموعة الستة المتماسكة والمتآخية، في زمن الهوان، وكانت لا تقبل الغرباء.

إلى اليوم الذي ظهرت فيه فتاة قليلة الكلام، رمادية الشعر، رشيقة كبهلوان، لم يعلم الجرزان عنها شيئاً.

لم يعلموا شيئاً سوى أنها كانت مثلهم ذات يوم، مثل كل واحد منهم. وحيدة ومليئة بالأسى، الأسى على الذي سلبه منها زمن الهوان.

وفي زمن الهوان، من يكنّ وحيداً يهلك حتماً.

جيسيلهير، وكايلينغ، وريف، وإيسكرا، وميستل، وآسي، وفالكا.

دُهِشَ حاكم أماريلو دهشةً شديدةً عندما أُبلغ بأن الجرزان يعربدون وعددهم سبعة.

تعجب حاكم أماريلو، ناظرًا إلى الجندي، غير مصدق: «سبعة؟ سبعة؟ كان عددهم سبعة، وليس ستة؟ هل أنت متيقن؟».

قال الجندي الناجي الوحيد من المذبحة كلامًا غير واضح: «ليتني كنت بصحة هكذا».

كان تمنّيه في محله تمامًا، فرأس المحارب ونصف وجهه كانا ملفوفين بضمادات قذرة مشبعة بالدم. الحاكم، الذي خاض معارك عدّة، عرف أن الجندي تلقى ضربة سيف من الأعلى، بنهاية طرف النصل، طعنة من اليسار، طعنة صائبة ودقيقة تتطلب خبرة وسرعة، وجهت إلى الأذن اليمنى والخذ، في مكان غير محمي لا بخوذة ولا بطوق حديدي.

- احك.

بدأ الجندي حديثه: «كنا نسير على ضفة فيلدا باتجاه ثورن. كان لدينا أمر بمرافقة إحدى قوافل السيد إيفرتسن السائرة نحو الجنوب. هاجمونا عند الجسر المنهار، بينما كنا نعبر النهر. علقت إحدى المَرَكَبات، لذا فككنا الخيول من المَرَكَبَة الثانية لنسحبها. مضى القسم الآخر من القافلة في طريقه، بينما بقيت مع خمسة رجال ومع جابي المال. وعندئذ هجموا وطوقونا. استطاع جابي المال، قبل أن يقتل، أن يصرخ بأنهم الجرذان، وبعدها انقضوا علينا... وذبحوا كل جماعتنا. وعندما رأيت ذلك...».

عبس الحاكم: «عندما رأيت ذلك، همزت حصانك بالمهماز، ولكنك تأخرت لتنفذ بجلدك».

نكس الجندي رأسه: «من أمسك بي تحديدًا تلك السابعة، التي لم أرها في البداية. بنت، تكاد تكون طفلة. ظننت أن الجرذان تركوها في الخلف لأنها صغيرة السن وقليلة الخبرة...».

خرج ضيف الحاكم من الظل الذي كان يجلس فيه.

سأل: «هي كانت فتاة؟ كيف بدت؟».

- مثلهم جميعًا. مزينة ومطلية بأحمر الشفاه، كأنها إلفية، ملونة كالبيغاء، متأنقة بالحلي البراقة، والحرير والنسيج المرصع، وتعتمر قبعة عليها أرياش...

- شعرها زاهي اللون؟

- أظن ذلك، يا سيدي. حين رأيته، هجمتُ عليها بحصاني، معتقداً أنني على الأقل أقتلها هي ثأراً لرفاقي... العين بالعين والدم بالدم. التففتُ عليها من اليمين ليسهل عليّ طعنها... لا أدري كيف فعلتُ ذلك، لكنّ ضربتي لم تصبها، كأنني طعنتُ طيفاً أو شبحاً... لا أدري كيف تمكنت تلك الشيطانة من فعل ذلك... مع أنني احتطتُ لأحمي نفسي، فقد أصابتني، من وراء ما احتميت به، مباشرةً في وجهي... سيدي، لقد كنت في معركة سودن وفي ألدرسبيرج. والآن من بنت متأنقة، لديّ تذكّار على وجهي سيبقى مدى الحياة...

نبر الحاكم، ناظرًا إلى ضيفه: «فاسعد لأنك لا تزال حيّاً. واسعد لأنهم وجدوك جريحاً على المعبر. ستظهر الآن كبطل. لو أنك فررتَ دون قتال، لو أنك أبلغتني بخسارة الحملة والخيّل دون أن يكون لديك تذكّار على وجهك، لكان مصيرك أن تكون معلّقاً على حبل المشنقة وقدماك تخبطان في الهواء! حسناً، انصراف. إلى المستشفى الميداني».

خرج الجندي. استدار الحاكم نحو ضيفه.

- ترون بأنفسكم، جناب السيد القاضي الشرعي، أن الخدمة ليست سهلة هنا، والهدوء مفقود، ونحن غارقون في العمل. أنتم هناك، في العاصمة، تظنون أننا هنا في المقاطعات قاعدون على مؤخراتنا، ونكرع الجعة، ونتحرش بالفتيات، ونتلقّى الرُشى. لا أحد يفكر في إرسال المزيد من الرجال أو المال، فقط يصدرون الأوامر: هاتِ، نفذْ، ابحثْ، أبقِ الجميع على أهبة الاستعداد، اركض من الفجر حتى الغروب... ورؤوسنا على وشك الانفجار من المتاعب. ومثل الجرذان، تعربد هنا خمس عصابات أو ست. صحيح، الجرذان هم الأسوأ، لكنّ لا يمر يوم دون...

نفخ ستيفان سكيلين شفّتيه: «كفى، كفى. أعرف ما دوافع شكواكم، يا حضرة الحاكم. لكن شكواكم لا طائل منها. لن يعفيكم أحد من الأوامر الصادرة، لا تعوّلوا على ذلك. الجرذان أو غير الجرذان، العصابات أو غيرها، عليكم مواصلة عملية البحث بجميع الوسائل المتاحة، حتى إشعار آخر. هذا أمر القيصّر».

عبس الحاكم: «لا نزال نبحث منذ ثلاثة أسابيع. من دون أن ندري تمامًا عمَّن أو عمَّ نبحث، هل نبحث عن طيف، عن شبح، أم عن إبرة في كومة قش. وما النتيجة؟ فقط ضاع مني عدد من الرجال، وفُقد أثرهم، ولا شك أنهم قُتلوا على يد المتمردين أو قطاع الطرق. أعلمكم مرة أخرى، يا جناب القاضي الشرعي، إذا لم نجد فتاتكم هذه حتى الآن، فلن نجدها أبدًا. حتى لو كانت هنا، وهو أمر أشك فيه. إلا إذا...».

توقف الحاكم، وأخذ يفكر ناظرًا إلى القاضي الشرعي بتوجس.

- تلك الفتاة... تلك السابعة التي تسير مع الجرذان...

أشار الخبل بيده مستهينًا، محاولًا أن تبدو حركاته وتعابير وجهه مقنعة.

- لا، يا حضرة الحاكم. لا تبحثوا عن حلول سهلة جدًا. تلك النصف إلفية

أو أي لصة أخرى من المزيّنات بالحلي، ليست بالتأكيد الفتاة التي

تهمنا. بكل تأكيد ليست هي. استمروا في البحث. هذا أمر.

امتعض الحاكم ونظر من خلال النافذة.

أضاف القاضي الشرعي للقيصر إمهير، ستيفان سكيلين، المسمى الخبل،

بصوت محايد ظاهريًا: «وبالنسبة إلى تلك العصابة. هؤلاء الجرذان، أو أيًا

كان اسمهم... افعلوا بهم ما يلزم، يا حضرة الحاكم. يجب أن يسود النظام

في المقاطعة. هبوا إلى العمل. ألقوا القبض عليهم واشنقوهم جميعًا، دون أي

إجراءات شكلية أو رسمية».

تمتم الحاكم: «الكلام سهل. لكنني سأفعل كل ما بوسعي، أبلغوا القيصر

بهذا. ومع ذلك، أعتقد أن تلك الفتاة السابعة من الجرذان حري بها أن تؤخذ

حية...».

قاطعه الخبل، محاذرًا ألا يخونه صوته: «لا. لا استثناءات، يُشنق الجميع.

السبعة بأكملهم. لا نريد سماع شيء آخر عنهم. لا نريد أن نسمع عنهم أي

كلمة بعد الآن».

مكتبة

t.me/soramnqraa



أُرجِفت بدعم من برنامج الترجمة البولندي

الويتشر آمن الهوان

واجه الويتشر جيرالت وحوشًا وشياطين في كل أرجاء الأرض، لكنه قد لا يكون مستعدًا لما يحدث في عالمه الآن. فالملوك والجيش يتلاعبون بالأوضاع السياسية، كل منهم يخشى الغزو مما وراء النهر، ويخشون جيرانهم أكثر. المؤامرات والانشقاقات والتمردات تحيط بهم من كل جانب. أما السحرة، فيتقاتلون فيما بينهم، البعض منهم في خدمة الملوك، والبعض الآخر متعاطف مع الإلفيين.

وفي ظل هذا المشهد المليء بالخوف والهوان، يجب على جيرالت ونيفر حماية سيري، الوريثة التي تطاردها جميع الأطراف، إذ تحمل النبوءة بين يديها، وبقاؤها على قيد الحياة أو موتها قد يكون له القوة لإنقاذ العالم... أو ربما تدميره.



غلاف: محمود هشام

مكتبة
t.me/soramnqraa



www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb